
AMERICAN UNIV. IN CAIRO LIBRARY
3 8534 01224 2941

العقود الدرية

من

مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية

تأليف

الإمام الحافظ المحقق أبى عبد الله

محمد بن أحمد بن عبد الهادى

رحمه الله

٧٠٤ ـ ٧٤٤

بتحقيق

محمد حامد الفقي

دار الكتب العلمية

بيروت ـ لبنان

فهرست

تمت الفهرست

مقـــدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمـد لله نحمده ونستعين ونستهدى ونستغفره . ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا . من يهده الله فلا مضل له . ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا . والصلاة والسلام على أشرف رسل الله وخاتم أنبيائه الذى بعثه الله رحمة للعالمين . وإماما للمتقين . بعثه ليقيم الملة العوجاء ، وينقذ العقول مما كبلها به المخرفون ، والمترئسون الدجالون ، والجهلة المتعصبون ، والسفهاء المقلدون لما ورثوا عن الآباء والشيوخ . وما زال هذا الرسول الأكرم يجاهد تلك الطوائف باللسان والسيف ، حتى أتم الله نوره ونصر عبده ، وأعز جنده . وهزم حزب الشيطان وحده . وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم . ثم رفع الله رسوله صلى الله عليه وسلم إلى الرفيـق الأعلى . وتحمل أمانة العلم والدين والجهاد بعده صحابته الابرار ، ووزراءه الأخيـار . وما زالوا يبذلون النفس والنفيس حتى خفقت راية الاسلام على مشارق الأرض ومغاربها ، وقام الداعون إلى الله يشقون بأصواتهم عنان الفضاء مؤذنين : الله أكبر . الله أكبر . ومازال هذا الأمر على منصة العزة ، وكلمة الحق

على قمة الكرامة حتى استطاع أعداء الاسلام ان يندسوا بين ظهرانى المسلمين ، وأن يلبسوا الحق بالباطل و يزخرفوا الشبهات والشكوك باسم الدين ، وفى صورة تنزيه الله سبحانه عما لا يليق به . فردوا آيات الله وحرفوا كتاب الله . وعطلوا صفاته العليا . ونفوا أسماءه الحسنى التى وصف بها نفسه ، ووصفه بها نبيه صلى الله عليه وسلم . وما زالوا يجلبون بنظريات اليونان ، ومقالات الفرس والهند ، وآراء الجعد بن درهم والجهم بن صفوان واخوانهما من أولئك الزائغين الملحدين حتى راجت تلك الترهات ، ومضت فى طريقها إلى القلوب المريضة تفرح بها ، والى الأقلام تسجلها على الصحف وتسود بها وجوه الكتب . وتنقلها جراثيم فساد وإفساد إلى الذين فتنوا بها . وكلما انتقلت إلى طبقة زادت عندهم رواجا وتمكنا ، لبعدهم عن نور النبوة وعصر الرسالة . والآخر شر إلى يوم القيامة

حتى كان القرن السادس الهجرى ، وقد قام سوق هذه العقائد المفسدة ونفقت البدع والخرافات الشركية بعبادة الموتى والقبور وآثار الصالحين أيما نفاق . وملك على الناس أزمة عقولهم وقلوبهم الهوى والعصبية لآراء الشيوخ والمتبوعين فى الأصول والفروع ، والسلوك . فقيض الله لهذا الدين بطلا من أعظم الأبطال ، ومجاهدا من أشجع المجاهدين . هو شيخ الاسلام ابن تيمية فقد رزقه الله من كل أسباب الظفر ، وآتاه من كل آلات النصرة فى هذا الميدان : حافظة معدومة النظير ، وذكاء نادرا ، وفراغ وقت

و بال . وسعة صدر وعظم صبر . وصدق ايمان بالله ، و بصيرة وقادة وَقلب حشى نوراوهدى . وثقة بالله وحده . استغل شيخ الاسلام ابن تيمية كل ذلك فأثمر له أطيب الثمرات حتى كان فى مجموعه نادرة الدهر ، ووحيد العصر . وآية الله على عباده . كما سترى كل ذلك فى هذه الترجمة

وقد ترجمه علماء عصره ومن بعدهم تراجم واسعة . وأفاضوا فى مناقبه أيما إفاضة . وأعجبوا كل الاعجاب بمواقفه التى بيض الله بها وجه الاسلام أمام أعدائه : من النصارى واليهود والتتار ، والملحدين ، والرافضة ، والزنادقة ، والجهمية المعطلة ، والمبتدعة ، والمقلدين وعباد الموتى ، وغيرهم . وكيف صمد لهؤلاء جميعا وآتاه الله من قوة اليقين وشجاعة القلب والنفس ، وقوة الحجة ما أخرسهم وقطع ألسنتهم وسود وجوههم ، حتى استعانوا عليه بالزور والافتراء والتحريف لقوله . ووصلوا فى هذا الجو الجاهل إلى بعض ما أرادوا من حبسه . ولكنهم لم يصلوا الى حجته ، ولا الى لسانه ، ولا الى قلبه وهديه . فكم أفاد ، وكم هدى الى الله ، وكم أشعل مصباح العرفان وأضاء سراج السنة ، وأيقظ غافلين وعلم جاهلين . ولا يزال على مدى الدهر نبراساً للمهتدين ، وآية للسالكين ، وميزانا نعرف بحبه والانتفاع بكتبه الضالين عمى القلوب من المهتدين إلى سبيل الله على بصيرة ونور . وَمهما كتب الكاتبون فى مدح ابن تيمية فهو لكل مايقولون أهل . ومهما قال الجاهلون الضالون

الزائغون فعذرهم أنهم عمى القلوب والبصائر. وان كثيرا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون. بغيا وحسدا. فليموتوا بغيظهم، كما مات سلفهم الأحمق الجاهل الخادع الغاش. وابن تيمية بعد كل هذا فى السماك الأعلى، وفى صف الأئمة الأعلام، ورفعه الله – رغم أنف أولئك الزعانف المأفونين – على أرائك شيوخ الاسلام المهتدين الهادين

واسمع لما نقله الحافظ ابن رجب فى طبقات الحنابلة فى ترجمة الشيخ ابن تيمية – وقد ترجم له ترجمة واسعة – قال فى أثنائها:

بقى فى القلعة مدة يكتب العلم ويصنفه ويرسل الى أصحابه الرسائل ويذكر ما فتح الله به عليه فى هذه المرة من العلوم العظيمة، والأحوال الجسيمة. وقال عن نفسه:

فتح الله على فى هذا الحصن فى هذه المرة من معانى القرآن ومن أصول العلم بأشياء مات كثير من العلماء يتمنونها، وندمت على تضييع أكثر أوقاتى فى غير معانى القرآن

ثم إنه منع من الكتابة ولم يترك عنده دواة ولا قلم ولا ورق فأقبل على التلاوة والتهجد والمناجاة والذكر

قال شيخنا أبو عبد الله بن القيم: سمعت شيخنا شيخ الاسلام ابن تيمية. قدس الله روحه ونور ضريحه يقول:

إن فى الدنيا جنة من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة.

وقال لى مرة : ما يصنع أعدأئى بى ؟ أنا جنتى و بستانى فى صدرى أين رحت فهى معى لا تفارقنى . أنا حبسى خلوة ، وقتلى شهادة ، واخراجى من بلدى سياحة

وكان فى حبسه يقول : لو بذلت ملء هذه القلعة ذهبا ما عدل عندى شكر هذه النعمة ، أو قال : ما جازيتهم على ما ساقوا الى من الخير .

وكان يقول فى سجوده وهو فى السجن : اللهم أعنى على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك

وقال مرة : المحبوس من حبس قلبه عن ربه . والمأسور من أسره هواه

ولما دخل القلعة وصار داخل سورها . نظر إليه وقال (فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب)

قال شيخنا : وعلم الله ، ما رأيت أحدا أطيب عيشا منه قط ، مع ما كان فيه من الحبس والتهديد والارجاف . وهو مع ذلك أطيب الناس عيشا واشرحهم صدرا ، وأقواهم قلبا ، وأسرهم نفسا . تلوح نضرة النعيم على وجهه . وكنا اذا اشتد الخوف ، وساءت الظنو ن. وضاقت بنا الأرض أتيناه . فما هو إلا أن نراه ونسمع كلامه . فيذهب عنا ذلك كله وينقلب انشراحا وقوة و يقينا وطمأنينة . فسبحان من أشهد عباده جنته قبل

لقائه . وفتح لهم أبوابها فى دارالعمل . فآتاهم من روحها ونسيمها وطيبها ما استفرغ قواهم لطلبها والمسابقة اليها . انتهى

وها نحن نقدم اليك (العقود الدرية) من تأليف أحد كبار تلاميذ شيخ الاسلام . ونسختها الوحيدة على ما نعلم فى المكتبة الظاهرية بدمشق وعنها أخذ أصلنا الذى طبعنا عليه : الشيخان أبو عبدالله محمد بن حسن وأبو اسماعيل يوسف حسين بن محمد حسن

وقد كتب بخط هندى فارسى جميل به صعوبات زللها الله .

ترجمة الشيخ ابن عبد الهادى

محمد بن أحمد بن عبد الهادى بن عبد الحميد بن عبد الهادى بن يوسف بن محمد بن قدامة المقدسى الحنبلى ، الجماعيلى الأصل ، ثم الصالحى الفقيه المحدث الحافظ الناقد النحوى المتفنن ، شمس الدين . أبو عبد الله بن العماد أبى العباس

ولد فى رجب سنة ٧٠٤ وقرأ بالروايات . وسمع الكثير من القاضى أبى الفضل سليمان بن حمزة ، وأبى بكر بن عبد الدايم ، وعيسى بن المطعم ، والحجار . وزينب بنت الكمال . وخلق كثير . وعنى بالحديث وفنونه ، ومعرفة الرجال والعلل . و برع فى ذلك وتفقه فى المذهب وأفتى

وقرأ الأصلين والعربية وبرع فيهما . ولازم الشيخ تقى الدين بن تيمية مدة . وقرأ عليه قطعة من الأربعين فى أصول الدين للرازى . وقرأ الفقه على الشيخ مجد الدين الحرانى . ولازم أبا الحجاج المزى الحافظ حتى برع عليه فى الرجال . وأخذ عن الذهبي وغيره .

وقد ذكره الذهبي فى طبقات الحفاظ . فقال : ولد سنة ٧٠٥ ، أو ست وسبعمائة — واعتنى بالرجال والعلل . وجمع . وتصـــدى للافادة والاشغال فى القرآن والحديث والفقه والأصلين . والنحو . وله توسع فى العلوم . وذهن سيال

وذكره فى معجمه المختصر . وقال : عنى بفنون الحديث ومعرفة رجاله ، وذهنه مليح . وله عدة محفوظات وتآليف وتعاليق مفيدة .

كتب عنى واستفدت منه

قال : وقد سمعت منه حديثا يوم درسه بالصدرية . ثم قال : أخبرنا المزى اجازة أخبرنا أبو عبد الله السروجى أخبرنا ابن عبد الهادى — فذكر حديثا

درس ابن عبد الهادى بالصدرية وغيرها . وكتب بخطه الحسن المتقن الكثير . وصنف تصانيف كثيرة ، بعضها كمله ، وبعضها لم يكمله لهجوم المنية عليه فى سن الأربعين

فمنها : تنقيح التحقيق فى أحاديث التعليق لابن الجوزى . مجلدان

الأحكام الكبرى المرتبة على أحكام الحافظ الضياء . كمل منها سبع مجلدات . الرد على أبى بكر الخطيب الحافظ البغدادى فى مسئلة الجهر بالبسملة . مجلد . المحرر فى الأحكام . مجلد . فصل النزاع بين الخصوم فى الكلام على أحاديث «أفطر الحاجم والمحجوم» . لطيفة . الكلام على أحاديث الذكر . جزء كبير . الكلام على حديث «البحر هو الطهور ماؤه الحل ميتته» جزء كبير . الكلام على حديث القلتين . جزء . الكلام على حديث معاذ فى الحكم بالرأى . جزء كبير . الكلام على حديث «أصحابى كالنجوم» جزء . الكلام على حديث أبى سفيان «ثلاث أعطيتهن يارسول الله» والرد على ابن حزم فى قوله: انه موضوع . جزء . كتاب العمدة كمل منه جزءان . الكلام على أحاديث مختصر ابن الحاجب مختصر ومطول الكلام على أحاديث كثيرة فيها ضعف من المستدرك للحاكم . أحاديث الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم جزء . منتقى من مختصر المختصر لابن جزيمة ، ومناقشته على أحاديث أخرجها فيه فيها مقال . مجلد . الكلام على أحاديث الزيارة . جزء . مصنف فى الزيارة . مجلد . الكلام على أحاديث محلل السباق . جزء . جزء فى مسافة القصر . جزء فى قوله تعالى (لمسجد أسس على التقوى — الآية) جزء في أحاديث الجمع بين الصلاتين فى الحضر . الأعلام فى ذكر مشايخ الأئمة الأعلام أصحاب الكتب الستة . عدة أجزاء . الكلام على حديث : « الطواف

بالبيت صلاة » . جزء كبير فى مولد النبى صلى الله عليه وسلم . تعليقة على سنن البيهقى الكبرى . كمل منها مجلدان . جزء كبير فى المعجزات والكرامات . جزء فى تحريم الربا . جزء فى تملك الأب من مال ولده ماشاء . جزء فى العقيقة . جزء فى الأكل من الثمار التى لاحائط لها . الرد على ألْكِيَا الهرّاسى . جزء كبير .

ترجمة الشيخ تقى الدين بن تيمية . مجلد .

وذكر له عدة مؤلفات كثيرة

ثم قال : وله تعاليق كبيرة فى الفقه وأصوله والحديث ، ومنتخبات كثيرة فى أنواع من العلم . وحدث بشىء من مسموعاته . وسمع منه غير واحد . وقد سمعت من أبيه . فانه عاش بعده نحو عشر سنين

توفى الحافظ أبو عبد الله فى عاشر جمادى الأولى سنة ٧٤٤ ودفن بسفح قاسيون . وشيعه خلق كثير . وتأسفوا عليه . ورؤيت له منامات حسنة رحمه الله تعالى

منقولة عن طبقات الحنابلة للحافظ ابن رجب

نسخة مخطوطة بدار الكتب رقم (٤٤١١ فن التاريخ)

هذا ونرجو الله أن ينفع بها . ويوفق المسلمين وعلماءهم لمثل ما وفق له شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله ورضى عنه .

القاهرة { ٩-١١-١٣٥٦هـ
١١-١-١٩٣٨م

وكتبه الفقير إلى عفو الله
محمد حامد الفقى

بسم الله الرحمن الرحيم

حسبي الله ونعم الوكيل

قال الشيخ الامام الحافظ المحقق، أبو عبد الله : محمد بن أحمد بن عبد الهادى المقدسى، رحمه الله ورضى عنه . وأثابه الجنة بفضله ورحمته وإيّانا وسائر المسلمين :

الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستهديه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا . من يهده الله فلا مُضل له . ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له : وأشهد أن محمداً عبده ورسوله : صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا

أما بعد : فهذه نُبذة يسيرة مختصرة فى ذكر حال سيدنا وشيخنا : شيخ الاسلام، تقى الدين، أبى العباس أحمد بن تَيْمِيَة، رحمه الله ورضى عنه وأثابه الجنة برحمته، وذكر بعض مناقبه وبعض مصنفاته .

هو الشيخ الامام الربانى ، إمام الأئمة ، ومفتى الأمة ، و بحر العلوم ، سيد الحفاظ ، وفارس المعانى والألفاظ ، فريد العصر ، وقريع الدهر ، شيخ الاسلام بركة الأنام وعلامة الزمان ، وترجمان القرآن ، علم الزهاد وأوحد العباد قامع المبتدعين ، وآخر المجتهدين تقى الدين أبو العباس : أحمد بن الشيخ الامام العلامة شهاب الدين ، أبى المحاسن عبد الحليم ، ابن الشيخ الامام العلامة ، شيخ الاسلام ، مجد الدين ، أبى البركات : عبد السلام بن أبى محمد عبد الله ، بن أبى القاسم الخضر ، بن محمد بن الخضر ، بن على ، بن عبد الله ابن تيمية الحَرَّانى نزيل دِمَشق ، وصاحب التصانيف التى لم يسبق إلى مثلها .

قيل : إن جده محمد بن الخضر حج على دَرْب تَيْماء ، فرأى هناك طفلة فلما رجع وجد امرأته قد ولدت له بنتا فقال : ياتيمية ، ياتيمية ، فلقب بذلك

قال : ابن النجار ذكر لنا أن جده محمداً كانت أمه تسمى تيمية ، وكانت واعظة ، فنسب إليها وعرف بها .

ولد شيخنا أبو العباس بحران ، يوم الاثنين عاشر - وقيل ثانى عشر - [شهر] ربيع الأول سنة ٦٦١ هـ احدى وستين وستمائة وسافر والداه و باخوته إلى الشام عند جور التتار ، فساروا بالليل ومعهم الكتب على عجلة ، لعدم الدواب ، فكاد العدو يلحقهم ، ووقفت العجلة فابتهلوا الى الله واستغاثوا به فنجوا وسلموا

٦٦٧

وقدموا دمشق فى أثناء سنة سبع وستين وستمائة ، فسمعوا من الشيخ زين الدين أحمد بن عبد الدائم بن نعمة المقدسى جزء ابن عرفة كله (١) ثم سمع شيخنا الكثير من ابن أبى اليُسْر والكمال ابن عبد ، والمجد بن عساكر وأصحاب الخشوعى . ومن الجمال يحيى بن الصيرفى ، وأحمد بن أبى الخير والقاسم الأرْبَلِيّ . والشيخ فخر الدين بن البُخَارى والكمال عبد الرحيم وأبى القاسم بن عِلان . واحمد بن شيبان ، وخلق كثير

وشيوخه الذين سمع منهم أكثر من مائتى شيخ .

وسمع مسند الامام أحمد بن حنبل مرات . وسمع الكتب الستة الكبار والأجزاء . ومن مسموعاته معجم الطبرانى الكبير .

وعنى بالحديث وقرأ ونسخ ، وتعلم الخط والحساب فى المكتب . وحفظ القرآن وأقبل على الفقه وقرأ العربية على ابن عبد القوى ثم فهمها وأخذ يتأمل كتاب سيبويه حتى فهم فى النحو ، وأقبل على التفسير إقبالا كليا . حتى حاز فيه قصب السبق ، وأحكم أصول الفقه وغير ذلك .

هذا كله وهو بعد ابن بضع عشرة سنة . فانبهر أهل دمشق من فرط ذكائه ، وسيلان ذهنه ، وقوة حافظته ، وسرعة إدراكه

---

(١) كانت فى الأصل « ذلك »

واتفق أن بعض مشايخ العلماء بحلب قدم إلى دمشق وقال سمعت فى البلاد بصبي يقال له أحمد بن تيمية ، وأنه سريع الحفظ ، وقد جئت قاصداً لعلّى أراه . فقال له خياط : هذه طريق كتّابه وهو إلى الآن ماجاء فاقعد عندنا، الساعةَ يجىء يعبر علينا ذاهبا إلى الكتاب . فجلس الشيخ الحلبى قليلا ، فمر صبيان ، فقال الخياط للحلبى : هذاك الصبى الذى معه اللوح الكبير هو أحمد بن تيمية، فناداه الشيخ، فجاء إليه، فتناول الشيخ اللوح، فنظر فيه ثم قال: ياولدى امسح هذا حتى أُملى عليك شيئا تكتبه، ففعل، فأملى عليه من متون الأحاديث أحد عشر، أو ثلاثة عشر، حديثا وقال له: اقرأ هذا فلم يزد على أن تأمله مرة بعد كتابته إياه، ثم دفعه إليه وقال: اسمعه علىّ فقرأه عليه عرضا كأَحسن ما أنت سامع . فقال له: ياولدى امسح هذا، ففعل، فأملى عليه عدة أسانيد انتخبها، ثم قال: اقرأ هذا، فنظر فيه ، كما فعل أول مرة ، فقام الشيخ ، وهو يقول ، إن عاش هذا الصبى ليكونن له شأن عظيم فان هذا لم يُر مثله. أو كما قال .

وقال الحافظ أبو عبد الله الذهبى ـ نشأ : يعنى الشيخ تقى الدين ـ رحمه الله فى تصوّن تام، وعفاف وتألّه وتعبد، واقتصاد فى الملبس والمأكل وكان يحضر المدارس والمحافل فى صغره ، ويناظر ويُفْحِم الكبار، ويأتى بما يتحيّر منه أعيان البلد فى العلم . فأفتى وله تسع عشرة سنة ؛ بل أقل وشرع فى الجمع والتأليف من ذلك الوقت، وأكبّ على الاشتغال، ومات

والده ـ وكان من كبار الحنابلة وأئمتهم ـ فدرّس بعده بوظائفه ، وله إحدى وعشرون سنة ، واشتهر أمره ، وبُعد صيته فى العالم ، وأخذ فى تفسير الكتاب العزيز فى الجمع على كرسى ، من حفظه ، فكان يورد المجلس ولا يتعلثم . وكذا كان الدرس بتؤدة وصوت جهُورى فصيح . جَهْوَرِى

وقال بعض قدماء أصحاب شيخنا ـ وقد ذكر نبذة من سيرته ـ :

أما مبدأ أمره ونشأته ، فقد نشأ من حين نشأ فى حجور العلماء ، راشفا كؤوس الفهم راتعا فى رياض التفقه ودوحات الكتب الجامعة لكل فن من الفنون ، لايلوى إلى غير المطالعة و الاشتغال والأخذ بمعالى الأمور ، خصوصا علم الكتاب العزيز والسنة النبوية ولوازمها ، ولم يزل على ذلك خلفا صالحا سلفيا متألها عن الدنيا صيِّنًا تقياً ، براً بأمه ، ورعا عفيفاً ، عابداً ناسكا ، صواماً قواما ، ذاكرا لله تعالى فى كل أمر وعلى كل حال ، رجَّاعا إلى الله تعالى فى سائر الأحوال والقضايا ، وقَّافا عند حدود الله تعالى وأوامره ونواهيه ، آمراً بالمعروف ناهيا عن المنكر بالمعروف ، لاتكاد نفسه تشبع من العلم ، فلاتروى من المطالعة ولاتملّ من الاشتغال ، ولا تكلّ من البحث ، وقلّ أن يدخل فى علم من العلوم من باب من أبوابه إلا ويُفتح له من ذلك الباب أبواب ، ويستدرك مستدركات فى ذلك العلم على حُذّاق أهله . مقصوده الكتاب والسنة .

ولقد سمعته فى مبادىء أمره يقول : إنه ليقف خاطرى فى المسألة والشىء

أو الحالة التى تشكل علىّ فأستغفر الله تعالى ألف مرة أو أكثر أو أقل، حتى ينشرح الصدر وينحلّ إشكال ما أشكل، قال: وأكون إذ ذاك، فى السوق أو المسجد أو الدرب أو المدرسة، لا يمنعنى ذلك من الذكر والاستغفار إلى أن أنال مطلوبى.

قال هذا الصاحب: ولقد كنت فى تلك المدة وأول النشأة إذا اجتمعت به فى ختمٍ أو مجلس ذكر خاص مع أحد المشايخ المذكورين، وتذاكروا وتكلم مع حداثة سنه أجد لكلامه صوْلة على القلوب، وتأثيرا فى النفوس، وهيبة مقبولة، ونفعا يظهر أثره وتنفعل له النفوس التى سمعته أياما كثيرة بعقبه، حتى كان مقاله بلسان حاله، وحاله ظاهر فى مقاله. شهدت ذلك منه غير مرة.

قلت: ثم لم يبرح شيخنا رحمه الله فى ازدياد من العلوم وملازمة الاشتغال والإشغال، وبث العلم ونشره، والاجتهاد فى سُبُل الخير، حتى انتهت اليه الامامة فى العلم والعمل، والزهد والورع، والشجاعة والكرم والتواضع والحلم والانابة[1] والجلالة والمهابة والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وسائر أنواع الجهاد، مع الصدق والعفة والصيانة، وحسن القصد والاخلاص، والابتهال إلى الله وكثرة الخوف منه، وكثرة المراقبة له وشدة التمسك بالأثر، والدعاء إلى الله وحسن الأخلاق،

(١) بهامش الأصل « لعله الاناة » وكل منهما صحيح

ونفع الخلق والاحسان اليهم والصبر على من آذاه ، والصفح عنه والدعاء له ، وسائر أنواع الخير .

وكان رحمه الله سيفاً مسلولا على المخالفين ، وشجًى فى حلوق أهل الاهواء المبتدعين ، وإماما قائما ببيان الحق ونصرة الدين ، وكان بحرا لا تُكدِّره الدِّلاء ، وحَبْرا يقتدى به الأخيار الالباء ، طَنَّت بذكره الأمصار ، وضَنَّت بمثله الأعصار .

قال شيخنا الحافظ أبو الحجاج (١) ما رأيت مثله : ولا رأى هو مثل نفسه . ومارأيت أحدا أعلم بكتاب الله وسنة رسوله ، ولا أتبع لهما منه .

وقال العلامة كمال الدين بن الزِّمْلِكَانى (٢) : كان إذا سئل عن فن من العلم ظن الرائى والسامع أنه لايعرف غير ذلك الفن ، وحكم أن أحدا لايعرفه مثله . وكان الفقهاء من سائر الطوائف إذا جلسوا معه استفادوا فى مذاهبهم منه مالم يكونوا عرفوه قبل ذلك ، ولا يعرف أنه ناظر أحدا فانقطع معه — ولا تكلم فى علم من العلوم ، سواء أكان من علوم الشرع أم غيرها إلا فاق فيه أهله والمنسوبين إليه . وكانت له اليد الطولى فى حسن

(١) هو الامام الحافظ الناقد : أبو الحجاج يوسف المزى . ولد سنة ٦٥٤ بالمزة . وتوفى سنة ٧٤٢

(٢) قاضى القضاة . الشافعى . ولد سنة ٦٦٧ . وتوفى ببلبيس سنة ٧٢٧ . ودفن بالقاهرة .

التصنيف وجودة العبارة والترتيب والتقسيم والتبيين .

ووقعت مسألة فرعية في قسمة جرى فيها اختلاف بين المفتين في العصر . فكتب فيها مجلدة كبيرة . وكذلك وقعت مسألة في حد من الحدود ، فكتب فيها مجلدة كبيرة ولم يخرج في كل واحدة عن المسألة ، ولا طول بتخليط الكلام والدخول في شيء والخروج من شيء . وأتى في كل واحدة بما لم يكن يجرى في الأوهام والخواطر ، واجتمعت فيه شروط الاجتهاد على وجهها .

وقرأت بخط الشيخ كمال الدين أيضا ، على كتاب بيان الدليل على إبطال التحليل لشيخنا ـ وقد ذكر ترجمته ـ فقال : من مصنفات سيدنا وشيخنا وقدوتنا الشيخ السيد الامام العالم العلامة ، الأوحد البارع ، الحافظ الزاهد الورع ، القدوة الكامل العارف ، تقي الدين : شيخ الاسلام ومفتي الأنام ، سيد العلماء قدوة الأئمة الفضلاء ، ناصر السنة ، قامع البدعة حجة الله على العباد ، رادّ أهل الزيغ والعناد ، أوحد العلماء العاملين آخر المجتهدين أبي العباس : أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم ابن محمد بن تيمية الحراني . حفظ الله على المسلمين طول حياته . وأعاد عليهم من بركاته . إنه على كل شيء قدير .

وقرأت أيضا بخطه ـ على كتاب رفع الملام عن الأئمة الأعلام ـ :

تأليف الشيخ الامام العالم العلامة الأوحد الحافظ المجتهد الزاهد العابد القدوة إمام الأئمة، قدوة الأمة، علامة العلماء، وارث الأنبياء، آخر المجتهدين أوحد علماء الدين، بركة الاسلام حجة الأعلام، برهان المتكلمين، قامع المبتدعين محيي السنة، ومن عظُمت به لله علينا المنَّة، وقامت به على أعدائه الحجة واستبانت ببركته وهديه المحجة. تقى الدين أبى العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد اسلام بن تيمية الحرانى. أعلى الله مناره وشيَّد به من الدين أركانه.

ماذا يقول الواصفون له * وصفاته جلَّت عن الحصر

هو حجة لله قاهرة * هو بيننا أُعجوبة الدهر

هو آية للخلق ظاهرة * أنوارها أرْبت على الفجر

وقرأت على آخر هذا الكتاب طبقة بخط الذهبي (١)، يقول فيها: سمع جميع هذا الكتاب على مؤلفه شيخنا الامام العالم العلامة الأوحد شيخ الاسلام، مفتى الفرق قدوة الأمة أعجوبة الزمان بحر العلوم، حبر القرآن تقى الدين سيد العبَّاد: أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحرانى. رضى الله عنه.

وقال الشيخ الحافظ فتح الدين أبو الفتح بن سيد الناس اليَعْمُرى

(١) الامام محمد بن أحمد بن عثمان. ولد سنة ٦٧٣. وتوفى سنة ٧٤٨

المصرى (١) ، بعد أن ذكر ترجمة شيخنا الحافظ جمال الدين أبى الحجاج المِزِّى — : وهو الذى حدانى على رؤية الشيخ الامام شيخ الاسلام تقى الدين أبى العباس أحمد بن الحليم بن عبد السلام بن تيمية . فألفيته ممن أدرك من العلوم حظا ، وكاد يستوعب السُّنن والآثار حفظا إن تكلم فى التفسير فهو حامل رايته ، أو أفتى فى الفقه فهو مدرك غايته ، أو ذاكر بالحديث فهو صاحب علمه وذو روايته ، أو حاضر بالنِّحَل والملل لم يُر أوسع من نحلته فى ذلك ولا أرفع من درايته . برز فى كل فن على أبناء جنسه . ولم تر عين من رآه مثله ، ولا رأت عينه مثل نفسه . كان يتكلم فى التفسير فيحضر مجلسه الجم الغفير ، ويردون من بحر علمه العذب النّمير ويرتعون من ربيع فضله فى روضة وغدير ، إلى أن دبّ إليه من أهل بلده داء الحسد ، وألَّب أهل النظر منهم على ماينتقد عليه [فى] حنبليته من أمور المعتقد فحفظوا عنه فى ذلك كلاما ، أو سعوه بسببه ملاما ، وفوّقوا لتبديعه سهاما ، وزعموا أنه خالف طريقهم ، وفرق فريقهم ، فنازعهم ونازعوه ، وقاطع بعضهم وقاطعوه ثم نازع طائفة أخرى ينتسبون من الفقر إلى طريقة . ويزعمون أنهم على أدق باطن منها وأجلى حقيقة ، فكشف تلك الطرائق وذكر لها —

(١) محمد بن محمد الأندلسى ، ثم المصرى . ولد سنة ٦٧١ وتوفى بالقاهرة سنة ٧٣٤ .

على مازعم ـ بوائق ، فآضت إلى الطائفة الأولى من منازعيه ، واستعانت بذوى الضغن [١] عليه من مقاطعيه ، فوصلوا بالأمراء أمره . وأعمل كل منهم فى كفره فكره . فكتبوا محاضر ، وألبوا الرُّويبضة للسعى بها بين الأكابر . وسعوا فى نقله إلى حضرة المملكة بالديار المصرية ، فنقل وأودع السجن ساعة حضوره ، واعتقل ، وعقدوا لاراقة دمه مجالس ، وحشدوا لذلك قوما من عمّار الزوايا وسكان المدارس من مُحامل فى المنازعة ، مخاتل بالمخادعة ، ومن مجاهر بالتكفير مبارز بالمقاطعة ، يسومونه ريب المنون (وربك يعلم ماتكن صدورهم وما يعلنون) وليس المجاهر بكفره بأسوأ حالا من المخاتل ، وقد دبّت إليه عقارب مكره ، فرد الله كيد كل فى نحره . فنجاه على يد من اصطفاه والله غالب على أمره ، ثم لم يخل بعد ذلك من فتنة بعد فتنة ، ولم ينتقل طول عمره من محنة إلا إلى محنة ، الى أن فوّض أمره لبعض القضاة فقلّد ماتقلد من اعتقاله ، ولم يزل بمحبسه ذلك إلى حين ذهابه إلى رحمة الله تعالى وانتقاله ، وإلى الله ترجع الأمور وهو المطلع على خائنة الأعين وما تخفى الصدور . وكان يومه مشهودا ضاقت بجنازته الطريق وانتابها المسلمون من كل فج عميق ، يتبركون بمشهده يوم يقوم الاشهاد ، ويتمسكون بشَرْجعه [٢] حتى كسروا تلك الأعواد . وذلك فى ليلة العشرين من ذى القعدة

---

(١) فى الأصل « الظعن »

(٢) الشرجع ـ كجعفر ـ : النعش والجنازة

سنة ٧٢٨ ثمان وعشرين وسبعمائة بقلعة دمشق المحروسة . وكان مولده بحران فى عاشر شهر ربيع الأول من سنة ٦٦١ إحدى وستين وستماية رحمه الله وإيانا .

ثم قال : قرأت على الشيخ الامام حامل راية العلوم ، ومدرك غاية الفهوم ، تقى الدين أبى العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية رحمه الله بالقاهرة – قدم علينا – قلت له: أخبركم الشيخ الامام زين الدين أبو العباس احمد بن عبد الدائم بن نعمة المقدسى — ثم ذكر حديثا من جزء ابن عرفة .

وقال الشيخ علم الدين البرزالى (١) فى معجم شيوخه :

أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبى القاسم بن محمد بن تيمية الحرانى ، الشيخ تقى الدين أبو العباس الامام المجمع على فضله ونبله ودينه . قرأ الفقه (٢) وبرع فيه والعربية والأصول ، ومهر فى علمى التفسير والحديث . وكان إماما لا يلحق غباره فى كل شىء ، وبلغ رتبة الاجتهاد واجتمعت فيه شروط المجتهدين ، وكان إذا ذكر التفسير بُهت الناس من كثرة محفوظه وحسن إيراده وإعطائه كل قول

---

(١) هو القاسم بن محمد ، الامام الحافظ الناقد . ولد سنة ٦٦٥ ومات سنة ٧٣٨ فى طريقه إلى الحج ، محرما .

(٢) فى مجموعة الرد الوافر (ص ٦٥) قرأ القرآن وبرع فيه

مايستحقه من الترجيح والتضعيف والابطال ، وخوضه فى كل علم كان الحاضرون يقضون منه العجب ، هذا مع انقطاعه الى الزهد والعبادة والاشتغال بالله تعالى والتجرد من أسباب الدنيا ، ودعاء الخلق الى الله تعالى . وكان يجلس فى صبيحة كل جمعة على الناس يفسر القرآن العظيم فانتفع بمجلسه وبركة دعائه وطهارة أنفاسه وصدق نيته ، وصفاء ظاهره وباطنه ، وموافقة قوله لعمله وأناب الى الله خلق كثير . وجرى على طريقة واحدة من اختيار الفقر والتقلل من الدنيا رحمه الله تعالى ، وردّ ما يُفتح به عليه .

وقال فى موضع آخر : كان قد نظم شيئا يسيرا فى صغره ، وكتبت عنه إذ ذاك ، ثم إنه ترك ذلك وأعرض عنه ، وسئل عن مسألة القدر بنظم ، فاجاب فيها بنظم . وقد قرىء عليه وسمع منه . وحلّ لغزُ الرشيد الفارقى بأبيات تشتمل على نحو مائة بيت على وزن اللغز . وذلك فى حياة والده رحمه الله تعالى ، وله نحو العشرين من العمر وكان حله فى أسرع وقت .

قلت : هذا اللغز الذى أشار إليه الشيخ علم الدين نظمه الشيخ الامام العلامة رشيد الدين أبو حفص عمر بن اسماعيل بن مسعود الفارقى فى اسم أَلْغَزَهُ ، بوصف أبرزه ، فى لفظ أوجزه ، لفهم أعجزه

ما اسم ثلاثى الحروف فثلثه * مثل له ، والثلث ضعف جميعه

والثلث الآخر جوهر حات به الأ * أعراض جمعاً، فاعجبوا لبديعه
وهو المثاث، جذره مثل له * وإذا يُربّع بان فى تربيعه
جزء من الفلك العليّ، وإنما * باقيه خوف، أو أمان مروعه
حيّ جماد ساكن متحرك * إن كنت ذا نظر إلى تنويعه
وتراه مع خمسيه علة كونه * معلوله سرا بغير مذيعه
وبغير خمسيه جميع النحو مو * جود ومحمول على موضوعه
وبحاله فعل مضى مستقبلا * حمدت صناعته لحمد صنيعه
قيد لمطلقه، خصوص عمومه * زيد لمفرده على مجموعه
شيء مقيم فى الرحيل وممكن * كالمستحيل، بطيئه كسريعه
وأهم مافى الشرع والدين اسمه * ومضافه بأصوله وفروعه
ودقيق معناه الجليل مناسب * علم الخليل (١) وليس من تقطيعه
وإذا عروضي تطلب حله * ألفاه فى المفروق أو مجموعه
وإذا ترصعه بدر فريده * عقدا يزين الدر فى ترصيعه
للمنطقى وللحكيم نتاجه * وعلاجه بذهابه ورجوعه
وله شعار أشعرى واعتقا * دحنبلى، فاعجبوا لوقوعه
وتمامه فى قول شاعر كندة : * ماحافظ للعهد مثل مضيعه
يرويك فى ظمأ ندًى بوروده * ويريك فى ظلم هدًى بطلوعه

(١) هو علم العروض الذى وضعه الخليل بن احمد

ولقد حللت اللغز إجمالا وفى * تفصيله تفصيل روض ربيعه
فاستجل بكرا من ولىٍّ بالحلى * تُهدى لكفء الفضل بين ربوعه

فأجاب العبد الفقير لى ربه أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية ، حلا لمعضَّله ، وفصلا لمجمله ، وفتحا لمقفله ، وشرحا لمشكله :

ياعالما قد فاق أهل زمانه * بفنونه وبيانه وبديعه
وغدا لأعلام العلوم منارهم * يهدى الهداة إلى منير ربوعه
وأجاد نظما عقد جيد عقيلة * من در بحر العلم فى ترصيعه
وجلا المعارف فى عوارف لفظه * أخذاً لعَرْف العلم من ينبوعه
وأبان عما قد حوى من كل فن * ن قد أحاط بأصله وفروعه
ببيانه السحر الحلال ولفظه * العذب الزلال ولفظ حسن صنيعه
بغزير علم وافتنان واسع * ألغزت علما فى فنون وسيعه
حلَّيته بدقيق وصف صُنته * بجليل لفظ ناء عن موضوعه
ووصفته بحلى العلوم وأهلها * ونعته بضروبه وضروعه
وجمعت فى أوصافه الأضدا * د، حتى استيأس الطلاب من تتبيعه
والعبد لما أن تأمل نظمكم * بنظامه أُلقى له فى روعه :
أن الذى ألغزتم عِلْمٌ ولما * ا يجعل المظنون من مقطوعه
لكنه أمسى يحليه بما * حليته ويغوص فى توقيعه
حتى تجلَّى الحق من ظلمائه * فى ليلة من قبل وقت هجوعه

فإذا الذى قد عنّ أول مرة * حق تبلّج فجره بطلوعه
ورأيت فيه الوصف إما باديا * أو خافيًا معناه فى مسموعه
لدقيق مغزاه ولطف إشارة * وبُعد حلاه عن موضوعه (١)
فغدوت أكشف عنه كشفاموجزا * باشارة تهدى لشطر بَقيعه
فاسمع لحل حلاه فى تفصيله * واشهد بقلب مقبل بهطوعه
«العلم» لفظ ذو ثلاثة أحرف * وهجاء كل مثل ما مجموعه
فاذا يكون مركبا من تسعة * جذرا لها ، فانظر إلى تربيعه
ومربعا ساواه جذر حسابه * ومثلثا بحدوده وضلوعه
ويكون أثلاثا ، فثاث مثـله * هو : لامه ، إن خضت فى توزيعه
والميم فى الجمل الكبير حسابه * هو أربعون بقول أهل ربيعه
والميم فى الجمل الصغير حسابه * عشرون ، هذا الثلث ضعف جميعه
والثلث عين ، عين كل ذاته * هو جوهر ، والوصف فى موضوعه
إذ كانت الأعيان قائمة بهاالا * أعراض جمعا ، فافطنوا لجموعه
حكم يخص العين حرفا واحدا * من بين جنس الحرف فى تنويعه
هو تسعة فى أصله والعالم العلـ * ـوىُّ منه تسعة برقيعـــه
العرش والكرسى والسبع السمـ * ـوات الطباق ، فالاسم جزء رفيعه

---

(١) كذا بالأصل . وليحرر

من عالم الملكوت، أعنى الغيب، إذ   عنه كنى لعلو شأن صنيعه
لم يبق إلا جنة أو جاحم   فيه المخافة، أوأمان مروعه
بالعلم يحيي الله قلباً ميتاً   يسرى كنور ضاء حين سطوعه
فلأنه يحيي، اسمُه: حيٌّ، إذ الـ   أحياء فرع حياة رب صنيعه
ولأنه يسرى، اسمه: متحرك   لوحا تنقله بذهن قريعه
ذا الوصف عقليّ، وفى حسيّه   هو جامد، هو ساكن بربوعه
إذ كان نوع العلم معنى جنسه   عرض يقوم بمستوى موضوعه
والحى والمتحرك الوصفان يخـ   ـتصان شخصا جوهرا ببقيعه
إذ كان فى المحسوس ليس بقائم   عرض بآخر مثله وتبيعه
أما إذا ماجرد المعقول فالـ   ـوصفان فى المعنى له بربيعه
ثلثاه حرفا العين والميم هما   فى اللفظ من عدم وفى تنويعه
لو إذ جمعت حسابه فى أكثر (١)   وأضفت خمسيه إلى مجموعه
فمربعا يضحى، ويضحى جذره   مع أربع عشراً لذى تربيعه
فالجذر علته ومعلول له   من حيث ماهو علة لوقوعه
فالجذر معلول لجذر كائن   معلوله، فافهم مدار رجيعه
فلكونه معلول معلول له   قد صار معلولا له برجوعه

---

(١) بهامش الأصل: لعله «أكبر»

ويقول : إن العلم منه النحو ، هــــذا إن ترد حملاً على موضوعه
فاذا يكون الضم علة كون هــــذا الجمع علة نفسه وجميعه
وبغير خمسيه يعود لأصله علما ، وعلم النحو بعض فروعه
وإذا اعتبرت حروفه ألفيته فعلا مضى لغة وفى موضوعه:
حكم على المستقبلات وغيرها لعمومه متعلقاً وذيوعه
إذ من خصائصه تعلقه بكــــل محقق مع سبقه لوقوعه
أكرم به أمراً عظيما نفعه حمدت صناعته بحمد صنيعه
والفعل فيه مصدر وزمانه وضعا وملزوم لرب صنيعه
فلذاك كان مقيداً ومخصصاً لعموم جنس العلم فى تنويعه
هو مفرداً نوع حوى أشخاصه فاذا تركب خص فى تجميعه
فيصح حينئذ مقالة قائل: قد زاد مفرده على مجموعه
هو ثابت فى كل حال ممكن ذو عزة صعب على مُسطيعه
حتى ينال فيحمد القوم السُّرى وإذا يقال بطيئه كسريعه
فالبطء والاسراع ليس بنفسه بل في الطريق وفي اقتناص منيعه
والعلم بالرحمٰن أول صاحب وأهم فرض الله في مشروعه
وأخو الديانة طالب لمزيده أبداً ، ولما ينهه بقطوعه
والمرء فاقته إليه أشد من فقر الغذاء لعام حكم صنيعه

فى كل وقت والطعام ، فإنما ... يحتاجه فى وقت شدة جوعه
وهو السبيل إلى المحاسن كلها ... والصالحات ، فسوأة لمضيعه
وإليه يسند كل فن نافع ... بل فارع بأصوله وفروعه
لجلالة المعلوم واللطف الذى ... للعلم كان مناسباً لبديعه
فالعلم ميزان الحقائق والعرو ... ض ، كذاك ميزان لدى تقطيعه
والاسم بالتحريك[1] من مفروقه ... والفعل بالتسكين من مجموعه
هو واسط عقد الفضائل كلها ... وبه يزان الحلي فى ترصيعه
وعلاجه بالجد فى تحصيله ... بمقدمات نتاجه وينوعه
ولكل قوم منه حظ وافر ... وحقائق التحقيق فى مشروعه
بشعائر لمشاعر وقواعد ... لعقائد المعقول فى مسموعه
وجميعه متفرق فى قوله: ... ماحافظٌ للعهد مثل مضيعه
فلعينه ولِلامه ولميمه ... من ذا الكلام الحظ فى تبضيعه
يروى بماء حياته فى وِرده ... ظمآن تحقيق إلى ينبوعه
ويرى بنور هُداه فى تبيينه ... حيران تدقيق طلوع سطيعه
طلوعه لما أبان بنوره ... قصد السبيل لحل عقد بديعه
جلى المجلى بعد بُعد بدوه ... مع قرب مقفله وقرب مسوعه[2]

---

(١) بهامش الأصل: صوابه «بالتسكين»

(٢) فى القاموس: المسع ـ بكسر الميم ـ: اسم ريح الشمال والمسعى ـ بفتح الميم وتشديد الياء ـ: الرجل الكثير السير القوى.

وأبان مجمله ، وفصَّل عقده ولروضة الأُنُف ارتعى برتوعه
وحلى جمال البكر فى حلى الحلى قافتضها كفء ثوت بربوعه
نخذ الجواب مخلصاً فيه اللبا ب ملخصاً فى نظمه لسميعه
مع أن نظم الشعر غير محصل لكمال مغزاه وشرح جميعه
من خاطر مستعجل مستوفز لم يمعن التفكير فى مرجوعه
لم يجعل التحليل من مصنوعه كلا ، ولا الفضلات من مصنوعه
إذ كان مخلوقا لأكبر غاية دار القرار جميله وقطيعه
وعليه من أمر الاله ونهيه مايلفت المعقول عن تضييعه
لكنه لابد للمصدور من نفث يريح فؤاده بنخوعه
مع أنه مُزجَى البضاعة نظمه غِرٌّ بحكم اللفظ فى تسجيعه
عبد دليل عاجز متضعف فى حال مبداه وحال رجوعه
لكنه لما استعان بربه ثم استكان له بذل خضوعه
فاعانه يسر الجواب فان يكن حقا برفق الوصف فى توقيعهِ
فالحمد والفضل العظيم لربنا شكراً على محمود حسن صنيعه
إذ مابنا من نعمة فبمنّه والخير منه جميعه بهموعه
أو إن يكن خطأ فمنى ، حيث أن لم أستطع متناولا لرفيعه
فالنقص للإنسان وصف لازم إن كان يعرف نفسه بنخوعه

والحمد لله الرحيم بخلقه البر ٠ الودود بعبده ومطيعه
وميسر الخطب العسير بلطفه من بعد منعته و بعد منيعه
ثم الصلاة على النبي وآله والمصطفين من الأنام جميعه
وعليهم التسليم منا دائما ما اهتز وجه الأرض بعد خشوعه

فلما وقف الشيخ رشيدٌ على هذا الجواب ، كتب إلى منشئه الشيخ تقيِّ الدينِ بن تيمية ، رضى الله عنه :

أحسن في حل المسمى وما سمى . ولكن جاء بالمثَل
وجاوز الجوزاء بالنطق ، والشِّعْرَى : بشعرٍ رائقٍ جزل
جاَّت معانيه ، فشكراً له مُصحَّف ، والحلُّ كالحل
أحمد ، وزن الفعل فيه ، وفى التُّقى وزن القول والفعل
كأنما أحرفُه مثلت تملى عليه ، وهو يستملى
وحُقَّ بالفخر فتىً جَدُّه المجدُ . وقد بُوركَ فى النَّسْلِ
فسهَّل الله لمن فى اسمه العدل ، مكافآت على الفضل

فنظر والد الشيخ تقى الدين بن تيمية بعد ذلك فى اللغز ، وحلّه فى لفظة أخرى . ونظم فى ذلك قصيدة

فكتب إليه الشيخ رشيد الدين جوابا لها :

ما مثل لغزى ، ولم يسم به مَنْ لم يماثل فى الفضل والأدب
بخاطرٍ حاضر يُضىء ولا ينـكر ضوءا لواحد الشُّهُب
شيخ شيوخ الاسلام قاطبةً مفتى الفريقين حُجَّة العرب
شنّف سمعى بالدُّرِّ من كَلِمٍ تُرْوَى فترِوى بالدَّر من سُحُب
وكان لغزى من فِضَّة فعلا شعراً وشعراً . وصار من ذهب
فالفخر للمجد بالشهاب وللشـــهاب بالمجد ذِروة النسب
ذِرْوة والعنان يحسبها ذُرِّية للشروق فى السحب
وإن تَقَفّت رسوم بلدته وهى خيار البلاد والترب
فبلدة الأفق حَلَّها عوضا عنها بفضل يسمو على الترب
وإن قلبى أضحى له وطنا وفيه أُنسٌ لـكل مغترب
هذا ثنائى مع الخمول ، وإن نبه حظي أَرْبَى على الأرب
وعش طويلا مـكملا أدبا بسيط فضل ناء ومقترب

وقال الشيخ علم الدين : رأيتُ فى إجازة لابن الشهر زورى الموصلى خَطَّ الشيخ تقىِّ الدين بن تيمية ، وقد كتب تحته الشيخ شمسُ الدين الذَّهبىُّ :

هذا خطُّ شيخنا الإمام ، شيخ الإسلام ، فرد الزمان ، بحر العلوم ، تقى الدين . مولده عاشر ربيع الأول سنة إحدى وستين وستمائة . وقرأ القرآن والفقه ، وناظر واستدل ، وهو دون البلوغ . وبرع فى العلم

والتفسير ، وأفتى ودرس وله نحو العشرين سنة . وصنف التصانيف ، وصار من كبار العلماء فى حياة شيوخه ، وله من المصنفات الكبار التى سارت بها الركبان ، ولعل تصانيفه فى هذا الوقت تكون أربعة آلاف كراس وأكثر. وفسر كتاب الله تعالى مدة سنتين من صدره أيام الجمع وكان يتوقد ذكاء . وسماعاته من الحديث كثيرة . وشيوخه أكثر من مائتى شيخ . ومعرفته بالتفسير إليها المنتهى . وحفظه للحديث ورجاله ، وصحته وسقمه ، فما يلحق فيه . وأما نقله للفقه ومذاهب الصحابة والتابعين — فضلا عن المذاهب الأربعة — فليس له فيه نظير . وأما معرفته بالملل والنحل والأصول والكلام فلا أعلم له فيه نظيرا . ويدرى جملة صالحة من اللغة وعربيته قوية جداً ، ومعرفته بالتاريخ والسير فعجب عجيب . وأما شجاعته وجهاده وإقدامه فأمر يتجاوز الوصف ويفوق النعت . وهو أحد الأجواد الأسخياء الذين يضرب بهم المثل . وفيه زهد وقناعة باليسير فى المأكل والملبس .

وقال الذهبي فى موضع آخر — وقد ذكر الشيخ رحمه الله — : كان آية فى الذكاء وسرعة الإدراك ، رأسا فى معرفة الكتاب والسنة والاختلاف . بحراً فى النقليات ، هو فى زمانه فريد عصره علما وزهداً وشجاعة وسخاء ، وأمراً بالمعروف ونهياً عن المنكر ، وكثرة تصانيف .

وقرأ وحصل ، وبرع فى الحديث والفقه ، وتأهَّل للتدريس والفتوى ، وهوابن سبع عشرة سنة . وتقدم فى علم التفسير والأصول ، وجميع علوم الإسلام : أصولهاوفروعها ، ودقهاوجلها ، سوى علم القراءات . فان ذكر التفسير فهو حامل لوائه . وإن عُدَّ الفقهاء فهو مجتهدهم المطلق . وإن حضر الحفاظ نطق وخرسوا . وسرد وأُبلسوا ، واستغنى وأفلسوا . وإن سُمِّى المتكلمون فهو فردهم ، وإليه مرجعهم . وإن لاح ابن سينا يَقْدُم الفلاسفة فَلَّهم وتيّسهم ، وهتك أستارهم وكشف عوارهم . وله يد طولى فى معرفة العربية والصرف واللغة . وهو أعظم من أن يصفه كلمى ، أو ينبه على شأوه قلمى . فان سيرته وعلومه ومعارفه ، ومحنه وتنقلاته ، تحتمل أن ترصع فى مجلدتين . وهو بشر من البشر ، له ذنوب . فالله تعالى يغفر له ويسكنه أعلى جنته . فانه كان ربانى الأمة ، وفريد الزمان ، وحامل لواء الشريعة ، وصاحب معضلات المسلمين . وكان رأسا في العلم ، يبالغ فى إطراء قيامه فى الحق والجهادوالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . مبالغة ما رأيتها ، و لاشاهدتها من أحد ، ولا لحظتها من فقيه

وقال فى مكان آخر — ذكر فيه ترجمة طويلةللشيخ قبل وفاة الشيخ بدهر طويل — : الذهبي

قلت : وله خبرة تامة بالرجال وجرحهم وتعديلهم وطبقاتهم ، ومعرفة

بفنون الحديث ، وبالعالى والنازل ، وبالصحيح والسقيم ، مع حفظه لمتونه الذى انفرد به ، فلا يبلغ أحد في العصر رتبته ، ولا يقاربه . وهو عجب فى استحضاره ، واستخراج الحجج منه . وإليه المنتهى فى عزوه الى الكتب الستة والمسند(١) ، بحيث يصدق عليه أن يقال « كل حديث لا يعرفه ابن تيمية فليس بحديث » ولكن الاحاطة لله ، غير أنه يغترف من بحر ، وغيره من الأئمة يغترفون من السواقى . وأما التفسير فمسلّم إليه . وله فى استحضار الآيات من القرآن - وقتَ إقامة الدليل بها على المسألة - قوة عجيبة . وإذا رآه المقرىء تحيّر فيه . ولفرط إمامته فى التفسير وعظمة اطلاعه يبين خطأ كثير من أقوال المفسرين ، ويوهّى أقوالاً عديدة ، وينصر قولا واحداً موافقاً لما دل عليه القرآن والحديث . ويكتب فى اليوم والليل من التفسير ، أو من الفقه ، أو من الأصولين أو من الرد على الفلاسفة والأوائل نحواً من أربعة كراريس أو أزيد . وماأُبعد أن تصانيفه إلى الآن تبلغ خمسمائة مجلدة . وله فى غير المسألة مصنف مفرد فى مجلد . ثم ذكر بعض تصانيفه . وقال: ومنها كتاب فى الموافقه بين المعقول والمنقول فى مجلدين .

قلت : هذا الكتاب - وهو كتاب درء تعارض العقل والنقل - فى أربع مجلدات كبار . وبعض النسخ به فى أكثر من أربع مجلدات . وهو

---

(١) البخارى ومسلم وأبو داو والترمذى والنسائى وابن ماجه . ومسند الامام احمد

كتاب حافل عظيم المقدار ، رد الشيخ فيه على الفلاسفة والمتكلمين .

وله كتاب فى نحو مجلد أجاب فيه عما أورده كمال الدين بن الشريسى على هذا الكتاب .

وللشيخ رحمه الله من المصنفات والفتاوى والقواعد والأجوبة والرسائل وغير ذلك من الفوائد مالا ينضبط . ولا أعلم أحدا من متقدمى الأمة ولا متأخريها جمع مثل ماجمع ، ولا صنف نحو ماصنف ، ولا قريبا من ذلك ، مع أن أكثر تصانيفه إنما أملاها من حفظه . وكثير منها صنفه فى الحبس ، وليس عنده مايحتاج إليه من الكتب .

مصنفات الشيخ رحمه الله

وها أنا أذكر بعض مصنفاته ، ليقف عليها من أحب معرفتها فمن ذلك : ماجمعه فى تفسير القرآن العظيم ، وماجمعه من أقوال مفسرى السلف الذين يذكرون الأسانيد فى كتبهم . وذلك فى أكثر من ثلاثين مجلدا . وقد بيّض أصحابه بعض ذلك . وكثيرا منه لم يكتبوه بعد . وكان رحمه الله يقول : « ربما طالعت على الآية الواحدة نحو مائة تفسير ، ثم أسأل الله الفهم . وأقول : يامُعَلّم آدم وابرهيم علمنى . وكنت أذهب إلى المساجد المهجورة ونحوها وأمرّغ وَجهى فى التراب ، وأسأل الله تعالى ، وأقول : يامعلم إبراهيم فهمنى ، ويذكر قصة معاذ بن جبل

وقوله لمالك بن يخامر لما بكى عند موته ، وقال : « إنى لا أبكى على دنيا كنت أصيبها منك ، ولكن أبكى على العلم والإيمان الذين كنت أتعلمهما منك . فقال : إن العلم والإيمان مكانهما ، مَن ابتغاهما وجدهما . فاطلب العلم عند أربعة ، فان أعياك العلم عند هؤلاء فليس هو فى الأرض ، فاطلبه من معلم ابراهيم » .

قال الشيخ أبو عبد الله بن رشيق — وكان من أخص أصحاب شيخنا وأكثرهم كتابة لكلامه وحرصا على جمعه — كتب الشيخ رحمه الله نقول السلف مجردة عن الاستدلال على جميع القرآن ، وكتب فى أوله قطعة كبيرة بالاستدلال . ورأيت له سوراً وآيات يفسرها ، ويقول فى بعضها : كتبته للتذكر ، ونحو ذلك . ثم لما حبس فى آخر عمره كتبت له أن يكتب على جميع القرآن [تفسيرا مرتبا (١)] على السور ، فكتب يقول : إن القرآن فيه ما هو بيّن بنفسه ، وفيه ما قد بينه المفسرون فى غير كتاب ، ولكن بعض الآيات أشكل تفسيرها على جماعة من العلماء ، فربما يطالع الإنسان عليها عدة كتب ولا يتبين له تفسيرها ، وربما كتب المصنف الواحد فى آية تفسيراً ، ويفسر غيرها بنظيره ، فقصدت تفسير تلك الآيات بالدليل ، لأنه أهم من غيره .

(١) كانت بياضا بالأصل

وإذا تبين معنى آية تبين معانى نظائرها . وقال : قد فتح الله عليّ فى هذه المرة من معانى القرآن ومن أصول العلم بأشياء كان كثير من العلماء يتمنونها ، وندمت على تضييع أكثر أوقاتى فى غير معانى القرآن أو نحو هذا . وأرسل إلينا شيئاً يسيراً مما كتبه فى هذا الحبس ، وبقى شىء كثير في مسئلة الحكم عند الحكام لما أخرجوا كتبه من عنده (١) . وتوفي وهى عندهم إلى هذا الوقت نحو أربع عشرة رزمة . ثم ذكر الشيخ أبو عبدالله ماراه ووقف عليه من تفسير الشيخ .

قلت : ومن مصنفاته . « تفسير سورة الصمد وجواب سؤال عن كلام الله تعالى ، هل يتفاضل ؟ » . ومن مصنفاته : كتاب « بيان تلبيس الجهمية فى تأسيس بدعهم الكلامية » فى ست مجلدات ، وبعض النسخ منه فى أكثر من ذلك . وهو كتاب جليل المقدار معدوم النظير كشف الشيخ فيه أسرار الجهمية وهتك أستارهم . ولو رحل طالب العلم لأجل تحصيله الى الصين ما ضاعت رحلته . ومنها كتاب « منهاج السنة النبوية فى نقض كلام الشيعة القدرية » في ثلاث مجلدات وبعض النسخ فى أربع مجلدات . رد فيه على ابن المطهر الرافضى . وبين جهل الرافضة وضلالتهم ، وكذبهم وافتراءهم . ومنها كتاب

---

(١) كذا بأصله فليحرر

« جواب الاعتراضات المصرية على الفتيا الحموية » فى أربع مجلدات ، وبعض النسخ منه فى أقل . وهو كتاب عزيز الفوائد سهل التناول . ومنها كتاب الرد على النصارى سماه « الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح » في مجلدين ، وبعض النسخ منه فى ثلاث مجلدات . وبعضها فى أكثر — وكذلك كثير من كتبه الكبار تختلف النسخ بها —

وهذا الكتاب من أجل الكتب وأكثرها فوائد ويشتمل على تثبيت النبوات وتقريرها بالبراهين النيرة الواضحة . وعلى تفسير آى كثير من القرآن . وعلى غير ذلك من المهمات .

ومنها كتاب « الايمان » فى مجلد . وهو كتاب عظيم لم يسبق إلى مثله . ومنها كتاب « الاستقامة » فى مجلدين . وهو من أجل الكتب وأكثرها نفعا . ومنها كتاب تنبيه الرجل العاقل على تمويه الجدل الباطل ، فى مجلد . وهو من أحسن الكتب وأكثرها فوائد . قال فى خطبته :

« الحمد لله العليم القدير الخالق . اللطيف الخبير الرزاق . السميع البصير الحليم الصادق . العلى الكبير الفائق الرائق . الذى يسن المناهج والشرائع ويبين الطرائق . وينصب الأعلام الطوالع لكشف الحقائق . وينزل الآيات والدلائل لبيان الجوامع والفوارق . ويقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق أحمده ثناء عليه بأسمائه الحسنى وصفاته العُلَى ، وشكراً له على نعمه

السوامق[1] وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له رب المغارب والمشارق . وأشهد أن محمدا عبده ورسوله المؤيد بالمعجزات الخوارق ، الموضح لسبيل الحق فى الجلائل والدقائق . صلى الله عليه وعلى آله وسلم صلاة وتسليما باقيين مابقيت الخلائق .

أما بعد فان الله سبحانه علم ما عليه بنو آدم من كثرة الاختلاف والافتراق ، وتباين العقول والأخلاق ، حيث خلقوا من طبائع ذات تنافر ، وابتلوا بتشعب الأفكار والخواطر . فبعث الله الرسل مبشرين ومنذرين ، ومبينين للانسان مايضله ويهديه ، وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه . وأمرهم بالاعتصام به حذرا من التفرق فى الدين ، وحضهم عند التنازع على الرد إليه وإلى رسوله المبين . وعذرهم بعد ذلك فيما يتنازعون فيه من دقائق الفروع العلمية ، لخفاء مدركها وخفة مسلكها وعدم إفضائها الى بلية . وحضهم على المناظرة والمشاورة لاستخراج الصواب فى الدنيا والآخرة ، حيث يقول لمن رضى دينهم (وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ) كما أمرهم بالمجادلة والمقاتلة ، لمن عدل عن السبيل العادلة ، حيث يقول ، آمرا وناهيا لنبيه والمؤمنين ، لبيان مايرضاه منه ومنهم (وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) (وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ) فكان أئمة الاسلام ممتثلين لأمر المليك

---

(١) فى القاموس : سمق سمرقا : علا

العلام ، يجادلون أهل الاهواء المضلة ، حتى يردوهم إلى سواء الملة ، كمجادلة ابن عباس رضى الله عنهما للخوارج المارقين ، حتى رجع كثير منهم إلى ما خرج عنه من الدين . وكمناظرة كثير من السلف الأولين لصنوف المبتدعين الماضين ، ومَنْ فى قلبه رَيب يخالف اليقين ، حتى هدى الله من شاء من البشر ، وأعلن الحق وظهر ، ودرس ما أحدثه المبتدعون واندثر .

وكانوا يتناظرون فى الأحكام ، ومسائل الحلال والحرام بالأدلة المرضية ، والحجج القوية ، حتى كان قلّ مجلس يجتمعون عليه إلا اظهر الصواب ، ورجع راجعون إليه ، لاستدلال المستدل بالصحيح من الدلائل ، وعلم المنازع أن الرجوع إلى الحق خير من التمادى فى الباطل ، كمجادلة الصديق لمن نازعه فى قتال مانعى الزكاة [1] ، حتى رجعوا إليه

---

(١) روى البخارى وغيره عن أبى هريرة قال « لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان أبو بكر ، وكفر من كفر من العرب . فقال عمر : كيف تقاتل الناس ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله الا الله . فمن قالها فقد عصم منى ماله ونفسه إلا بحقه ، وحسابه على الله ؟ فقال : والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة . فان الزكاة حق المال . والله لو منعونى عناقا كانوا يؤدونها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها . قال عمر : فوالله ما هو الا أن شرح الله صدر أبى بكر فعرفت أنه الحق . »

ومناظرتهم فى جمع المصحف حتى اجتمعوا عليه [٢]، وتناظرهم فى حد الشارب، وجاحد التحريم، حتى هدوا إلى الصراط المستقيم. وهذا وأمثاله يجلُّ عن العد والإحصاء. فانه أكثر من نجوم السماء.

ثم صار المتأخرون بعد ذلك قد يتناظرون فى أنواع التأويل والقياس. بما يؤثر فى ظن بعض الناس، وإن كان عند التحقيق يؤول إلى الافلاس، لكنهم لم يكونوا يقبلون من المناظرة إلا مايفيد، ولو ظنا ضعيفا للناظر، واصطلحوا على شريعة من الجدل للتعاون على إظهار صواب القول والعمل، ضبطوابها قوانين الاستدلال لتسلم عن الانتشار والانحلال. فطرائقهم ـ وإن كانت بالنسبة الى طرائق الأولين غير وافية بمقصود الدين، لكنها غير خارجة عنها بالكلية، ولا مشتملة على ما لايؤثر فى القضية، وربما كسوها من جودة العبارة، وتقريب الاشارة، وحسن الصياغة، وصنوف البلاغة مايحليها

---

(١) روى البخارى عن زيد بن ثابت قال « أرسل إلى أبو بكر ـ مقتل أهل اليمامة ـ فاذا عمر بن الخطاب عنده. فقال أبو بكر: إن عمر أتانى، فقال: إن القتل قد استحر بقراء القرآن، وإنى أخشى أن يستحر بالقراء فى المواطن. فيذهب كثير من القرآن. وإنى أرى أن تأمر بجمع القرآن. فقلت لعمر: كيف نفعل شيئا لم يفعله رسول الله؟ قال عمر: هذا والله خير. فلم يزل عمر يراجعنى حتى شرح الله صدرى لذلك. ورأيت فى ذلك الذى رأى عمر ـ الحديث »

عند الناظرين ، ويُنفقها عند المتناظرين ، مع ما اشتملت عليه من الأدلة السمعية ، والمعانى الشرعية ، وبنائها على الأصول الفقهية والقواعد الشرعية ، والتحاكم فيها الى حاكم الشرع الذى لايعزلُ . وشاهد العقل المزكّى المعدّل .

وبالجملة ، لاتكادتشتمل على باطل محض ، ومكر صِرْف ، بل لابد فيهامن محيل للحق ومشتمل على عرف

ثم إن بعض طلبة العلوم ، من أبناءفارس الروم ، صاروا مولعين بنوع من جدل المموهين ، استحدثه طائفةمن المشرقيين ، وألحقوه بأصول الفقه فى الدين ، راوغوا فيه مراوغة الثعالب ، وحادوا فيه عن المسلك اللاحب (١) وزخرفوه بعبارات موجودة فى كلام العلماء ، قد نطقوا بها ، غير أنهم وضعوها فى غير مواضعها المستحقة لها ، وألفوا الأدلة تأليفاً غير مستقيم ، وعدلوا عن التركيب الناتج إلى العقيم . غير أنهم باطالة العبارة ، وإبعاد الإشارة ، واستعمال الألفاظ المشتركة والمجازية فى المقدمات ، ووضع الظنيات موضع القطعيات ، والاستدلال بالأدلة العامة ، حيث ليست لها دلالة على وجه يستلزم الجمع بين النقيضين ، مع الاحالة والاطالة ، وذلك من فعل غالط ، ومغالط للمجادل . وقد نهى النبى صلى الله عليه وسلم

---

(١) «اللاحب» الطريق الواضح اه قاموس

عن أغلوطات المسائل[١] نفق ذلك على الأغتام الطَّماطم[٢]. وراج رواج البهرج على الغِرِّ العادم. واغتر به بعض الأغمار الأعاجم. حتى ظنوا أنه من العلم بمنزلة الملزوم من اللازم. ولم يعلموا أنه والعلمَ المقرب من الله متعاندان متنافيان، كما أنه والجهلَ المركبَ متصاحبان متآخيان. فلما استبان لبعضهم أنه كلام ليس له حاصل، لا يقوم باحقاق حق، ولا ابطال باطل، أخذ يطلب كشف مشكله وفتح مقفله، ثم إبانة علله وإيضاح زلله، وتحقيق خطئه وخطله. حتى يتبين أن سالكه يسلك فى الجدل مسلك اللدد، وينأى عن مسلك الهدى والرشد. ويتعلق من الأصول بأذيال لاتوصل إلى حقيقة، ويأخذ من الجدل الصحيح رسوما يموِّه بها على أهل الطريقة. ومع ذلك فلا بد أن يدخل فى كلامهم قواعد صحيحة، ونكت من أصول الفقه مليحة. لكنهم إنما أخذوا

---

(١) روى أبو داود عن الصنابحى عن معاوية « أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن الغلوطات» قال فى النهاية: وفى رواية « الأغلوطات» وقال الخطابى: يقال: مسئلة غلوط، إذا كان يغلط فيها. فاذا جعلتها اسما زدت فيها الهاء. أراد المسائل التى يغالط بها العلماء ليزلوا فيها، فيهيج بذلك شر وفتنة اه باختصار. وقال المنذرى: فى اسناده عبد الله بن سعد. وهو مجهول (عون المعبود ج ٣ ص ٣٥٩)

(٢) (الغتمة- بضم الغين- العجمة. والاغتم: من لا يفصح. ورجل طمطم وطمطانى، وطمطمى: فى لسانه عجمة. قاموس

ألفاظها ومبانيها ، دون حقائقها ومعانيها ، بمنزلة مافى الدرهم الزائف من العين . ولولا ذلك لما نفق على من له عين .

فلذلك آخذُ فى تمييز حقه من باطله ، وحاليه من عاطله ، بكلام مختصر مرتجل ، كتبه كاتبه على عجل . والله الموفق لما يحبه ويرضاه . ولا حول ولا قوة إلا بالله » . انتهت خطبة هذا الكتاب .

ومن مصنفاته أيضا : كتاب « بيان الدليل على بطلان التحليل » ٩

وكتاب « الصارم المسلول على شاتم الرسول » . ١٠

وكتاب « اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم » . ١١

« تحرير الكلام فى حادثة الأقسام . وسماه بعضهم : كتاب التحرير فى مسألة حفير . ١٢

وكتاب رفع الملام عن الأئمة الأعلام .

« السياسة الشرعية فى إصلاح الراعى والرعية ١٣

« تفضيل صالح الناس على سائر الأجناس ١٤

« التحفة العراقية فى الأعمال القلبية ١٥

« مسائل الاسكندرية فى الرد على الملاحدة والاتحادية . ١٦

وتعرف بالسبعينية ، لاشتمالها على الرد على ابن سبعين وأضرابه

وكتاب الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ١٧

« فضائل القرآن ١٨

وكتاب أقسام القرآن

« أمثال القرآن

وهذه المصنفات بعضها مجلد كبير و بعضها مجلد صغير

وله كتاب فى الرد على المنطق ، مجلد كبير

وله مصنفان آخران فى الرد على المنطق نحو مجلد

وله كتاب فى محنته بمصر ، مجلدان ، رد فيه على القائلين بالكلام النفسى من نحو ثمانين وجهاً

وله فى مسألة القرآن مؤلفات كثيرة وقواعد وأجوبة وغير ذلك ، إذا اجتمعت بلغت مجلدات كثيرة . منها مابُيِّض ومنها مالم يبيض . فمن مؤلفاته فى ذلك :

الكيلانية . والبغدادية . والقادرية . والأزهرية . والبعلبكية . والمصرية .

وله فى الرد على الفلاسفة مجلدات وقواعد ، أملاها مفردة غير ماتضمنته كتبه ، منها :

إبطال قولهم باثبات الجواهر العقلية

ومنها : إبطال قولهم بقدم العالم ، و إبطال ما احتجوا به

ومنها : إبطال قولهم فى أن الواحد لايصدر عنه إلا واحد

وله كتاب فى الوسيلة . مجلد

وكتاب الرد على البكرى فى الاستغاثة . مجلد

« شرح أول كتاب الغزنوى فى أصول الدين . مجلد لطيف

« شرح عقيدة الأصبهانى . يسمى الأصبهانية

« شرح فيه بضع عشرة مسألة من كتاب الأربعين للفخر الرازى ، أكثر من مجلدين

وكتاب يعرف بالصفدية . فى الرد على الفلاسفة فى قولهم : إن معجزات الأنبياء عليهم السلام قُوًى نفسانية . وفى إبطال قولهم بقدم العالم

وله كتاب شرح أول المحصل . مجلد

وكتاب الرد على أهل كسروان الرافضة . مجلدان

« يسمى الهلاونية [1] . وهو جواب سؤال ورد على لسان هولاكو ، ملك التتار . مجلد

وله فى الرد على من قال : إن الأدلة اللفظية لا تفيد اليقين عدة مصنفات

وله فى الرد على منكرى المعاد قواعد كثيرة .

وله تعليقة على كتاب المحرر فى الفقه لجده الشيخ مجد الدين فى عدة مجلدات

وله كتاب شرح فيه قطعة من كتاب العمدة فى الفقه ، للشيخ موفق الدين . فى مجلدات

---

(١) لعله « الهولا كونية »

وله قواعد كثيرة فى فروع الفقه ، لم تبيض بعد . ولو بيضت كانت مجلدات عدة .

وقد جمع بعض أصحابه قطعة كبيرة من فتاويه الفروعية ، وبوبها على أبواب الفقه فى مجلدات كثيرة ، تعرف بالفتاوى المصرية . سماها بعضهم « الدرر المضيية من فتاوى ابن تيمية »

وله مؤلفات فى صفة حج النبى صلى الله عليه وسلم والجمع بين النصوص فى ذلك . والكلام فى متعة الحج ، والعمرة المكية ، وما يتعلق بذلك ، وطواف الحائض . أكثر من مجلدين

وله مصنفات فى زيارة القبور . وهل تباح للنساء ؟ والفرق بين الزيارة الشرعية والزيارة البدعية . وفى المشاهد : متى حدثت ؟ وفى النذر لها . وفى المشهد المنسوب للحسين رضى الله عنه . وفى قبر على رضى الله عنه . وغير ذلك . عدة مجلدات

وله فى مسألة شد الرحال ولوازمها — التى حبس ومات فى السجن بسببها — شىء كثير . بيض منه مجلدات عديدة .

وله فى الطلاق ومسائل الخلع وما يتعلق بذلك من الأحكام شىء كثير . ومصنفات عديدة . بيض الأصحاب من ذلك كثيراً ، وكثير منه لم يبيض . ومجموع ذلك نحو العشرين مجلداً .

وله قواعد كثيرة فى سائر أنواع العلوم . منها : قاعدة فى الصفات

والقدر . « تسمى تحقيق الأثبات للاسماء والصفات »

وحقيقة الجمع بين القدر والشرع . وهى المعروفة بالتدمرية

وقاعدة فى أن مخالفة الرسول صلى الله عليه وسلم لاتكون إلا عن ظن واتباع هوى

وقاعدة فى أن التوحيد والايمان يشتمل على مصالح الدتيا والآخرة

وقاعدة فى إثبات كرامات الأولياء .

وقاعدة فى أن خوارق العادات لاتدل على الولاية

وقاعدة فى الصبر والشكر

وقاعدة كبيرة في الرضا

وقاعدة فى الشكر والرضا

وقاعدة فى أن كل آية يحتج بها مبتدع ففيها دليل على فساد قوله

وقاعدة فى أن كل دليل عقلى يحتج به مبتدع ففيه دليل على بطلان قوله

وقاعدة فى الخلوات وما يلقيه الشيطان لأهلها من الشبه . والفرق بين الخلوة الشرعية والبدعية . وقاعدة فى الفقراء والصوفية ، أيهم أفضل ؟

وقاعدة فى الفقير الصابر والغنى الشاكر ، أيهما أفضل ؟

وقاعدة فى أهل الصُّفَّة ومراتبهم وأحوالهم

وقاعدة كبيرة فى محبة الله للعبد ومحبة العبد لله

« فى الاخلاص والتوكل

وقاعدة فى الاخلاص وتقديره بالعقل

« فى الشيوخ الأحمدية وما يظهرونه من الاشارات

وله قواعد وأجوبة فى تحريم السماع أكثر من مجلدين

وقاعدة فى شرح أسماء الله الحسنى

وقاعدة فى الاستغفار وشرحه وأسراره

« فى أن الشريعة والحقيقة متلازمان

« فى الخُلّة والمحبة ، أيهما أفضل ؟

« فى العلم المحكم

وقواعد وأجوبة فى خلافة أبى بكر الصديق رضى الله عنه

وقاعدة فى وجوب نصيحة أولى الأمر والدعاء لهم

« فى أحوال الشيخ يونس الغيبى والشيخ أحمد بن الرفاعى

« وأجوبة في عصمة الأنبياء عليهم السلام

« فى الاستطاعة : هل هى مع الفعل أو قبله ؟

« فى العدم واستطاعته

« في وجوب العدل على كل أحد ، لكل أحد ، في كل حال

« فى فضل السلف على الخلف فى العلم

وقاعدة فى حق الله وحق رسوله وحقوق عباده ، وما وقع فى ذلك من التفريط

وقاعدة فى أن مبدأ العلم الإلٰهى عند النبى صلى الله عليه وسلم هو الوحى ، وعند أتباعه هو الايمان

وقاعدة فى أن الحمد والذم والثواب والعقاب بالجهاد والجد وأنها إنما تتعلق بأفعال العباد لا بأنسابهم

وقاعدة فى أن كل حمد وذم للمقالات والأفعال لا بد أن يكون بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم

وقاعدة فيما لكل أمة من الخصائص ، وخصائص هذه الأمة

وقاعدة فى الكليات

وقواعد فى الفناء والاصطلام

وقاعدة فى العلم والحلم

وقاعدة فى الاقتصاص من الظالم بالدعاء وغيره ، وهل هو أفضل أم العفو ؟

وله قاعدتان فى قرب الرب من عابديه وداعيه

وقاعدة فى تزكية النفس

وقاعدة على كلام ابن العريف في التصوف

« فى الصراط المستقيم فى الزهد والورع

وقاعدة فى الايمان والتوحيد ، و بيان ضلال من ضل فى هذا الأصل

« فى أمراض القلوب وشفائها

وقاعدة في السياحة ومعناها فى هذه الأمة

« فى خُلَّة ابراهيم الخليل عليه السلام ، وأنه الامام المطلق

وقواعد عدة فى الشهادتين

« كثيرة فيمن امتحن فى الله وصبر

وقاعدة فى الصبر والصفح الجميل والهجر الجميل

« فيما يتلعق بالوسيلة بالنبى صلى الله عليه وسلم والقيام بحقوقه الواجبة على أمته فى كل زمان ومكان . و بيان خصائصه التى امتاز بها على جميع العالمين . و بيان فضل أمته على جميع الأمم

وقاعدة تتلعق بالصبر المحمود والمذموم

وقاعدة تتعلق برحمة الله تعالى فى إرسال محمد صلى الله عليه وسلم وأن إرساله أجل النعم

وقاعدة فى الشكر لله ، وأنه يتعلق بالأفعال الاختيارية

« فى المقربين ، هل يسألهم منكر ونـكير ؟

« فى الفتوة الاصطلاحية ، وأنه ليس لها أصل فى الأحكام الشرعية

وقاعدة فى الـكلام على المرشدة التى ألفها ابن تومرت (١) وله أجوبة تتعلق بها أيضاً .

وقاعذة فى كلام الجنيد لما سئل عن التوحيد . فقال : هو إفراد الحدوث عن القدم .

---

(١) هو محمد بن . . . . منشىء دولة الموحدين ببلاد المغرب سنة . . .

وقاعدة فى التسبيح والتحميد والتهليل

وقاعدة في أن الله تعالى إنما خلق الخلق لعبادته

وقاعدة فى الـكلام

وقاعدة فى الـكلام على قوله تعالى (يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقـكم — الآية) تسمى العبودية . وهى جليلة القدر

وقاعدة فيما أحدثه الفقراء المجرِّدون

وقاعدة فى القدرية ، وأنهم ثلاثة أقسام : مجوسية ، ومشركية ، وإبليسية

وقاعدة فى بيان طريقة القرآن في الدعوة والهداية النبوية ، وما بينهما وبين الطريقة الـكلامية والطريقة الصوفية .

وَقاعدة فى وصية لقمان لابنه

وقاعدة فى تسبيح المخلوقات من الجمادات وغيرها : هل هو بلسان الحال ، أم لا ؟

وقاعدة تعرف بالصعيدية تتعلق بالثنوية

وقاعدة فى لباس الخرقة : هل له أصل شرعى ؟ وفى الأقطاب ونحوهم

وقاعدة فى القضايا الوهمية

وقاعدة فيما يتناهى وما لا يتناهى

وَقاعدة فى الخلطة والعزلة

✓ وقاعدة في مشايخ العلم ، ومشايخ الفقراء : أيهم أفضل ؟

✓ وقاعدة في تعذيب المريد بذنب غيره

✓ وقاعدة فى قوله صلى الله عليه وسلم « ستفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة »

✓ وقاعدة فى أن جماع الحسنات : العدل ، وجماع السيئات : الظلم ، ومراتب الذنوب فى الدنيا

○ وقاعدة فى أن الحسنات تعلل بعلتين : جلب المنفعة ، ودفع المضرة ، والسيئات بالعكس

✓ وقاعدة فى فضائل عشر ذى الحجة

✓ وقاعدة فى رسالة النبي صلى الله عليه وسلم إلى الجن والانس

✓ وقاعدة فى أن جميع البدع ترجع إلى شعبة من شعب الكفر

✓ وقواعد فى الكلام على السنة والبدعة ، وأن كل بدعة ضلالة

✓ وقاعدة فى الاجماع وأنه ثلاثة أقسام

○ وقاعدة كبيرة فى أصول الفقه . غالبها نقل أقوال الفقهاء

✓ وقاعدة فيما يظن من تعارض النص والاجماع

✓ وقواعد فقهية فى مسائل من النذور ، والايمان ، ونكاح الشغار ، وما يستقر به المهر ، ونحو ذلك مجلد

وقواعد فى المغالبات ، وما يحل من الرهن ، وهل يفتقر إلى محلل ؟
مجلد

وقواعد فى المائعات والمياه وأحكامها ، وفي الميتة إذا وقعت فى المائعات ، والكلام على حديث القلتين ، وما يتعلق بذلك. شيء كثير

وقواعد فى الوقف وشروط الواقفين ، وما يعتبر منها ،وفى إبداله بأجود منه . وفى بيعه عند تعذر الانتفاع ، ونحو ذلك. أكثر من مجلد

وقاعدة كبيرة فى تفضيل مذهب الامام أحمد، وذكر محاسنه، نحو مجلد

« فى تفضيل مذهب أهل المدينة ، تسمى المالكية .

وقواعد فى الاجتهاد والتقليد ، وفى الأسماء التى علق الشارع بها الأحكام . مجلد

وقواعد فى المجتهد فى الشريعة : هل يأثم إذا أخطأ الحق ؟ وهل المصيب واحد ؟ ونحو ذلك. أكثر من مجلد

وقاعدة فى الاحسان

« « شمول النصوص للأحكام

« « تقرير القياس فى مسائل عدة ، والرد على من يقول : هى على خلاف القياس

وقاعدة فى شرح رسالة ابن عبدوس . وهى متضمنة لكلام الامام أحمد فى أصول الدين

وقاعدة فى لعب الشطرنج وأنه حرام

وقواعد كثيرة فى السفر الذى يجوز فيه القصر والفطر ، هل له حد ؟ وفى الجمع بين الصلاتين ، وفي ذوات الأسباب هل تصلى فى وقت النهى . وفى مواقيت الصلاة ؟ وفى أن أول ما يحاسب به العبد الصلاة . وفى تارك الصلاة ، وتفصيل القول فيه . وفى أن الصلاة أول الأعمال . وفى تارك الطمأنينة . وذلك شىء كثير جداً .

وقواعد فى الكنائس وأحكامها ، وما يجوز هدمه منها وإبقاؤه وما يجب هدمه . وأجوبة تتعلق بذلك . نحو مجلدين

وقواعد فى رجوع المغرور على من غرّه . وفى استقرار الضمان . وفي بيع الغرر ، والشرط فى البيع . والنكاح ، وغير ذلك . نحو مجلد

وقاعدة فى فضائل الأئمة الأربعة وما امتاز به كل إمام من الفضيلة

« « مقدار الكفارة فى اليمين

« « لفظ الحقيقة والمجاز ، وفى العام إذا خص . هل يكون حقيقة أو مجازاً ؟ والبحث مع السيف الآمدى في ذلك وقاعدة كبيرة في أن جنس فعل المأمور به أفضل من جنس ترك المنهي عنه

وقاعدة فى طهارة بول ما يؤكل لحمه . ذكر فيها نحو ثلاثين حجة على ذلك

وقاعدة فى تطهير العبادات النفس من الفواحش والمنكرات

وقواعد وأجوبة فى تحريم نكاح الزانية

وقاعدة فى معاهدة الكفار المطلقة والمقيدة

« « مفطرات الصائم

« « فيما شرعه الله تعالى بوصف العموم والاطلاق ، هل يكون مشروعا بوصف الخصوص والتقييد ؟

وقاعدة فى أن العامى هل يجب عليه تقليد مذهب معين أم لا ؟

« « تعليق العقود والفسوخ بالشرط

« « الجهاد والترغيب فيه

« « ذم الوسواس

« « الأنبذة والمسكرات

« « الحسبة

« « المسألة السريجية

« « حل الدور ، ومسائل الجبر والمقابلة

« « أن كل عمل صالح أصله اتباع النبى صلى الله عليه وسلم

وقاعدة فى الأطعمة وما يحل منها وما يحرم . وَتحرير الكلام على الطيبات والخبائث

وقاعدة فى اشتراط التسمية على الذبائح والصيد

« « دم الشهداء ومداد العلماء ، تتضمن أى الطائفتين أفضل

« « الانغماس فى العدو ، وهل يباح ؟ .

« « ضمان البساتين ، هل يجوز أم لا ؟

وله قواعد فى النهى ، هل يقتضى فساد المنهى عنه ؟

وقاعدة فى زكاة مال الصبى

وقاعدة فى الايمان المقرون بالاحسان ، وفى الاحسان المقرون بالاسلام

وقاعدة فى اقتران الايمان بالاحتساب (١)

وقاعدة وأجوبة فى النجوم ، هل لها تأثير عند الاقتران والمقابلة ؟ وفى الكسوف ، هل يقبل قول المنجمين فيه ؟ وفي رؤية الهلال ونحو ذلك . نحو مجلد

وقاعدة فى الأقراء ، هل هى الحيض ، أو الاطهار ؟ واختار أنها الحيض

وَقاعدة فى الشكر وأسبابه وأحكامه

---

(١) لعله « الاحسان » . من هامش الأصل .

ه وقاعدة فى الاستفتاحات فى الصلاة

ه وقاعدة تتضمن ذكر ملابس النبي صلى الله عليه وسلم وسلاحه ودوابّه . وهى القرمانية

ه وقاعدة تتعلق بمسائل من التيمم ، والجمع بين الصلاتين . تسمى « تيسير العبادات لأرباب الضرورات »

ه وقاعدة فى النُّصَيرية (١) وحكمهم

ه وقاعدة فى تحريم الشبَّابة

ه وقاعدة فى العقود اللازمة والجائزة

ه وله قاعدة جليلة فى وجوب الاعتصام بالرسالة ، وأن كل خير فى العالم فأصله متابعة الرسل ، وكلّ شر فمن مخالفتهم : إما جهلا ، أو عمداً

ه وقاعدة فى تحزيب القرآن ، وما يتعلق بذلك ، وما ورد فيه من الآثار

ه وقاعدة فى الكلام على الممكن

ه وقاعدة فى ذبائح أهل الكتاب

ه وقاعدة فى تعليل الأفعال

ه وقاعدة فى الكلام على العِدَد

---

(١) هم فرقة من الرافضة يسكنون جبل عامل ن أرض الشأم

ولـه رسائل تشتمل على علوم كثيرة ، منها :

رسالة كتبها إلى الشيخ شمس الدين الدباهى ، تسمى المدنية

ورسالة كتبها إلى الشيخ نصر المنيحى (١) ، تسمى المصرية

ورسالة كتبها إلى أهل بغداد

ورسالة كتبها إلى أهل البصرة

ورسالة كتبها إلى القاضى شمس الدين السروجى ، قاضى الحنفية بمصر

ورسائل إلى غيره من القضاة والعلماء

ورسالة كتبها إلى بيت الشيخ عدى بن مسافر ، تسمى العدوية

ورسالة كتبها الى بيت الشيخ جاكير . وأرسل اليهم أجوبة فى مجلد غير الرسالة

ورسالة كتبها إلى ملك قبرص فى مصالح المسلمين ، تتضمن علوما نافعة

وله رسائل إلى البحرين . وإلى ملوك العرب

وإلى ثغور الشام : إلى طرابلس وغيرها بمصالح تتعلق بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر

ورسالة لأهل تدمر

---

(١) كذا بالأصل . ولعلها « المنبجى » نسبة الى « منبج »

ورسالة إلى طبرستان وجيلان

ورسائل للملوك : ملك مصر ، وَملك حماة وغيرهما

ورسائل إلى الأمراء الكبار

ورسائل كثيرة كتبها الى الصلحاء من إخوانه : من مصر إلى دِمَشق ومن دمشق إلى غيرها

وَمن السجن شئ كثير يحتوى على مجلدات عدة

وله من الكلام على مسائل العلوّ والاستواء والصفات الخبرية وما يتعلق بذلك من الرد على الجهمية والقدرية والجبرية وغيرهم من أهل الأهواء والبدع مايشتمل على مجلدات كثيرة .

وله من الكلام على فروع الفقه والأجوبة المتعلقة بذلك شيء كثير ، يشق إحصاؤه ويعسر ضبطه

ومن مؤلفاته : الكلام على دعوة ذى النون ، فى مجلد لطيف

وكتاب فيه الكلام على إرادة الرب تعالى وقدرته ، وتحرير القول فى ذلك على كلام الرازى فى المطالب العالية

ومسألة فى العلو ، أجاب فيها عن شبه المخالفين . وهى مفيدة . وأخرى فى الصفات ، تسمى المراكشية ، وتشتمل على نقول كثيرة

وقاعدة تتضمن صفات الكمال ، وما الضابط فيها مما يستحقه الرب تعالى ، تسمى الأكملية ، والاحاطة الكبرى

والاحاطة الصغرى

وعقيدة الفرقة الناجيـة وتعرف بالواسطية

والجواب عما أورد عليها عند المناظرة بقصر الامارة بدمشق

والـكلام على حديث عِمران بن حُصين الذى فيه «جئنا نسألك عن أول هذا الأمر» وهو مؤلف مفيد

والـكلام على حديث عبد الله بن خليفة عن عُمر، وهل هو ثابت أم لا ؟ وأى ألفاظه هو المحفوظ ؟

وكتاب فى نزول الرب تبارك وتعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا، والجواب عن اختلاف وقته باختلاف البلدان والمطالع

وجواب فى اللقاء وما ورد فى القرآن وغيره

وجواب فى الاستواء والنزول هل هو حقيقة أم لا ؟ تسمى الأَرْبَلِيَّة

وجواب فى الاستواء وإبطال قول من تأوله بالاستيلاء من نحو عشرين وجها

ومسألة فى المباينة بين الله وبين خلقه

وله أجوبة أخر فى مباينة الله لخلقه، وفيمن يقول: إنه سبحانه على عرشه بذاته، وأقوال السلف فى ذلك

وله مسائل كثيرة فى الأفعال الاختيارية المسماة عند بعض المتكلمين: بحلول الحوادث

منها كلام مفرد على كلام الرازى فى الأربعين

وله مسائل وأجوبة فى مسألة القدر، والرد على القدرية وعلى الجبرية أكثر من مجلد

وله مسألة فى محل الشعر والعلوم وغيرها، هل هو واحد أو متعدد ؟

وله درس السكرية بالبسملة جزء

ودرس الحنبلية فى قوله تعالى (وما كان المؤمنون لينفروا كافة) جزء حسن

ومسألة فيمن يدعى أن للقرآن باطنا إلى سبعة أبطن

ومسألة فى عقل الانسان وروحه

والحلبية فى الصفات، وهل هى زائدة على الذات أم لا ؟

والرد على ابن سينا فى رسالته الأضحوية، نحو مجلد

وجواب فى العزم على المعصية، هل يعاقب عليه العبد ؟

وجواب على حزب الشاذلى وما يشبهه، مجلد لطيف

وجواب فى الكفار من التتر وغيرهم، وهل لهم خفراء بقلوبهم لهم تأثير ؟

وله شرح كلام الشيخ عبد القادر فى غير موضع نحو مجلد

وقاعدة فى قوله تعالى (ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون) وقول النبى صلى الله عليه وسلم «لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله»

ولـه جواب في يزيد بن معاوية ، وهل يجوز سبُّه أم لا ؟

وله قاعدة في فضل معاوية

وجواب فى الخضر ، هل مات أوهو حى ؟ واختار أنه مات

وله جواب فى أن الذبيح من ولد ابراهيم عليه السلام هو اسمعيل . واحتج لذلك بأدلة كثيرة

وجواب في زيارة القدس يوم عرفة للتعريف به

وله أجوبة كثيرة فى هذا المعنى

وجواب فى احتجاج الجهمية والنصارى بالكلمة

وجواب فيمن عزم على فعل محرم ثم تاب

وجواب فى الذوق والوجد الذى يذكره الصوفية .

وجواب فى قوله صلى الله عليه وسلم «من قال أنا خير من يونس ابن متَّى فقد كذب»

وجواب فى التشاغل بكلام الله وأسمائه وذكره ، أى ذلك أفضل؟

وجواب فى غض البصر وحفظ الفرج

وجواب فى المعية وأحكامها

وله فى مسائل الروح ، وهل تعذب فى القبر مع الجسد ؟ وهل تفارق البدن بالموت ؟ وهل تتصور بصورة وتعقل بعد الموت ؟ ونحو ذلك مجلد

وله جواب : هل كان النبى صلى الله عليه وسلم قبل الرسالة نبيا ؟
وهل يسمى من صحبه إذ ذاك صحابيا ؟
وجواب : هل كان النبي صل الله عليه وسلم قبل الوحى متعبدا بشرع
من قبله من الأنبياء ؟

وله جواب فى كفر فرعون ، والرد على من لم يكفره
وجواب فى ذى الفقار هل كان سيفا لعلى رضى الله عنـه ؟
ولهقواعدوأجوبة فى الايمان ، هل يزيد وينقص ؟ ومايتبع ذلك .
نحو مجلد

وله جواب فى عقيـدة الأشعرية ، وعقيـدة الماتُريدى وغيره من
الحنفية ، تسمى الماتريدية

وله عقيدة تسمى الحوفيـة
وله أجوبة فى العرش والعـالم ، هل هو كُرِىٌّ الشكل أم لا ؟
وفى قصد القلوب العلوّ ، ماسببه ؟
وله فى الـكلام على توحيـــد الفلاسفة على نظم ابن سينا
مجلد لطيف

وله جواب محيى الدين الأصبهانى فى عدة كراريس
وله جواب فى الفرق بين مايُتأول من النصوص ومالايتأول

ومسألة فى قوله « أمرت أن أخاطب الناس على قدر عقولهم »
هل هو كلامه صلى الله عليه وسلم ؟ .

وقاعدة فى الرد على أهل الاتحاد

وله مؤلف فى الرد على ابن عربى

وجواب على حال الحلاج ورفع ما وقع فيه من اللجاج

وله مسائل وقواعد فى الاستغاثة ، غير ما تقدم ذكره

وجواب فى الرضا على كلام أبى سليمان الدّارانى

وجواب فى رؤية النساء ربهم فى الجنة ، سأله عنه الشيخ ابراهيم
الرقى رحمه الله

وجواب فى العباس و بلال رضى الله عنهما : أيهما أفضل ؟

« فى الكتاب الذى همّ به النبى صلى الله عليه وسلم فى مرضه

« فيمن يقول: إن بعض المشايخ أخيي ميتا

وله أجوبة فى مسائل وردت من أصبهان

وجواب عن مسائل وردت من الأندلس

« عن سؤال ورد من الرحبة

« عن سؤال ورد من ماردين

وجواب، عن سؤال ورد من أزْرَع

وأجوبة كثيرة عن مسائل وردت من الصَّلت

وجواب فى أرض الموات إذا أحياها الرجل ، ثم عادت مواتا :
هل تملك بالاحياء مرة أخرى ؟

وله وصايا عدة يسئل عنها ؟

وكتب منها : وصية لابن المهاجرى فى كراريس

ووصية كتبها للتَّجيبي

وله إجازات .منها :

إجازة لأهل سِبتة ذكر فيها مسموعاته

وإجازة كتبها لبعض أهل توريز

« لأهل غرناطة

« « اصبهان

وله قواعد وأجوبة فى الفقه كثيرة جدا . منها :

قاعدة فى الجمعة ؛ هل يشترط لها الاستيطان ؟

وقاعدة فى المسح على الخفين ، وهل يجوز على المقطوع ؟

وقاعدة فى حلق الرأس ، هل يجوز فى غير النسك لغير عذر ؟

وقواعد فى الاستجمار ، وفى الأرض ، هل تطهر بالشمس والريح ؟

وقواعد فى نواقض الوضوء ، وفى المحرمات فى النكاح

وقاعدة فى الجدِّ ، هل يُجبِر البكر على النكاح ؟ وفى الاستئذان من الأب، هل يجب ؟

وجواب فى المظالم المشتركة وأحكامها

وجواب عن أهل البدع ، هل يصلى خلفهم ؟

ومسائل وأجوبتها فى قتال التتار الذين قدموا مع قازان وغيره وفى قتال أهل البيعات من النصارى ، ونصارى ملطية ، وقتال الأحلاف والمحاربين ، نحو مجلد

وقاعدة فى قوله صلي الله عليه وسلم « استحللتم فروجهن بكلمة الله »

وقاعدة فى العِينَة والتورُّق ، ونحوهما من البيعات

وقاعدة فى القراءة خلف الإمام

وقاعدة فى قوله صلى الله عليه وسلم « من بكرّ وابتكر ، وغسّل واغتسل »

وأجوبة فى الصلوات المبتدعة ، كصلاة الرغائب ، ونصف شعبان ونحو ذلك

وأجوبة في النهي عن أعياد النصارى ، وعما يفعل من البدع يوم عاشوراء ، نحو مجلد

وله مسألة فى أن الجد يُسقط الاخوة ؟

وقاعدة فى توريث ذوى الأرحام

ومسألة فى بيع المسْلَم فيه قبل قبضه ، هل يجوز ؟

وله أجوبة فى رؤية هلال ذى الحجة إذا رآه بعض الناس ، ما حكمهم فى الأضحية ؟ وفي قوله « صومكم يوم تصومون » وفيما إذا غُمَّ هلال رمضان ليلة الثلاثين ، هل يجب الصوم أم لا ؟

وجواب فى الاجارة ، هل المعقود عليه تهيؤ العين وصلاحيتها لنفع المستأجر ؟ وهل مايحدث فى العين على ملكه ؟ وهل هى على وفق القياس ؟

وله قاعدة فى أن ماكان داعيا إلى الفرقة والاختلاف يجب النهى عنه .

وجواب فى التسمية على الوضوء

وقواعد فى سِباق الخيل ورمى النشَّاب

وقواعد وأجوبة فى النية فى الصلاة ، وغير ذلك من العبادات

وأجوبة فى صلاة بعض أصحاب المذاهب خلف بعض ، وأنه جائز

وجواب فيمن تَفَقَّه على مذهب ثم يجد حديثا صحيحاً بخلاف مذهبه

وجواب فيمن يقول : أنا مذهبى غير موافق للأربعة

وجواب فيمن يقول : من لا شيخ له فشيخه الشيطان

وجواب فى المخلوقة من ماء الزانى ، هل له أن يتزوج بها ؟

وجواب فى صلاة الركعتين جالسا بعد الوتر

وجواب فى القنوت فى الصبح والوتر

وجواب عن المرازقة[1] ، وما يفعلونه من أعمال ؛ والرد عليهم فيما أخطأوا فيه

وقاعدة فى الحمام والاغتسال

وقاعدة فى الصلاة بين الأذانين يوم الجمعة

وجواب فى قوله « خير القرون الدوارس »

وجواب فى نصرانية ماتت وفى بطنها ولد من مسلم

وجواب فى امرأة مسلمة ماتت ، وفى بطنهـــا إذ ذاك ولدٌ حَيٌّ متحرك .

وجواب مبسوط فى السِّجَّادة التى تُفرش فى المسجد ، قبل الجمعة، قبل مجيء المصلى

وجواب فى ساعة الجمعة ، هل هي مقدَّرة بالدَّرَج ؟

وله أجوبة فى الوقف فى مُنقطع الوسَط وغيره

---

(١) طائفة من أهل الطرق الصوفية

وله مسألة تسمى الواسطة.

وله إبطال الكيمياء.

ومسألة الشفاعة ، ومسألة الشهادة بالاستفاضة .

ومسألة فى الاجازة على كتاب « المصابيح » للبغوى

وأخرى على كتاب « المصابيح » أيضا

وله في الأحاديث وشرحها شيء كثير جدا . منها مابُيِّض ، ومنها مالم يبيض ، ولو بيض لبلغ مجلدات عديدة.

وكتب كثيراً من مسند الأمام أحمد وغيره على أبواب الفقه

وله مختصر فى الكَلِمِ الطَّيِّب . جمع فيه الأذكار المستعملة طرَفى النهار ، وغير ذلك.

وشرح حديث أبى ذرٍّ ، الذى أوله « ياعبادى إنى حَرَّمتُ الظلْمَ على نفسى ».

وحديث « الأعمال بالنِّيَّات »

وحديث « بدأ الاسلامُ غَريبا »

وحديث « لا يَرِثُ المسلم الكافر »

وحديث الدعاء الذى علمه النبى صلى الله عليه وسلم لأبى بكر الصديق « اللهم إنى ظلمت نفسى ظلما كثيرا »

وحديث جبريل فى الايمان والاسلام ، غير كتاب الايمان المتقدم ، فى مجلد لطيف

وحديث « لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن » شرحه مرات عديدة .

وحديث « أنزل القرآن على سبعة أحرف » شرحه غير مرة .

وحديث النزول ، شرحه مرات .

وحديث الأولياء الذى رواه البخارى منفردا به « من عادى لى وَليًا فقد بارزنى بالمحاربة » شرحه مرّات ، تارة يسئل عن مجموعه وتارة يسئل عن التردد المذكور فيه (١) .

وحديث حَكِيم بن حِزام « أَسْلَمْتَ على ما اسْلَفْتَ من خير »

وحديث ابن مسعود فى دَرء الهمّ (٢) .

---

(١) هو قوله صلى الله عليه وسلم فيه عن الله « وما ترددت فى شيء أنا فاعله ترددى فى قبض نفس عبدى المؤمن يكره الموت وأكره مساءته »

(٢) روى أحمد وابن حبان والبزار عن ابن مسعود أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « ماقال عبد أصابه هم أو حزن : اللهم انى عبدك وابن أمتك ، ناصيتى بيدك ، ماض فى حكمك ، عدل فى قضاؤك . أسألك بكل اسم هو لك ، سميت به نفسك ، أو أنزلته فى كتبك ، أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به فى علم الغيب عندك : أن تجعل القرآن نور صدرى وربيع

وحديث معاذ وقول النبي صلى الله عليه وسلم « لا تدعن دُبُر كل صلاة »

وحديث بَريرة وقول النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة « اشترطى لهم الولاء » .

وحديث « فَحَجَّ آدمُ موسى » شرحه مرات .

وحديث « لا يُضرب فوق عشرة أسواط الا فى حَدٍّ من حدود الله »

وحديث « اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد ، كما صليت على آل ابراهيم »

وشرح أحاديث كثيرة غير ما ذكر

وشرح ماروى عن عمر رضى الله عنه أنه قال « نعم العبد صُهَيْبٌ لو لم يخَفِ الله لم يَعْصِه » وتكلم على « لو »

وشرح قول على رضى الله عنه « لا يرجونَّ عبد إلا رَبَّه ، ولا يخافنَّ إلا ذنبه »

وله أجوبة كثيرة فى أحاديث يسئل عنها من صحيح يشرحه ، وضعيف يُبَيِّن ضعفه ، وباطل يُنَبِّه على بطلانه

قلبى وجلاء حزنى وذهاب همى وغمى : إلا أذهب الله همه وأبدله مكان حزنه فرحاً »

وله من الأجوبة والقواعد شىء كثير ، غير ما تقدم ذكره ، يشق ضبطه وإحصاؤه ، ويعسر حصره واستقصاؤه

وسأجتهد إن شاء الله تعالى فى ضبط ما يمكننى من ضبط مؤلفاته فى موضع آخر غير هذا

وأبيّن ما صنفه منها بمصر ، وما ألّفه منها بدمشق ، وما جمعه وهو فى السجن ، وأرتبه ترتيباً حسناً غير هذا الترتيب ، بعون الله تعالى وقوته ومشيئته .

قال الشيخ أبو عبد الله [1] : لو أراد الشيخ تقى الدين رحمه الله أو غيره . حصرها — يعنى مؤلفات الشيخ — لما قدروا . لأنه مازال يكتب . وقد منّ الله عليه بسرعة الكتابة ، ويكتب من حفظه من غير نقل .

وأخبرنى غير واحد أنه كتب مجلداً لطيفاً فى يوم ، وكتب غير مرة أربعين ورقة فى جلسة وأكثر ، وأحصيت ما كتبه وبيضه فى يوم فكان ثمان كراريس فى مسألة من أشكل المسائل ، وكان يكتب على سؤال الواحد مجلداً .

---

(١) هو أخو شيخ الاسلام ابن تيمية

وأما جواب يكتب فيه خمسين ورقة ، وستين ، وأربعين ، وعشرين ، فكثير .

وكان يكتب الجواب . فان حضر من يبيِّضه ، وإلا أخذ السائل خطّه . وذهب

ويكتب قواعد كثيرة فى فنون من العلم : فى الأصول ، والفروع ، والتفسير ، وغير ذلك ، فان وجد من نقله من خطه ، وإلا لم يشتهر ، ولم يعرف ، وربما أخذه بعض أصحابه ، فلا يُقدَر على نقله ، ولا يَرُدّه إليه ، فيذهب .

وكان كثيراً ما يقول : قد كتبت فى كذا ، وفى كذا

ويسئلُ عن الشيء فيقول : قد كتبت فى هذا . فلا يدرى أين هو ؟ فيلتفت إلى أصحابه ، ويقول : ردّوا خطّى وأظهروه ، لينقل . فمِن حرصهم عليه لا يردونه . ومن عجزهم لا ينقلونه ، فيذهب ، ولا يعرف اسمه .

فلهذه الأسباب وغيرها تعذَّر إحصاء ما كتبه وما صنفه .

وما كفى هذا إلا أنه لما حُبس تفرّق أتباعه ، وتفرقت كتبه ، وخوّفوا أصحابه من أن يظهروا كتبه . ذهب كل أحد بما عنده وأخفاه ، ولم يظهروا كتبه . فبقى هذا يهرب بما عنده ، وهذا يبيعه ، أو يَهَبُه . وهذا يخفيه ويودعه ، حتى إن منهم من تُسرق كتبه أو تُجْحد ،

فلا يستطيع أن يطلبها ، ولا يقدر على تخليصها . فبدون هذا تتمزق الكتب والتصانيف . ولولا أن الله تعالى لطف وأعان ومنّ وأنعم ، وجرت العادة فى حفظ أعيان كتبه وتصانيفه ، لما أمكن لأحد أن يجمعها .

ولقد رأيت من خرق العادة فى حفظ كتبه وجمعها ، وإصلاح ما فسد منها ، وردّ ماذهب منها : مالو ذكرته لكان عجبا ، يعلم به كل منصف أن لله عناية به وبكلامه ، لأنه يَذُبُّ عن سنة نبيه صلى الله عليه وسلم تَحْرِيفَ الغالين ، وانْتحال المُبْطِلين . وتأويل الجاهلين .

قلت : ومن مؤلفاتِه أيضا :

قاعدة فى تقرير النبوات بالعقل والنقل

وقاعدة فى تبديل السيئات حسنات

« « إبطال المجردات

« « المتشابهات

« « إثبات الرؤية ، والرد على نُفاتها

« « وجوب تقديم محبة الله تعالى ورسوله على النفس والمال والأهل

وقاعدة فى لفظ « الجسم » واختلاف الناس واصطلاحاتهم فى هذا الاسم

وقاعدة فى تحريم الحشيشة ، وبيان حكم آكلها ، وَماذا يجب عليه ؟

وقاعدة فى الرد على من قال بفناء الجنة والنار

وَله الحموية الكبرى — والحموية الصغرى

فأما الحموية الكبرى فأملاها بين الظهر والعصر ، وهى جواب عن سؤال ورد من حماة ، سنة ثمان وتسعين وستمائة [١] ، وجرى بسبب تأليفها أمور ومحن ، وتكلم الشيخ فيها على آيات الصفات والأحاديث الواردة في ذلك . وقال فى مقدمتها ، وهي عظيمة جدا : —

« قولنا فيها : ماقاله الله ورسوله والسابقون الأولون ، من المهاجرين والأنصار ، والذين اتبعوهم باحسان ، وماقاله أئمة الهدى من بعد هؤلاء الذين أجمع المسلمون على هدايتهم ودرايتهم ، وهذا هوالواجب علي جميع الخلق فى هذا الباب وفى غيره

فان الله سبحانه وتعالى بعث محمداً صلى الله عليه وسلم بالهُدى وذين الحق ، ليُخْرِجَ الناسَ من الظلمات إلى النور بِإِذْنِ ربهم إلى صراط العزيز الحميد ، وشهد له بأنه بعثه داعياً إِليه بإِذنه وسراجا منيراً ، وأمره أن يقولَ (هذه سبيلى أدعو إلى الله على بَصيرةٍ أنا ومَنِ اتَّبَعنى [٢])

---

(١) والسؤال عن آيات الصفات ، كقوله تعالى (الرحمن على العرش استوى) وغيرها من الآيات وأحاديث الصفات

(٢) فى سورة يوسف (آية ١٨٠)

فمن المحال فى العقل والدين : أن يكون السراج المنير ، الذى أخرج الله به الناس من الظلمات إلى النور ، وأَنزل معه الكتاب بالحقِّ ليَحْكُمَ بين الناس فيما اختلفوا فيه . وأمر الناسَ أن يَرُدُّوا ماتنازعوا فيه من أمر دينهم إلى مابُعث به : من الكتاب والحكمة ، وهو يدعو إلى الله ، و إلى سبيله بإِذْنه على بصيرة ، وقد أخبر الله أنه أكمل له ولأمته ، دينهم ، وأتمَّ عليهم نعمته —

محال مع هذا وغيره — أن يكون قدترك باب الايمان بالله ، والعلم به مُلتبسا مُشْتَبِهاً ، ولم يُمَيِّز مايجب لله[1] من الأسماء الحسنى ، والصفات العُلَى ، وما يجوز عليه ، وما يمتنع عليه . فان معرفة هذا أصلُ الدين ، وأساس الهداية ، وأفضل وأوجب ماا كتسبته القلوب ، وحصَّلته النفوس ، وأدركته العقول

فكيف يكون ذلك الكتاب ، وذلك الرسول ، وأفضل خلق الله بعد النبيين لم يُحْكِموا هذا الباب اعتقاداً وقولا ؟ ! !

ومن المحال أيضا أن يكون النبى صلى الله عليه وسلم قد علَّمَ أمته كل شىء ، حتى الخِراءة[2]

---

(١) فى المطبوعة بمكة « ولم يبين مايجب الله » وهو خطأ

(٢) روى مسلم وأبوداود والترمذى عن عبد الرحمن بن يزيد قال « قيل : لسلمان : علمكم نبيكم كل شىء حتى الخراءة ؟ فقال سلمان :

وقال « تركتكم على المحجَّةِ البيضاء ، ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدى إلا هالك[1] » .

وقال فيما صح عنه أيضا « ما بعث الله من نبيٍّ إلا كان حقاً عليه أن يَدُلَّ أمته على خير مايعلمه لهم ، وينهاهم عن شر مايعلمه لهم »

وقال أبو ذَرٍّ « لقد تُوُفِّى رسول الله صلى الله عليه وسلم وما طائر يُقَلِّبُ جَناحيه فى السماء إلا ذكر لنا منه علما »

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه « قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما فذكر بَدْء الخلق ، حتى دخل أهلُ الجنة منازلهم ، وأهلُ النار منازلهم ، حفظ ذلك من حفظه ، ونسيه من نسيه » رواه البخارى

محال مع هذا ، ومع تعليمهم كل شىء لهم فيه منفعة فى الدين ، وإن دَقَّ : أن يترك تعليمهم ما يقولونه بألسنتهم ، ويعتقدونه بقلوبهم فى ربهم ومعبودهم ، رب العالمين ، الذى معرفته غاية المعارف ، وعبادته أشرف المقاصد ، والوصول إليه غاية المطالب ، بل هذا خلاصة الدعوة النبوية ،

أجل . نهانا أن نستقبل القبلة بغائط أو بول ، وأن نستنجى باليمنى ، أو أن يستنجى أحدنا بأقل من ثلاثة أحجار ، أو أن يستنجى برجيع أو بعظم »

(١) أخرجه ابن ماجه

وزُبدة الرسالة الالهية . فكيف يتوهَّم من فى قلبه أدنى مُسْكة من إيمان وحكمة أن لا يكون بيان هذا الباب قد وقع من الرسول على غاية التمام ؟ !

ثم إذا كان قد وقع ذلك منه ، فمن المحال أن يكون خَيْرُ أمتِه ، وأفضل قرونها قصَّروا فى هذا الباب . زائدين فيه ، أو ناقصين عنه

ثم من المحال أيضا أن تكون القرون الفاضلة : القرن الذى بُعث فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم الذين يلونهم . ثم الذين يلونهم كانوا غير عالمين به ، وغير قائلين فى هذا الباب بالحق المبين ؛ لأن ضدَّ ذلك ، إما عدم العلم والقول ، وإما اعتقاد نقيض الحق ، وقول خلاف الصدق . وكلاهما ممتنع

أما الأول ، فلأن مَنْ فى قلبه أدنى حياة وطلب للعلم ، ونَهْمة فى العبادة يكون البحثُ عن هذا الباب ، والسؤال عنه ، ومعرفة الحق فيه : أكبرَ مقاصده . وأعظم مطالبه[1] . وليست النفوس الصحيحة إلى شىء أشوقَ منها إلى معرفة هذا الأمر . وهذا أمر معلوم بالفطرة الوجدية[2] .

---

(١) بالمطبوعة المكية زيادة « أعنى بيان ماينبغى اعتقاده ، لامعرفة كيفية الرب وصفاته » وأغلب الظن : أن هذا من تعليق بعض القارئين وتفسيره

(٢) وفى نسخة « الوحدانية » اه من هامش الأصل

فكيف يتصور — مع قيام هذا المقتضى ، الذى هو من أقوى المقتضيات ـ أن يتخلَّف عنه مقتضاه لأولئك السادة فى مجموع عصرهم ؟؟ هذا لا يكاد يقع فى أبْلَد الخلق ، وأشدهم إعراضاً عن الله . وأعظمهم إكبابا على طلب الدنيا ، والغفلة عن ذكر الله ، فكيف يقع فى أولئك؟

وأما كونهم كانوا معتقدين فيه غير الحق أو قائليه . فهذا لا يعتقده مسلم ولا عاقل عرف حال القوم

ثم الكلام فى هذا الباب عنهم أكثر من أن يمكن أن يُسَطَّرَ فى هذه الفتيا أو أضعافها . يَعرِف ذلك من طلبه وتتبعه .

ولا يجوز أيضاً أن يكون الخالفون أعلمَ من السالفين ، كما قد يقوله بعض الأغبياء ، ممن لم يقدر قدر السلف ، بل ولا عرف الله ورسوله والمؤمنين به حقيقة المعرفة المأمور بها : من أنَّ طريقة السلف أسلم ، وطريقة الخلف أعلم ، وأحكم [1] .

فان هؤلاء المبتدعة الذين يفضّلون طريقة الخلف من المتفلسفة ، ومن حذاحذوهم على طريقة السلف إنما أُتوا من حيث ظنوا أن طريقة السلف هى مجرد الايمان بألفاظ القرآن والحديث ، من غير فقه لذلك ، بمنزلة

(١) فى المطبوعة المكية زيادة « وإن كانت هذه العبارة إذا صدرت من بعض العلماء قد يعنى بها معنى صحيحا » وغالب الظن أنها ليست من كلام شيخ الاسلام

الأميين الذين قال الله فيهم (ومنهم أُمِّيُّونَ لا يَعْلَمُونَ الكِتَابَ إلاَّ أمَانِيَّ)(١) وأن طريقة الخلف هى استخراج معانى النصوص المصروفة عن حقائقها بأنواع المجازات ، وغرائب اللغات .

فهذا الظن الفاسد أوجب تلك المقالة التى مضمونها نبذ الإسلام وراء الظهر .

وقد كذبوا على طريقة السلف ، وضلوا فى تصويب طريقة الخلف ، فجمعوا بن الجهل بطريقة السلف فى الكذب عليهم . وبين الجهل والضلال بتصويب طريقة الخلف .

وسبب ذلك : اعتقادهم أنه ليس لله فى نفس الأمر صفة دلّت عليها هذه النصوص ، بالشبهات الفاسدة ، التى شاركوا فيها إخوانهم من الكافرين .

فلما اعتقدوا انتفاء الصفات فى نفس الأمر ، وكان مع ذلك لابد للنصوص من معنى ، بقوا مترددين بين الايمان باللفظ ، وتفويض المعنى ، وهي التى يسمونها « طريقة السلف » — وبين صرف اللفظ إلى معانٍ أخرى بنوع تَكَلُّف ، وهى التى يسمونها « طريقة الخلف » فصار هذا الباطل مركبا من فساد العقل ، والكفر بالسمع .

---

(١) سورة البقرة (آية ٧٨)

فان النفى إنما اعتمدوا فيه على أمور عقلية ، ظنوها بَيِّنات ، وهى شُبهات ، والسمعُ حرَّفوا فيه الكَلِمَ عن مواضعه .

فلما ابتنى أمرهم على هاتين المقدمتين الكاذبتين الكفريتين ، كانت النتيجة استجهال السابقين الأولين واستبلاههم ، واعتقاد أنهم كانوا أُمِّيين، بمنزلة الصالحين من العامة ، لم يتبحروا فى حقائق العلم بالله ، ولم يتفطَّنوا لِدقيق العلم الآلهى ، وأن الخلف الفضلاء حازوا قصب السبق فى هذا كله .

وهذا القول إذا تدبره الانسان وجده فى غاية الجهالة ، بل فى غاية الضلالة . كيف يكون هؤلاء المتأخرون — لا سيما والإشارة بالخلف إلى ضرب من المتكلمين الذين كثر فى الدين اضطرابهم ، وغَلُظ عن معرفة الله حجابهم ، وأخبر الواقف على نهاية إقدامهم بما انتهى إليه من مرامهم (١) ، حيث يقول (٢) :

لعمرى ، لقد طُفتُ المعاهد كلها * وسيَّرت طرْفى بين تلك المعالم
فلم أرَ إلا واضعا كفَّ حائر * على ذقن ، أو قارعاً سِنَّ نادم

وأقروا على أنفسهم بما قالوه ، متمثلين به أو منشئين له ، فيما صنفوه

---

(١) فى المطبوعة المكية « أمرهم »

(٢) هو الشهرستانى ، كما ذكره شيخ الاسلام فى كتاب موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول المطبوع بهامش منهاج السنة صفحة (٨٩)

من كتبهم ، كقول بعض رؤسائهم [١] :

« نهاية إقدام العقول عِقال * وأكثر سَعْى العالمين ضلال

وأرواحنا فى وَحْشة من جسومنا * وحاصل دُنيانا أذًى ووبال

ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا * سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا

لقد تأملت الطرق الكلامية ، والمناهج الفلسفية ، فما رأيتها تشفى عليلا ، ولا تُروى غليلا ، ورأيت أقرب الطرق : طريقة القرآن . أقرأ فى الاثبات (إليه يَصْعَدُ الكلم الطيِّب) (الرحمن على العرش استوى) — وأقرأ فى النفى (ليس كمثله شىء)(ولا يحيطون به علما) قال : ومن جرَّب مثل تجربتى عرف مثل معرفتى » .

ويقول الآخر منهم [٢] : لقد خُضت البحر الخِضَمَّ ، وتركت أهل الاسلام وعلومهم ، وخُضت فى الذى نَهونى عنه . والآن إن لم يتداركنى ربى برحمته فالويل لفلان . وهاأنا أموت على عقيدة أمى »

ويقول الآخر منهم : أكثر الناس شكاً عند الموت : أصحاب الكلام .

---

(١) هو الرازى فى كتابه أقسام اللذات الذى صنفه فى آخر عمره ذكر ذلك ابن القيم فى اجتماع الجيوش الاسلامية (ص ١٢١)

(٢) هو أبو المعالى الجوينى إمام الحرمين . ذكر ذلك شيخ الاسلام فى التسعينية (ص ٢٥١)

ثم هؤلاء المتكلمون المخالفون للسلف إذا حُقِّق الأمر عليهم لم يوجد عندهم من حقيقة العلم بالله ، وخالص المعرفة به خبر ، ولم يقعوا من ذلك على عين ولا أثَر .

كيف يكون هؤلاء المحجوبون ، المنقوصون ، المسبوقون المفضولون الحيارى المتهوِّكون أعلم بالله وأسمائه وصفاته ، وأحكم فى باب ذاته وآياته ، من السابقين الأولين : من المهاجرين والأنصار ، والذين اتبعوهم باحسان ، من ورثة الأنبياء ، وخلفاء الرسل ، وأعلام الهدَى ، ومصابيح الدُّجَى ، الذين بهم قام الكتاب ، وبه قاموا ، وبهم نطق الكتاب ، وبه نطقوا ، الذين وهبهم الله من العلم والحكمة ما بَرَّزوا به على سائر أتباع الأنبياء ، فضلا عن سائر الأمم الذين لا كتاب لهم ، وأحاطوا من حقائق المعارف ، وبواطن الحقائق بما لو جُمعت حكمة غيرهم إليها لاستحيي مَنْ يطلب المقابلة ؟! .

ثم كيف يكون خير قرون الأمة أنقص فى العلم والحكمة ، لاسيما العلم بالله وأحكام أسمائه وآياته ، من هؤلاء الأصاغر بالنسبة إليهم ؟ !

أم كيف يكون أفراخ الفلاسفة ، وأتباع الهند واليونان ، وورثة المجوس والمشركين ، وضُلاَّل اليهود والنصارى ، والصابئين وأشكالهم وأشباههم أعلمَ بالله من ورثة الأنبياء ، وأهل القرآن والايمان ؟ !

وإنما قدّمت هذه المقدمة لأن من استقرَّت عنده هذه المقدمة

علم طريق الهدى ، أين هو فى هذا الباب وغيره ؟ وعلم أن الضلال والتهوُّك إنما استولى على كثير من المتأخرين بنبذهم كتاب الله وراء ظهورهم ، وإعراضهم عما بعث الله به محمدا صلى الله عليه وسلم : من البيّنات والهدى ، وتَرْكِهم البحث عن طريق السابقين والتابعين ، والْتِماسهم علم معرفة الله ممن لم يعرف الله باقراره على نفسه ، وبشهادة الأمة على ذلك ، وبدلالات كثيرة .

وليس غرضى واحداً معيناً ، وإنما أصف نوع هؤلاء ونوع هؤلاء .

وإذا كان كذلك ، فهذا كتاب الله من أوله إلى آخره ، وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من أولها إلى آخرها . ثم عامةَّ كلام الصحابة والتابعين . ثم كلام سائر الأئمة : مملوء بما هو — إما نصٌّ ، وإما ظاهر — فى أن الله سبحانه وتعالى هو العليُّ الأعلى ، وهو فوق كل شيء ، وهو عالٍ على كلّ شيء ، وأنه فوق العرش ، وأنه فوق السماء مثل قوله (إِليه يصعد الكلم الطيب والعملُ الصالح يرفعه [(١)]) (إنى متَوَفِّيكَ ورافعك إلىَّ [(٢)]) (أأمنتم من فى السماء أن يَخْسِفَ بكم الأرض فاذا هى تَمُورُ . أم أمنتم من فى السماء أن يُرسِل عليكم حاصبا [(٣)]) (بل رفعه الله إليه [(٤)]) (تعرج الملائكة والروح

---

(١) سورة فاطر (آية ١٠) . (٢) سورة آل عمران (آية ٥٥) ، (٣) سورة الملك (آيتى ١٦ و ١٧) . (٤) سورة آل عمران (آية ١٥٨)

إليه[١]) (يُدبّر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يَعْرُج إليه[٢])
(يخافون ربهم من فوقهم[٣]) (ثم استوى على العرش) فى ستة
مواضع[٤] (الرحمن على العرش استوى[٥]) (ياهامانُ ابْنِ لى صَرْحاً
لَعَلِّى أَبْلُغَ الأَسْبابَ . أَسْبابَ السموات فأَطَّلِعَ إلى إله موسى وإنّى
لأَظُنُّهُ كاذبا[٦]) (تنزيلٌ من حكيم حميد[٧]) (مُنزَّل من ربك[٨])
إلى أمثال ذلك مما لايكاد يُحصَى إلا بكلفة .

وفى الأحاديث الصحاح والحسان مالا يحصى إلا بكلفة ، مثل
قصة معراج الرسول إلى ربه ، ونزول الملائكة من عند الله وصعودها
إليه ، وقوله فى الملائكة « الذين يتعاقبون فيكم بالليل والنهار ، فيعرج
الذين باتوا فيكم إلى ربهم ، فيسألهم وهو أعلم بهم »

وفى الصحيح من حديث الخوارج « ألا تأمنونى وأنا أمين من فى
السماء ؟ يأتينى خبر السماء صباحا ومساء »

وفى حديث الرُّقْيَـه الذى رواه أبو داود وغيره « ربَّنا الذى فى
السماء ، تقدَّس اسمُك ، أمْرُك فى السماء والأرض ، كما رحمتك فى السماء ،

---

(١) سورة المعارج (آية ٤) . (٢) سورة السجدة (آية ٥) .
(٣) سورة النحل (آية ٥٠) . (٤) منها فى سورة الفرقان (آية ٥٩)
(٥) سورة طه (آية ٥) . (٦) سورة غافر (آيتى ٢٦ و ٢٧)
(٧) سورة فصلت (آية ٤٢) . (٨) سورة الأنعام (آية ١٤)

اجعل رحمتك فى الأرض اغفر لناحوبنا [١] وخطايانا، أنت رب الطيبين ، أنزل رحمة من رحمتك ، وشفاء من شفائك على هذا الوجع » قال صلى الله عليه وسلم « إذا اشتكى أحد منكم ، أو اشتكى أخ له فليقل : ربنا الذى فى السماء» وذكره .

وفى حديث الأوعال « والعرش فوق ذلك والله فوق عرشه ، وهو يعلم ما أنتم عليه » رواه أحمد وأبو داود وغيرهما

وقوله فى الحديث الصحيح للجارية «أين الله ؟ قالت : فى السماء ، قال : من أنا ؟ قالت: أنت رسول الله : قال : أعتقها فانها مؤمنة »

وقوله فى الحديث الصحيح « إن الله لما خلق الخلق كتب فى كتاب فهو موضوع عنده فوق العرش : إنّ رحمتى سبقت غضبي »

وقوله فى حديث قبض الروح « حتى يعرج بها إلى السماء التى فيها الله عز وجل »

وقول عبد الله بن رواحة الذى أنشده للنبي صلى الله عليه وسلم وأقره عليه :

---

(١) الحوب : الذنب والخطيئه . والحديث رواه أبو داود عن زياد ابن محمد عن محمد بن كعب القرظى عن فضالة بن عبيد عن أبى الدرداء . قال المنذرى : وأخرجه النسائى . وأخرجه من حديث محمد بن كعب القرظى عن أبى الدرداء ولم يذكر فضالة بن عبيد . وفى إسناده زياد بن محمد الانصارى . قال ابوحاتم الرازى : هو منكر الحديث . وقال ابن

شهدت بأن وعد الله حق * وأن النار مثوى الكافرين
وأن العرش فوق الماء طاف * وفوق العرش ربّ العالمين

وقول أمية بن أبى الصَّلْت ، الذى أنشد للنبي صلى الله عليه وسلم هو وغيره من شعره ، فاستحسنه وقال « آمن شعره وكفر قلبه » ـ :

مَجِّدوا الله ، فهو للمجد أهل * ربُّنا فى السماء أمسى كبيرا
بالبناء الأعلى الذى سبق النـ * ـاس، وسوَّى فوق السماء سريرا
شَرْجَعًا ما يناله بصر العـ * ـين ، تُرى دونه الملائك صُوَرا (١)

وقوله فى الحديث الذى فى السنن (٢) « إن الله حَيِيٌّ كريم يستحيي من عبده إذا رفع يديه إليه ، أن يردهما صِفْراً ».

وقوله فى الحديث « يمد يديه إلى السماء : يارب ، يارب »

إلى أمثال ذلك مما لا يحصيه إلا الله ، مما هو من أبلغ التواترات اللفظية والمعنوية ، التى تورث علماً يقينياً من أبلغ العلوم الضرورية : أن الرسول المبلِّغ عن الله ألقى إلى أمته المدعُوِّين : أن الله سبحانه على العرش ، وأنه فوق السماء ، كما فطر الله على ذلك جميع الأمم : عربهم

حبان : منكر الحديث جدا يروى المناكير عن المشاهير فاستحق الترك . وقال ابن عدى : لا أعرف له الا مقدار حديثين . روى عنه الليث وابن لهيعة . ومقدار ماله لايتابع عليه . اه

(١) جمع أصور . وهو المائل العنق ، لثقل حمله .

(٢) فى المكية وبهامش الأصل نسخة : « فى المسند »

وعجمهم فى الجاهلية والاسلام ، إلا من احتالته الشياطين عن فطرته .

ثم عن السلف فى ذلك من الأقوال مالو جمع لبلغ مئين وألوفا .

ثم ليس فى كتاب الله ، ولا فى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا عن أحد من سلف الأمة : لا من الصحابة ، ولا من التابعين لهم باحسان ، ولا عن الأئمة الذين أدركوا زمن الأهواء والاختلاف : — حرف واحد يخالف ذلك ، لانصاً ولا ظاهراً . ولم يقل أحد منهم قط: إن الله ليس فى السماء ، ولا أنه ليس على العرش ، ولا أنه بذاته فى كل مكان . ولا أن جميع الأمكنة بالنسبة إليه سواء ، ولانه لاداخل العالم ولا خارجه ، ولا متصل ولا منفصل ، ولا أنه لاتجوز إليه الاشارة الحسية ، الأصابع ونحوها .

بل قد ثبت فى الصحيح عن جابر بن عبد الله « أن النبى صلى الله عليه وسلم لما خطب خطبته العظيمة ، يوم عرفات ، في أعظم مجمع حضره رسول الله صلى الله عليه وسلم — جعل يقول : ألا هل بَلَّغت ؟ فيقولون : نعم . فيرفع إصبعه إلى السماء وينكُتُها إليهم ، ويقول :اللهم اشهد » غير مرة . وأمثال ذلك كثير.

فان كان الحق مايقوله هؤلاء السالبون النافون للصفات الثابتة بالكتاب والسنة من هذه العبارات ونحوها ، دون مايفهم من الكتاب والسنة ، إما نصاً وإما ظاهراً ، فكيف يجوز على الله تعالى ، ثم على

رسوله صلى الله عليه وسلم ، ثم على خير الأمة : أنهم يتكلمون دائماً بما هو إما نص أو ظاهر فى خلاف الحق ؟! ثم الحق الذى يجب اعتقاده لا يبوحون به قط ، ولا يدلون عليه، لا نصا ولا ظاهراً، حتى تجىء أنباط الفرس والروم ، وفروخ اليهود والنصارى والفلاسفة يُبينون للأمة العقيدة الصحيحة ،التى يجب على كل مكلف ، أو كل فاضل أن يعتقدها؟!

لئن كان الحق مايقوله هؤلاء المتكلمون المتكلفون وهو الاعتقاد الواجب . وهم مع ذلك أحيلوا فى معرفته على مجرد عقولهم ، وأن يدفعوا بمقتضى قياس عقولهم مادل عليه الكتاب والسنة نصاً أو ظاهراً . لقد كان ترك الناس بلا كتاب ولا سُنة أهدَى لهم وأنفع ، على هذا التقدير.

بل كان وجود الكتاب والسنة ضرراً محضا فى أصل الدين

فإن حقيقة الأمر — على ما يقوله هؤلاء — : إنكم يامعشر العباد لا تطلبوا معرفة الله وما يستحقهُ من الصفات : نفيا وإثباتا ، لا من الكتاب ، ولا من السنة ، ولا من طريق سلف الأمة . ولكن انظروا أنتم ، فما وجدتموه مستحقا له من الصفات ، فصفوه به . سواء كان موجوداً فى الكتاب والسنة أو لم يكن . وما لم تجدوه مستحقاً له فى عقولكم فلا تصفوه به .

ثم هم ههنا فريقان : أكثرهم يقولون : مالم تثبته عقولكم فانفوه ، ومنهم من يقول : بل توقّفوا فيه ، وما نفاه قياس عقولكم الذى أنتم

فيه مختلفون ومضطر بون ـ اختلافاً أكثر من جميع اختلاف على وجه الأرض — فانفوه ، وإليه عند التنازع فارجعوا ، فانه الحق الذى تعبدتكم به ، وما كان مذكوراً فى الكتاب والسنة مما يخالف قياسكم هذا ، أو يثبت ما لم تدركه عقولكم على طريقة أكثرهم ، فاعلموا أنى امتحنتكم بتنزيله ، لا لتأخذوا الهدى منه ، لكن لتجتهدوا فى تخريجه على شواذ اللغة ، ووَحْشِيِّ الألفاظ ، وغرائب الكلام ، أوأن تسكتوا عنه مفوضين علمه إلى الله ، مع نفى دلالته على شىء من الصفات .

هذا حقيقة الأمر — على رأى هؤلاء المتكلمين .

وهذا الكلام قد رأيته صرح بمعناه طائفة منهم ، وهو لازم لجماعتهم لزوما لا محيد عنه .

ومضمونه : أن كتاب الله لا يُهتدَى به فى معرفة الله ، وأن الرسول معزول عن التعليم والإخبار بصفات من أرسله ، وأن الناس عند التنازع لا يردون ماتنازعوا فيه إلى الله والرسول ، بل إلى مثل ما كانوا عليه فى الجاهلية ، وإلى مثل ما يتحاكم إليه من لا يؤمن بالأنبياء ، كالبراهمة والفلاسفة . وهم المشركون والمجوس وبعض الصابئين ، وإن كان هذا الرَّدُّ لا يزيد الأمر إلا شدة ولا يرتفع الخلاف به ، إذ لكل فريق طواغيت يريدون أن يتحاكموا إليهم ، وقد أمروا أن يكفروا بهم !! .

وما أشبه حال هؤلاء المتكلفين بقوله سبحانه (ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أُنزِلَ إليك وما أُنزِلَ من قبلك يُريدون أن يتحاكموا إلى الطّاغوتِ وقد أُمِروا أن يكفروا به . ويريد الشيطان أن يُضِلَّهم ضَلالاً بعيداً . وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يَصُدُّون عنك صدوداً . فكيف إذا أصابتهم مُصيبة بما قدَّمَتْ أيديهم ثم جاءوك يحلفون بالله إن أرَدْنا إلا إحساناً وتَوفيقاً)(١)

فإن هؤلاء إذا دُعوا إلى ما أنزل الله من الكتاب وإلى الرسول — والدعاء إليه بعد وفاته : هو الدعاء إلى سنته — أعرضوا عن ذلك وهم يقولون : إنا قصدنا الإحسان علماً وعملا ، بهذه الطريق التى سلكناها ، والتوفيق بين الدلائل العقلية والنقلية .

ثم عامة هذه الشبهات التى يسمونها دلائل إنما تقلدوا أكثرها عن طاغوت من طواغيت المشركين والصابئين ، أو بعض ورثتهم الذين أُمروا أن يكفروا بهم : مثل فلان وفلان ، أو عمن قال كقولهم فى تشابه قلوبهم (فلا وَرَبِّكَ لا يُؤمنون ، حتى يُحَكِّموك فيما شَجَرَ بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حَرَجاً مما قَضَيْتَ ويُسَلِّموا تسليما(٢)) (كان الناس أُمَّةً واحدة ، فبعث الله النبيين مُبَشّرين ومُنذرين ، وأنزل معهم

---

(١) سورة النساء الآيات (٦٠ - ٦٢)

(٢) سورة النساء آية (٦٥)

الكتاب بالحق لِيَحْكُمَ بين الناس فيما اختلفوا فيه ، وما اختلفَ فيه إلا الذين أُوتُوه من بعد ما جاءتهم البَيِّنَاتُ بَغياً بينهم . فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه) (١) .

ولازم هذه المقالة : أن لا يكون الكتاب هُدًى للناس ولا بياناً ، ولا شفاء لما فى الصدور ، ولا نوراً ، ولا مَرَدًّا عند التنازع . لأنا نعلم بالاضطرار أن مايقول هؤلاء المتكلفون: إنه الحق الذى يجب اعتقاده ، لم يدل عليه الكتاب ، ولا السنة ، لا نصا ولا ظاهراً . و إنما غاية المتحذلق منهم أن يستنتج هذا من قوله تعالى : (لم يكن له كُفْواً أحد) (٢) (هل تعلم له سَمِيًّا ؟) (٣)

و بالاضطرار يعلم كل عاقل أن من دلَّ الخلقَ على أن الله ليس فوق العرش ولا فوق السموات، ونحو ذلك بقوله (هل تعلم له سَمِيا) لقد أبعد النُّجعة . وهو إما مُلْغِزٌ ، و إما مُدَلِّسٌ، لم يخاطبهم بلسان عربى مبين

ولازم هذه المقالة : أن يكون ترك الناس بلا رسالة خيراً لهم فى أصل دينهم ، لأن مَرَدَّهم قبل الرسالة و بعدها واحد . و إنما الرسالة زادتهم عمًى وضلالاً .

---

(١) سورة البقرة آية (٢١٣)
(٢) سورة قل هو الله أحد
(٣) سورة مريم آية (٦٥)

يا سبحان الله !! كيف لم يقل الرسول يوما من الدهر ، ولا أحد من سلف الأمة : هذه الآيات والأحاديث لا تعتقدوا ما دلت عليه ، لكن اعتقدوا الذى تقتضيه مقاييسكم ، واعتقدوا كذا وكذا ، فإنه الحق ، وما خالفه ظاهره فلا تعتقدوا ظاهره ، وانظروا فيها . فما وافق قياس عقولكم فاعتقدوه ، ومالا ، فتوقفوا فيه وانفوه ؟

• ثم الرسول صلى الله عليه وسلم قد أخبر بأن أمته ستفترق ثلاثاً وسبعين فرقة ، فقد علم ما سيكون . ثم قال « إنى تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا : كتاب الله » . وروى عنه أنه قال فى صفة الفرقة الناجية « هى من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابى » .

فهلا قال : من تمسك بالقرآن ، أو بدلالة القرآن ، أو بمفهوم القرآن ، أو بظاهر القرآن فى باب الاعتقاد فهو ضال ، وإنما الهدى فى رجوعكم إلى مقاييس عقولكم ، وما يحدثه المتكلمون منكم بعد القرون الثلاثة ؟ !

وإن كان نبغ أصل هذه المقالة فى أواخر عصر التابعين .

ثم أصل هذه المقالة — مقالة التعطيل للصفات — إنما هو مأخوذ عن تلامذة اليهود والمشركين ، وضُلاَّل الصابئين .

فأولُ من حُفظ عنه أنه قال هذه المقالة فى الإسلام : هو الجعدُ

ابن دِرْهَم ، فأخذها عنه الجَهْمُ بن صَفْوان (١) ، وأظهرها ، فنسبت مقالة الجهمية إليه .

وقد قيل : إن الجعد أخذ مقالته عن أبَان بن سَمعان ، وأخذها أبان من طالوت ابن أخت لَبِيد بن الأعْصَم ، وأخذها طالوت من لبيد ابن الأعصم اليهودى الساحر ، الذى سحر النبي صلي الله عليه وسلم .

ثم أطال الشيخ رحمه الله الكلام إلى أن قال :

« والفتوى لا تحتمل البسط فى هذا الباب ، وإنما أشير إشارة إلى مبادئ الأمور . والعاقل يسير فينظر ، وكلام السلف فى هذا الباب موجود فى كتب كثيرة ، لا يمكن أن نذكر هنا إلا قليلا منه »

إلى أن قال :

« وإذا كان أصل هذه المقالة — مقالة التعطيل والتأويل — مأخوذ عن تلامذة المشركين والصابئين واليهود ، فكيف تطيب نفس مؤمن ، بل نفس عاقل ، أن يأخذ سبيل هؤلاء المغضوب عليهم

---

(١) قال الذهبي : الجعد بن درهم ، مبتدع ضال . زعم أن الله لم يتخذ ابراهيم خليلا ولم يكلم موسى تكليما . فقتل على ذلك بالعراق يوم النحر والقصة مشهورة . والجهم : الضال المبتدع . رأس الجهمية . هلك فى زمان صغار التابعين . وما علمته روى شيئا . لكنه زرع شرا عظيما .

والضالين ، ويدع سبيل الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ؟!»

قال : « ثم القول الشامل فى جميع هذا الباب : أن يوصف الله بما وصف به نفسه ، أو وصفه به رسوله ، أو بما وصفه به السابقون الأولون لا يتجاوز القرآن والحديث »

قال الامام أحمد رضى الله عنه « لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه ، أو وصفه به رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يتجاوز القرآن والحديث »(١)

ومذهب السلف : أنهم يصفون الله بما وصف به نفسه ، وبما وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تكييف ولا تمثيل » .

ثم ذكر الشيخ رحمه الله جملا نافعة ، وأصولا جامعة فى إثبات الصفات والرد على الجهمية ، وذكر من النقول عن سلف الأمة وأئمتها فى إثبات العلو وغيره ما يضيق هذا الموضع عن ذكره

ثم قال فى آخر كلامه:

« وجماع الأمر : أن الأقسام الممكنة فى آيات الصفات وأحاديثها

---

(١) هذا الجملة : «قال الامام احمد الخ » . موجودة بهامش الأصل بالحبر الأحمر .

ستة أقسام ، كل قسم عليه طائفة من أهل القبلة ، قسمان يقولون : تُجْرَى على ظواهرها . وقسمان يقولون : هى على خلاف ظاهرها . وقسمان يسكتون .

أما الأولون فقسمان :

أحدهما : من يجريها على ظاهرها ، و يجعل ظاهرها من جنس صفات المخلوقين . فهؤلاء هم المشبهة . ومذهبهم باطل أنكره السلف ، و إليهم توجه الرد بالحق

والثانى : من يجريها على ظاهرها اللائق بجلال الله تعالى كما يجرى اسم «العليم» و «القدير» و «الرب» و «الاله» و «الموجود» و «الذات» ونحو ذلك على ظاهرها اللائق بجلال الله تعالى. فان ظواهر هذه الصفات فى حق المخلوقين إما جوهر مُحدَث ، و إما عرض قائم به . فالعلم والكلام والقدرة ، والمشيئة ، والرحمة، والرضا، ونحو ذلك فى حق العبد: أعراض والوجه ، واليد ، والعين فى حقه أجسام. فاذا كان الله موصوفا عند عامة أهل الاثبات بأن له علما وقدرة وكلاما ومشيئة ، و إن لم تكن أعراضا يجوز عليها ما يجوز على صفات المخلوقين ، جاز أن يكون وجه الله و يداه ليست أجساما يجوز عليها ما يجوز على صفات المخلوقين . وهذا هو المذهب الذى حكاه الخطابى وغيره عن السلف . وعليه يدل كلام جمهورهم وكلام الباقين لا يخالفه . وهو أمر واضح

فان الصفات كالذات ، فكما أن ذات الله ثابتة حقيقة ، من غير أن تكون من جنس صفات المخلوقين فصفاته ثابتة حقيقة من غير أن تكون من جنس صفات المخلوقين

فمن قال : لا أعقل علما ويداً إلا من جنس العلم واليد المعهودين

قيل له : فكيف تعقل ذاتا من غير جنس ذوات المخلوقين ؟ .

ومن المعلوم أن صفات كل موصوف تناسب ذاته . وتلائم حقيقته .

فمن لم يفهم من صفات الرب الذى ليس كمثله شيء إلا ما يناسب المخلوق فقد ضل فى عقله ودينه .

وما أحسن ما قال بعضهم : إذا قال لك الجهمى : كيف استوى ؟ وكيف ينزل إلى سماء الدنيا ؟ وكيف يداه ؟ ونحو ذلك .

فقل له : كيف هو فى نفسه ؟

فاذا قال : لا يعلم ماهو إلا هو ، وكُنهُ البارى غير معلوم للبشر .

فقل له : فالعلم بكيفية الصفة مستلزم للعلم بكيفية الموصوف . فكيف يمكن أن تعلم كيفية صفة لموصوف لم تعلم كيفيته ؟ و إنما تعلم الذات والصفات من حيث الجملة ، على الوجه الذى ينبغى لك

بل هذه المخلوقات فى الجنة قد ثبت عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : « ليس فى الدنيا مما فى الجنة إلا الأسماء » وقد أخبر الله تعالى أنه

﴿ لا تعلم نفسٌ ما أُخْفِيَ لهم من قُرَّةِ أَعْيُنٍ [(١)] ﴾ وقال النبي صلى الله عليه وسلم « يقول الله تعالى : أعددت لعبادى الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر [(٢)] »

فاذا كان نعيم الجنة — وهو خلق من خلق الله — كذلك ، فما الظن بالخالق سبحانه وتعالى؟!

وهـذه الروح التى فى بنى آدم ، قد علم العاقل اضطراب الناس فيها ، وإمساك النصوص عن بيان كيفيتها . أفلا يعتبر العاقل بها عن الـكلام فى كيفية الله تعالى ؟ مع أنا نقطع أن الروح فى البدن ، وأنها تخرج منه وتعرج إلى السماء، وأنها تُسَلُّ منه وقت النزع ، كما نطقت بذلك النصوص الصحيحة . لانُغَالى فى تجريدها غلوَّ المتفلسفة ومن وافقهم ، حيث نفوا عنها الصعود والنزول والاتصال بالبدن والانفصال عنه ، وتخبطوا فيها ، حيث رأوها من غير جنس البدن وصفاته . فعدم مماثلتها للبدن لاينفى أن تـكون هذه الصفات ثابتة لها بحسبها ، إلا أن يفسروا كلامهم بما يوافق النصوص ، فيكونوا قد أخطأوا فى اللفظ . وأنى لهم بذلك؟! .

وأما القسمان اللذان ينفيان ظاهرها ـ أعنى الذين يقولون : ليس.

---

(١) سورة السجدة آية (١٧)
(٢) رواه البخارى ومسلم عن أبى هريرة

لها فى الباطن مدلول هو صفة لله تعالى قط ، وأن الله لا صفة له ثبوتية بل صفاته إما سلب و إما إضافة ، و إما مركبة منهما . أو يثبتون بعض الصفات : وهى السبعة ، أو الثمانية ، أوالخمسة عشر ، أو يثبتون الأحوال دون الصفات ، على ما قد عرف من مذاهب المتكلمين ـ فهؤلاء قسمان

قسم يتأولونها و يعينون المراد ، مثل قولهم : استوى ، بمعنى : استولى ، أو بمعنى علو المكانة والقدرة ، أو بمعنى : ظهور نوره للعرش ، أو بمعنى انتهاء الخلق إليه . إلى غير ذلك من معانى المتكلفين

وَقسم يقولون : الله أعلم بما أراد بها ، لكن نعلم أنه لم يرد إثبات صفة خارجة عما علمناه .

وأما القسمان الواقفان فقسم يقولون : يجوز أن يكون المرادظاهرها اللائق بالله ، و يجوز أن لا يكون المراد صفة لله ، ونحو ذلك

وهذه طريقة كثير من الفقهاء وغيرهم

وقسم يمسكون عن هذا كله ، ولا يزيدون على تلاوة القرآن وقراءة الحديث ، معرضين بقلوبهم وألسنتهم عن هذه التقديرات

فهذه الأقسام الستة لا يمكن أن يخرج الرجل عن قسم منها

والصواب فى كثير من آيات الصفات وأحاديثها : القطع بالطريقة الثانية كالآيات والأحاديث الدالة على أنه سبحانه فوق عرشه ، و يُعلم طريق الصواب فى هذا وأمثاله بدلالة الكتاب والسنة والاجماع على

ذلك دلالة لا تحتمل النقيض ، وفى بعضها قد يغلب على الظن ذلك ، مع احتمال النقيض . وتردد المؤمن فى ذلك هو بحسب ما يؤتاه من العلم والايمان (ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور)

ومن اشتبه عليه ذلك أو غيره ، فليدع بما رواه مسلم فى صحيحه عن عائشة رضى الله عنها قالت « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قام من الليل يصلى يقول : اللهم ربَّ جبريل وميكائل وإسرافيل فاطرَ السموات والأرض ، عالم الغيب والشهادة ، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ، اهدنى لما اختُلِفَ فيه من الحق بإذنك، إنك تهدى من تشاء إلى صراط مستقيم » وفى رواية لأبى داود « أنه كان يكبر فى صلاته ، ثم يقول ذلك »

فاذا افتقر العبد إلى الله تعالى ودعاه ، وأدْمَن النظر فى كلام الله تعالى وكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكلام الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين انفتح له طريق الهدى .

ثم إن كان قد خَبر نِهايات إقدام المتفلسفة والمتكلمين فى هـذا الباب ، وعرف غالب ما يزعمونه برهاناً ، وهو شبهة . ورأى أن غالب ما يعتمدونه يَؤول إلى دعوى لا حقيقة لها ، أو شبهة مركبة من قياس فاسد ، أو قضية كلية لا تصح إلا جزئية ، أو دعوى إجماع لا حقيقة له ، والتمثيل فى المذهب ، والدليل بالألفاظ المشتركة .

ثم إن ذلك إذا ركب بألفاظ كثيرة طويلة غريبة عمن لم يعرف اصطلاحهم أوهمت الغِرَّ مايوهمه السَّراب للعطشان — : ازداد إيمانا وعلما بما جاء به الكتاب والسنة . فإن الضد يُظْهر حسنه الضدُّ . وكل من كان بالباطل أعلم كان للحق أشد تعظيما ، و بقدره أعرف .

فأما المتوسط من المتكلمين فيخاف عليه ما لا يخاف على من لم يدخل فيه . وعلى من قد أنهاه نهايته . فإن من لم يدخل فيه هو فى عافية . ومن أنهاه فقد عرف الغاية . فما بقى يُخاف عليه من شيء آخر. فإذا ظهر له الحق وهو عطشان إليه قبله ، وأما المتوسط فمتوهم بما يلقاه من المقالات المأخوذة ، تقليداً لمعظَّمه وتهويلا .

وقد قال الناس : أكثر ما يفسد الدنيا نصف متكلم ، ونصف متفقه ، ونصف متطبب ، ونصف نحوى . هذا يفسد الأديان ، وهذا يفسد البلدان ، وهذا يفسد الأبدان ، وهذا يفسد اللسان .

ومن علم أن المتكلمين من المتفلسفة وغيرهم فى الغالب فى قولٍ مختلف ، يُؤْفَكُ عنه من أُفِكَ . يعلم الذكى منهم العاقل أنه ليس هو فيما يقوله على بصيرة ، وأن حجته ليست ببينة ، وإنما هى كما قيل فيها :

حجج تَهافتُ كالزجاج ، تخالُها * حقا . وكلٌّ كاسر مكسور

ويعلم البصير العالم أنهم من وجه مستحقون ما قاله الشافعى رضى الله عنه حيث قال : « حكمى فى أهل الكلام أن يضربوا بالجريد والنعال ، ويُطافَ بهم فى القبائل والعشائر ، ويقال : هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة ، وأقبل على الكلام » .

ومن وجه آخر إذا نظرت إليهم بعين القدر ـ والحيرةُ مستولية عليهم ، والشيطان مستحوذ عليهم ـ رحمتهم ورفقت عليهم ، أوتوا ذكاء ، وما أوتوا زكاء[1] ، وأعطوا فهوما ، وما أعطوا علوما ، وأعطوا سمعاً وأبصاراً وأفئدة (فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شىء إذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاقَ بهم ما كانوا به يستهزئون) .

ومن كان عالما بهذه الأمور تبين له بذلك حِذق السلف ، وعلمهم ، وخبرتهم ، حيث حذروا عن الكلام ، ونهوا عنه ، وذموا أهله ، وعابوهم ، وعلم أن من ابتغى الهدى من غير الكتاب والسنة لم يزدد إلا بعداً . فنسأل الله العظيم أن يهدينا الصراط المستقيم صراط الذين أنعم عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين آمين .

---

(١) أى تزكية لقلوبهم وصفاء لها وطهارة

هـذا آخر الحموية الـكبرى ، وهى ست كراريس بقطع نصف البلدى (١) .

ألّفها الشيخ رحمه الله قبل سـنة سبعمائة . وعمره إذ ذاك دون الأربعين سنة .

ثم انفتح له بعد ذلك من الرد على الفلاسفة والجهمية وسائر أهل الأهواء والبدع ، ما لا يوصف ولا يعبر عنه ، وجرى له من المناظرات العجيبة والمباحثات الدقيقة ، فى كتبه وغير كتبه ، مع أقرانه وغيرهم ، فى سائر أنواع العلوم ما تضيق العبارة عنه

وقد ذكرنا عن ابن الزَّمِلكانى ـ فيما تقدم ـ أنه قال : ولا يُعرف ناظَر أحداً فانقطع معه

وقد رأيت بخط بعض أصحابه ما صورته :

تلخيص مبحث

جرى بين شيخ الإسلام تقى الدين ابن تيمية
رحمه الله و بين ابن المُرَحَّل (١)

كان الـكلام فى الحمد والشكر ، وأن الشكر يكون بالقلب واللسان والجوارح ، والحمد لا يكون إلا باللسان .

---

(١) وقد طبعت مراراً . آخرها بمكه سنة ١٣٥١

(٢) ابن المرحل هو صدر الدين بن الوكيل

فقال ابن المرحل : قد نقل بعض المصنفين — وسماه — : أن مذهب أهل السنة والجماعة : أن الشكر لا يكون إلا بالاعتقاد . ومذهب الخوارج : أنه يكون بالاعتقاد ، والقول ، والعمل ، و بنوا على هذا : أن من ترك الأعمال يكون كافرا . لأن الكفر نقيض الشكر، فإذا لم يكن شاكرا كان كافرا

قال الشيخ تقي الدين : هذا المذهب المحكى عن أهل السنة خطأ والنقل عن أهل السنة خطأ . فان مذهب أهل السنة : أن الشكر يكون بالاعتقاد ، والقول ، والعمل . قال الله تعالى (اعملوا آلَ داودَ شُكرًا)(١) وقام النبي صلى الله عليه وسلم حتى تورَّمت قدماه ، فقيل له : « أتفعل هذا ، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ قال : أفلا أكون عبدًا شكورًا »(٢)

قال ابن المرحل : أنا لا أتكلم فى الدليل ، وأسلِّم ضعفَ هذا القول ، لكن أنا أنقل أنه مذهب أهل السنة

قال الشيخ تقي الدين : نسبة هذا إلى أهل السنة خطأ ، فان القول إذا ثبت ضعفه ، كيف ينسب إلى أهل الحق ؟

ثم قد صرح من شاء الله من العلماء المعروفين بالسنة أن الشكر

---

(١) سورة سبأ آية (١٣)

(٢) رواه البخارى وغيره عن عائشة رضى الله عنها

يكون بالاعتقاد ، والقول ، والعمل ، وقد دلّ على ذلك الكتاب والسنة .

قلت : وباب سجود الشكر فى الفقه أشهر من أن يذكر ، وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم عن سجدة سورة (ص) « سجدها داود توبة ، ونحن نسجدها شكراً [(١)] » ثم مَنْ الذى قال من أئمة السنة : إن الشكر لا يكون إلا بالاعتقاد ؟

قال ابن المرحل : — هذا قد نقل ، والنقل لا يُمنع ، لكن يُستشكل . ويقال : هذا مذهب مشكل .

قال الشيخ تقى الدين بن تيمية : النقل نوعان . أحدهما : أن ينقل ماسمع أو رأى . والثانى : ما ينقل باجتهاد واستنباط . وقول القائل : مذهب فلان كذا ، أو مذهب أهل السنة كذا ، قد يكون نسبه إليه لاعتقاده أن هذا مقتضى أصوله ، وإن لم يكن فلان قال ذلك . ومثل هذا يدخله الخطأ كثيراً . ألا ترى أن كثيراً من المصنفين يقولون : مذهب الشافعى أو غيره كذا ، ويكون منصوصه بخلافه ؟ وعذرهم فى ذلك : أنهم رأوا أن أصوله تقتضى ذلك القول ، فنسبوه إلى مذهبه ،

---

(١) رواه أحمد والبخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى عن ابن عباس رضى الله عنهما .

من جهة الاستنباط ، لا من جهة النص ؟ . وكذلك هذا ، لما كان أهل السنة لا يكفرون بالمعاصى ، والخوارج يكفرون بالمعاصى . ثم رأى المصنف الكفر ضد الشكر — : اعتقد أنا إذا جعلنا الأعمال شكراً لزم انتفاء الشكر بانتفائها ، ومتى انتفى الشكر خَلَفه الكفر ، ولهذا قال : إنهم بنوا على ذلك : التكفير بالذنوب . فلهذا عَزى إلى أهل السنة إخراج الأعمال عن الشكر .

قلت : كما أن كثيراً من المتكلمين أخرج الأعمال عن الايمان لهذه العلة

قال : وهذا خطأ ، لأن التكفير نوعان : أحدهما : كفر النعمة . والثانى : الكفر بالله . والكفر الذى هو ضد الشكر : إنما هو كفر النعمة لا الكفر بالله . فاذا زال الشكر خلفه كفر النعمة ، لا الكفر بالله

(فاذا زال الشكر خلفه كفر النعمة ، لا الفكر بالله) الكفر

قلت : على أنه لو كان ضد الكفر بالله ، فمن ترك الأعمال شاكرا بقلبه ولسانه فقد أتى ببعض الشكر وأصله . والكفر إنما يثبت إذا عُدم الشكر بالكلية . كما قال أهل السنة : إن من ترك فروع الايمان لا يكون كافرا ، حتى يترك أصل الايمان . وهو الاعتقاد . ولا يلزم من زوال فروع الحقيقة — التى هى ذات شُعَب وأجزاء — زوال اسمها ، كالانسان ، إذا قطعت يده ، أو الشجرة ، إذا قطع بعض فروعها .

قال الصدر ابن المرحل : فان أصحابك قد خالفوا الحسن البصرى (١) فى تسمية الفاسق كافر النعمة ، كما خالفوا الخوارج فى جعله كافرا بالله .

قال الشيخ تقى الدين : أصحابى لم يخالفوا الحسن فى هذا ، فعَمَّن تنقل من أصحابى هذا ؟ بل يجوز عندهم أن يسمى الفاسق كافر النعمة ، حيث أطلقته الشريعة .

قال ابن المرحل : إنى أنا ظننت أن أصحابك قد قالوا هـذا ، لكن أصحابى قد خالفوا الحسن فى هذا .

---

(١) روى البخارى فى خوف المؤمن من أن يحيط عمله ، من كتاب الايمان . قال : ويذكر عن الحسن « ما خافه - أى النفاق - الا مؤمن ولا أمنه إلا منافق » وقد وصل كلام الحسن هذا : الامام جعفر الفريابى فى كتاب صفة المنافق ، له من طرق متعددة بألفاظ مختلفة . منها (ص ٦٣) حدثنا قتيبة حدثنا جعفر بن سليمان عن المعلى بن زياد سمعت الحسن يحلف فى هذا المسجد « بالله الذى لا إله إلا هو ما مضى مؤمن قط ولا بقى إلا وهو من النفاق مشفق ولا قضى منافق قط ولا بقى إلا وهو من النفاق آمن » وكان يقول « من لم يخف النفاق فهو منافق »

وكتاب صفة المنافق طبعناه فى مجموعة (من دفائن الكنوز) .

وقال الحافظ ابن حجر فى الفتح (ج ١ ص ٨٢) قال الامام أحمد فى كتاب الايمان : حدثنا روح بن عبادة حدثنا هشام سمعت الحسن يقول « والله ماضى مؤمن ولا بقى إلا وهو يخاف النفاق وما أمنه إلا منافق »

قال الشيخ تقى الدين : — ولا أصحابك خالفوه . فان أصحابك قد تأوّلوا أحاديث النبى صلى الله عليه وسلم التى أطلق فيها الكفر على بعض الفسوق — مثل ترك الصلاة (١) . وقتال المسلمين (٢) — : على أن المراد به كفر النعمة . فعلم أنهم يطلقون على المعاصى فى الجملة أنها كفر النعمة . فعلم أنهم موافقو الحسن ، لا مخالفوه .

ثم عاد ابن المرحل ، فقال : أنا أنقل هذا عن المصنف . والنقل ما يُمنع ، لكن يُستشكل .

قال الشيخ تقى الدين : إذا دار الأمر بين أن ينسب إلى أهل السنة مذهب باطل ، أو يُنسب الناقلُ عنهم إلى تصرفه فى النقل . كان نسبة الناقل إلى التصرف أولى من نسبة الباطل إلى طائفة أهل الحق . مع أنهم صرحوا فى غير موضع : أن الشكر يكون بالقول ، والعمل ، والاعتقاد . وهذا أظهر من أن ينقل عن واحد بعينه .

ثم إنا نعلم بالاضطرار أنه ليس من أصول أهل الحق : إخراج الأعمال أن تكون شكراً لله . بل قد نصّ الفقهاء على أن الزكاة شكر نعمة المال . وشواهد هذا أكثر من أن تحتاج إلى نقل .

وتفسير الشكر بأنه يكون بالقول والعمل فى الكتب التى يُتكلّم فيها على لفظ « الحمد » « والشكر » مثل كتب التفسير (١) ، واللغة ،

(١) كابن جرير وغيره فى تفسير سورة الفاتحة .

وشروح الحديث ، يعرفه آحاد الناس . والكتاب والسنة قد دلاَّ على ذلك .

فخرج ابن المرحل إلى شيء غير هذا ، فقال : — الحسن البصرى يسمى الفاسق منافقا ، وأصحابك لا يسمونه منافقا .

قال الشيخ تقى الدين له : بل يسمَّى منافقا النفاق الأصغر ، لا النفاق الأكبر . والنفاق يطلق على النفاق الأكبر ، الذى هو إضمار الكفر ، وعلى النفاق الأصغر ، الذى هو اختلاف السر والعلانية فى الواجبات .

قال له ابن المراحل : — ومن أين قلت : إن الاسم يطلق على هذا وعلى هذا ؟

قال الشيخ تقى الدين : — هذا مشهور عند العلماء . وبذلك فسروا قول النبى صلى الله عليه وسلم « آية المنافق ثلاث : إذا حدّث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا ائتُمِن خان [1] » وقد ذكر ذلك الترمذى وغيره . وحكوه عن العلماء

---

(١) رواه البخارى ومسلم عن أبى هريرة . وزاد مسلم فى رواية « وان صام وصلى وزعم أنه مسلم » وروى الترمذى عن ابن عمرو عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « أربع من كن فيه كان منافقا . وإن كانت

وقال غير واحد من السلف « كفرٌ دون كفر ، ونفاق دون نفاق ، وشرك دون شرك (١) »

وإذا كان النفاق جنسا تحته نوعان ، فالفاسق داخل فى أحد نوعيه .

قال ابن المرحّل : كيف تجعل النفاق اسم جنس ، وقد جعلته لفظا مشتركا ، وإذا كان اسم جنس كان متواطئا ، والأسماء المتواطئة غير المشتركة . فكيف تجعله مشتركا متواطئا ؟

قال الشيخ تقى الدين : أنا لم أذكر أنه مشترك . وإنما قلت : يطلق على هذا وعلى هذا ، والاطلاق أعمّ .

ثم لو قلت : إنه مشترك لكان الكلام صحيحا . فإن اللفظ الواحد قد يطلق على شيئين بطريق التواطؤ ، وبطريق الاشتراك . فأطلقت

فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : من إذا حدث كذب . وإذا وعد أخلف . وإذا خاصم فجر . وإذا عاهد غدر » قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح . وإنما معنى هذا عند أهل العلم : نفاق العمل . دائما كان نفاق التكذيب على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم . هكذا روى عن الحسن البصرى شىء من هذا .

(١) قال البخارى : باب كفران العشير ، وكفر دون كفر

لفظ النفاق على إبطان الكفر ، وإبطان المعصية ، تارة بطريق الاشتراك وتارة بطريق التواطؤ ، كما أن لفظ الوجود يطلق على الواجب والممكن ، عند قوم باعتبار الاشتراك ، وعند قوم باعتبار التواطؤ . ولهذا سمى مشككا .

قال ابن المرحل : — كيف يكون هذا ؟ وأخذ فى كلام لا يحسن ذكره .

قال له الشيخ تقى الدين : — المعانى الدقيقة تحتاج إلى إصغاء واستماع وتدبر . وذلك أن الماهيتين إذا كان بينهما قدر مشترك وقدر مميِّز ، واللفظ يطلق على كل منهما ، فقد يطلق عليهما باعتبار ما به تمتاز كل ماهية عن الأخرى . فيكون مشتركا كالاشتراك اللفظى . وقد يكون مطلقا باعتبار القدر المشترك بين الماهيتين . فيكون لفظا متواطئا

قلت : ثم إنه فى اللغة يكون موضوعا للقدر المشترك ، ثم يغلب عرف الاستعمال على استعماله : فى هذا تارة ، وفى هذا تارة . فيبقى دالا بعرف الاستعمال على ما به الاشتراك والامتياز . وقد يكون قرينة ، مثل لام التعريف ، أو الاضافة ، تكون هى الدالة على ما به الامتياز

مثال ذلك : اسم الجنس إذا غلب فى العرف على بعض أنواعه ، كلفظ الدابة ، إذا غلب على الفرس ، قد نطلقه على الفرس باعتبار القدر المشترك بينها وبين سائر الدواب . فيكون متواطئا . وقد نُطلقه باعتبار خصوصية الفرس ، فيكون مشتركا بين خصوص الفرس وعموم سائر الدواب ، ويصير استعماله فى الفرس : تارة بطريق التواطؤ ، وتارة بطريق الاشتراك . وهكذا اسم الجنس إذا غلب على بعض الأشخاص وصار علما بالغَلَبة . مثل ابن عُمر ، والنجم ، فقد نطلقه عليه باعتبار القدر المشترك بينه وبين سائر النجوم وسائر بنى عمر . فيكون إطلاقه عليه بطريق التواطؤ . وقد نطلقه عليه باعتبار ما به يمتاز عن غيره من النجوم ، ومن بنى عمر . فيكون بطريق الاشتراك بين هذا المعنى الشخصى و بين المعنى النوعى . وهكذا كل اسم عام غلب على بعض أفراده ، يصح استعماله فى ذلك الفرد بالوضع الأول العام ، فيكون بطريق التواطؤ بالوضع الثانى ، فيصير بطريق الاشتراك .

ولفظ « النفاق » من هذا الباب . فانه فى الشرع إظهار الدين و إبطان خلافه . وهذا المعنى الشرعى أخص من مسمى النفاق فى اللغة ، فانه فى اللغة أعم من إظهار الدين .

ثم إبطان ما يخالف الدين ، إما أن يكون كفرا أو فسقا . فإذا أظهر أنه مؤمن وأبطن التكذيب ، فهذا هو النفاق الأكبر الذى

أوعد صاحبه بأنه فى الدرك الأسفل من النار . وإن أظهر أنه صادق أو مُوف ، أو أمين ، وأبطن الكذب والغدر والخيانة ، ونحو ذلك . فهذا هو النفاق الأصغر الذى يكون صاحبه فاسقا .

فإطلاق النفاق عليهما فى الأصل بطريق التواطؤ

وعلى هذا ، فالنفاق اسم جنس تحته نوعان . ثم إنه قد يراد به النفاق فى أصل الدين ، مثل قوله (إن المنافقين فى الدرك الأسفل) و (إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون) والمنافق هنا : الكافر .

وقد يراد به النفاق فى فروعه ، مثل قوله صلى الله عليه وسلم « آية المنافق ثلاث » وقوله « أربع من كنَّ فيه كان منافقا خالصا » وقول ابن عمر : فيمن يتحدث عند الأمراء بحديث ، ثم يخرج فيقول بخلافه « كنا نعُدُّ هذا على عهد النبي صلى الله عليه وسلم نفاقا »

فإذا أردت به أحد النوعين ، فاما أن يكون تخصيصه لقرينة لفظية ، مثل لام العهد ، والأضافة . فهذا لا يخرجه عن أن يكون متواطئا ، كما إذا قال الرجل : جاء القاضى ، وعَنى به قاضى بلده ، لكون اللام للعهد . كما قال سبحانه (فعصَى فرعونُ الرسولا) إن اللام هى أوجبت قصر الرسول على موسى ، لا نفس لفظ « رسول » .

وإما أن يكون لغلبة الاستعمال عليه ، فيصير مشتركا بين اللفظ العام والمعنى الخاص . فكذلك قوله (إذا جاءك المنافقون) فإن تخصيص هذا اللفظ بالكافر إما أن يكون لدخول اللام التى تفيد العهد . والمنافق المعهود : هو الكافر ، أو تكون لغلبة هذا الأسم فى الشرع على نفاق الكفر . وقوله صلى الله عليه وسلم « ثلاث من كنّ فيه كان منافقا » يعنى به منافقا بالمعنى العام ، وهو إظهاره من الدين خلاف ما يُبطن .

فإطلاق لفظ «النفاق» على الكافر وعلى الفاسق إن أطلقته باعتبار ما يمتاز به عن الفاسق . كان إطلاقه عليه وعلى الفاسق باعتبار الاشتراك . وكذلك يجوز أن يراد به الكافر خاصة . ويكون متواطئا إذا كان الدال على الخصوصية غير لفظ « منافق » ، بل لام التعريف .

وهذا البحث الشريف جار فى كل لفظ عام استعمل فى بعض أنواعه ، إما لغلبة الاستعمال ، أو لدلالة لفظية خصته بذلك النوع . مثل تعريف الإضافة ، أو تعريف اللام . فإن كان لغلبة الاستعمال صحّ أن يقال : إن اللفظ مشترك . وإن كان لدلالة لفظية كان اللفظ باقيا على مواطأته .

فلهذا صح أن يقال « النفاق » اسم جنس تحته نوعان . لكون اللفظ فى الأصل عاما متواطئا .

وصح أن يقال : هو مشترك بين النفاق فى أصل الدين ، و بين مطلق النفاق فى الدين . لكونه فى عرف الاستعمال الشرعى غلب على نفاق الكفر .

بحث ثان جرى

إن الحمد والشكر بينهما عموم وخصوص .

فالحمد أعم من جهة أسبابه التى يقع عليها ، فانه يكون على جميع لصفات ، والشكر لايكون إلا على الاحسان . والشكر أعم من جهة مابه يقع ، فانه يكون بالاعتقاد ، والقول ، والفعل . والحمد يكون بالفعل أو بالقول ، أو بالاعتقاد .

أورد الشيخ الامام زين الدين ابن المنجّى الحنبلى : أن هذا الفرق إنما هو من جهة متعلق الحمد والشكر ، لأن كونه يقع على كذا و يقع بكذا خارج عن ذاته . فلا يكون فرقا فى الحقيقة . والحدود إنما يُتعرض فيها لصفات الذات ، لا لما خرج عنها .

فقال شيخ الاسلام تقى الدين ابن تيمية : —

المعانى على قسمين : مفردة، ومضافة. فالمعانى المفردة : حدودها لاتوجد فيها بتعلقاتها . وأما المعانى الاضافية فلا بد أن يوجد فى حدودها تلك الاضافات . فانها داخلة فى حقيقتها . ولا يمكن تصورها إلا بتصور تلك المتعلقات ، فتكون المتعلقات جزءا من حقيقتها . فتعين ذكرها فى الحدود .

والحمد والشكر معينان [(١)] بالمحمود عليه والمشكور عليه . فلا يتم حقيقتهما ذكر إلا بذكر متعلقهما . فيكون متعلقهما داخلا فى حقيقتهما .

فاعترض الصدر ابن المرحّل : بأنه ليس للمتعلِّق من المتعلَّق صفة ثبوتية . فلا يكون للحمد والشكر من متعلَّقهما صفة ثبوتية . فان المتعلق [(٢)] صفة نسبية . والنسب أمور عدمية . و إذا لم تكن صفة ثبوتية لم تكن داخلة فى الحقيقة . لأن العدم لايكون جزءا من الوجود .

فقال الشيخ تقى الدين : قولك : ليس للمتعلق من المتعلق صفة ثبوتية . ليس على العموم . بل قد يكون للمتعلق من المتعلق صفة ثبوتية ، وقد لايكون . و إنما الذى يقوله أكثر المتكلمين : ليس لمتعلق القول من القول صفة ثبوتيه .

ثم الصفات المتعلقة نوعان : أحدهما : إضافة محضة . مثل الأبوة والبنوة ، والفوقية ، والتحتية ، ونحوها . فهذه الصفة هى التى يقال فيها : هى مجرد نسبة و إضافة . والنسب أمور عدمية . والثانى صفة ثبوتية مضافة إلى غيرها ، كالحب والبغض ، والإرادة والكراهة ، والقدرة ، وغير ذلك من الصفات ، فان الحب صفة ثبوتية متعلقة بالمحبوب . فالحب

---

(١) بهامش الأصل : لعله « متعلقان »

(٢) بهامش الأصل : لعله « التعلق »

معروض للاضافة ، بمعنى أن الاضافة صفة عرضت له . لا أن نفس الحب هو الاضافة . ففرق بين ما هو إضافة و بين ما هو صفة مضافة . فالاضافة يقال فيها : إنها عدمية . قال : وأما الصفة المضافة فقد تكون ثبوتية ، كالحب .

قال ابن المرحل : الحب أمر عدمى . لأن الحب نسبة . والنسب عدمية .

قال الشيخ تقى الدين : كون الحب والبغض والارادة والكراهة أمراً عدميا باطل . بالضرورة . وهو خلاف إجماع العقلاء

ثم هو مذهب بعض المعتزلة فى إرادة الله . فانه زعم أنها صفةٌ سلبية . بمعنى أنه غير مغلوب ولا مستكره . وأطبق الناس على بطلان هذا القول . وأما إرادة المخلوق وحبُّه و بُغْضُهُ فلم نعلم أحداً من العقلاء قال : إنه عدمى .

فأصر ابن المرحل ، على أن الحبّ — الذى هو مَيْل القلب إلى المحبوب — أمر عدمى . وقال : المحبة : أمر وجودى .

قال الشيخ تقى الدين : — المحبة هى الحب . فانه يقال : أحبه وحبه حبا ومحبة . ولا فرق . وكلاهما مصدر .

قال ابن المرحل : وأنا أقول : إنهما إذا كانا مصدرين فهما أمر عدمى .

قال له الشيخ تقى الدين : الكلام إذا انتهى إلى المقدمات الضرورية فقد انتهى وتمَّ . وكون الحب والبغض أمراً وجوديا معلوم بالاضطرار . فان كل أحد يعلم أن الحى إن كان خاليا عن الحب كان هذا الخلو صفة عدمية . فاذا صار محبا ، فقد تغير الموصوف وصار له صفة ثبوتية زائدة على ما كان قبل أن يقوم به الحب . ومن يحس ذلك من نفسه يجده ، كما يجد شهوته ونفرته ورضاه وغضبه ولذته وألمه

ودليل ذلك : أنك تقول : أحب يحب محبة . ونقيض أحب : لم يحب . ولم يحب : صفة عدمية . ونقيض العدم الاثبات

قال ابن المرحل : هذا ينتقض بقولهم : امتنع يمتنع . فان نقيض الامتناع : لا امتناع . وامتناع صفة عدمية .

قال الشيخ تقى الدين : الامتناع أمر اعتبارى عقلى . فان الممتنع ليس له وجود خارجى . حتى تقوم به صفة . وإنما هو معلوم بالعقل . وباعتبار كونه معلوما له ثبوت علمى . وسلب هذا الثبوت العلمى : عدم هذا الثبوت : فلم ينقض هذا قولنا : نقيض العدم ثبوت ، وأما الحبُّ فانه صفةٌ قائمةٌ بالمحبِّ . فانك تشير إلى عينٍ خارجةٍ ، وتقول : هذا الحىُّ

صار مُحِبًّا بعد أن لم يكن محبا . فتخبر عن الوجود الخارجى . فإذا كان نقيضها عدماً خارجيا ، كانت وجودا خارجيا .

وفى الجملة : فكونُ الحبّ والبغض صفةً ثبوتيةً وجودية معلوم بالضرورة . فلا يُقبل فيه نزاع ولا يُناظَر صاحبه إلا مناظرة السُّوفَسْطائِيَّة .

قلت : وإذا كان الحب والبغض ونحوهما من الصفات المضافة المتعلقة بالغير : صفات وجودية . وظهر الفرق بين الصفات التى هى إضافة ونسبة . و بين الصفات التى هى مضافة منسو بة . فالحمد والشكر من القسم الثانى . فان الحمد أمر وجودى متعلق بالمحمود عليه . وكذلك الشكر أمر وجودى متعلق بالمشكور عليه . فلا يتم فهم حقيقتهما إلا بفهم الصفة الثبوتية لهما التى هى متعلقة بالغير . وتلك الصفة داخلة فى حقيقتهما . فاذا كان متعلق أحدهما أكبر من متعلق الآخر ، وذلك التعلق إنما هو عارض لصفة ثبوتية لهما . وجب ذكر تلك الصفة الثبوتية فى ذكر حقيقتهما .

والدليل على هذا : أن من لم يفهم الاحسان امتنع أن يفهم الشكر . فعلم أن تصور متعلق الشكر داخل فى تصور الشكر .

قلت : ولو قيل : إنه ليس هذا إلا أمراً عدميا . فالحقيقةُ إن

كانت مركبةً من وجود وعدم ، وجب ذكرهما فى تعريف الحقيقة . كما أن من عرَّف الأب ، من حيث هو أبٌ . فان تصوره موقوفٌ على تَصَوُّر الأبوة ، التى هى نسبةٌ وإضافة . وإن كان الأب أمراً وجوديا

فالحمد والشكر متعلقان بالمحمود عليه والمشكور عليه . وإن لم يكن هذا المتعلق عارضاً لصفةٍ ثبوتية . فلا يُفْهم الحمد والشكر إلا بِفَهْمِ هذا المتعلق . كما لا يُفهم معنى الأبِ إلا بفهم معنى الأبوة ، الذى هو التعلق . وكذلك الحمد والشكر أمران متعلقان بالمحمود عليه والمشكور عليه .

وهذا التعلق جزء من هذا المسمى . بدليل أن من لم يفهم الصفات الجميلة لم يفهم الحمد . ومن لم يفهم الاحسان لم يفهم الشكر .

فاذا كان فهمهما موقوفا على فهم متعلَّقهما ، فوقوفه على فهم التعلق أولى . فان التعلق فرع على المتعلق . وتَبعٌ له . فاذا توقف فهمهما على فهم المتعلق الذى هو أبعد عنهما من التعلق . فتوقُّفه على فهم التعلق أولى . وإن كان التعلقُ أمراً عدميا . والله أعلم

قال له الشيخ تقى الدين بن تيمية : — قوله : (وأحلَّ اللهُ البيعَ[١])

قد أتبع بقوله (وحرَّم الربا) وعامة أنواع الربا يسمى بيعا . والربا — وإن كان اسما مجملا — فهو مجهول . واستثناء المجهول من المعلوم يوجب جهالة المستثنى فيبقى المراد إحلال البيع الذى ليس بربا . فما لم يثبت أن الفرد المعين ليس بربا لم يصح إدخاله فى البيع الحلال . وهذا يمنع دعوى العموم . وإن كان الربا اسما عاما فهو مستثنى من البيع أيضاً . فيبقى البيع لفظا مخصوصاً . فلا يصح ادعاء العموم على الاطلاق .

قال ابن المرحَّل : — هذا من باب التخصيص . وهنا عمومان تعارضا ، وليس من باب الاستثناء . فانَّ صيغ الاستثناء معلومة . وإذا كان هذا تخصيصا لم يُمنع ادِّعاء العموم فيه

قال الشيخ تقى الدين : — هذا كلام متصل بعضه ببعض ، وهو من باب التخصيص المتصلِ . وَتُسَمِّيهِ الفقهاء استثناء ، كقوله : له هذه الدارُ ولى منها هذا البيتُ . فانَّ هذا بمنزلة قوله : إلا هذا البيت . وكذلك لو قال : أكرمْ هؤلاء القومَ . ولا تُكرمْ فلاناً . وهو منهم . كان بمنزلة قوله : إلا فلاناً . وإذا كان كذلك صار بمنزلة قوله : أحل الله البيع إلا ما كان منه رباً

---

(١) سورة البقرة آية . (٢٧٥)

فمن ادعى بعد هذا أنه عام فى كل ما يسمى بيعا فهو مخطئ .

قال ابن المرحّل : ــ أنا أُسلِّم أنه إنما هو عام فى كل بيع لا يسمى ربا .

قال له الشيخ تقى الدين : — وهذا كان المقصود . ولكن بطل بهذا دعوى عمومه على الاطلاق . فانَّ دَعْوى العموم على الاطلاق ينفى دعوى العموم فى بعض الأنواع دون بعض . وهذا كلامٌ بَيِّنٌ

وادَّعَى مُدَّعٍ : أن فيه قولين . أحدهما : أنه عام مخصوص والثانى : أنه عموم مراد .

فقال الشيخ تقى الدين : — فان دعوى أنه عموم مراد : باطل قطعا ، فانَّا نعلمُ أن كثيرا من أفراد البيع حرامٌ .

فاعترض ابن المرحل : بان تلك الأفراد حُرِّمت بعد ما أُحِلَّت . فيكون نسخاً

قال الشيخ تقى الدين : — فيلزم من هذا أن لا نُحَرِّمَ شيئاً من البيوع بخبر واحدٍ . ولا بقياس . فان نسخ القرآن لا يجوز بذلك . وإنما يجوز تخصيصه به . وقد اتفق الفقهاء على التحريم بهذه الطريقة

قال ابن المرحل : ــ رجعتُ عن هذا السؤال ، لكن أقول هو عموم مراد فى كل ما يُسَمَّى بيعاً فى الشرع . فان البيع من الأسماء المنقولة إلى كل بيع صحيح شرعى .

قال الشيخ تقى الدين : — البيع ليس من الأسماء المنقولة : فان مُسَمّاه فى الشرع والعُرْفِ هو المسمى اللغوى ، لكن الشارع اشترط لحِلِّه وصحته شروطا . كما قد كان أهل الجاهلية لهم شروط أيضا بحسب اصطلاحهم . وهكذا سائر أسماء العقود ، مثل الاجارة والرّهن ، والهبةِ ، والقرْض ، والنِّكاح . إذا أريدَ به العقد وغير ذلك — : هى باقية على مسمياتها . والنقل إنما يُحتاج إليه إذا أحدث الشارع معانىَ لم تكن العربُ تعرفها . مثل الصلاةِ والزكاة ، والتيمم . فحينئذ يحتاج إلى النقل . ومعانى هذه العقود ما زالت معروفة .

قال ابن المرحل : — أصحابى قد قالوا : إنها منقولة .

قال الشيخ تقى الدين : — لو كان لفظ البيع فى الآية المراد به البيع الصحيح الشرعى لكان التقدير : أحلّ الله البيع الصحيح الشرعى . أو أحل الله البيع الذى هو عنده حلال . وهذا — مع أنه مكرر — فانه يمنع الاستدلال بالآية . فانّا لانعلم دخول بيع من البيوع فى الآية حتى نعلم أنه بيع صحيح شرعى . ومتى علمنا ذلك استغنينا عن الاستدلال بالآية .

قال ابن المرحّل : — متى ثبتَ أنّ هذا الفرد يُسَمّى بيعاً فى اللغة قلت : هو بيع فى الشرع . لأن الأصل عدم النقل . وإذا كان بيعاً فى الشرع دخل فى الآية .

قال الشيخ تقى الدين : — هذا إنما يصح لو لم يثبت أن الاسم منقول أما إذا ثبت أنه منقول . لم يصح إدخالُ فردٍ فيه . حتى يثبت أن الاسم المنقول واقع عليه . و إلا فيلزم من هذا أن كل ما سُمِّى فى اللغة صلاة ، وزكاة ، وتيمما ، وصوما ، و بيعا ، و إِجارة ، ورَهْناً . أنه يجوز إدخاله فى المسمى الشرعى ، بهذا الاعتبار . وعلى هذا التقدير : فلا يبقى فرق بين الأسماء المنقولة وغيرها . وإِنما يقال : الأصل عدم النقل ، إذا لم يثبت . بل متى ثبت النقل فالأصل عدم دخول هذا الفرد فى الاسم المنقول ، حتى يثبت أنه داخل فيه بعد النقل .

فلنتأمل هذه الأبحاث الثلاثة وكل مافيها

قلت : فانه من كلام الشيخ تقى الدين قرره بعد المناظرة .

***

وقال الحافظ أبو عبد الله الذهبى ، فى أثناء كلامه فى ترجمة الشيخ رحمه الله : —

وله باع طويل فى معرفة مذاهب الصحابة والتابعين . وقل أن يتكلم فى مسألة إلا و يذكر فيها مذاهب الأربعة . وقد خالف الأربعة فى مسائل معروفة . وصنف فيها . واحتج لها بالكتاب والسنة

ولما كان مُعْتَقَلا بالاسكندرية التمس منه صاحب سِبتة أن يجيز له مرويَّاته ، ويَنُصَّ على أسماء جملة منها . فكتب فى عشر ورقات جملة من ذلك بأسانيدها من حفظه ، بحيث يعجز أن يعمل بعضه أكبر مُحَدِّث .

وله الآن عدة سنين لا يفتى بمذهب مُعَيَّن ، بل بما قام عليه الدليل عنده .

ولقد نصر السنة المحضة . والطَّريقة السلفيَّة . واحتجَّ لها ببراهين ، ومقدمات ، وأمور لم يُسْبق إليها .

وأطلق عبارات أحْجَم عنها الأولون والآخرون . وهابوا، وجسر هو عليها، حتى قام عليه خلق من علماء مصر والشأم ، قياما لا مزيد عليه ، وبَدَّعوه . وناظروه ، وكابروه ، وهو ثابتٌ لا يُداهن ولا يُحابى ، بل يقول الحقَّ المرَّ الذى أدَّاه إليه اجتهاده ، وحِدَّةُ ذِهنه ، وَسَعة دائرته فى السنَن والأقوال

مع ما اشتهر عنه من الورع ، وكمال الفكرة ، وسُرعة الادراك ، والخوف من الله ، والتعظيم لحرمات الله

فجرى بينه وبينهم حَملات حَرْبيَّة ، ووقائع شامِيَّة ومِصْريَّة .

وكم من نوبة قد رموه عن قوس واحدة فيُنَجِّيه الله

فانه دائم الابتهال ، كثير الاستغاثة ، قويّ التوكل ، ثابت الجأش . له أوراد وأذ كار يُدْمِنُهَا بكيفية وَجَمِعيّة

وله من الطرف الآخر محبون من العلماء والصلحاء . ومن الجند والأمراء ، ومن التجار والكبراء . وسائِرُ العامة تحبه ، لأنه منتصب لنفعهم ليلا ونهارا بلسانه وقلمه .

وأما شجاعته فبها تُضْرَبُ الأمثال . وببعضها يتشبه أكابر الأبطال .

فلقد أقامه الله فى نَوْبَةِ غازان . والتقى أعباء الأمر بنفسه . وقام وقعد وطلع وخرج . واجتمع بالملك مرتين ، وبقَطْلُوشاه ، وببُولاى . وكان قَبْجَق يتعجب من إقدامه وجرأته على المغُول .

وله حِدَّة قوية تعتريه في البحث ، حتى كأنه ليث حَرِب .

وهو أكبر من أن ينبه مثلى على نعوته . فلو حلفت بين الرُّكن والمقام لحلفت أنّى ما رأيتُ بعينى مثلهُ ، ولا والله ما رأى هو مثل نفسه فى العلم .

قلت : ما فعله الشيخ رحمه الله فى نوبة غازان من جميع أنواع الجهاد ، وسائر أنواع الخير : من إنفاق الأموال . و إطعام الطعام ، ودفن الموتى ، وغير ذلك : معروف مشهور .

٧٠٠

ثم بعد ذلك بعام ، سنة سبعمائة لما قدم التتّار إلى أطراف البلاد ، وبقى الخلق فى شِدَّةٍ عظيمة ، وغَلَب على ظنهم أن عسكر مصر قد تخلّوا عن الشام ، ركب الشيخ ، وسار على البريد إلى الجيش المصرى فى سبعة أيام . ودخل القاهرة فى اليوم الثامن : يوم الاثنين حادى عشر جمادى الأولى ، وأطلاب[1] المصريين داخلة . وقد دخل السلطان الملك الناصر . فاجتمع بأركان الدولة ، واستَصْرَخَ بهم وحَضَّهم على الجهاد . وتلا عليهم الآيات والأحاديث . وأخبرهم بما أعدَّ الله للمجاهدين من الثواب . فاستفاقوا ، وقويت هممهم . وأبدُوا له العذر فى رجوعهم ، مما قاسوا من المَطَرِ والبَرْد منذ عشرين . ونُودى بالغزاة . وقوى العزم . وعظَّمُوه . وأكرموه . وتردد الأعيان إلى زيارته .

واجتمع به فى هذه السنة الشيخ تقى الدين بن دقيق العيد . وسمع كلامه . وذكر أنهم سألوه بعد انقضاء المجلس فقال : هو رجل حُفَظَة .

قيل له : فهَلَّا تكلمتَ معه ؟ فقال : هذا رجل يحب الكلام . وأنا أحب السكوت .

ولقد أخبرنى الذهبى عن الشيخ رحمه الله أنه أخبره أن ابن دقيق العيد قال له بعد سماع كلامه : ما كنت أظن أن الله بقى يخلق مثلك .

---

(١) كذا بأصله

وفى اليوم السابع والعشرين من شهر جمادى المذكور وصل الشيخ إلى دمشق على البريد .

وكتب فى هذه الحادثة كتاباً . وصورته هذا :

صورة كتاب

كتبه شيخ الاسلام ، علامة الزمان ، تقى الدين ، أبو العباس : أحمد بن تيمية ، رحمه الله ورضي عنه :

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى من يصل إليه من المؤمنين والمسلمين .

سلام الله عليكم ورحمة الله و بركاته ، فانا نحمد إليكم الله الذى لا إله إلا هو ، وهو للحمد أهل ، وهو على كل شىء قدير ، ونسأله أن يصلى على صفوته من خليقته ، وخيرته من بَرِيَّته ، محمدٍ عبده ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليما .

أما بعد : فقد صدق الله وعده ، ونصر عبده ؛ وأعزّ جنده ؛ وهزم الأحزاب وحده ؛ (وردّ الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا ، وكفى الله المؤمنين القتال ، وكان الله قوياً عزيزاً[١]) والله تعالى يحقق لنا تمام

---

(١) سورة الأحزاب آية :(٢٥)

الكلام بقوله : (وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف فى قلوبهم الرُّعب فريقاً تقتلون وتأسرون فريقاً ، وأورثكم أرضهم وديارهم ، وأموالهم ، وأرضاً لم تطأوها وكان الله على كل شىء قديراً)[١].

فان هذه الفتنة التى ابتُلِىَ بها المسلمون مع هذا العدوّ المفسد ، الخارج عن شريعة الاسلام . قد جرى فيها شبيه ماجرى المسلمين مع عدوهم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المغازى التى أنزل الله فيها كتابه ، وابتلى بها نبيّه والمؤمنين : ماهو أسوة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا إلى يوم القيامة ، فان نصوص الكتاب والسنة ، اللذين هما دعوة محمد صلى الله عليه وسلم ، يتناولان عموم الخلق بالعموم اللفظى والمعنوىّ ، أو بالعموم المعنوى . وعهود الله فى كتابه وسنة رسوله تنال آخر هذه الامة ، كما نالت أولها . وإنما قصّ الله علينا قصص مَنْ قبلنا من الأمم ، لتكون عِبْرة لنا . فنُشَبِّه حالنا بحالهم ، ونقيس أواخر الأمم بأوائلها . فيكون للمؤمن من المتأخرين شَبَهٌ بما كان المؤمن من المتقدمين . ويكون للكافر والمنافق من المتأخرين شَبَهٌ بما كان

---

(١) سورة الأحزاب : آية (٢٦)

للكافر والمنافق من المتقدمين. كما قال تعالى لما قصَّ قصة يوسف مُفَصَّلَة، وأجمل ذكر قصص الأنبياء. ثم قال: (لقد كان في قَصَصِهم عِبْرَةٌ لأولى الألباب. ما كان حَدِيثًا يُفْتَرَى [1]) أي هذه القصص المذكورة في الكتاب ليست بمنزلة ما يفترى من القصص المكذوبة، كنحو مايذكر في الحروب، وفي السِّيَر المكذوبة.

وقال تعالى، لما ذكر قصة فرعون: (فأخذه الله نكالَ الآخرةِ والأولَى. إن في ذلكَ لعبْرة لمن يخشى [2])

وقال في سيرة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم مع أعدائه ببدْر وغيرها (قد كان لكم آيةٌ في فِئَتَيْن الْتَقَتَا: فِئَةٌ تقاتل في سبيل الله وأُخْرَى كافرة يَرَوْنَهم مِثْلَيهِمْ رأىَ العَين والله يُؤَيِّدُ بنصرِه مَنْ يشاء إن في ذلك لَعِبْرَةً لأولى الأبْصار [3])

وقال تعالى في محاصرته لبني النَّضِير (هو الَّذي أخْرَجَ الَّذين كفروا من أهْلِ الكتاب من ديارِهم لِأَوَّلِ الحَشْر ما ظَنَنْتُمْ أنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أنَّهم مانِعَتُهُم حُصُونُهم مِنَ الله فأتَاهم اللهُ مِنْ حَيْثُ لم

---

(٢) سورة يوسف آية: (١١١)

(٢) سورة النازعات آية (٢٥، ٢٦)

(٣) سورة آل عمران آية (١٣)

يحتسبوا وقذف فى قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين . فاعتبروا ياأولى الأبصار)[١]

فأمرنا أن نعتبر بأحوال المتقدمين علينا من هذه الأمة ، وممن قبلها من الأمم

وذكر فى غير موضع : أن سنته فى ذلك سنة مطردة . وعادته مستمرة

فقال تعالى : (لئن لم ينته المنافقون والذين فى قلوبهم مرض والمرجفون فى المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلا . ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا . سنة الله فى الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا)[٢]

وقال تعالى (ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الأدبار ثم لا يجدون وليا ولا نصيراً . سنة الله التى قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا)[٣]

وأخبر سبحانه أن دأب الكافرين من المستأخرين كدأب

---

(١) سورة الحشر آية (٢)

(٢) سورة الاحزاب الآيات (٦٠، ٦١، ٦٢)

(٣) سورة الفتح آية (٢٢، ٢٣)

الـكافرين من المستقدمين (١)

فينبغى للعقلاء أن يعتبروا بسنة الله وأيامه فى عباده . ودأب الأمم وعاداتهم ، لاسيما فى مثل هذه الحادثة العظيمة التى طبَّق الخافقين خبرها ، واستطار فى جميع ديار الاسلام شررها ، وأطلع فيها النفاق ناصيةَ رأسه ، وكشَر فيها الـكفر عن أنيابه وأضراسه ، وكاد فيه عمود الـكتاب أن يُجْتَث ويُخْتَرَمَ . وحبل الايمان أن ينْقَطِع ويُصْطَلَمَ . وعُقْرُ دار المؤمنين أن يَحُلَّ بها البوار . وأن يزول هذا الدين باستيلاء الفَجَرة التَّتار . وظنَّ المنافقون والَّذين فى قلوبهم مرضٌ أنَّ ماوعدهم الله ورسوله إلا غرورا . وأنْ لَنْ يَنْقَلِبَ حزبُ الله ورسوله إلى أهليهم أبدا وزُيِّنَ ذلك فى قلوبهم وظَنُّوا ظَنَّ السَّوْء وكانو قوماً بوراً . ونزلت فتنةٌ تركت الحليمَ فيها حيرَان . وأنزلتِ الرجُلَ الصاحىَ منزلةالسكران . وتركت الرجل اللبيب لـكثرة الوسواس ليس بالنائم ولا اليقظان . وتناكرت فيها قلوب المعارف والاخوان ، حتى بقى للرجل بنفسه شغل عن أن يُغيث اللهفان . وميز الله فيها أهل البصائر والايقان . من الذين فى قلوبهم مرضٌ أونفاق وضعف إيمان . ورفعَ بها أقواماً إلى الدرجات

(١) فقال فى سورة آل عمران آية (١١) والانفال آية (٥٤) (كدأب آل فرعون والذين من قبلهم)

العالية : كما خفض بها أقواماً إلى المنازل الهاوِيَة . وكفَّر بها عن آخرين أعمالهم الخاطئة . وحَدَثَ من أنواع البَلْوى ماجعلها قيامة مختصرة من القيامة الكبرى .

فان الناس تَفَرَّقوا فيها مابين شَقِيٍّ وسعيد . كما يتفرقون كذلك فى اليوم الموعود . وفرّ الرجل فيها من أخيه وأمِّه وأبيه . إذ كان لكل امرىء منهم شأن يغنيه . وكان من الناس مَنْ أقصى همته النجاةُ بنفسه ، لا يَلْوِى على ماله ولا ولده ولا عُرْسه . كما أن منهم من فيه قوة على تخليص الأهل والمال . وآخر فيه زيادة معونة لمن هو منه ببال . وآخر منزلته منزلة الشفيع المطاع . وهم درجات عند الله فى المنفعة والدفاع . ولم تنفع المنفعة الخالصة من الشكوى إلا الإيمان والعمل الصالح . والبر والتقوى . وبُلِيَتْ فيها السرائر . وظهرت الخبايا التى كانت تكتمها الضمائر . وتبَيَّن أن البَهْرَج من الأقوال والأعمال يخون صاحبه أحوج ما كان إليه فى المآل . وذَمَّ سادته وكبراءه من أطاعهم فأضَلُّوه السبيل . كما حمد ربه من صَدَق فى إيمانه فاتخذمع الرسول سبيلا . وبان صدق ماجاءت به الآثار النبوية ، من الأخبار بما يكون . وواطأتها قلوب الذين هم فى هذه الأمة مُحَدَّثون . كما تواطأت عليه المبشراتُ التى

أريها المؤمنون . وتبيَّن فيها الطائفة المنصورة الظاهرة على الدين .
الذين لايضرهم من خالفهم ولا من خذلهم إلى يوم القيامة . (١)
حيث تحزب الناس ثلاثة أحزاب : حزب مجتهد فى نصر الدين .
وآخر خاذل له . وآخر خارج عن شريعة الاسلام .
وانقسم الناس ما بين مأجور ومعذور . وآخر قد غرَّه بالله الغرور
وكان هذا الامتحان تمييزا من الله وتقسيما . ليجزى الصادقين بصدقهم
ويعذِّب المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم إن الله كان غفورا رحيما .
ووجه الاعتبار فى هذه الحادثة العظيمة : أن الله بعث محمدا صلى
الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله . وشرع له الجهاد
إباحة له أولاً ، ثم إيجاباً له ثانيا . لما هاجر إلى المدينة . وصار له فيها
أنصار ينصرون الله ورسوله ، فغزا بنفسه صلى الله عليه وسلم مدة مقامه
بدار الهجرة ، وهو نحو عشْر سنين : بضعًا وعشرين غزوة . أولها بَدْرٌ
وآخرها تَبُوكَ . أنزل الله فى أول مغازيه سورة الأنْفالِ ؛ وفي آخرها
سورَة براءة . وجمع بينهما فى المصحف ، لتشابه أول الأمر وآخره . كما
قال أمير المؤمنين عثمان — لما سئل عن القِرانِ بين السورتين من
غير فَصْل بالبَسْمَلة .

وكان القتال منها فى تسع غزوات .

فأول غزوات القتال : بَدْر ، وآخرها حُنَين : والطائف . وأنزل الله فيها ملائكته كما أخبر به القرآن (١) . ولهذا صار الناسُ يجمعون بينهما فى القول ، و إن تباعد مابين الغزوتين مكاناً وزمانا .

فان بدراً كانت فى رمضان ، فى السنة الثانية من الهجرة ، مابين المدينة ،ومكة ،شامىَّ مكة. وغزوة حنين فى آخر شوال من السنة الثامنة. وُحنين وادٍ قريب من الطائف ، شرقىَّ مكة

ثم قسم النبى صلى الله عليه وسلم غنائمها بالجِعِرَّانة واعتمر عمرة الجِعِرَّانَة .

ثم حاصر الطائف فلم يقاتله أهْلُ الطائف زَحفاً وصفوفا و إنما قاتلوه من وراء جدار

فآخر غزوة كان فيها القتال زَحْفَاً واصطفافاً : هى غزوة حنين

---

(١) قال تعالىٰ فى سورة التوبة (ويوم حنين إذأعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين . ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودا لم تروها وعذب الذين كفروا ذلك جزاء الكافرين) آيتى (٢٥،٢٦)

وكانت غزوةُ بَدْر أول غزوةٍ ظهر فيها المسلمون على صناديد الكفار . وقتل الله وأسر رءوسهم ، مع قِلَّة المسلمين وضعفهم . فانهم كانوا ثلاثمائة وبضعة عشر ، ليس معهم إلا فرسان . وكان يعْتَقِبُ الاثنان والثلاثة على البعير الواحد (١) . وكان عدوُّهم بقدرهم أكثر من ثلاث مرات ، في قوةٍ وعُدَّة وهَيْئَة وخُيَلاء

فلما كان من العام المقبل غزا الكفارُ المدينة (٢) . وفيها النبيُّ صلى الله عليه وسلم وأصحابُه . فخرج إليهم النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه في نحو من رُبع الكفار . وتركوا عيالَهُم بالمدينة ، لم ينقلوهم إلى موضع آخر . وكانت أولاً الكَرَّة للمسلمين عليهم ، ثم صارت للكفار . فانهزم عامة عسكر المسلمين إلا نفراً قليلا حول النبي صلى الله عليه وسلم . منهم من قُتِلَ ، ومنهم من جُرِح . وحرصوا على قَتْلِ النبي صلى الله عليه وسلم ، حتى كسروا رُباعيته ، وشَجُّوا جبينه ، وهشَّموا البَيْضة على رأسه . وأنزل الله فيها نحوا من شَطْرِ سورة آل عمران ، من قوله (وإذْ غَدَوْتَ من أهْلكَ

---

(١) اعتقبوا البعير : أي ركبه كل واحد منهم طائفة من الطريق فاذا أخذ حظه من الراحة نزل عنه . وركبه الآخر وهكذا

(٢) وهي غزوة أحد

تُبَوِّئُ المؤمنين مَقاعدَ للقتال) قال فيها (إنَّ الذين تولَّوْا منكُمْ يَوْمَ الْتقى الجمعانِ إنَّما استزَلَّهُمُ الشَّيطانُ ببعْض ما كَسَبُوا ولقد عفا اللهُ عنهم إن الله غفورٌ حليمٌ) وقال فيها (ولَقَدْ صَدَقَكُمُ اللهُ وَعْدَه إذْ تَحُسُّونَهُمْ بإذْنِه حَتَّى إذافَشِلْتُمْ وتنازَعْتُمْ في الأَمْرِ وعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ما أَرَاكُمْ ما تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُريدُ الدُّنْيا ومِنْكُمْ مَنْ يُريد الآخرة ثُمَّ صَرَفَكُمْ عنهم لِيَبْتَلِيَكُمْ ولَقَدْ عفا عَنْكُمْ واللهُ ذو فَضْلٍ على المؤمنين) وقال فيها (أَوَلَمَّا أصابَتْكُمْ مُصيبةٌ قَدْ أصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتم أنى هذا ؟ قُلْ هو مِنْ عِنْدِ أنْفُسِكُمْ إن الله على كل شيء قدير) .

وكان الشيطان قد نَفَّقَ في الناسِ (١) أن محمداً قد قُتل . فمنهم من تَزَلْزَلَ لذلك ، فهرب . ومنهم من ثبتَ ، فقاتل ، فقال الله تعالى (وما مُحَمَّدٌ إلا رسولٌ قدْ خَلَتْ مِنْ قبلِه الرُّسُلُ أفإنْ ماتَ أو قُتِلَ انقلَبْتُمْ على أعقابِكُمْ ومَنْ ينقَلِبْ على عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ الله شيئاً وسيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرينَ)

---

(١) « نفق في الناس » أي أشاع وروج

وكان هذا مثل حال المسلمين لما انكسروا فى العام الماضى .

وكانت هزيمة المسلمين فى العام الماضى [1] بذنوب ظاهرة، وخطايا واضحة : من فساد النيات ، والفخر والخيلاء ، والظلم ، والفواحش والإعراض عن حكم الكتاب والسنة ، وعن المحافظة على فرائض الله ، والبغى على كثير من المسلمين الذين بأرض الجزيرة والروم

وكان عدوهم فى أول الأمر راضيا منهم بالموادعة والمسالمة ، شارعاً فى الدخول فى الاسلام . وكان مبتدئا فى الايمان والأمان ، وكانوا هم قد أعرضوا عن كثير من أحكام الايمان

فكان من حكمة الله ورحمته بالمؤمنين أن ابتلاهم بما ابتلاهم به ليمحص الله الذين آمنوا ، وينيبوا إلى ربهم ، وليظهر من عدوهم ماظهر منه من البغى والمكر ، والنكث ، والخروج عن شرائع الاسلام ، فيقوم بهم مايستوجبون به النصر ، وبعدوهم مايستوجب به الانتقام

فقد كان فى نفوس كثير من مقاتلة المسلمين ورعيتهم من الشر

---

(١) أى وكانت هزيمة المسلمين يوم أحد ، إذخالفوا أمر رسول الله صلى الله عليهم وسلم للرماة أن يلزموا مكانهم مهما كانت الحال مثل هزيمة المسلمين أمام التتار فى عهد شيخ الاسلام ابن تيمية من العام الماضى قبل كتابة هذه الرسالة

الكبير مالو يقترن به ظفرٌ بعدوهم — الذى هو على الحال المذكورة — لأوجب لهم ذلك من فساد الدين والدنيا مالا يوصف .

كما أن نصر الله المسلمين يوم بَدْرٍ كان رحمةً ونعمةً ، وهزيمتهم يوم أُحُدٍ كان نعمة ورحمة على المؤمنين

فان النبى صلى الله عليه وسلم قال « لا يقضى الله للمؤمن قضاءً إلا كان خيراً له . وليس ذلك لاحد إلا للمؤمن ، إن أصابته سَرَّاءُ فشكرَ الله كان خيراً له . وإن أصابته ضَرَّاء فصبر كان خيراً له [1] »

فلما كانت حادثة المسلمين عام أول شبيهةً بأحدٍ . وكان بعد أحد بأكثر من سنة — وقيل بسنتين — قد ابتلَى المسلمون بغزوة الخَنْدَقِ . كذلك فى هذا العام ابتُلِىَ المؤمنون بعدوِّهم ، كنحو ما ابتُلِىَ المسلمون مع النبى صلى الله عليه وسلم عام الخَنْدَقِ ، وهى غزوة الأحزاب التى أنزل الله فيها سورة الأحزاب . وهى سورة تضمنت ذكر هذه الغزاة ، التى نصر الله فيها عبده صلى الله عليه وسلم ، وأعزَّ فيها جُنْدَه المؤمنين ، وهزَمَ الأحزاب الذين تحزَّبوا عليه وَحْدَه ، بغير قتالٍ ، بل بثبات المؤمنين بازاء

(١) رواه مسلم فى الزهد عن صهيب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « عجبا لأمر المؤمن ، إن أمره كله خير . وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن ، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له . وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له » ورواه أيضا الامام أحمد

عدوهم .

ذكر فيها خصائص رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحقوقه ، وحُرْمَته ، وحرمة أهل بيته ، لما كان هو القَلْبُ الذى نصره الله فيها بغير قتالٍ . كما كان ذلك فى غزوتنا هذه ، سواء . وظهر فيها سرُّ تأييد الدِّين ، كما ظهر فى غَزوة الخَنْدَق . وانقسم الناس فيها كانقسامهم

عام الخندق

وذلك أن الله تعالى منذُ بعثَ محمداً صلى الله عليه وسلم وأعزَّه بالهجرةِ والنُّصرة صار الناسُ ثلاثةَ أقسام :

قسماً مؤمنين ، وهم الذين آمنوا به ظاهرًا و باطناً

وقسماً كفارًا ، وهم الذين أظهروا الكفر به .

وقسما منافقين ، وهم الذين آمنوا ظاهرا ، لا باطنا

ولهذا افتتح سورة البقرة بأربع آيات فى صفة المؤمنين ، وآيتين فى صفة الكافرين . وثلاث عشر آية فى صفة المنافقين .

وكل واحد من الإيمان والكفر والنفاق له دعائمُ وشعبٌ . كما دلّت عليه دلائل الكتاب والسنة . وكما فسره أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه فى الحديث المأثور عنه فى الايمان ودعائمه وشعبه .

فمن النفاق ما هو أكبر يكون صاحبه فى الدَّرْكِ الأسفلِ من النار ، كنفاق عبد الله بن أُبيٍّ وغيره بأن يُظهر تكذيبَ الرسول ، أو

جحودَ بعضِ ما جاء به ، أو بغْضه ، أو عدمَ اعتقاد وجوب اتبّاعه ، أو المسرَّةَ بانخفاض دينه ، أو المساءة بظهور دينه . ونحو ذلك : مما لا يكون صاحبه إلا عدواً لله ورسوله .

وهذا القدر كان موجوداً فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم . ومازال بعده بل هو بعده أكثرُ منه على عهده ، لكون موجبات الإيمان على عهدِه أقوى . فإذا كانت مع قوَّتِها كان النفاقُ موجوداً فوجوده فيما دون ذلك أولى .

وكما أنه صلى الله عليه وسلم كان يعلم بعضَ المنافقين ، ولا يعلم بعضهم . كما بَيَّنه قوله (وممَّنْ حوْلَكُم مِنَ الأعْراب مُنَافِقُون وَمِنْ أهْلِ المدينةِ مَرَدُوا على النِّفَاقِ لا تَعْلَمُهُمْ نحنُ نَعْلَمُهُمْ [1]) كذلك خلفاؤه بعده . و ورثتِهِ قد يعلمون بعضَ المنافقين ولا يعلمون بعضهم

وفى المنتسبين إلى الاسلام من عامّةِ الطوائفُ منافقون كثيرون ، فى الخاصة والعامة . ويُسمَّونَ الزنادقة .

وقد اختلف العلماء فى قبول توبتهم فى الظاهر ، لكون ذلك لا يُعلم ، إذهم دائما يُظهرون الإسلام

---

(١) سورة التوبة آية (١٠١)

وهؤلاء يكثرون فى المتفلْسِفَةِ ، من المنجِّمِين ، ونحوهم ، ثم فى الأطباء . ثم فى الـكُتَّاب أقلُّ من ذلك

ويوجدون فى المتصوِّفةِ والمتفقِّهةِ ، وفى المقاتلة والأمراء ، وفى العامَّة أيضاً .

ولـكن يوجدون كثيراً فى نِحَلِ أهلِ البدع ، لاسيما الرَّافِضَة . ففيهم من الزنادقة والمنافقين ماليس فى أحدٍ من أهل النِّحَلِ . ولهذا كانت الخرَّمِيَّةُ(١) ، والباطنية ، والقرامِطَة ، والاسماعيلية ، والنُّصَيرية ، ونحوهم من المنافقين الزنادقة منتسبة إلى الرافضة .

وهؤلاء المنافقون فى هذه الأوقات لـكثيرمنهم ميلٌ إلى دولة هؤلاء التتار ، لـكونهم لايلزمونهم شريعة الإسلام . بل يتركونهم وماهم عليه

و بعضهم إنما ينفرون عن التتار لفسادسيرتهم فى الدنيا ، واستيلائهم على الأموال ، واجترائهم على الدماء ، والسبى ، لا لأجل الدين

فهذا ضرب النفاق الأكبر .

وأما النفاق الأصغر : فهو النفاق فى الأعمال ونحوها . مثل أن يكذبَ إذا حدَّثَ ، ويخلِفَ إذا وعدَ ، ويخونَ إذا أئتمِنَ ، أو يفْجُرَ إذا خاصم . ففى الصحيحين عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « آيةُ المنافق

---

(١) منسوبون الى بابك الخرمى ، نسبة الى خرمة ، بوزن سكرة . قرية بفارس

ثلاث : إذا حدَّثَ كذبَ . وإذا وعد أخلَفَ وإذا أؤتُمن خان »

وفى رواية صحيحة « وإن صلى ، وصام . وزعم أنه مسلم »

وفى الصحيحين عن عبدالله بن عمرو عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « أربع مَن كُنَّ فيه كان منافقاً خالصاً . ومن كانت فيه خَصلةٌ منهنَّ كانت فيه خَصلة من النفاق ، حتى يَدَعها : إذا حدَّثَ كذب ، وإذا وعد أخلفَ . وإذا عاهد غدر . وإذا خاصم فَجرَ »

ومن هذا الباب : الإعراضُ عن الجهاد . فانه من خصال المنافقين قال النبي صلى الله عليه وسلم « من مات ولم يَغزُ ولم يُحَدِّثْ نفسه بالغزوِ مات على شُعبَة من نفاق » رواه مسلم .

وقد أنزل الله سورة بَراءة ، التى تسمى الفاضحة . لأنها فَضَحت المنافقين . أخرجاه فى الصحيحين عن ابن عباس ، قال : « هى الفاضحة . مازالت تنزلُ (ومنهم ، ومنهم) حتى ظنوا أن لا يبقى أحد إلا ذكر فيها »

وعن المِقْدَاد بن الأسود قال « هى سورة البُحوثِ . لأنها بحثت عن سرائر المنافقين »

وعن قَتادة قال « هى المُثيرَةُ . لأنها أثارت مَخازى المنافقين »

وعن ابن عباس قال « هى المبَعثَرةُ » والبَعثرةُ والإثارة متقاربان

وعن ابن عمر « أنها المُقَشقِشَةُ » لأنها تبرىء من مرض النفاق يقال : تَقَشقَشَ المريضُ إذا برأ .

وقال الأصْمَعِىُّ : وكان يقال لسورتى الأخلاص (١) : المقشْقِشتَان لأنهما يبرئان من النفاق .

وهذه السورة نزلت فى آخر مغازى النبى صلى الله عليه وسلم : غزوة تَبُوكَ ، عام تسع من الهجرة . وقد عزَّ الاسلام ، وظهر . فكشفَ الله فيها أحوال المنافقين ، ووصفهم فيها بالُجبْنِ ، وترك الجهاد . ووصفهم بالبُخْلِ عن النفقةِ فى سبيل الله ، والشُحِّ على المال . وهذان داءان عظيمان : الُجبْنُ والبُخل .

قال النبي صلى الله عليه وسلم « شَرُّ مافى المْرء شُحٌّ هالِعٌ ، وُجبْنٌ خالِعٌ » حديث صحيح (٢) ولهذا قد يكونان من الكبائر الموجبة للنار . كما دلَّ عليه قوله (ولاَ يحْسَبَنَّ الَّذين يبْخَلونَ بما آتاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِه هو خيراً لهُمْ بلْ هُوَ شَرٌّ لهُمْ سيُطَوَّقُونَ ما بَخِلوا به يومَ القِيامةِ (٣)) وقال تعالى (ومَنْ يُوَلِّهِمْ يوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إلاَّ مُتَحَرِّفاً

---

(١) هما : قل يا أيها الكافرون ، وقل هو الله أحد . لأن الأولى أخلصت توحيد الالهية . والثانية أخلصت توحيد الأسماء والصفات .

(٢) رواه الامام أحمد عن أبى داود عن أبى هريرة رضى الله عنه : ذكره ابن كثير فى قوله تعالى (إن الانسان خلق هلوعا - الآية) من سورة المعارج .

(٣) سورة آل عمران آيه (١٨٠)

لِقتالٍ أومتَحَيزاً إلى فِئَة فَقَدْ باء بغَضَبٍ من اللهِ ومَأْواه جَهَنَّمُ وبِئْسَ المَصِير (١))

وأما وصفهم بالجبن والفزَع . فقال تعالى (وَيحلِفُونَ بالله إنَّهمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُم ولَكِنهمْ قومٌ يَفرَقُون . لَوْ يَجِدون ملجأً أو مَغَاراتٍ أوْ مُدَّخَلاً لوَلَّوْا إليه وَهُمْ يَجْمَحُونَ (٢))

فأخبر سبحانه أنهم ، وإن حلفوا أنهم من المؤمنين ، فماهم منهم . ولكن يفزعون من العدو . فلو يَجِدُونَ مَلْجَأً يلجأون إليه من المعاقل والحصون التى يَفِرُّ إليها من يتركُ الجهاد ، أو مَغاراتٍ — وهى جَمْع مَغارةٍ ، ومغارات . سُمِّيت بذلك لأن الداخل يغور فيها ، أى يستتر . كما يغور الماء —

أو مُدَّخلا . وهو الذى يتكَلَّفُ الدخول إليه ، إما لضيق بابه ، أو لغير ذلك . أى مكانا يدخلون إليه . ولو كان الدخول بكلفة ومشقَّةٍ ، لوَلَّوا عن الجهاد إليه . وهم يَجْمَحُون . أى يُسرعون إسراعاً لا يَرُدُّهم شىء ، كالفرس الجَمُوحِ الذى إذا حَملَ لايرده اللِّجام .

---

(١) سورة الأنفال آية (١٦)

(٢) سورة براءة آيتى . (٥٦ ، ٥٧)

وهذا وصف منطبق على أقوام كثيرين فى حادثتنا . وفيما قبلها من الحوادث . و بعدها .

وكذلك قال فى سورة محمد صلى الله عليه وسلم (فاذا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فيها القتالُ رأيتَ الَّذين فى قُلوبِهِمْ مَرَضٌ ينظرون إِلَيْكَ نَظَرَ المَغْشِىِّ عليه مِن المَوْتِ فأَوْلى لهم) أى فبُعْدًا لهم (طَاعَةٌ وقولٌ معروفٌ . فاذا عَزَمَ الأَمْرُ فَلَو صدَقُوا اللهَ لكان خيراً لهم [١]) وقال تعالى (إِنَّما المؤمنون الذين آمَنُوا بالله ورسولِهِ ثُمَّ لم يَرْتَابُوا وجاهَدُوا بأموالهم وأَنْفُسِهِم فى سَبيلِ الله أولئك هم الصادقون [٢]) فحصر المؤمنين فيمن آمن وجاهد .

وقال تعالى (لاَ يَسْتَأْذِنُكَ الَّذينَ يُؤْمِنُونَ باللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أنْ يُجَاهِدُوا بأمْوالهمْ وأنْفُسِهِم والله عليمٌ بالمتقين . إنَّما يَستأذِنُكَ الذين لايؤمنون بالله واليوم الآخر وارْتَابَتْ قُلوبهم فهُمْ فى رَيْبِهِم يَتَرَدَّدُونَ [٣])

فهذا إخبار من الله بأن المؤمن لايستأذن الرسول فى ترك الجهاد ،

---

(١) آيتى (٢٠و٢١)

(٢) سورة الحجرات آية (١٥)

(٣) سورة براءة آيتى (٤٤و٤٥)

وإنما يستأذنه الذى لا يؤمن ، فكيف بالتارك من غير استئذان ؟ !

ومن تدبّر القرآن وجد نظائر هذا مُتضافرةً على هذا المعنى .

وقال فى وصفهم بالشحّ (وما مَنَعَهُمْ أنْ تُقْبَلَ منهم نَفَقَاتُهم إلا أَنَّهُمْ كَفروا باللهِ وبرسوله وَلاَ يأتون الصَّلاَةَ إلاَّ وَهُمْ كُسالى ولا يُنْفِقُونَ إلاَّ وَهُمْ كارهون (١))

فهذه حال من أنفق كارها ، فكيف بمن ترك النفقة رأساً ؟ !

وقال (ومنهم مَنْ يَلْمِزُكَ فى الصَّدقات فإنْ أُعْطُوا مِنها رَضُوا وإنْ لمْ يُعْطَوْا منها إذاهُمْ يَسْخَطُون (٢))

وقال (ومِنْهُمْ مَنْ عاهَدَ اللهَ لَئِنْ آتانا من فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ من الصَّالِحين . فلما آتاهُمْ مِنْ فَضْلِه بَخِلُوا به وتَوَلَّوْا وَهُمْ معرضُون (٣)) .

وقال فى السورة (ياأيُّها الَّذين آمنوا إنَّ كَثِيرًا مِنَ الأحْبَارِ والرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بالبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيل

---

(١) سورة براءة آية (٥٤)

(٢) سورة براءة آية (٥٨)

(٣) سورة براءة آيتى (٧٥ ، ٧٦)

الله والَّذين يكْنِزُونَ الذَّهبَ والفِضَّةَ وَلاَ يُنْفِقُونَها فى سَبيلِ الله فَبَشِّرْهُمْ بعذاب أليم . يوم يُحْمَى عليها فى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بها جِباهُهم وجنوبهم وظُهورُهُمْ هذا ما كَنَزْتُمْ لأَنْفُسِكُمْ فذُوقُوا ما كُنْتُمْ تَكْنِزُون)[(١)].

فانتظمت هذه الآية حال من أخذ المال بغير حقه ، أو منعه عن مستحقه من جميع الناس . فان الأحبار هُمُ العلماء ، والرُّهْبانُ هم العُبَّاد . وقد أخبر أن كثيرا منهم يأكلون أموالَ النَاسِ بالباطل ، ويَصُدُّونَ — أى يُعرِضون ويَمنعون .

يُقال : صَدَّ عن الحق ، صدوداً . وصَدَّ غيرَه .

وهذا يَنْدَرِجُ فيه ما يُؤكل بالباطل : من وَقْفٍ ، أو عطية على الدِّين . كالصلاة ، والنذور التى تُنذر لأهل الدِّين ، ومن الأموال المشتركة . كأموال بيت المال ، ونحو ذلك .

فهذا فيمن يأكُلُ المالَ بالباطل بشبهةِ دِينٍ .

ثم قال : (والَّذِين يَكْنِزُون الذَّهَبَ والفِضَّةَ ولا يُنفِقُونها فى سبيلِ الله) فهذا يندرج فيه مَنْ كَنَزَ المالَ عن النَّفَقةِ الواجبة فى سبيل الله . والجهادُ أحقُّ الأعمالِ باسم سبيل الله ، سواء كان مَلِكاً أو مُقَدَّما ، أو غنياً ، أو غير ذلك .

---

(١) آيتى (٣٥ ، ٣٦) من التوبة

وإذا دخل فى هذا ما كنز من المال الموروث والمكسوب . فما كُنِزَ من الأموال المشتركة التى يستحقها عمومُ الأمة — ومستحقّها : مصالحهم — أولى وأحْرَى .

فصل

فاذا تبيَّن بعض معنى المؤمن والمنافق . فاذا قرأ الانسانُ سورةَ الأحزاب . وعرف من المنقولات فى الحديث ، والتفسير ، والفقه ، والمغازى كيف كانت صفةُ الواقعةِ التى نزل بها القرآن . ثم اعتبر هذه الحادثة بتلك : وجد مِصداقَ ما ذكرنا . وأن الناس انقسموا فى هذه الحادثة إلى الأقسام الثلاثة . كما انقسموا فى تلك . وتَبَيَّنَ له كثير من المتشابهات .

افتتح اللهُ السورةَ(١) بقوله (يأيُّها النَّبِىُّ اتَّقِ اللهِ ولا تُطِعِ الكافِرينَ والمنافِقِينَ) وذكر فى أثنائها قوله (وَبَشِّرِ المؤمنينَ بأنَّ لَهُمْ من اللهِ فَضْلاً كبيراً . ولا تُطِعِ الكافرينَ والمنافقين) ثم قال : (واتَّبِعْ ما يُوحى إليكَ مِنْ رَبِّكَ إنَّ اللهَ كان بمَا تعملونَ خبيرًا . وتوَكَّلْ على الله وكَفَى باللهِ وكيلاً) .

فأمره باتباع ما أوحى إليه من الكتاب والحكمة — التى هى سنته — وبأن يتوكل على الله

(١) أى سوره الأحزاب

فبالأولى تحقق قولهُ : (إِيَّاكَ نَعْبُدُ)

وبالثانية تحقق قوله : (وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) .

ومثل ذلك قوله : (فاعْبُدْهُ وتوكَّلْ عليهِ [١]) وقوله : (عليه تَوَكَّلتُ وإليه أُنيبُ) [٢] .

وهذا وإن كان مأمورا به فى جميع الدين . فان ذلك فى الجهاد أوكدُ . لأنه يحتاجُ إلى أن يُجاهد الكفار والمنافقين . وذلك لا يتمّ إلا بتأييد قوىٍّ من الله . ولهذا كان الجهاد سَنام العمل [٣] وانتظم سَنامَ جميع الأحوال الشريفة .

---

(١) سورة هود آية (١٢٣)

(٢) سورة هود آية (٨٨)

(٣) عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال : « كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم فى سفر . فاصبحت يوما قريباً منه . ونحن نسير . فقلت : يارسول الله . أخبرنى بعمل يدخلنى الجنة ويباعدنى عن النار . قال : لقد سألت عن عظيم ، وأنه ليسير على من يسر الله عليه : تعبد الله لاتشرك به شيئا . وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة ، وتصوم رمضان وتحج البيت . ثم قال : ألا أدلك على أبواب الخير ؟ قلت: بلى يارسول الله . قال : الصوم جنة والصدقة تطفىء الخطيئة كما يطفىء الماء النار . وصلاة الرجل من جوف الليل ثم تلا (تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون. فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قره أعين جزاء بما كانوا

ففيه سَنام المحبة . كما فى قوله : (فَسَوْفَ يَأْتِ اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهم ويُحِبُّونه أَذِلَّةٍ على المؤمنين أَعِزَّةٍ على الكافرين يُجاهدونَ فى سبيلِ الله ولا يَخافُون لَوْمَةَ لائِمٍ)(١) .

وفيه سَنام التوكُّل وسَنامُ الصبر . فان المجاهدَ أحوجُ الناسِ إلى الصبر والتوكل . ولهذا قال تعالى (والذين هاجَرُوا فى اللهِ مِنْ بَعدِ ما ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فى الدُّنيا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ لو كانوا يعلمون . الذين صَبَرُوا وعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ)(٢) (وقال موسى لقومه اسْتَعِينوا باللهِ واصْبِرُوا إنَّ الأَرْضَ لِلهِ يُورِثُها مَنْ يَشاءُ من عِبادِه والعاقِبَةُ للمتَّقين)(٣) .

يعملون) ثم قال : ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه ؟ قلت: بلى يارسول الله . قال : رأس الأمر الاسلام . وعموده الصلاة . وذروة سنامه الجهاد . ثم قال : ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟ قلت: بلى يارسول الله قال : كيف عليك هذا — وأشار إلى لسانه . قلت : يا نبى الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به ؟ قال: تكلتك أمك . وهل يكب الناس فى النار على وجوههم ، أو قال على مناخرهم - إلا حصائد ألسنتهم ؟ »

رواه أحمد والترمذى والنسائى وابن ماجه . وقال الترمذى : حسن صحيح ، وقد تكلم الحافظ المنذرى على سند الحديث فى باب الصمت من الترغيب والترهيب

(١) سورة المائدة آية (٥٤)

(٢) سورة النحل آيتى (٤١، ٤٢) (٣) سورة الأعراف آية (١٢٨)

ولهذا كان الصبرُ واليقينُ — اللذين هما أصلُ التوكل ـ يُوجبان الإمامة فى الدين، كما دلّ عليه قوله تعالى : (وجعلناهم أئمةً يهدون بأمرنا لمّا صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون) (١) .

ولهذا كان الجهاد موجباً للهداية التى هى مُحيطةٌ بأبواب العلم . كما دلّ عليه قوله تعالى (والّذين جاهدوا فينا لنهدينّهم سُبُلنا) (٢)

وفى الجهاد أيضا : حقيقة الزهد فى الحياة الدنيا ، وفى الدار الدنيا وفيه أيضا : حقيقة الاخلاص . فانّ الكلامَ فيمن جاهد فى سبيل الله ، لا فى سبيل لرياسةِ ، ولا فى سبيل المال ، ولا فى سبيل الحميّةِ ، وهذا لا يكون إلا لمن قاتل ليكون الدين كلُّه لله ، ولتكون كلمةُ الله هى العُلْيَا .

وأعظم مراتب الاخلاص: تسليمُ النفسِ والمالِ للمعبود ، كما قال تعالى (إنّ الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأنّ لهم الجنّةَ يُقاتلون فى سبيلِ الله فيقتلونَ ويُقتلونَ) (٣)

والجنةُ اسمٌ للدارِ التى حوتْ كلَّ نعيمٍ . أعلاه النظرُ إلى الله ، إلى مادون ذلك مما تشتهيهِ الأنفس وتلذُّ الأعْيُنُ ، مما قد نعرفه

---

(١) سورة الم السجدة آية (٢٤)

(٢) سورة العنكبوت آية (٦٨)

(٣) سورة براءة آية (١١١)

وقد لانعرفه . كما قال الله تعالى فيما رواه عنه رسوله صلى الله عليه وسلم « أعددتُ لعبادى الصَّالحين مالاعَيْنٌ رأتْ ، ولاأُذنٌ سمعتْ ، ولاخطَرَ على قلبِ بَشَرٍ »

فقد تبين بعض أسباب افتتاح هذه السورة بهذا

ثم إنه تعالى قال : (يأَيُّها الَّذين آمنوا اذْكُروا نِعْمَةَ اللهِ عليكم إذْ جاءَتْكُمْ جُنودٌ فأَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَجنودًا لَمْ تَرَوْها وكان الله بما تعملون بَصيراً)

وكان مختصر القصة :

أن المسلمين تحزَّب عليهم عامَّةُ المشركين الذين حولهم ، وجاءوا بجموعهم إلى المدينة لِيَسْتأصِلُوا المؤمنين .

فاجتمعت قريش وحلفاؤها من بنى أسدٍ ، وأشْجَعَ ، وفزَارَةَ ، وغيرهم من قبائل نَجْدٍ

واجتمعت أيضا اليهود من قُرَيْظَةَ ، والنَّضِير . فان بنى النَّضِير كان النبى صلى الله عليه وسلم قد أجلاهُمْ قبلَ ذلك ، كما ذكره الله تعالى فى سورة الحَشْرِ (١) . فجاءوا فى الأحزاب إلى قُرَيْظَةَ . وهم معاهدون للنبى صلى الله عليه وسلم ، ومُجاوِرون له ، قريبا من المدينة . فلم يزالوا

---

(١) (هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ـ الآيات)

حتى نقضت قُرَيْظَةُ الْعَهْدَ ، ودخلوا فى الأحزاب . فاجتمعت هذه الأحزاب العظيمة ، وهم بقَدْرِ المسلمين مرَّات متعددةٍ .(١) فرفع النبي صلى الله عليه وسلم الذُّرِّيَة من النساء . والصبيان فى آطام المدينة . وهى مثل الجواسِق ، ولم ينقلهم إلى مواضع أُخَرَ ، وجعل ظهرهم إلى سَلْعٍ — وهو الجبل القريب من المدينة ، من ناحيـة الغرب والشأم — وجعل بينه و بين العدو خَنْدَقاً . والعدو قد أحاط بهم من العالِيَةِ والسَّافِلَة . وكان عدواً شديدَ العداوة ، لو تمكّن من المؤمنين لكانت نِكايَتُه فيهم أعظم النكايات

وفى هذه الحادثة تحزّب هذا العدو من مُغُلٍ وغيرهم من أنواع التُّرْكِ ، ومن فُرْس ومُسْتَعْرِبَةٍ ، ونحوهم من أجناس المرتدّةِ ، ومن

---

(١) كانت قريظة — وهم طائفة من اليهود لهم — حصن شرقى المدينة . ولهم عهد من النبي صلى الله عليه وسلم وذمة . وهم قريب من ثمانمائة مقاتل . فذهب إليهم حيي بن أخطب النضرى . فلم يزل بهم حتى نقضوا العهد ومالئوا الأحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكان معه من المسلمين نحو من ثلاثة آلاف . والأحزاب ، وعلى رأسهم أبو سفيان صخر بن حرب ، قريب من عشرة آلاف . وكان الذى حزب الأحزاب من قريش وغيرها على رسول الله : سلام بن أبى الحقيق وسلام بن مشكم وكنانه بن الربيع ، من بنى النضير الذين كان أجلاهم النبي صلى الله عليه وسلم إلى خيبر

نصارى ، من الأرمن وغيرهم . ونزل هذا العدو بجانب ديار المسلمين ، وهو بين الإقدام والاحْجاَم ، مع قِلَّةٍ مَنْ بإزائهم من المسلمين . ومقصودُهم الاستيلاء على الدار ، واصْطِلاَم أهلها . كما نزلَ أولئك بنواحى المدينة بازاء المسلمين

ودام الحصار على المسلمين عامَ الخَنْدَقِ — على ماقيل — بِضْعاً وعشرين ليلة . وقيل : عشرين ليلة .

وهذا العدو عَبَرَ الفُرات سابِعَ عشر ربيع الآخر . وكان أول انصرافه راجعاً عن حلَب ، لما رجع مُقَدَّمهم الكبير قازان بمن معه : يوم الأثنين حادى ، أو ثانى عشر ، جمادى الأولى ، يوم دخل العسكر عسكرُ المسلمين إلى مصر المحروسة . واجتمع بهم الداعى ، وخاطبهم فى هذه القضية . وكان الله سبحانه وتعالى لما ألقى فى قلوب المؤمنين ماألقى من الاهتمام والعزْمِ : ألْقى فى قلوب عدوهم الرَّوْعَ والانصراف

وكان عام الخندق بَرْدٌ شديد ، وريح شديدة مُنْكَرَة ، بها صَرَفَ اللهُ الأحزاب عن المدينة . كما قال تعالى : (فأرْسَلْنا عليهم رِيحاً وجُنوداً لم تَرَوْهَا)

وهكذا هذا العام أكثر الله فيه الثَّلْجَ والمطر والبَرْدَ ، على خلاف

أكثر العادات . حتى كره أكثر الناس ذلك . وكُنَّا نقول لهم : لاتكرهوا ذلك ؛ فان لله فيه حِكمة ورحمة .

وكان ذلك من أعظم الأسباب التى صرفَ الله به العدو . فإنه كثر عليهم الثلج والمطر والبرد ، حتى هلك من خَيْلهم ماشاء الله . وهلك أيضا منهم من شاء الله . وظهر فيهم وفى بَقِيَّة خَيْلهم من الضَّعف والعَجْزِ بسبب البرد والجوع ماراأوا أنهم لاطاقة لهم معه بقتال . حتى بلغنى عن بعض كبار المقدَّمين فى أرض الشأم أنه قال : لا بَيَّض الله وجوهنا . عدونا فى الثلج إلى شعره ، ونحن قعود لانأخذهم ؟

وحتى علموا أنهم كانوا صيداً للمسلمين ، لو يصطادونهم . لكن فى تأخير الله اصطيادهم حكمة عظيمة .

وقال الله فى شأن الأحزاب : (إذْ جاءوكم مِنْ فَوْقِكُمْ ومن أسْفَلَ منكم وإذْ زَاغَتِ الأبْصارُ و بَلَغَتِ القلوبُ الحناجرَ وتَظُنُّونَ بالله الظُّنُونا . هُنالِكَ ابْتُلِيَ المؤمنون وزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شديدا)

وهكذا هذا العام . جاء العدو من ناحيتى علو الشأم ، وهو شمال الفرات . وهو قبليُّ الفُرات . فزاغت الأبصار زَيغاً عظيما . و بلغت القلوب الحناجر ، لعظم البلاء ، لاسيما لمـا استفاض الخبر بانصراف

العسكر إلى مصر ، وتقرُّب العدو ، وتوجُّهه إلى دمشق . وظن الناس بالله الظنونا .

هذا يظن أنه لا يقف قُدَّامهم أحد من جُنْد الشام ، حتي يصطلموا أهل الشام .

وهذا يظن أنهم لو وقفوا لـكسروهم كَسْرَةً ، وأحاطوا بهم إحاطةَ الهالَةِ بالقمر .

وهذا يظن أن أرض الشأم مابقيت تسكن ، ولا بقيت تكون تحت مملكة الاسلام .

وهذا يظن أنهم يأخذونها ، ثم يذهبون إلى مصر فيستولون عليها ، فلا يقف قدامهم أحد ، فيحدث نفسه بالفرار إلى اليمن . ونحوها

وهذا — إذا أحسن ظنه — قال : إنهم يملكونها العام ، كما ملكوها عام هولاكو ، سنة سبع وخمسين . ثم قد يخرج العسكر من مصر فيستنقذها منهم ، كما خرج ذلك العام . وهذا ظن خيارهم .

وهذا يظن أن ما أخبره به أهل الآثار النبوية ، وأهل التحديث والمبشرات أمانِيُّ كاذبة ، وخرافات لاغية .

وهـذا قد استولى عليه الرعب والفزع ، حتى يمر الظن بفؤاده مَرَّ السحاب ، ليس له عقل يتفهم ، ولا لسان يتكلم .

وهذا قد تعارضت عنده الأمارات ، وتقابلت عنده الارادات ، لاسيما وهو لا يفرق من المبَشِّرات بين الصادق والكاذب . ولا يميِّز فى التحديث بين المخطىء والصائب . ولا يعرف النصوص الأثرية معرفة العلماء ، بل إما أن يكون جاهلا بها وقد سمعها سماع العبر ، ثم قد لا يتفطن لوجوه دلالتها الخفية . ولا يهتدى لدفع مايتخيل أنه معارض لها فى بادىء الرؤية .

فلذلك استولت الحيرة على من كان متسما بالاهتداء ، وتراجمت به الآراء تراجم الصبيان بالحصباء . هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا . ابتلاهم الله بهذا الابتلاء ، الذى يُكَفِّر به خَطيئاتهم ، ويرفع به درجاتهم ، وزلزلوا بما يحصل لهم من الرَّجفات ، ما استوجبوا به أعلى الدرجات .

قال الله تعالى : (وإذ يقولُ المنافقونَ والذّين فى قُلوبِهم مَرَضٌ ما وَعدنا اللهُ ورسولُه إلا غُروراً)

وهكذا قالوا فى هذه الفتنة فيما وعدهم أهل الوراثة النبوية ، والخلافة الرسالية ، وحزب الله المحدثون عنه . حتى حصل لهؤلاء التأسِّى برسول الله صلى الله عليه وسلم . كما قال الله تعالى : (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فى رسول اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ)

فأما المنافقون فقد مضى التنبيه عليهم .

وأما الذين فى قلوبهم مرض فقد تكرر ذكرهم فى هذه السورة . فذكروا هنا . وفى قوله : (لَئِن لَّمْ يَنْتَهِ المنافقُون وَالَّذِينَ فِى قُلوبهم مَرَضٌ والمرْجِفُونَ فى المدِينَةِ) وفى قوله : (فيَطْمَعَ الَّذى فى قلبهِ مَرَضٌ) .

وذكر الله مرض القلب فى مواضع . فقال تعالى : (إذْ يَقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض : غرَّ هؤُلَاءِ دينُهم) .

والمرض فى القلب كالمرض فى الجسد . فكما أن هذا هو إحالة عن الصحة والاعتدال ، من غير موت ، فكذلك قد يكون فى القلب مرض يحيله عن الصحة والاعتدال ، من غير أن يموت القلب ، سواء أفسد إحساس القلب وإدراكه ، أو أفسد عمله وحركته .

وذلك — كما فسروه — : هو من ضعف الايمان ، إما بضعف علم القلب واعتقاده ، وإما بضعف عمله وحركته . فيدخل فيه مَنْ ضَعُفَ تصديقهُ ومَنْ غلب عليه الُجبْن والفزع . فان أدواء القلب من الشهوة المحرَّمة والحسدِ والُجبنِ والبُخلِ وغيرذلك ، كلهاأمراض . وكذلك الجهل والشكوك والشبهات التى فيه .

وعلى هذا قوله : (فيَطمَعَ الذى فى قلبِهِ مرضٌ) هو إرادة الفجور ،

وشهوة الزنا ، كما فسروه به . ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم: « وأيّ داء أدْوَى من البُخْل ؟ [(١)] »

وقد جعل الله تعالى كتابه شفاء لما فى الصدور

وقال النبي صلى الله عليه وسلم « إنما شفاء العِيّ السؤال [(٢)] »

وكان يقول فى دعائه « اللهم إنى أعوذ بك من منكرات الأخلاق والأهواء والادواء »

وان يخاف الرجل غير الله إلا لمرض فى قلبه .

كما ذكروا أن رجلا شكا إلى أحمد بن حنبل خوفه من بعض الوُلاة ، فقال : لو صَحَحْتَ لم تخَفْ أحداً . أى خوفك من أجل زوال الصحة من قلبك .

ولهذا أوجب الله على عباده أن لا يخافوا حزب الشيطان ، بل لا يخافون غيره تعالى . فقال : (إنَّما ذلِكُمُ الشَّيطانُ يُخَوِّفُ أولياءَه فلا تخافوهم وخافُونِ إن كنتم مؤمنين) أى يُخَوفكم أولياءَه

وقال لعموم بنى إسرائيل تنبيها لنا (وإيَّايَ فارْهَبُونِ [(٣)])

---

(١) قال فى النهاية : أى أى عيب أقبح منه ؟ والصواب « أدوأ » بالهمز ولكن هكذا يروى ، إلا أن يجعل من باب « دوى ، يدوى ، دوا ، فهو داو » إذا هلك بمرض باطن

(٢) رواه أبو داود والدارقطنى عن جابر « فى قصة الذى أصابته الشجة فاجنب فافتوه بالغسل فاغتسل فمات »

(٣) فى سورة البقرة (يابنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم

وقال (فَلَا تَخشَوُا النَّاسَ واخْشَونِ (١)) وقال (لِئَلَّا يكون لِلنَّاس عليكم حُجَّةٌ إلا الذين ظلموا منهم فلا تَخْشَوْهُم واخْشَوْنِى (٢)) وقال تعالى : (اليومَ يَئِسَ الذين كفروا مِنْ دِينِكُمْ فلا تَخْشَوْهُمْ واخْشَوْنِ (٣)) وقال (إنما يَعْمُرُ مساجد الله من آمنَ باللهِ واليومِ الآخرِ وأقامَ الصلاةَ وآتى الزَّكاة ولم يَخْشَ إلا اللهَ (٤)) وقالَ (الذين يُبلِّغُون رِسالاتِ الله ويَخْشَوْنَهُ ولا يَخْشَوْنَ أحداً إلا اللهَ (٥)) وقال : (ألا تُقَاتِلُون قَوْماً نكثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وهُمْ بَدَءُوكُمْ أوَّلَ مَرَّةٍ أتَخْشَوْنَهُمْ ؟ فاللهُ أَحقُّ أنْ تَخْشَوْهُ (٦)) .

فدلَّت هذه الآية — وهى قوله تعالى : (إذ يقولُ المنافِقون والذين فى قلوبِهم مَرَضٌ) — على أن المرض والنفاق فى القلب يوجب الرَّيْبَ فى الأنْبَاءِ الصادقة التى توجب كفر الانسان : من الخوف ، حتى يظنوا

وأوفوا بعهدى أوف بعهدكم وإياى فارهبون)

(١) سورة المائدة آية (٤٤)

(٢) سورة البقرة آية (١٥٠)

(٣) سورة المائدة آية (٣)

(٤) سورة التوبة آية (١٨)

(٥) سورة الاحزاب آية (٣٩)

(٦) سورة التوبة آية (١٣)

أنها كانت غُروراً[(١)] لهم ، كما وقع فى حادثتنا هذه سواءًا

ثم قال تعالى (وإذ قالتْ طائفةٌ منهم يا أهْلَ يثْرِبِ لا مُقَامَ لكم فارْجِعُوا) .

وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد عَسْكَرَ بالمسلمين عند سَلْعٍ ، وجعل الخَنْدَق بينه وبين العدو . فقالت طائفة منهم : لا مُقَامَ لكم هنا ، لكثرة العدو . فارجعوا إلى المدينة

وقيل : لامقام لكم على دين محمد ، فارجعوا إلى دين الشرك

---

(١) لما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم تحزب الأحزاب لغزو المدينة استشار أصحابه . فأشار عليه سلمان بحفر الخندق . فبينما هم يحفرون قامت عقبة أعيتهم جميعا . فاخذ النبي صلى الله عليه وسلم الفاس من سلمان وضربها فبرقت برقة . فكبر وكبروا ، ثم الثانية . ثم الثالثة ، ثم سألوا النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك النور . فقال : لقد أضاء لى من الأولى قصور الحيرة ومدائن كسرى ، كأنها أنياب الكلاب . وأخبرنى جبريل أن أمتى ظاهرة عليها ، فابشروا . ومن الثالثة أضاءت قصور صنعاء ، كأنها أنياب الكلاب . وأخبرنى جبربل أن أمتى ظاهرة عليها . ومن الثالثة . أضاءت القصور الحمر من أرض الروم ، كأنها أنياب الكلاب . وأخبرنى جبريل أن أمتى ظاهرة عليها فابشروا . فقال المسلمون : الحمد لله ، موعود صادق . ولما طلعت الأحزاب قال المؤمنون : هذا ماوعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيمانا وتسليما . وقال المنافقون : يخبركم

وقيل : لا مقام لكم على القتال ، فارجعوا إلى الاستئمان والاستجارة بهم ؛ وهكذا لما قدم هذا العدو كان من المنافقين من قال : ما بقيت الدولة الاسلامية تقوم ، فينبغى الدخول فى دولة التتار . وقال بعض الخاصة : ما بقيت أرض الشأم تُسْكَنُ ، بل ننتقل عنها ، إما إلى الحجاز واليمن ، وإما إلى مصر . وقال بعضهم : بل المصلحة الاستسلام لهؤلاء ، كما قد استسلم لهم أهل العراق ، والدخولُ تحت حكمهم

فهذه المقالات الثلاث قد قيلت فى هذه النازلة . كما قيلت فى تلك وهكذا قال طائفة من المنافقين ، والذين فى قلوبهم مرض ، لأهل دِمَشْق خاصّة والشأم عامّة : لا مُقام لكم بهذه الأرض

ونفى المَقام بها أبلغ من نفى المُقام . وإن كانت قد قرئت بالضم أيضا .[١] فان من لم يقدر أن يقوم بالمكان ، فكيف يُقيم به ؟ .

أنه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى ، وأنها تفتح لكم ، وأنتم تحفرون الخندق لا تستطيعون أن تبرزوا . فأنزل الله الآية » ويروى أن معتب ابن قشير قال : « يعدنا محمد أن نفتح كنوز كسرى وقيصر ومكة . ونحن لا يقدر أحدنا أن يذهب إلى الغائط ؟ ما يعدنا إلا غرورا » وفى معتب ونظرائه نزلت (وإذ قالت طائفة منهم - الآية) . وقيل : القائل (لا مقام لكم فارجعوا) إلى دينكم : هو عبد الله بن أبى ابن سلول

(١) قال أبو حيان فى البحر : قرأ السلمى والأعرج واليمانى وحفص بضم الميم . فاحتمل أن يكون مكانا ، أى لا مكان إقامة . واحتمل أن يكون

قال الله تعالى (وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ منهم [١] النَّبِيَّ . يقولون إنَّ بُيُوتَنا عورةٌ . وما هى بِعَوْرَةٍ إن يريدون إلاَّ فِراراً)

كان قومٌ من هؤلاء المذمومين يقولون ـ والناسُ مع النبى صلى الله عليه وسلم عند سَلْعٍ داخلِ الخَنْدق ، والنساءُ والصبيان فى آطام المدينة ـ : يا رسول الله ، إنَّ بيُوتنا عورة . أى مكشوفة . فليس بينها وبين العدوِّ حائل

وأصل العورة : الخالى ، الذى يحتاج إلى حفظ وستر ، يقال : أعورَ مجلسُك إذا ذهب ستره ، أو سقط جداره . ومنه عورة العدو ،

وقال مجاهد والحسن : أى ضائعة يخشى عليها السُّرَّاق . وقال قتادة : قالوا : بيوتنا مما يلى العدوَّ ، فلا نأمن على أهلنا ، فائذنْ لنا أن نذهب إليها ، لحفظ النساء والصبيان

قال الله تعالى (وما هى بعورة) لأن الله يحفظها (إن يريدون إلا فراراً) فهم يقصدون الفرار من الجهاد ، ويحتجون بحجة العائلة

وهكذا أصاب كثيرا من الناس فى هذه الغزاة . صاروا يفرون من الثغر إلى المعاقِلِ والحصون ، وإلى الأماكن البعيدة . كمصر ، ويقولون :

مصدرا ، أى لا إقامة . وقرأ أبو جعفر وشيبة وأبو رجاء والحسن وقتادة والنخعى وعبد الله بن مسلم وطلحة وباقى السبعة بفتحها . واحتمل أيضا : أى لا مكان قيام ، واحتمل المصدر أى لا قيام لكم .

(١) قيل : هو أوس بن قبطى . وقيل : هم بنو حارثة . وقد كانوا عاهدوا الله لا يولون الأدبار .

مامقصودنا إلا حفظ العيال ، وما يمكن إرسالهم مع غيرنا . وهم يكذبون . فقد كان يمكنهم جعلهم فى حصن دِمَشْق ، لودنا العدوُّ . كما فعل المسلمون على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقد كان يمكنهم إرسالهم والمقام للجهاد . فكيف بمَنْ فَرَّ بعد إرسال عياله ؟

قال الله تعالى : (ولو دُخِلَتْ عليهم مِنْ أقطارِها ثُمَّ سُئِلُو الفِتْنَةَ لَآتَوْها وما تَلبَّثُوا بها إلَّا يَسيرا) فأخبر أنه لو دُخِلَت عليهم المدينةُ من جوانبها ثم طُلِبَتْ منهم الفتنةُ — وهى الافتنان عن الدين بالكفر ، أو النفاق — لأعطو الفتنة . ولجاءوها من غير توقف

وهذه حال أقوام لو دخل عليهم هذا العدو المنافق المجرم . ثم طُلب منهم موافقتُه على ماهو عليه من الخروج عن شريعة الإسلام — وتلك فتنة عظيمة — لكانوا معه على ذلك . كما ساعدهم فى العام الماضى أقوامٌ بأنواع من الفتنة فى الدين والدنيا ، مابين ترك واجبات ، وفعل محرمات ، إما فى حق الله ، وإما فى حق العباد . كترك الصلاة ، وشرب الخمور ، وسَبِّ السلف ، وسب جنود المسلمين ، والتجسس لهم على المسلمين ، ودلالتهم على أموال المسلمين . وحريمهم . وأخذ أموال الناس ، وتعذيبهم ، وتقوية دولتهم الملعونة ، وإرجاف قلوب المسلمين منهم ، إلى غير ذلك من أنواع الفتنة

ثم قال تعالى (وَلَقَدْ كانوا عاهَدُو اللهَ من قبلُ لايُوَلُّون الأدْبارَ

وكانَ عَهْدُ اللهِ مَسْئُولا) وهذه حال أقوام عاهدوا ثم نكثوا ، قديما وحديثا ، فى هذه الغزوة

فان فى العام الماضى . وفى هذا العام : فى أول الأمر ، كان من أصناف الناس من عاهد على أن يقاتل ولا يفر ، ثم فرَّ منهزما ، لما اشتد الأمر

ثم قال الله تعالى (قل لنْ ينفعَكُم الفِرارُ إنْ فَرَرْتُمْ من الموتِ أوالقتل . وإذاً لا تُمَتَّعُون إلاَّ قليلاً) فأخبر الله أن الفرار لا ينفع لا من الموت ولا من القتل . فالفرار من الموت كالفرار من الطاعون .

ولذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم « إذا وقع بأرض وأنتم بها فلا فلا تخرجوا فراراً منه (١) » والفرار من القتل كالفرار من الجهاد

وحرف « لن » ينفى الفعل فى الزمن المستقبل . والفعل نكرة . والنكرة فى سياق النَّفْى تَعُمُّ جميع أفرادها .

فاقتضى ذلك : أن الفرار من الموت أو القتل ليس فيه منفعة (٢) أبدا . وهذا خبر الله الصادق . فمن اعتقد أن ذلك ينفعه فقد كذَّب اللهَ فى خبره

---

(١) رواه الامام أحمد والبخارى ومسلم وأبو داود والنسائى عن عبد الرحمن بن عوف ، بلفظ « إذا سمعتم به بأرض فلا تدخلوا عليه . وإذا وقع وأنتم بأرض فلا تخرجوا منها فرارا منه » ورواه البخارى عن أسامة بن زيد أيضا .

(٢) وفى نسخة بهامش الأصل « ينفعه »

والتجربةُ تدلُّ على مثل مادَلَّ عليه القرآن . فان هؤلاء الذين فَرّوا فى هذا العام لم ينفعهم فرارهم ، بل خسروا الدّين والدنيا ، وتفاوتوا فى المصائب . والمرابطون الثابتون نَفَعَهُمْ ذلك فى الدّين والدنيا حتى الموتَ الذى فَرّوا منه كثر فيهم . وقَلَّ فى المقيمين . فمات مع الهرب من شاء الله . والطالبون للعدو والمعاقبون له لم يَمُتْ منهم أحد ، ولا قتل . بل الموت قلَّ فى البلد من حين خرج الفارُّون . وهكذا سُنَّةُ الله قديماً وحديثا .

ثم قال تعالى (وإذاً لا تُمَتَّعون إلا قليلاً) يقول : لو كان الفرار ينفعكم لم ينفعكم إلا حياة قليلة ، ثم تموتون . فان الموت لابُدَّ منه .

وقد حكى عن بعض الحَمْقَى أنه قال : فنحن نريد ذلك القليل .

وهذا جهل منه بمعنى الآية . فإن الله لم يقُل : إنهم يتمتعون بالفرار قليلا . لكنه ذكر أنه لامنفعة فيه أبدا .

ثم ذكر جوابا ثانيا . أنه لو كان ينفع لم يكن فيه إلا متاع قليل

ثم إنه ذكر جوابا ثالثاً . وهو أن الفارَّ يأتيه ما قُضِىَ له من المضَرَّة ويأتى الثابتَ ما قُضِىَ له من المَسَرّة . فقال (قُلْ مَنْ ذَا الَّذِى يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللهِ إنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءاً أَوْ أرادَ بكم رَحْمَةً . ولا يجدونَ لهم من دُونِ اللهِ وَلِيّاً وَلاَ نَصِيراً) .

ونظيره : قوله فى سياق آيات الجهاد (أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الموتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فى بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ) (١) وقوله : (يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمنوا لاتَكُونُوا كَالَّذين كَفَروا وقالوا لِإخْوَانِهِمْ إذَا ضَرَبُوا فى الْأَرْض ، أو كانوا غُزًّا : لو كانوا عِنْدَنَا ماماتُوا وَمَا قُتِلُوا . لِيَجْعَلَ اللهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فى قلوبِهِمْ وَاللهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللهُ بما تعملون بَصِيرٌ) (٢)

فمضمون الأمر : أن المنايا مَحْتُومَةٌ . فَكَمْ ممن حضر الصُّفوف فَسَلِمَ . وَكَمْ مِمَّنْ فرَّ من المنِيَّة فصادَفَتْه . كما قال خالدُ بن الوليد — لمَّا احتُضِرَ « لقدحضَرتُ كذا وكذا صفًّا . و إن بِبدَنى بضعاً وثمانين ، ما بَيْنَ ضَرْبَةٍ بسيفٍ وطَعْنَةٍ بِرُمْح ، ورَمْيَةٍ بسَهْمٍ . وهأَنَذَا أموتُ عَلَى فرَاشِى كما يموت العنز . فلا قرَّتْ أَعْيُنُ الْجُبَنَاءِ » (٣)

---

(١) سورة النساء (آية ٧٨)

(٢) سورة آل عمران (آية ١٥٦)

(٣) روى ابن الأثير فى أسعد الغابة قال : لما حضرت خالدبن الوليد الوفاة قال « لقد شهدت مائة زحف أو زهاءها . وما فى بدنى موضع شبر إلا وفيه ضربة أو طعنة أورمية . وها أنا أموت على فراش كما يموت العير . فلا نامت أعين الجبناء . وما من عمل أرجى من لا إله إلا الله . وأنا متترس بها » والعير : الحمار . وروى مثل ذلك ابن عساكر ، ثم قال : وقال رجل من حوله : « والله ليسوءنى . فقال له : ولكنها سيئة إلى أجل . واستعين

ثم قال تعالى: (قَدْ يَعْلَمُ اللهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ والقائِلِينَ لِإخْوانِهِم هَلُمَّ إِلَيْنَا)

قال العلماء : كانَ من المنافقين من يرجع من الخَنْدَق فيدخل المدينة . فاذا جاءهم أحد قالوا له : وَيْحَكَ، اجلِسْ ، فلاتخرج . ويكتبون بذلك إلى إخوانهم الذين بالعسكر : أن ائْتُونا بالمدينة ، فإنَّا ننتظركم، يُثَبِّطونهم عن القتال . وكانوا لايأتون العسكر إلا أنْ لايجدوا بُدًّا . فيأتون العسكر ليرى الناسُ وجوهَهم . فاذا غُفِلَ عنهم عادوا إلى المدينة . فانصرف بعضهم من عند النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فوجد أخاه لأبيه وأمه وعنده شِواء ونَبِيذٌ (١) . فقال : أنت هٰهنا ، ورسول الله صلى الله

بالله على ذلك . وفى رواية : أنه قال : « لقد طلبت الموت فى مظانه ، فلم يقدر لى إلا أن أموت على فراشى . وما من عمل شىء أرجى عندى بعد لا إله إلا الله من ليلة شديدة الجليد فى سرية من المهاجرين ، وأنا متترس والسماء تنهمل على ، وأنا أنتظر الصبح حتى أغير على الكفار . فعليكم بالجهاد . ثم قال : إذا أنامت فانظروا فى سلاحى وفرسى فاجعلوه عدة فى سبيل الله » .

(١) وفى تفسير ابن جرير « شواء ورغيف ونبيذ » وفى تفسير أبى حيان « سويق ونبيذ » قال ابن السائب : نزلت فى عبد الله بن أبى ، ومعتب بن قشير

عليه وسلم بين الرِّماح والسيوفِ ؟ فقال : هلُمَّ إلىَّ . فقد أُحيطَ بك وبصاحبك [١]

فوصف المُثبِّطين عن الجهاد — وهم صِنْفَان — بأنهم إما أن يكونوا فى بلدِ الغُزَاة ، أو فى غيره . فإن كانوا فيه عوَّقُوهم عن الجهاد بالقول ، أو بالعمل ، أو بهما . وإن كانوا فى غيره راسلوهم ، أو كاتبوهم : بأن يخرجوا إليهم من بلد الغُزاة ، ليكونوا معهم بالحصون ، أو بالبُعْدِ . كما جرى فى هذ الغَزاةِ

فإن أقواماً فى العسكر والمدينة وغيرها صاروا يُعوِّقون مَنْ أراد الغزو ، وأقواماً بعثوا من المعَاقِل والحصون أوغيرها إلى إخوانهم : هَلُمَّ إلينا

قال الله تعالى فيهم : (ولا يَأْتُونَ البَأْسَ إلاَّ قليلاً . أَشِحَّةً عليكم) أى بخلاء عليكم بالقتال معكم ، والنفقة فى سبيل الله وقال مجاهد : بخلاء عليكم بالخير والظَّفَر والغَنِيمة [٢]

وهذه حال من بخل على المؤمنين بنفسه وماله ، أو شَحَّ عليهم

---

(١) قال ابن جرير : والصواب أن يقال : إن الله وصفهم بالجبن والشح . ولم يخصص وصفهم من معانى الشح بمعنى دون معنى . فهم كما وصفهم الله به : أشحة على المؤمنين بالغنيمة والخير ، والنفقة فى سبيل الله على أهل مسكنة المسلمين .

بفضل الله: من نَصْرِهِ ورزْقه الذى يجريه بفعل غيره . فان أقواما يشحُّون بمعروفهم ، وأقواماً يشحون بمعروف الله وفضله . وهم الحُسّادُ

ثم قال تعالى : (فاذا جاء الخوفُ رأيتهم ينظرون إليكَ تدورُ أعينهم كالذى يُغشَى عليه من الموْت) من شِدّةِ الرُّعْبِ الذى فى قلوبهم يُشْبِهُونَ المُغْمَى عليه وقتَ النَّزْعِ . فانه يخاف وَيَذْهَلُ عقلُه ، ويَشْخَصُ بصَره ، ولا يَطْرِفُ . فكذلك هؤلاء . لأنهم يخافون القتل.

(فاذا ذهبَ الخوفُ سَلَقُوكُمْ بألْسِنَةٍ حِدَادٍ)

ويقال فى اللغة « صلقوكم » وهو رفع الصوت بالكلام المؤذى . ومنه « الصالقة » وهى التى ترفعُ صوتها بالمصيبةِ . يقال : صَلَقه ، وسَلَقه — وقد قرأطائفة من السَّلَف بها . لكنها خارجة عن المصحف — إذا خاطبه خطابا شديدا قوياً . ويقال : خطيب مِسْلاقٌ . إذا كان بليغا فى خطبته . لكن الشدة هنا فى الشرّ لا فى الخير . كما قال «بألسِنَةٍ حداد » (أشِحَّةً على الخير) وهذا السَّلْق بالألْسِنَةِ الحادَّة .

وهذا يكون بوجوهٍ . تارة يقول المنافقون للمؤمنين : هذا الذى جرَى علينا بشؤْمِكُمْ . فانكم أنتم الذين دعوتمُ الناسَ إلى هذا الدّين ، وقاتلتم عليه ، وخالفتموهمْ فان هذا مقالة المنافقين للمؤمنين من الصحابة

وتارة يقولون : أنتم الذين أشرتم علينا بالمُقَامِ هنا ، والثبات بهذا

الثَّغر إلى هذا الوقت ، وإلا فلو كنَّا سافرنا قبل هذا لما أصابنا هذا

وتارة يقولون — أنتم مع قِلَّتِكُمْ وضَعْفِكُمْ — تريدون أن تكسروا العدوَّ ، وقد غرَّكم دينُكم . كما قال تعالى (إِذْ يقولُ المنافقون والَّذين فى قُلوبهم مَرضٌ غَرَّ هؤلاء دِينُهم . ومَنْ يتوَكَّلْ على الله فإنَّ الله عَزيز حكيمٌ)

وتارة يقولون : أنتم مجانين ، لاعقل لكم ، تريدون أن تُهلكوا أنفسَكُمْ والناسَ معكم

وتارة يقولون : أنواعا من الكلام المؤذى الشديد . وهم مع ذلك أشِحَّةٌ على الخير ، أى حِراصٌ على الغَنيمة والمال الذى قد حصل لكم

قال قتادة : إن كان وقتَ قِسْمة الغنيمة ، بَسطوا ألسِنَتهم فيكم . يقولون : أعطونا ، فلستم بأحقَّ بها منَّا . فأما عند البأس فأجْبَنُ قومٍ وأخذَلهم للحق . وأما عند الغنيمة فأشَحُّ قومٍ

وقيل : أشحة على الخير ، أى بُخلاء به ، لاينفعون ، لابنفوسهم ولابأموالهم

وأصل الشُّحِّ : شِدَّة الحِرْص الذى يتولَّد عنه البُخْلُ والظلم : من منع الحقِّ ، وأخذ الباطل . كما قال النبى صلى الله عليه وسلم « إيَّاكُمْ والشحَّ . فإن الشَّحَّ أهلك مَنْ كان قبلكُمَ . أمرهم بالبُخْلِ فبَخلُوا .

وأمرهم بالظلم فظلموا . وأمرهم بالقطيعة فقطعوا (١) »

فهؤلاء أشحَّاء على إخوانهم ، أى بخلاء عليهم ، وأشحاء على الخير أى حِراص عليه . فلا ينفقونه . كما قال (وإنه لِحُبِّ الخيرِ لشديدٌ)

ثم قال تعالى (يَحْسَبُونَ الأحْزَابَ لم يَذْهَبُوا وإِنْ يأْتِ الأَحْزَابُ يَوَدُّوا لو أَنَّهُمْ بَادُونَ فى الأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ ما قَاتَلُوا إلاَّ قَلِيلاً) .

فوصفهم بثلاثة أوصاف :

أحدها : أنهم لِفَرْطِ خوفهم يحسبون الأحزاب لم ينصرفوا عن البلد . وهذه حالُ الجبانِ الّذى فى قلبه مَرض . فان قلبه يُبادر إلى تصديق الخبر المخوف ، وتكذيب خبر الأمْن .

الوصف الثانى : أنّ الأحزاب إذا جاءوا تمنَّوْا أن لايكونوا بينكم ، بل يكونون فى البادية بين الأعراب ، يسألون عن أنبائكم : إيْشْ خَبرُ المدينة ؟ وإيْشْ جرى للناس ؟ .

والوصف الثالث : أن الأحزاب إذا أتوا ، وهم فيكم ، لم يقاتلوا إلا قليلا .

---

(١) رواه مسلم عن جابر ، بلفظ « اتقوا الظلم . فان الظلم ظلمات يوم القيامة . واتقوا الشح . فان الشح أهلك من كان قبلكم . حملهم على ان سفكوا دماءهم . واستحلوا محارمهم » ورواه أبو داود وابن حبان بالفاظ قريبة من هذا .

وهذه الصفات الثلاث منطبقة على كثير من الناس فى هذه الغزوة ، كما يعرفونه من أنفسهم ، ويعرفه منهم من خبرهم .

ثم قال تعالى (لَقَدْ كان لكُمْ فى رَسولِ الله أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كان يَرْجُو اللهَ واليومَ الآخِرَ وذَكر اللهَ كَثيراً) .

فأخبر سبحانه أن الذين يُبْتَلَوْنَ بالعدوِّ ، كما ابْتُلِى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلهم فيه أُسْوَةٌ حسنة ، حيث أصابهم مثل ما أصابه . فلْيَتَأسَّوا به فى التوكُّلِ والصبر ، ولا يظنون أن هذه نِقَمٌ لصاحبها ، وإهانة له . فانه لو كان كذلك ما ابْتُلِى بها خيرُ الخلائق ، بل بها يُنالُ الدَّرجاتُ العالية ، وبها يُكَفِّرُ الله الخطايا لمن كان يرجو الله واليومَ الآخِرَ وذكرَ الله كثيراً . وإلا فقد يُبْتَلَى بذلك من ليس كذلك . فيكون فى حقه عذاباً . كالكفار والمنافقين .

ثم قال تعالى (ولمَّا رأى المؤمنون الأَحزابَ قالوا هذا ما وَعَدَنا اللهُ وَرَسُولُه ، وَصَدَقَ اللهُ وَرَسُوله . وما زَادَهُمْ إلا إيماناً وتَسْليماً) .

قال العلماء : كان الله قد أنزل فى سورة البقرة (أم حَسِبْتُمْ أن تَدْخُلُوا الجنةَ ولمَّا يأتِكُمْ مَثَلُ الذين خَلَوْا من قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ البَأْساءُ والضَّرَّاءُ وزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ والَّذِينَ آمَنُوا مَعَه . مَتَى نَصْرُ الله ؟ أَلاَ إنَّ نَصْرَ اللهِ قريبٌ) فَبيَّنَ الله سبحانه — مُنْكِراً على من حَسِبَ خلافَ ذَلك — أنهم لا يدخلون الجنة إلا بعد أن يُبْتَلوا

مثل هذه الأمم قبلهم « بالبأساء » ، وهى الحاجة والفاقة . و « الضراء » . وهى الوَجع والمرض . و « الزّلزال » وهى زلزلة العدو .

فلما جاء الأحزابُ عامَ الخندق فرأوهم . قالوا : (هذا ما وعدنا الله ورسولُه . وَصَدَقَ اللهُ ورسولُه) وعلموا أن الله قد ابتلاهم بالزلزال . وأتاهم مَثَلُ الذين خلوا من قبلهم ، وما زادهم إلا إيماناً وتسليماً لحكم الله وأمره .

وهذه حال أقوام فى هذه الغزوة . قالوا ذلك .

وكذلك قوله (مِنَ المؤمِنِينَ رِجالٌ صدَقوا ماعاهَدُوا اللهَ عليه فمِنهم من قضَى نَحْبَهُ) أى عَهْدَه الذى عاهد الله عليه . فقاتل حتى قُتِلَ ، أو عاش .

« والنَّحْبُ » النَّذْرُ والعَهْد . وأصلُه من النَّحيب . وهو الصوت . ومنه: الانتحاب فى البكاء ، وهو الصوت الذى تكلَّم به فى العهد .

ثم لما كان عهدهم هو نذرهم الصدق فى اللقاء — ومن صدق فى اللقاء فقد يقتل — صار يفْهَم من قوله (قضى نَحْبَه) أنه استُشْهِد ، لاسيما إذا كان النَّحْبُ : نذر الصدق فى جميع المواطن . فانه لايقضيه إلا بالموت . وقضاء النحب هو الوفاء بالعهد . كما قال (مِن المؤمنين رجالٌ صدقوا ماعاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه) أى أكمل الوفاء . وذلك لمن كان عهده مطلقا : بالموت ، أو القتل .

(ومنهم مَنْ ينتظِرُ) قضاءه، إذا كان قد وفَّى البعض، فهو ينتظر تمام العهد.

وأصل القضاء: الإتمام والإكمال.

(ليجزِيَ الله الصَّادقينَ بصدقِهم ويُعذِّبَ المنافِقِين إنْ شاء أو يَتُوبَ عَلَيْهِمْ وكان الله غفوراً رحيما).

بَيَّن الله سبحانه أنه أتى بالأحزاب ليَجْزِيَ الصادقين بصدقهم، حيث صدقوا فى إيمانهم. كما قال تعالى (إنَّما المؤمنونَ الذين آمنوا بالله ورسوله، ثم لم يرْتابُوا وجاهدوا بأموالهم وأنفُسِهم فى سبيل الله أولئك هُمُ الصَّادقونَ [1]).

فحصر الايمان فى المؤمنين المجاهدين، وأخبر أنهم هم الصادقون فى قولهم: آمَنَّا. لا من قال، كما قالت الأعراب: «آمنا» والايمان لم يدخل فى قلوبهم، بل انقادوا واستسلموا.

وأما المنافقون فهم بين أمرين: إما أن يعذبهم، وإما أن يتوب عليهم.

فهذا حال الناس فى الخندق وفى هذه الغزوة

وأيضاً فان الله تعالى ابتلَى النَّاس بهذه الفتنة، ليجزيَ الصادقين بصدقهم، وهم الثابتون الصابرون، لينصروا الله ورسوله، ويعذِّبَ المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم

(١) سورة الحجرات آية (١٥)

ونحن نرجو من الله أن يتوب على خلق كثير من هؤلاء المذمومين (١) فان منهم من ندم . والله سبحانه يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات . وقد « فتح الله للتوبة بابا من قبل المغرب عَرْضُه أربعون سنة . لايغلقه حتى تطلُع الشمس من قبله (٢) »

وقد ذكر أهل المغازِى – منهم ابن اسحٰق – أن النبى صلى الله عليه وسلم قال فى الخندق « الآن نغزوهم ، ولا يغزونا » فما غزت قريشٌ ولاغَطَفْان ، ولا اليهودُ المسلمين بعدها . بل غزاهم المسلمون . ففتحوا خَيْبَرَ ثم فتحوا مكة

كذلك ، إن شاء الله ، هؤلاء الأحزاب من المغُلِ وأصناف التُّرك ومن الفُرس ، والمستَعْرِبة ، والنصارى ، ونحوهم من أصناف الخارجين عن شريعة الاسلام : الآن نغزوهم ولا يغزونا . ويتوب الله على من شاء من المسلمين ، الذين خالط قلوبهم مَرَضٌ أو نفاق ، بأن يُنيبوا إلى ربهم

(١) فى نسخة : بهامش الأصل « على خلق كثير من هؤلاء المؤمنين »

(٢) روى الترمذى عن صفوان بن عسال عن النبى صلى الله عليه وسلم « إن قبل المغرب لبابا مسيرة عرضه أربعون عاما ، أو سبعون سنة ، فتحه الله عزوجل للتوبة يوم خلق السموات والأرض . فلا يغلقه حتى تطلع الشمس من مغربها »

ويَحسُنَ ظنُّهم فى الاسلام ، وتَقْوَى عزيمتُهمْ على جهاد عدوهم ، فقد أراهم الله من الآيات مافيه عِبْرَةٌ لأولى الأبصار . كما قال (وردَّ الله الذين كفروا بغيظِهم لمْ ينالُوا خيراً وكفَى اللهُ المؤمنين القتالَ وكان الله قوياً عزيزاً)

فان الله صرَف الأحزابَ عامَ الخندق بما أرسل عليهم من ريح الصَّبا : ريح شديدة باردة . وبما فرَّق به بين قلوبهم ، حتى شتَّت شمْلَهم ، ولمَ ينالوا خيراً . إذ كان همُّهم فتْحَ المدينة والاستيلاء على الرسول والصحاوالصحابة ، كما كان همُّ هذا العدوفتح الشام والاستيلاء على من بها من المؤمنين ، فردَّهم الله بغيْظهم ، حيث أصابهم من الثلج العظيم ، والبرْد الشديد ، والرِّيح العاصف ، والجوع المزعج ، ما الله به عليم

وقد كان بعض الناس يكره تلك الثلوج والأمطار العظيمة التى وقعت فى هذا العام ، حتى طلبوا الاستصحاء غير مرَّةٍ . وكُنَّا نقول لهم : هذا فيه خيرَة عظيمة . وفيه لله حكمة وسِرٌّ فلا تكرهوه . فكان من حكمته : أنه فيما قيل : أصاب قازان وجُنوده ، حتى أهلكهم ، وهو كان فيما قيل : سبب رحيلهم . وابْتُلى به المسلمون ليتبَيَّن من يَصْبر على

أمر الله وحكمه ممن يفرّ عن طاعته وجهاد عدوه.

وكان مبدأ رحيل قازان فيمن معه من أرض الشام وأراضي حلب: يوم الاثنين، حادي عشر جمادى الأولى، يومَ دخلتُ مصر عقيب العسكر، واجتمعتُ بالسلطان وأمراء المسلمين، وألقى الله في قلوبهم من الاهتمام بالجهاد ما ألقاه. فلما ثبّت الله قلوبَ المسلمين صَرفَ العدوّ، جزاء منه، وبياناً أن النية الخالصة والهمّة الصادقة ينصر الله بها، وإن لم يقع الفعل، وإن تباعدت الديار

وذكر أن الله فرّق بين قلوب هؤلاء المغُل والكُرْج والتي بينهم تباغُضاً وتعادياً، كما ألقى سبحانه عام الأحزاب بين قُريش وغَطَفان، وبين اليهود. كما ذكر ذلك أهل المغازي. فانه لم يتسع هذا المكان لأن نصِفَ فيه قصّة الخندق. بل مَنْ طالَعها علم صِحّة ذلك، كما ذكره أهل المغازي. مثل عُروة بن الزّبير، والزّهْري، وموسى بن عُقْبة، وسعيد بن يحيي الأموي، ومحمد بن عائذ، ومحمد بن اسحق، والواقِدِيّ، وغيرهم

ثم تبقّى بالشأم منهم بقايا، سار إليهم من عسكر دمشق أكثرهم، مضافاً إلى عسكر حَماة وحلَب، وما هنالك. وثبت المسلمون بازائهم. وكانوا أكثر من المسلمين بكثير، لكن في ضعف شديد. تقرّبوا إلى حَماة

وأذَلهمَّ الله تعالى . فلم يقدموا على المسلمين قط . وصار من المسلمين من يريد الاقدام عليهم . فلم يوافقه غيره ، َفجَرَتْ مُناوشات صغار ، كما قد كان يجرى فى غزوة الخندق . حيث قَتلَ علىٌّ بن أبى طالب رضى الله عنه فيها َعمْرو بن عَبْدِ وُدٍّ العامرىَّ لما اقْتَحَمَ الخندق ، هو ونفر قليل من المشركين.

كذلك صار يتقربُ بعضُ العدو فيكسِرَهم المسلمون ، مع كون العدو المتقرب أضعاف من قد سرى إليه من المسلمين . ومامن مرَّة إلا وقد كان المسلمون مستظهرين عليهم . وساق المسلمون خلفهم فى آخر النوبات ، فلم يدركوهم إلا عند عُبور الفُرات . وبعضهم فى جزيرة فيها . فرأوا أوائل المسلمين فهربوا منهم ، وخالطوهم . وأصاب المسلمون بعضهم . وقيل : إنه غرق بعضهم .

وكان عبورُهم وخلوُّ الشام منهم فى أوائل رجب ، بعد أن جرى مابين عبور قازان أولاً وهذا العبور : رَجْفات ووَقْعات صغارٌ ، وعزمنا على الذهاب إلى حماة غير مرة، لأجل الغزاة ، لَمَّا بلغنا أن المسلمين يريدون غزو الذين بقوا . وثبت بازأءهم المقدَّم الذى بحماة ، ومَنْ معهم من العسكر . ومن أتاه من دمشق ، وعزموا على لقائهم ، ونالوا أجراً عظيما . وقد قيل: إنهم كانوا عدَّة لحانات ، إما ثلاثة ، أو أربعة

وكان من المقدر : أنه إذا عزم الأمر وصدق المؤمنون الله يُلقى فى

قلوب عدوهم الرُّعب فيهربون ، لكن أصابوا من البُلَيْدَات بالشّمال مثل « تِيزِين » و « الفوعة » و « معَرّة مصْرِين (١) » وغيرها مالم يكونوا وَطِئوه فى العام الماضى .

وقيل : إن كثيرا من تلك البلاد كان فيهم مَيلٌ إليهم ، بسبب الرَّفْض . وأن عند بعضهم فرامين منهم . لكن هؤلاء ظَلَمة ومن أعان ظالما بُلِى به . والله تعالى يقول : (وكذلك نُوَلّي بعضَ الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون)

وقد ظاهرهم على المسلمين : الذين كفروا من أهل الكتاب ، من أهل «سيس» والأفرنج . فنحن نرجو من الله أن ينزلهم من صَياصيهم ، وهى الحصون — و يقال للقرون : الصياصى — و يَقذِف قلوبهم الرعب

وقد فتح الله تلك البلاد و يغزوهم إن شاء الله تعالى ، فيفتح أرض العراق وغيرها ، وتعلو كلمةُ الله ويظهر دينه . فان هذه الحادثة كان فيها

---

(١) « تيزين » بكسر التاء ثم ياء ثم زاى مكسورة و بعدها ياء ساكنة : قرية كبيرة من نواحى حلب . و «الفوعة» بضم الفاء وبعدها واو ثم عين مفتوحة : من قرى حلب . و « معرة مصرين » بفتح الميم ثم العين . وفتح الميم من «مصرين» جمع « مصر » والمصر بالفتح : حلب الناقة بأطراف الأصابع . وهى بليدة وكورة بنواحى حلب من أعمالها

أمور عظيمة جازت حدَّ القياس . وخرجت عن سنن العادة . وظهر لكل ذى عقل من تأييد الله لهذا الدين ، وعنايته بهذه الأمة ، وحفظه للأرض التى بارك فيها للعالمين بعد أن كاد الاسلام أن ..... (١) وكرّ العدو كرة فلم يلوعن ، وخذل الناصرون فلم يلووا على . وتحيّر السائرون فلم يدروا مِن ، ولا إلى ، وانقطعت الأسباب الظاهرة . وأُهْطعَت الأحزاب القاهرة ، وانصرفت الفئة الناصرة ، وتخاذلت القلوب المتناصرة ، وثبتت الفئة الناصرة ، وأيقنت بالنصر القلوب الطاهرة واستنجزت من الله وعده العصابة المنصورة الظاهرة ، ففتح الله أبواب سمواته لجنوده القاهرة ، وأظهر على الحق آياته الباهرة ، وأقام عمود الكتاب بعد ميله . وثبّت لواء الدين بقوته وحوله ، وأرغمَ معاطسَ أهل الكفر والنفاق . وجعل ذلك آية للمؤمنين إلى يوم التلاق .

فالله يُتمُّ هذه النعمة بجمع قلوب أهل الايمان على جهاد أهل الطغيان ، ويجعل هذه المِنَّة الجسيمة مبدأ لكل منحة كريمة ، وأساسا لإقامة الدعوة النبوية القويمة ، ويَشْفِى صدور المؤمنين من أعاديهم ، ويمكنهم من

---

(١) فى الأصل بياض بين حرف « أن » ولفظة « وكر » ولعل ما بينهما لفظة « يضعف » ، أوما فى معناها ، قدسها عنها الناسخ والله أعلم . كتبه أبو اسماعيل يوسف حسين عفا الله عنه اه من هامش الأصل

دانيهم وقاصيهم ، والحمد لله رب العالمين. وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

* * *

قال المؤلف رحمه الله :

كتبت أول هذا الكتاب بعد رحيل قازان وجنوده ، لما رجعت من مصر فى جمادى الآخرة ، وأشاعوا أنه لم يبق منهم أحد ، ثم لما بقيت تلك الطائفة اشتغلنا بالاهتمام بجهادهم ، وقصد الذهاب إلى إخواننا بحماة ، وتحريض الأمراء على ذلك ، حتى جاءنا الخبر بانصراف المتبقِّين منهم ، فكملته فى رجب . والله أعلم

والحمد لله وحده . وصلى الله على أشرف الخلق محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين .

* * *

٧٠٢ قلت : وفى أول شهر رمضان من سنة اثنتين وسبعمائة كانت وقعة « شقْحَب » المشهورة . وحصل للناس شدة عظيمة . وظهر فيها من كرامات الشيخ وإجابة دعائه ، وعظيم جهاده ، وقوة إيمانه ، وشدة نصحه للاسلام ، وفَرْط شجاعته ، ونهاية كرمه ، وغير ذلك من صفاته : مايفوق النعت ، ويتجاوز الوصف .

ولقد قرأت بخط بعض أصحابه — وقد ذكر هذه الواقعة ، وكثرة من حضرها من جيوش المسلمين — قال :

واتفقت كلمة إجماعهم على تعظيم الشيخ تقى الدين ومحبته ، وسماع كلامه ونصيحته ، واتعظوا بمواعظه ، وسأله بعضهم مسائل فى أمر الدين . ولم يبق من ملوك الشأم تركى ولا عربى إلا واجتمع بالشيخ فى تلك المدة ، واعتقد خيره وصلاحه ، ونصحه لله ولرسوله والمؤمنين .

قال : ثم ساق الله سبحانه جيش الاسلام العرمرم المصرى ، صحبة أمير المؤمنين والسلطان الملك الناصر ، ووُلاة الأمر ، وزعماء الجيش ، وعظماء المملكة ، والأمراء المصريين عن آخرهم ، بجيوش الاسلام : سوقا حثيثا للقاء التتار المخذولين . فاجتمع الشيخ المذكور بالخليفة والسلطان ، وأرباب الحل والعقد ، وأعيان الأمراء عن آخرهم . وكلهم بمرج الصُّفَّر (١) قِبْلِيَّ دمشق المحروسة . وبينهم وبين التتار أقل من مقدار ثلاث ساعات مسافة . ودار بين الشيخ المذكور وبينهم مادار بين الشاميين . وبينه . وكان بينهم ومعهم كأحد أعيانهم . واتفق له من اجتماعهم مالم يتفق لأحد قبله من أبناء جنسه ، حيث اجتمعوا بجملتهم فى مكان واحد ، فى يوم واحد ، على أمر جامع لهم وله ، مُهِمٍّ عظيم يحتاجون فيه إلى سماع كلامه . هذا توفيق عظيم كان من الله

---

(١) المرج — بفتح الميم وسكون الراء ثم جيم : الأرض الواسعة فيها نبت كثير تمرج فيها الدواب . والصفر بضم الصاد ثم تشديد الفاء . وله ذكر فى فتوح خالد بن الوليد لدمشق . كان فيه موقعة عظيمة مع الروم

تعالى له ، لم يتفق لمثله .

وبقى الشيخ المذكور — رضى الله عنه — هو وأخوه وأصحابه ومن معه من الغزاة قائما بظهوره وجهاده وَلأمَّةِ حربه ، يوصى الناس بالثبات وَيَعِدُهم بالنصر ، ويُبَشِّرهم بالغنيمة ، والفوز بإحدى الحسنيين ، إلى أن صدق الله وعده ، وأعزَّ جنده ، وهزم التتار وحده ، ونصر المؤمنين . وهُزِمَ الجمعُ وولوا الدُّبُر ، وكانت كلمة الله هى العليا ، وكلمة الكفار هى السفلى . وقُطِع دابرُ القوم الكفار . والحمد لله رب العالمين .

ودخل جيش الاسلام المنصور إلى دمشق المحروسة . والشيخ فى أصحابه شاكيا فى سلاحه ، داخلا معهم ، عالية كلمتهُ ، قائمةً حُجتهِ ، ظاهرة ولايته ، مقبولة شفاعته ، مجابة دعوته ، ملتمسة بركته ، مكرما معظما ، ذا سلطان وكلمة نافذة . وهو مع ذلك يقول للمداحين له : أنا رجل مِلَّة ، لا رجل دَولة .

[شجاعة الشيخ وبأسه عند قتال الكفار]

ولقد أخبرنى حاجب من الحجاب الشاميين ، أمير من أمرائهم ، ذو دين متين ، وصدق لهجة معروف فى الدولة . قال :

قال لى الشيخ — يوم اللقاء ، ونحن بمرج الصُّفَّر ، وقد تراءى الجمعان — : يافلان ، أوقفنى [1] موقف الموت

(١) بالأصل «يافلان ، الدين أوقفنى» والظاهر أن كلمة «الدين» زائدة

قال : فسقته إلى مقابلة العدو ، وهم منحدرون كالسيل ، تلوح أسلحتهم من تحت الغبار المنعقد عليهم .

ثم قلت له : ياسيدى ، هذا موقف الموت ، وهذا العدو ، قد أقبل تحت هذه الغَبَرة المنعقدة . فدونك وما تريد.

قال : فرفع طرْفه إلى السماء ، وأشخص بصره ، وحرّك شفتيه طويلا . ثم انبعث وأقدم على القتال . وأما أنا فخُيِّل إلىّ أنه دعا عليهم وأن دعاءه استجيب منه فى تلك الساعة .

قال : ثم حال القتال بيننا والالتحام ، وما عدت رأيته ، حتى فتح الله ونصر ، وانحاز التتار إلى جبل صغير ، عصموا نفوسهم به من سيوف المسلمين تلك الساعة . وكان آخر النهار .

قال : وإذا أنا بالشيخ وأخيه يصيحان بأعلى صوتيهما ، تحريضا على القتال ، وتخويفا للناس من الفرار .

فقلت : ياســـيدى ، لك البشارة بالنصر . فانه قد فتح الله ونصر ، وهاهم التتار محصورون بهذا السفح . وفى غد ، إن شاء الله تعالى ، يؤخذون عن آخرهم .

قال : فحمد الله تعالى ، وأثنى عليه بما هو أهله ، ودعا لى فى ذلك الموطن دعاء وجدت بركته فى ذلك الوقت وبعده .

هذا كلام الأمير الحاجب

قال : ثم لم يزل الشيخ بعد ذلك على زيادة فى الحال والقال والجاه ، والتحقيق فى العلم . والعرفان ، حتى حَرّك الله سبحانه عَزمات نفوس ولاة الأمر لقتال أهل جبل كِسروان . وهم الذين بَغوا وخرجوا على الامام ، وأخافوا السُبُل ، وعارضوا المارّين بهم من الجيش بكل سوء

فقام الشيخ فى ذلك أتم قيام . وكتب إلى أطراف الشأم فى الحثّ على قتال المذكورين . وأنها غزاة فى سبيل الله .

ثم تجهزَّ هو بمن معه لغزوهم بالجبل ، صَحِبَهُ ولىّ الأمر نائب المملكة المعظمة ، أعزَّ الله نصره . والجيوش الشآمية المنصورة . ومازال مع ولى الأمر فى حصارهم وقتالهم ، حتى فتح الله الجبل ، وأجلى أهله . وكان من أصعب الجبال ، وأشقها ساحة . وكانت الملوك المتقدمة لاتُقدِم على حصاره ، مع علمها بما عليه أهله من البغْى والخروج على الامام والعصيان ، وليس إلا لصعوبة المسلك ، ومَشقَّة النزول عليهم .

وكذلك لما حاصرهم بَيْدَرا بالجيش ، رحل عنهم ، ولم ينل منهم منالا ، لذلك السبب ، ولغيره . وذلك عقيب فتح قلعة الروم ، ففتحه الله على يدى وَلىّ الأمر ، نائب الشام المحروس . أعز الله نصره

وكان فتحه أحد المكرمات والكرامات المعدودة للشيخ . لسببين على ما يقوله الناس :

أحدهما : لكون أهل هذا الجبل بُغاةً رافضة سبَّابةً تَعَيَّن قتالهم .

والثانى : لأن جبل الصالحية لما استولت الرَّافضة عليه ـ فى حال استيلاء الطاغية قازان ـ أشار بعض كبرائهم بنهب الجبل ، وسَبْى أهله وقتلهم ، وتحريق مساكنهم ، انتقاما منهم لكونهم سنِّيَّة . وسماهم ذلك المُشير : نواصِبَ . فكان ما كان من أمر جبل الصالحية بذلك القول ، وتلك الاشارة .

قالوا : فكوفىء الرافضة بمثل ذلك ، باشارة كبير من كبراء أهل السنة وزناً بوزْنٍ ، جزاءً على يدِ وَلِىِّ الأمر ، وجيوش الاسلام

والمشير المذكور : هو الشيخ المشار إليه

ولما فتح الجبل ، وصار الجيش بعد الفتح إلى دمشق المحروسة عكفَ خاصُّ الناس وعامُّهم على الشيخ بالزيارة والتسليم عليه ، والتهنئة بسلامته ، والمسألة له منهم عن كيفية الحصار للجبل ، وصورة قتال أهله ، وعمَّا وقع بينهم و بين الجيوش من المراسلات وغيرها . فحكى الشيخ ذلك .

[بحث للشيخ مع أحد الرافضة فى عصمة غير الأنبياء]

وحكى أيضا أنه تجادل مع كبير من كبراء أهل جبل كسروان ، له اطلاع على مذهب الرافضة .

قال : وكان الجدل والبحث فى عصمة الامام وعدم عصمته ، وفى أن أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه معصوم من الصغائر والكبائر ، فى كل قول وفعل . وهذه دعوى الجيلى وأن الشيخ حاجَّه فى أن العصمة لم تثبت إلا للأنبياء عليهم السلام .

قال : وإننى قلت له : إن عليا وعبد الله بن مسعود رضى الله عنهما اختلفا فى مسائل وقعت ، وفتاوى أفتى بها كل منهما ، وأن تلك الفتاوى والمسائل عرضت على النبى صلى الله عليه وسلم ، فصوَّب فيها قول ابن مسعود رضى الله عنه .

هذا معنى كلام الشيخ فى حديثه عن المجادلة مع الرافضى الجيلى ، وإن اختلفت العبارة . انتهى ماذكره .

***

وكان توجه الشيخ تقى الدين رضي الله عنه إلى الكسروانيين فى مستهل ذى الحجة من سنة أربع وسبعمائة . وصحبته الأمير قراقوش . وتوجه نائب السلطنة ، الأمير جمال الدين الأفرم ، بمن تأخر من

٧٠٥

عسكر دمشق إليهم، لغزوهم واستئصالهم فى ثانى شهر المحرم من سنة خمس وسبعمائة. وكان قد توجه قبله العسكر، طائفة بعد طائفة فى ذى الحجة

وفى يوم الخميس سابع عشر وصل النائب والعسكر معه إلى دمشق، بعد أن نصرهم الله تعالى على حزب الضلال من الروافض والنُّصَيْرية وأصحاب العقائد الفاسدة، وأبادهم الله من تلك الأرض. والحمد لله رب العالمين.

[رسالة الشيخ إلى السلطان الملك الناصر]

ثم إن الشيخ رحمه الله ـ بعد وقعة جبل كسروان ـ أرسل رسالة إلى السلطان الملك الناصر، يذكر فيها ما أنعم الله على السلطان وعلى أهل الاسلام، بسبب فتوح الجبل المذكور. وهى هذه:

بسم الله الرحمن الرحيم

من الداعى أحمد بن تيمية إلى سلطان المسلمين، ومن أيد الله فى دولته الدين، أو عز بها عباده المؤمنين، وقمع فيها الكفار والمنافقين والخوارج المارقين، نصره الله و نصر به الاسلام، وأصلح له و به أمور الخاص والعام، وأحيى به معالم الايمان، وأقام به شرائع القرآن، وأذلّ به أهل الكفر والفسوق والعصيان.

سلام عليكم ورحمة الله و بركاته. فانَّا نحمَدَ إليكم الله الذى

لا إله إلا هو ، وهو للحمد أهل ، وهو على كل شيء قدير . ونسأله أن يصلى على خاتم النبيين ، و إمام المتقين محمد عبده ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليما .

أما بعد . فقدصدق اللهوعده ، ونصر عبدَه ، وأعزَّ جُنده ، وهزم الأحزاب وحده . وأنعم الله على السلطان ، وعلى المؤمنين فى دولته نعماً لم تُعهد فى القرون الخالية . وجُدِّد الاسلام فى أيامه تجديدا بانت فضيلته على الدول الماضية . وتحقق فى ولايته خبر الصادق المصدوق ، أفضل الأولين والآخرينَ ، الذى أخبر فيه عن تجديد الدين فى رءوس المئين والله تعالى يُوزِعُهُ والمسلمين شكر هذه النعم العظيمة فى الدنيا والدين ، ويُتمُّها بتمام النصر على سائر الأعداء المارقين .

وذلك : أن السلطان — أتَّم الله نعمته — حصل للأمة بيُمْنِ ولايته وحسن نيَّته ، وصحة إِسلامه وعَقيدته ، وبَركة إيمانه ومعرفته ، وفضل همته ، وشجاعته ، وثمرة تعظيمه للدين وشرعته ، ونتيجة اتباعه لكتاب الله وحكمته ، ما هوشبيه بما كان يجرى فى أيام الخلفاء الراشدين وما كان يقصده أكابر الأئمة العادلين : من جهاد أعداء الله المارقين من الدين ، وهم صنفان :

أهل الفجور والطغيان ، وذوو الغيِّ والعدوان ، الخارجون عن

شرائع الايمان ، طلبا للعلو فى الأرض والفساد ، وتركا لسبيل الهدى والرشاد . وهؤلاء هم التتار ، ونحوهم من كل خارج عن شرائع الاسلام وإن تمسك بالشهادتين ، أو ببعض سياسة الاسلام

والصنف الثانى : أهل البدع المارقون ، وذوو الضلال المنافقون ، الخارجون عن السنة والجماعة ، المفارقون للشرعة والطاعة . مثل هؤلاء الذين غزُوا بأمر السلطان من أهل الجبل ، والجرد ، والكسروان . فان ما منَّ الله به من الفتح والنصر على هؤلاء الطغام ، هو من عزائم الأمور التى أنعم الله بها على السلطان وأهل الاسلام .

وذلك : أن هؤلاء وجنسهم من أكابر المفسدين فى أمر الدنيا والدين فان اعتقادهم : أن أبا بكر وعمر وعثمان ، وأهل بَدْر ، وبَيْعة الرِّضوان وجمهور المهاجرين و الأنصار ، والتابعين لهم باحسان ، وأئمة الاسلام وعلماءهم أهل المذاهب الأربعة وغيرهم ، ومشايخ الاسلام وعُبَّادهم ، وملوك المسلمين وأجنادهم ، وعوامّ المسلمين وأفرادهم . كل هؤلاء عندهم كفَّار مُرتدُّون ، أكفر من اليهود والنصارى . لأنهم مرتدون عندهم والمرتد شرٌّ من الكافر الأصلى . ولهذا السبب يُقدِّمون الفرنج والتتار على أهل القرآن والايمان .

ولهذا لما قدم التتار إلى البلاد ، وفعلوا بعسكر المسلمين ما لا يحصى

من الفساد ، وأرسلوا إلى أهل قُبرص فملكوا بعض الساحل ، وحملوا راية الصَّليب ، وحملوا إلى قبرص من خيل المسلمين وسلاحهم وأَسْراهم مالا يُحصى عدده إلا الله ، وأقام سوقهم بالساحل عشرين يوما يبيعون فيه المسلمين والخيل والسلاح على أهل قبرص ، وفرحوا بمجيء التتار ، هم وسائر أهل هذا المذهب الملعون ، مثل أهل جَزِّين . وما حواليها . وجبل عامل ونواحيه .

ولما خرجت العساكر الاسلامية من الديار المصرية ، ظهر فيهم من الخزى والنكال ما عرفه الناس منهم . ولما نصر الله الاسلام النُّصرة العظمى عند قدوم السلطان ، كان بينهم شبيه بالعزاء .

كل هذا ، وأعظم منه ، عند هذه الطائفة التى كانت من أعظم الأسباب فى خروج جَنْكِسخان إلى بلاد الإسلام ، وفى استيلاء هُولاكو على بغداد ، وفى قدومه إلى حلب ، وفى نهب الصالحية ، وفى غير ذلك من أنواع العداوة للاسلام وأهله .

لأن عندهم أن كل من لم يوافقهم على ضلالهم فهو كافر مرتد . ومن استحل "الفُقَّاع"(١) فهو كافر . ومن مسح على الخفين فهو عندهم كافر . ومن حرم المتعة فهو عندهم كافر . ومن أحب أبا بكر أو عمر ، أَو عثمان ،

---

(١) فى القاموس : « الفقاع » كرمان . هذا الذى يشرب . سمى به لما يرتفع على رأسه من الزبد

أو ترضي عنهم أو عن جماهير الصحابة فهو عندهم كافر . ومن لم يؤمن بمنتظرهم فهو عندهم كافر

وهذا المنتظر صبى عمره سنتان أو ثلاث ، أو خمس . يزعمون أنه دخل السِّرداب بسامرَّا من أكثر من أربعمائة سنة . وهو يعلم كل شيء . وهو حجة الله على أهل الأرض . فمن لم يؤمن به فهو عندهم كافر . وهو شيء لا حقيقة له ، ولم يكن هذا فى الوجود قط .

وعندهم من قال : إن الله يُرى فى الآخرة فهو كافر . ومن قال : إن الله تكلم بالقرآن حقيقة فهو كافر . ومن قال : إن الله فوق السموات فهو كافر ومن آمن بالقضاء والقدر وقال : إن الله يهدى من يشاء ويُضِلُّ من يشاء ، وأن الله يُقلِّب قلوب عباده ، وأن الله خالق كل شيء ، فهو عندهم كافر . وعندهم أن من آمن بحقيقة أسماء الله وصفاته التى أخبر بها فى كتابه وعلى لسان رسوله ، فهو عندهم كافر .

هذا هو المذهب الذى تُلَقِّنُهُ لهم أئمتهم . مثل بنى العود . فإنهم شيوخ أهل هذا الجبل . وهم الذين كانوا يأمرونهم بقتال المسلمين . ويفتونهم بهذه الأمور .

وقد حصل بأيدى المسلمين طائفة من كتبهم تصنيف ابن العود وغيره . وفيها هذا وأعظم منه . وهم اعترفوا لنا بأنهم الذين علموهم وأمروهم لكنهم مع هذا يُظهرون التَّقيَّة والنفاق . ويتقربون ببذل الأموال الى

من يقبلها منهم . وهكذا كان عادة هؤلاء الجبلية . فانما أقاموا بجبلهم لما كانوا يظهرونه من النفاق ، و يبذلونه من البرطيل لمن يقصدهم والمكان الذى لهم فى غاية الصعوبة . ذكر أهل الخبرة أنهم لم يروا مثله . ولهذا كثر فسادهم . فقتلوا من النفوس ، وأخذوا من الأموال ، مالا يعلمه إلا الله .

ولقد كان جيرانهم من أهل البقاع وغيرها معهم فى أمر لا يُضْبط شرُّه ، كل ليلة تنزل عليهم منهم طائفة ، و يفعلون من الفساد مالا يحصيه إلا رب العباد . كانوا فى قطع الطرقات و إخافة سكان البيوتات على أقبح سيرة عرفت من أهل الجنايات ، يرد إليهم النصارى من أهل قبرص فيضيفونهم و يعطونهم سلاح المسلمين ، و يقعون بالرجل الصالح من المسلمين . فإما أن يقتلوه أو يسلبوه . وقليل منهم من يفات منهم بالحيلة .

فأعان الله و يَسَّرَ ، بحسن نية السلطان وهمته ، فى إقامة شرائع الاسلام ، وعنايته بجهاد المارقين أن غزوا غزوة شرعية ، كما أمر الله ورسوله ، بعد أن كشفت أحوالهم ، وأُزيحت عللهم ، وأزيلت شبههم ، و بُذل لهم من العدل والانصاف مالم يكونوا يطمعون به ، و بُيِّن لهم أن غزوهم اقتداء بسيرة أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه فى قتال الحرورية.(١)

(١) الحرورية : هم الخوارج الذى خرجوا على على بن أبى طالب

المارقين ، الذين تواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم الأمر بقتالهم ونعت حالهم ، من وجوه متعددة . أخرج منها أصحاب الصحيح عشرة أوجه : من حديث علي بن ابي طالب ، وأبي سعيد الخُدْري . وسَهل بن حُنَيف ، وأبي ذَرّ الغِفَاري . ورافع بن عمرو ، وغيرهم من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم .

قال فيهم . « يَحْقِر أحدُكم صلاته مع صلاتهم ، وصيامه مع صيامهم ، وقراءته مع قراءتهم ، يقرأون القرآن لا يُجاوز حَناجرهم ، يمرُقون من الإسلام كما يَمْرُق السَّهْمُ من الرَّمِيَّة . لئن أدركتهم لأَقْتُلَنَّهُمْ قتل عادٍ . لو يعلم الذين يُقاتلونهم ماذا لهم على لسان محمد صلى الله عليه وسلم لاتَّكلوا عن العمل . يقتلون أهل الاسلام . ويدعون أهل الأوثان . يقرأون القرآن يحسبون أنه لهم وهو عليهم ، شَرُّ قَتْلى تحت أَدِيم السماء . خيرُ قَتْلى من قتلوه »

وأول ماخرج هؤلاء ، زمن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه . وكان لهم من الصلاة ، والصيام ، والقراءة ، والعبادة ، والزَّهادة مالم يكن لعموم الصحابة . لكن كانوا خارجين عن سُنة رسول الله صلى الله عليه

منسوبون إلى قرية « حروراء » بفتحتين وسكون الواو وراء أخرى وألف ممدودة - قرية بظاهر الكوفة - كان بها أول تحكيمهم واجتماعهم حين خالفوا على علي رضي الله عنه

وسلم ، وعن جماعة المسلمين . وقتلوا من المسلمين رجلا اسمه عبد الله بن خَبَّاب (١) وأغاروا على دوابّ للمسلمين .

وهؤلاء القوم كانوا أقلّ صلاة وصياما . ولم نجدْ فى جَبلهم مصحفا ولا فيهم قارئا للقرآن . و إنما عندهم عقائدهم التى خالفوا فيها الكتاب والسنة . وأباحوا بها دماء المسلمين . وهم مع هذا فقد سفكوا من الدماء وأخذوا من الأموال ما لا يحصي عدده إلا الله تعالى .

فاذا كان على بن أبى طالب قد أباح لعسكره أن ينهبوا ما فى عسكر الخوارج ، مع أنه قتلهم جميعهم ، لان هؤلاء أحق بأخذ أموالهم . وليس هؤلاء بمنزلة المتأوِّلين الذين نادى فيهم على بن أبى طالب يوم الجمل « أنه لايقتل مُدبرهم ولا يُجْهزُ على جريحهم ، ولا يُغنْم لهم مالا ولايسبى لهم ذرية » لأن مثل أولئك لهم تأويل سائغ . وهؤلاء ليس

---

(١) هو عبد الله بن خباب بن الارت ـ بفتح الخاء وتشديد الباء وفتح الهمز والراء المهملة وتشديد التاء . له رؤية ولأبيه صحبة

قال فى أسد الغابة : كان طائفة من الخوارج أقبلوا من البصرة إلى إخوانهم من أهل الكوفة ، فلقوا عبد الله بن خباب ومعه امرأته . فقالوا له : من أنت ؟ قال أنا عبد الله بن خباب صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألوه عن أبى بكر وعمر وعثمان وعلى ، فأثنى خيرا عليهم ، فذبحوه ، فسال دمه فى الماء ، وقتلوا المرأة وهى حامل متم منه ، فقالت : أنا امرأة ، ألا تتقون الله ؟ فبقروا بطنها ، وذلك سنة سبع وثلاثين ، وكان من سادات المسلمين

لهم تأويل سائغ . ومثل أولئك إنما يكونون خارجين عن طاعة الامام . وهؤلاء خرجوا عن شريعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنته . وهم شرٌّ من التتّار من وجوه متعددة . لكن التتر أكثر وأقوى . فلذلك يظهر كثرة شرهم .

وكثير من فساد التتر هو لمخالطة هؤلاء لهم ، كما كان فى زمن قازان وهُولاكو ، وغيرهما . فانهم أخذوا من أموال المسلمين أضعاف ما أخذوا من أموالهم . وأرضُهم فىء لبيت المال

وقد قال كثير من السلف : إن الرافضة لاحقّ لهم من الفىْء . لأن الله إنما جعل الفيء للمهاجرين والأنصار ، (والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولاتجعل فى قلوبنا غِلاً للّذين آمنوا ربنا إنك رءوف رحيم) فمن لم يكن قلبه سليما لهم ، ولسانه مستغفرا لهم ، لم يكن من هؤلاء

وقطعت أشجارهم لأن النبى صلى الله عليه وسلم لما حاصر بنى النضير قطع أصحابُه نخلْهم وحرّقوه . فقال اليهود : هذا فساد . وأنت يامحمد تنهى عن الفساد . فأنزل الله (ما قَطعتُم من لِينْة أو تركتموها قائمةً على أصُولها فبإذن الله ولِيُخزىَ الفاسقين)

وقد اتفق العلماء على جواز قطع الشجر ، وتخريب العامر ، عند الحاجة إليه . فليس ذلك بأولى من قتل النفوس وما أمكن غير ذلك .

فان القوم لم يحضروا كلهم من الأماكن التى اختفوا فيها ، وأيسوا من المقام فى الجبل إلا حين قُطعت الأشجار . وإلا كانوا يختفون حيث لا يمكن العلم بهم . وما أمكن أن يسكن الجبل غيرهم . لأن التركمان إنما قصدُهم الرَّعى ، وقد صار لهم مرعى ، وسائر الفلاحين لا يتركو عمارة أرضهم ويجيئون إليه .

فالحمد لله الذى يسَّر هذا الفتح فى دولة السلطان بهمته وعزمه وأمره ، وإخلاء الجبل منهم ، وإخراجهم من ديارهم .

وهم يشبهون ماذكره الله فى قوله (هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأولِ الحَشْرِ . ما ظَنَنتُمْ أن يخرجوا وظنوا أنَّهُم مانِعَتُهُم حُصُونُهم من الله . فأتاهم الله مِنْ حَيْث لم يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فى قلوبهم الرُّعب . يُخْرِبُون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين فاعْتَبِرُوا ياأُولى الأبْصَارِ . ولولا أن كتب اللهُ عليهم الجَلاءَ لعَذَّبهم فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذَابُ النار . ذلك بأنهم شاقوا اللهَ ورسوله وَمَنْ يُشاقِّ الله فإن الله شديدُ العقابِ . ما قَطَعْتُم مِنْ لِيْنَةٍ أو تركتموها قائمة على أصولِها فبإذن الله ولِيُخْزِى الفاسقين[١])

وأيضاً فإنه بهذا انكسر من أهل البدع والنفَاق بالشام ومصر والحجاز، واليمن والعراق مايرفعُ الله به درجاتِ السلطان ، ويُعِزُّ به أهل الإيمان .

---

(١) سورة الحشر ، الآيات (٢ - ٥)

فصل

تمام هذا الفتح وبركته تَقَدُّم مراسم السلطان بحسْم مادَّة أهل الفساد ، وإقامة الشريعة فى البلاد . فإن هؤلاء القوم لهم من المشايخ والإخوان فى قُرى كثيرة مَنْ يَقتدون ، بهم وينتصرون لهم . وفى قلوبهم غِل ٌّ عظيم . وإبطان معاداة شديدة ، لا يؤمَنُون معها على ما يُمكنهم . ولو أنه مباطنة العدو . فإذا أمسك رءوسهم الذين يُضِلونهم — مثل بنى العَوْد — زال بذلك من الشر ما لا يعلمه إلا الله .

ويتقدم إلى قُراهم . وهى قرى متعددة بأعمال دمشق ، وصَفَد ؛ وطرابلس ، وحَماة ، وحمص ، وحَلب بأن يُقام فيهم شرائع الاسلام ، والجمعة ، والجماعة ، وقراءة القرآن ، ويكون لهم خطباء ومؤذنون ، كسائر قرى المسلمين ، وتقرأ فيهم الأحاديث النبوية . وتنشر فيهم المعالم الاسلامية ، ويعاقب من عُرف منهم بالبدعة والنفاق بما توجبه شريعة الإسلام .

فان هؤلاء المحاربين وأمثالهم قالوا : نحن قوم جبال . وهؤلاء كانوا يعلموننا ويقولون لنا : أنتم إذا قاتلتم هؤلاء تكونون مجاهدين . ومن قُتل منكم فهو شهيد .

وفى هؤلاء خلق كثير لا يقرُّون بصلاة ، ولا صيام ، ولا حج

ولا عمرة ، ولا يُحَرِّمون الميتة ، والدم ، ولحم الخنزير ، ولا يؤمنون بالجنة والنار . من جنس الاسماعيلية ، والنُّصَيْرِية والحاكميّة ، والباطِنيَّة ، وهم كفار أكفر من اليهود والنصارى باجماع المسلمين .

فتقدمُ المراسيم السلطانية بإقامة شعائر الاسلام : من الجمعة ، والجماعة ، وقراءة القرآن ، وتبليغ أحاديث النبى صلى الله عليه وسلم فى قُرى هؤلاء من أعظم المصالح الاسلامية . وأبلغ الجهاد فى سبيل الله .

وذلك سبب لانقماع من يُباطن العدو من هؤلاء ، ودخولهم فى طاعة الله ورسوله ، وطاعة أولى الأمر من المسلمين

وهو من الأسباب التى يعين الله بها على قمع الأعداء .

فان ما فعلوه بالمسلمين فى أرض « سِيْس » نوع من غدرهم الذى به ينصر الله المسلمين عليهم . وفى ذلك لله حكمة عظيمة . ونصرة للاسلام جسيمة .

قال ابن عباس « ما نقض قوم العهد إلا أُديل عليهم العدو » .

ولولا هـذا وأمثاله ما حصل للمسلمين من العزم بقوة الايمان ، وللعدو من الخذلان ، ما ينصر الله به المؤمنين ، ويُذلُّ به الكفار والمنافقين

والله هو المسئول أن يُتمَّ نعمته على سلطان الإسلام خاصة ، وعلى عباده المؤمنين عامة .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

والحمد لله وحده . وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا .

عنوان الكتاب ظاهره

سلطان المسلمين . ومن أيّد الله فى دولته الدين . وقمع الكفار والمنافقين أيد الله به الاسلام . ونشر عدله فى الأنام .

[موقف من مواقف الشيخ]

فى

[إبطال حيل أهل الطرق الدجالين]

وفى يوم السبت تاسع جمادى الأولى من هذه السنة — سنة خمس وسبعمائة — اجتمع جماعة من الأحمدية الرفاعية عند نائب السلطنة بالقصر. وحضر الشيخ تقى الدين . وطلبوا أن يسلِّم إليهم حالهم . وأن الشيخ تقى الدين لا يعارضهم ولا ينكر عليهم . وأرادوا أن يظهروا شيئا مما يفعلونه . فانتدب لهم الشيخ . وتكلَّم باتباع الشريعة . وأنه لا يسع أحداً الخروج عنها بقول ولا فعل . وذكر أن لهم حِيلا يتحَيَّلون بها فى دخول النار ، وإخراج الزَّبد من الحلوق

وقال لهم : من أراد دخول النار فليغسل جسده فى الحمام ، ثم

يَدْلُكه بالخلّ . ثم يدخل . ولو دخل لا يُلتفت إلى ذلك . بل هو نوعٌ من فعل الدّجال عندنا

وكانوا جمعاً كثيرا

وقال الشيخ صالح شيخ المنيبيع : نحن أحوالنا تنفقُ عند التتار . ما تنفق قُدّام الشرع .

وانفصل المجلس على أنهم يخلعون أطواق الحديد ، وعلى أن من خرج عن الكتاب والسنة ضُربت رقبته

وحفظ هذه الكلمة الحاضرون من الأمراء ، والأكابر ، وأعيان الدولة

وكتب الشيخ عقيب هذه الواقعة جزءا فى حال الأحمدية ، ومبدئهم ، وأصل طريقهم . وذكر شيخهم . وما فى طريقهم من الخير والشر ، وأوضح الأمر فى ذلك

[محنة الشيخ وقيام المبتدعين عليه لتأليفه الحموية]

وقال الذهبى فى أثناء كلامه فى ترجمة الشيخ : ٦٩٨

ولما صنف المسألة الحموية فى الصفات سنة ثمان وتسعين وستمائة تحزّبوا له . وآل بهم الأمر إلى أن طافوا به على قصبة من جهة القاضى الحنفى . ونودى عليه بأن لا يُستَفْتَى

ثم قام بنصره طائفة آخرون . وسلم الله

٧٠٥

فلما كان سنة خمس وسبعمائة جاء الأمر من مصر بأن يسئل عن معتقده

فجمع له القضاة والعلماء بمجلس نائب دمشق الأفرم

فقال : أنا كنت سئِلتُ عن معتقد أهل السنة ، فأجبتُ عنه فى جزء

من سنين ، وطلبه من داره ، فأحضر ، وقرأه

فنازعوه فى موضعين ، أو ثلاثة منه . وطال المجلس . فقاموا واجتمعوا

مرتين أيضا لتتمة الجزء . وحاققوه

ثم وقع الاتفاق على أن هذا معتقد سلفىّ جيد . وبعضهم قال

ذلك كرها

وكان المصريون قد سعوا فى أمر الشيخ وملأوا الامير ركن

الدين الجاشنكير الذى نسلطن عليه

فطُلِب إلى مصر على البريد .

فثانى يوم دخوله اجتمع القضاة والفقهاء بقلعة مصر وانتصب ابن

عدْ لان له خصما . وادَّعى عليه عند ابن مخلوف القاضى المالكى . أن هذا

يقول : إن الله تكلم بالقرآن بحرف وصوت ، وأنه تعالى على العرش بذاته ،

وأن الله يشار إليه الاشارة الحسية

وقال : أطلب عقوبته على ذلك .

فقال القاضى : ماتقول يافقيه ؟

فحمد الله وأثنى عليه

فقيل له : أسرع ، ما أحضرناك لتخطب

فقال : أوَمُنِع الثناء على الله ؟

فقال القاضى : أجب . فقد حمدت الله

فسكت . فألَّح عليه

فقال : من الحكم فيّ ؟

فأشار له إلى القاضى ابن مخلوف

فقال : أنت خصمى . كيف تحكم فىّ ؟ وغضب وانزعج ، وأسكت القاضى

فأقيم الشيخ وأخواه ، وسجنوا بالجب بقلعة الجبل

وجرت أمور طويلة .

وكُتب إلى الشأم كتاب سلطانى بالحط عليه . فقرىء بالجامع . وتألم الناس له . ثم بقى سنة ونصفا ، وأخرج ، وكتب لهم ألفاظا اقترحوها عليه . وهُدِّد وتُوعِّد بالقتل إن لم يكتبها

وأقام بمصر يقرىء العلم و يجتمع عنده خلق ، إلى أن تكلم فى الاتحادية القائلين بوحدة الوجود . وهم ابن سبعين وابن عربى والقَونوى ، وأشباههم فتحزّب عليه صوفية وفقراء . وسعوا فيه . وأنه تكلم فى صفوة الأولياء .

فعمل له محفل . ثم أخرجوه على البريد

ثم ردوه على مرحلة من مصر ، ورأوا مصلحتهم فى اعتقاله . فسجنوه

فى حبس القضاة سنة ونصفا

فجعل أصحابه يدخلون إليه فى السر ، ثم تظاهروا . فأخرجته الدولة على البريد إلى الاسكندرية . وحبس ببرج منها ، وَشُنِّعَ بانه قتل . وأنه غرق ، غير مرة

فلما عاد السلطان — أيده الله تعالى — من الكَرَك ، وأباد أضداده ، بادر باستحضار الشيخ الى القاهرة ، مكرّما . واجتمع به وحادثه ، وساره بحضرة القضاة والكبار ، وزاد فى إكرامه

ثم نزل وسكن فى دار . واجتمع بعد ذلك بالسلطان . ولم يكن بعد السلطان يجتمع به ، فلما قدم السلطان لكشف العدو عن الرّحبة جاء الشيخ الى دمشق سنة اثنتى عشرة وسبعمائة . ثم جرت أمور ومحن . انتهى كلامه

[محنة الشيخ بدمشق]

وقال الشيخ علم الدين : وفى شهر ربيع الأول من سنة ثمان وتسعين وستمائة وقع بدمشق محنة للشيخ الامام تقى الدين بن تيمية

وكان الشروع فيها من أول الشهر . وظهرت يوم الخامس منه واستمرت الى آخر الشهر

وملخصها : أنه كان كتب جوابا سُئل عنه من حماة فى الصفات . فذكر فيه مذهب السلف ، ورجحه على مذهب المتكلمين ، وكان قبل

ذلك بقليل أنكر أمر المنجمين . واجتمع بسيف الدين جاغان في ذلك في حال نيابته بدمشق وقيامه ، فقام نائب السلطنة . وامتثل أمره . وقبل قوله ، والتمس منه كثرة الاجتماع به

فحصل بسبب ذلك ضيق للجماعة ، مع ما كان عندهم قبل ذلك من كراهية الشيخ وتألمهم لظهوره . وذكره الحسن

فانضاف شيء إلى أشياء . ولم يجدوا مساغاً الى الكلام فيه لزهده، وعدم إقباله على الدنيا ، وترك المزاحمة على المناصب ، وكثرة علمه ، وجودة أجوبته وفتاويه ، ومايظهر فيها من غزارة العلم ، وجودة الفهم

فعمدوا إلى الكلام فى العقيدة [1] لكونهم يرجحون مذهب

---

(١) سبحان الله . ما أشبه الليلة بالبارحة : كنا يوما فى دمشق ، فى مجلس الباشا . فطلب الذين خرجت عليهم القرعة فى النظام . وكان أمر السلطان : أن من كان منهم طالب علم ، يجاوب عما يسئل عنه ، يسمح له . فانتهت النوبة إلى طالب نجيب من الحنابلة ، فسألوه ، فأجاب حالا

فقال متعنت منهم – يقال له محمد المنير – : لا نشك فى معرفته . ولكن سلوه عن عقيدته .

فقال له الطالب : سل عما تريد

فقال : ما تقول فى قوله تعالى (الرحمن على العرش استوى)

فقال : أقول : استواء يليق بجلاله

فقال الباشا : حسن . وكان من أهل العلم والدين

فأبلس ذلك المتعنت ، وانقمع

المتكلمين فى الصفات والقرآن على مذهب السلف ، ويعتقدونه الصواب .

فأخذوا الجواب الذى كتبه ، وعملوا عليه أوراقا فى ردّه . ثم سعوا السعى الشديد إلى القضاة والفقهاء ، واحداً واحداً . وأغروا خواطرهم ، وحرفوا الكلام ، وكذبوا الكذب الفاحش ، وجعلوه يقول بالتجسيم — حاشاه من ذلك — وأنه قد أوعز ذلك المذهب الى أصحابه . وأن العوام قد فسدت عقائدهم بذلك . ولم يقع من ذلك شيء . والعياذ بالله

وسعوا فى ذلك سعيا شديدا ، فى أيام كثيرة المطر والوحل والبرد ، وسعوا فى ذلك سعيا شديدا

افقهم جلالُ الدّين الحنفىّ ، قاضى الحنفية يومئذ ، على ذلك . ومشى معهم إلى دار الحديث الأشْرفيّه . وطلب حضوره ، وأرسل إليه فلم يحضر .

وأرسل إليه فى الجواب : إن العقائد ليس أمرها إليك ، وإن السلطان إنما ولاّك لتحكم بين الناس ، وإن إنكا المنكرات ليس مما يختص به القاضى .

فوصلت إليه هذه الرسالة فأغرَوا خاطره ، وشوَّشُوا قلبه ، وقالوا : لم يحضر . وردّ عليك

والباشا المذكور : هو المرحوم محمد رشدى الشروانى . والطالب الشيخ عبدالسلام الشطى . زاده الله توفيقا وإيمانا . اه هكذا وجدت منقولا على الحاشية

فأمر بالنداء على بطلان عقيدته فى البلدة

فأجاب إلى ذلك . فنودى فى بعض البلد

ثم بادر سيف الدين جاغان ، وأرسل طائفة . فضرب المنادى وجماعة ممن حوله ، وأخرق بهم . فرجعوا مضروبين فى غاية الاهانة

ثم طلب سيف الدين جاغان مَنْ قام فى ذلك وسعى فيه ، فدارت الرسل والأعوان عليهم فى البلد ، فاختفوا ، واحتمى مُقَدَّمهم ببدر الدين الأتابكى ، ودخل عليه فى داره . وسأل منه أن يجيره من ذلك . فترفّق فى أمره ، إلى أن سكن غضب سيف الدين جاغان

ثم إن الشيخ جلس يوم الجمعة على عادته ثالث عشر الشهر . وكان تفسيره فى قوله تعالى (وإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيم [١]) وذكر الحلم ، وما ينبغى استعماله

وكان ميعاداً جليلا

ثم إنه اجتمع بالقاضى إمام الدين الشافعى ، وواعده لقراءة جزئه الذى أجاب فيه . وهو المعروف : بالحموية .

فاجتمعوا يوم السبت رابع عشر الشهر ، من بكرة النهار إلى نحو الثلث من ليلة الأحد ، ميعاداً طويلا مستمرا . وقرئت فيه جميع العقيدة وبيَّن مراده من مواضع أشكلت . ولم يحصل إنكار عليه من الحاكم

(١) سورة ن والقلم آية (٤)

ولا ممن حضر المجلس ، بحيث انفصل عنهم ، والقاضى يقول : كل من تكلم فى الشيخ يُعَزَّر . وانفصل عنهم عن طيبة .

وخرج والناس ينتظرون مايسمعون من طيب أخباره .

فوصل إلى داره فى ملأ كثير من الناس ، وعندهم استبشار وسرور به . وهو فى ذلك كله ثابت الجأش ، قوى القلب ، واثق بالنصر الالٰهى لا يلتفت إلى نصر مخلوق ، ولا يُعَوِّل عليه

وكان سعيهم فى حقه أَتَمَّ السعي ، لم يبقوا ممكنا من الاجتماع بمن يرتجون منه أدنى نصرلهم ، وتكلموا فى حقه بأنواع الأذى ، وبأمور يستحى الانسان من الله سبحانه أن يحكيها ، فضلا عن أن يَخْتلقها ، ويُلَفِّقها . فلا حول ولا قوة إلا بالله

والذين سعوا فيه معروفون عندنا وعند كل أحد ، قد اشتهر عنهم هذا الفعل الفظيع . وكذلك مَنْ ساعدهم بقول ، أو تشنيع ، أو إغراء أو إرسال رسالة ، أو إفتاء ، أو شهادة ، أو أذى لبعض أصحاب الشيخ ومن يلوذ به ، أوشتم ، أو غيبة ، أو تشويش باطن . فانه وقع من ذلك شىء كثير من جماعة كثيرة

ورأى جماعة من الصالحين والأخيار فى هذه الواقعة وعقيبها للشيخ مرائى حسنة جليلة ، لو ضبطت كانت مجلدا تاما . انتهى ما ذكره

[إحضار الشيخ بمجلس نائب السلطنة]

[ومناقشته فى العقيدة]

ثم بعد هذه الواقعة بمدة كثيرة ـ وذلك يوم الاثنين ثامن رجب من سنة خمس وسبعمائة — طلب القضاة والفقهاء ، وطلب الشيخ تقى الدين إلى القصر ، إلى مجلس نائب السلطنة الأفرم . فاجتمعوا عنده . وسأل الشيخ تقى الدين وحده عن عقيدته

وقال له : هذا المجلس عقد لك ، وقد ورد مرسوم السلطان : أن أسالك عن اعتقادك

فأحضر الشيخ عقيدته الواسطية . وقال : هذه كتبتها من نحو سبع سنين ، قبل مجىء التتار إلى الشأم .

فقرئت فى المجلس ، وبحث فيها ، وبقى مواضع أُخِّرت إلى مجلس آخر .

ثم اجتمعوا يوم الجمعة بعد الصلاة ثانى عشر رجب المذكور . وحضر المخالفون ، ومعهم الشيخ صَفِيٌّ الدين الهندى ، واتفقوا على أنه يتولى المناظرة مع الشيخ تقى الدين .

فتكلم معه .

ثم إنهم رجعوا عنه ، واتفقوا على الشيخ كمال الدين بن الزَّمْلِكانى . فناظر الشيخ وبحث معه . وطال الكلام ، وخرجوا من هناك والأمر قد انفصل .

وقد أظهر الله من قيام الحجة ما أعزّ به أهل السنة .

وانصرف الشيخ تقى الدين إلى منزله

واختلفت نقول المخالفين للمجلس ، وحرّفوه ، ووضعوا مقالة الشيخ على غير موضعها ، وشنع ابن الوكيل وأصحابه بأن الشيخ قد رجع عن عقيدته ، فالله المستعان

والذى حمل نائب السلطنة على هذا الفعل : كتاب ورد عليه من مصر فى هذا المعنى

وكان القائم فى ذلك بمصر : القاضى ابن مخلوف المالكى . والشيخ نصر المَنْبِجىّ والقروى ، واستعانوا بركن الدين الجاشنكير

ثم بعد ذلك عزّر بعضُ القضاة بدمشق شخصاً يلوذ بالشيخ تقى الدين ، وطلب جماعة ، ثم أُطْلقوا ، ووقع هَرْج فى البلد . وكان الأمير نائب السلطنة قد خرج للصيد وغاب نحو جمعة ثم حضر .

وكان الحافظ جمال الدين المزّى يقرأ صحيح البخارى ، لأجل الاستسقاء . فقرأ يوم الاثنين الثانى والعشرين من رجب فى أثناء ذلك فصلا فى الردّ على الجُهمية ، وأن الله فوق العرش ، من كتاب أفعال

العباد ، تأليف البخارى ، تحت النسر

فغضب لذلك بعض الفقهاء الحاضرين ، وقالوا : نحن المقصودون بهذا ، ورفعوا الأمر إلى قاضى القضاة الشافعى

فطلبه ورسم بحبسه .

فبلغ ذلك الشيخ تقى الدين ، فتألم له ، وأخرجه من الحبس بيده وخرج إلى القصر إلى ملك الأمراء . وتخاصم هو والقاضى هناك، وأثنى على الشيخ جمال الدين . وغضب القاضى . وانزعج

وقال : لئن لم يردّ إلى حبسى عزلتُ نفسى . فأرضاه ملك الأمراء بأن أعاد الشيخ جمال الدين إلى حبسهِ . فاعتقله بالقوصية أيَّاماً .

وذكر الشيخ تقى الدين للنائب ما وقع فى غيبته فى حق بعض أصحابه من الأذى . فرسم بحبس جماعة من أصحاب ابن انوكيل ، وأمر فنودى فى البلد : إنه من تكلم فى العقائد حل دمه وماله ، ونُهب داره وحانوته . وقصد بذلك تسكين الفتن والشر .

وفى يوم الثلاثاء سابع شعبان عُقد للشيخ تقى الدين مجلس ثالث بالقصر ورضى الجماعة بالعقيدة

وفى هذا اليوم عَزل قاضي القضاة نجم الدين بن صَصْرى نفسه عن الحكم بسبب كلام سمعه من الشيخ كمال الدين بن الزّملكانى لا أحب حكايته

***

وفى اليوم السادس والعشرين من شعبان ورد كتاب السلطان إلى القاضى باعادته إلى الحكم . وفيه :

إنا كنَّا رسمنا بعقد مجلس للشيوخ تقى الدين . وقد بلغنا ماعقدله من المجالس ، وأنه على مذهب السلف . وما قصدنا بذلك إلا براءة ساحته

***

[ملخص ماحصل للشيخ فى تلك المجالس]

وقد ذكر الشيخ رحمه الله صورة ما جرى فى هذه المجالس ملخصا وعلق فى ذلك شيئا مختصرا فقال :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له . ولا ظهير ولا معين . وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الذى أرسله إلى الخلق أجمعين . صلى الله عليه وعلى آله وسلم وعلى سائر عباد الله الصالحين .

أما بعد . فقد سُئلتُ غيرَ مرة ، أن أكتب ما حضرنى ذِكرُه مما جرى فى المجالس الثلاثة المعقودة للمناظرة ، فى أمر الاعتقاد بمقتضى ما ورد به كتاب السلطان من الديار المصرية إلى نائبه أمير البلاد لما سعى إليه قوم من الجهمية ، والاتحادية ، والرافضة ، وغيرهم : من ذوى

الأحقاد . فأمر الأمير بجمع القضاه الأربعة : قضاة المذاهب الاربعة ، وغيرهم من نوابهم والمفتين ، والمشايخ : ممن له حرمة وبه اعتداد . وهم لا يدرون ما قُصد بجمعهم فى هذا الميعاد . وذلك يوم الاثنين ثامن رجب المبارك عام خمس وسبعمائة .

فقال لى : هذا المجلس عقد لك . فقد ورد مرسوم السلطان : أن أسألك عن اعتقادك ، وعما كتبت به إلى الديار المصرية ، من الكتب التى تدعو بها الناس إلى الاعتقاد

وأظنه قال : وأن أجمع القضاة والفقهاء وتتباحثون فى ذلك

فقلت : أما الاعتقاد فلا يؤخذ عنى ، ولا عمن هو أكبر منى ، بل يؤخذ عن الله ورسوله . وما أجمع عليه سلف الأمة . فما كان فى القرآن وجب اعتقاده . وكذلك ماثبت فى الأحاديث الصحيحة ، مثل صحيح البخارى ومسلم .

وأما الكتب ، فما كتبت إلى أحد كتابا ابتداء أدعوه به إلى شىء من ذلك . ولكننى كتبت أجوبة أجبت بها مَن يسألنى من أهل الديار المصرية وغيرهم .

* وكان قد بلغنى أنه زُوِّرَ علىّ كتاب إلى الأمير ركن الدين الجاشنكير أستاذ دار السلطان ، يتضمن ذكر عقيدة مُحَرَّفة . ولم أعلم بحقيقته . لكن علمت أن هذا مكذوب . وكان يردُ علىّ من مصر وغيرها مَنْ يسألنى

مسائل فى الاعتقاد أو غيره ، فأجيبه بالكتاب والسنة . وما كان عليه سلف الأمة .

فقال : نريد أن تكتب لنا عقيدتك .

فقلت : اكتبوا .

فأمر الشيخ كمال الدين أن يكتب

وكتبت له جمل الاعتقاد فى أبواب الصفات ، والقدر ، ومسائل الايمان ، والوعيد ، والإمامة . والتفضيل

وهو أن اعتقاد أهل السنة والجماعة : الايمان بما وصف الله به نفسه ، وبما وصفه به رسوله . من غير تحريف ، ولا تعطيل ، ولا تكييف ، ولا تمثيل . وأن القرآن كلام الله ، غير مخلوق . منه بدأ وإليه يعود . والإيمان بأن الله خالق كل شىء من أفعال العباد وغيرها . وأنه ما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن . وأنه أمر بالطاعة ورضيها وأحبها . ونهى عن المعصية وكرهها . والعبد فاعل حقيقة . والله خالق فعله . وأن الايمان والدين قول وعمل يزيد وينقص . وأن لا نكفر أحداً من أهل القبلة بالذنوب . ولا نخلد فى النار من أهل الايمان أحدا ، وأن الخلفاء بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم : أبو بكر ، ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم على

رضى الله عنهم . وأن مرتبتهم فى الفضل كمرتبتهم فى الخلافة . ومن قدَّم عليا على عثمان . فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار .

وذكرت هذا ونحوه . فانى الآن قد بعد عهدى . ولم أحفظ لفظ ما أمليته إذ ذاك .

ثم قلت للأمير والحاضرين : أنا أعلم أن أقواما يكذبون علىّ ، كما قد كذبوا علىّ غير مرة . وإن أمليت الاعتقاد من حفظى ربما يقولون : كتم بعضه ، أو داهن ودارى . فأنا أحضِر عقيدةً مكتوبة من نحو سبع سنين ، قبل مجىء التتر إلى الشأم

قلت ، قبل حضورها كلاما قد بَعُد عَهْدى به . وغضبتُ غضباً شديدا ، لكنى أذكر أنى قلت :

أنا أعلم أن أقوماً كذبوا علىّ . وقالوا للسلطان أشياء . وتكلّمت بكلام احتجت إليه . مثل أن قلت :

من قام بالإسلام فى أوقات الحاجة غيرى ؟ ومن الذى أوضح دلائله ، وبيّنه ، وجاهد أعداءه ، وأقامه لما مال ، حين تخلَّي عنه كل أحد ، فلا أحد ينطق بحجته ، ولا أحد يجاهد عنه ، وقمت مظهرا لحجته ، مجاهداً عنه ، مرغبا فيه ؟

فاذا كان هؤلاء يطمعون فى الكلام فىّ ، فكيف يصنعون بغيرى ؟

ولو أن يهودياً طلب من السلطان الانصاف لوجب عليه أن ينصفه

وأنا قد أعفو عن حقي ، وقد لا أعفو . بل قد أطلب الانصاف منه .

وأن يُحضِر هؤلاء الذين يكذبون ليحاقَقُوا على افترائهم

وقلت كلاما أطول من هذا ، من هذا الجنس . لكن بَعُد عهدي به .

فأشار الأمير إلى كاتب الدَّرَج : محيي الدين ، أن يكتب ذلك .

وقلت أيضا : كل من خالفني في شيء مما كتبته فأنا أعلم بمذهبه منه

وما أدري ، هل قلت هذا قبل حضورها ، أو بعدها ؟

لكنني قلت أيضا : بعد حضورها وقراءتها : ما ذكرت فيها فصلا إلا وفيه مخالف من المنتسبين إلى القبلة . وكل جملة فيها خلاف لطائفة من الطوائف .

ثم أرسلت من أحضرها ، ومعها كراريس بخطي من المنزل . فحضرت العقيدة الواسطية .

وقلت لهم : هذه كان سبب كتابتها : أنه قدم من أرض واسط بعض قضاة نواحيها : شيخ يقال له رضيّ الدين الواسطي . قدم علينا حاجًّا . وكان من أهل الخير والدين . وشكا ما الناسُ فيه بتلك البلاد

وفى دولة التتر من غلبة الجهل والظلم ، ودروس الدين والعلم . وسألنى أن أكتب له عقيدة تكون عمدة له ، ولأهل بيته

فاستعفيت من ذلك . وقلت : قد كتب الناس عقائد متعددة فخذ بعض عقائد أئمة السنة

فألح فى السؤال . وقال : ما أحب إلا عقيدة تكتبها أنت .

فكتبت له هذه العقيدة . وأنا قاعد بعد العصر

وقد انتشرت بها نسخ كثيرة فى مصر والعراق وغيرهما

فأشار الأمير بأن لا أقرأها أنا — لرفع الريبة — وأعطاها لكاتبه الشيخ كمال الدين

فقرأها على الحاضرين حرفا حرفا ، والجماعة الحاضرون يسمعونها . ويورد المورد منهم ما شاء . ويعارض فيما شاء . والأمير أيضا : يسأل عن مواضع فيها

وقد علم الناس ما كان فى نفوس طائفة من الحاضرين من الخلاف والهوى : ما قد علم الناس بعضه . وبعضه سبب الاعتقاد ، وبعضه بغير ذلك .

ولا يمكن ذكر ما جرى من الكلام والمناظرات فى هذه المجالس . فانه كثير لاينضبط

لكن أكتب ملخص ما حضرنى من ذلك مع بعد العهد بذلك

ومع أنه كان يجرى رفع أصوات ولَغَطٍ لا ينضبط . فكان مما اعترض عليه بعضهم لما ذكر فى أولها « ومن الايمان بالله : الايمان بما وصف به نفسه . ووصفه به رسوله محمد صلى الله عليه وسلم : من غير تحريف ولا تعطيل . ولا تكييف ولا تمثيل »

فقال : ما المراد بالتحريف والتعطيل ؟

ومقصوده : أن هذا ينفى التأويل الذى يثبته أهل التأويل ، الذى هو صرف اللفظ عن ظاهره ، إما وجوبا وإما جوازا .

فقلت : تحريفُ الكَلِمِ عن مواضعه ، كما ذمَّه الله فى كتابه ، وهو إزالة اللفظ عما دلّ عليه من المعنى . مثل تأويل بعض الجهْمِيّة لقوله تعالى (وكَلَّم اللهُ مُوسى تَكْلِيماً) أى جرّحه بأظافير الحكمة تجريحاً

ومثل تأويلات القرامطة والباطنية وغيرهم : من الجَهْمِية والرافضة والقَدَرِية ، وغيرهم . فسكت ، وفى نفسه ما فيها .

وذكرت فى غير هذا المجلس : أنى عدلت عن لفظ « التأويل » إلى لفظ « التحريف » لأن التحريف اسم جاء القرآن بذمه . وأنا تحرّيْتُ فى هذه العقيدة اتباع الكتاب والسنة . فنفيتُ ماذمّهُ اللهُ من التحريف ، ولم أذكر فيها لفظ التأويل بنفى ولا إثبات . لأنه لفظ له عِدّة معانٍ ، كما بيَّنْته فى موضعه من القواعد (١) فان معنى لفظ « التأويل »

---

(١) قواعد التفسير لشيخ الاسلام ابن تيمية طبعت بالشام

فى كتاب الله غير معنى لفظ « التأويل » فى اصطلاح المتأخرين من أهل الأصول والفقه ، وغير معنى لفظ التاويل فى اصطلاح كثير من أهل التفسير والسلف [1] . ولأن من المعانى التى قد تسمى تأويلا : ماهو

---

(١) قال العلامة المحقق ابن القيم رحمه الله فى مختصر الصواعق المرسلة فى بيان حقيقة التأويل :

هو تفعيل من آل يؤول إلى كذا ، إذا صار إليه . فالتأويل : التصيير وأولته تأويلا : إذا صيرته اليه . وتأول هو مطاوع أولته . وقال الجوهرى : التأويل : تفسير مايؤول اليه الشيء . ثم تسمى العاقبة تأويلا . لأن الأمر يصير إليها . قال الله تعالى (فان تنازعتم فى شيء فردوه الى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر . ذلك خير وأحسن تأويلا) ، وتسمى حقيقة الشيء المخبر به تأويلا . لأن الأمر ينتهى اليها . ومنه قوله تعالى (هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتى تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق) فمجيء تأويله : مجيء نفس ما أخبرت به الرسل من اليوم الآخر والمعاد والجنة والنار . ويسمى تعبير الرؤيا تأويلها بالاعتبارين . وتسمى العلة الغائية والحكمة المطلوبة بالفعل تأويلا . لأنها بيان لمقصود الفاعل وغرضه من الفعل الذى لم يعرف الرائى غرضه منه . ومنه قول الخضر لموسى (سأنبئك بتأويل مالم تستطع عليه صبرا) فالتأويل المراد منه فى كتاب الله : حقيقة المعنى الذى يؤول اللفظ اليه . وهى الحقيقة الموجودة فى الخارج . وتأويل الوعد والوعيد : هو نفس الموعود والمتوعد به . وتأويل ما أخبر الله به من صفاته وأفعاله : هو نفس

صحيح منقول عن بعض السلف . فلم أنفِ ما تقوم الحجة على صحته إذ ماقامت الحجة على صحته ، وهو منقول عن السلف ، فليس من التحريف وقلت له أيضا : ذكرت فى النَّفْى « التمثيل » ولم أذكر « التشبيه »

ما هو سبحانه موصوف به من الصفات . وتأويل الأمر : هو نفس الأفعال المأمور بها . قالت عائشة « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى ركوعه وسجوده : سبحانك اللهم ربنا وبحمدك . يتأول القرآن » فهذا التأويل هو فعل المأمور به . هذا التأويل فى كلام الله ورسوله . وأما فى اصطلاح أهل التفسير والسلف من أهل الفقه والحديث : فمرادهم به معنى التفسير والبيان . ومنه قول ابن جرير وغيره : القول فى تأويل قوله تعالى كذا وكذا . ومنه قول الامام أحمد فى الرد على الجهمية فيما تأولوه من القرآن على غير تأويله . فأبطل تلك التأويلات التى ذكروها . وهو تفسير مرادهم بها ، وهو تأويلها عنده . فهذا التأويل يرجع الى فهم المؤمن ويحصل فى الذهن . والأول يعود إلى وقوع حقيقته فى الخارج . وأما المعتزلة والجهمية وغيرهم من المتكلمين فمرادهم بالتأويل : صرف اللفظ عن ظاهره وهذا هو الشائع فى عرف المتأخرين من الأصوليين والفقهاء . ولذلك يقولون : التأويل على خلاف الأصل . والتأويل يحتاج إلى دليل . وهذا التأويل هو الذى صنفوا فى تسويغه وابطاله من الجانبين . فممن صنف فى إبطاله على رأى المتكلمين : القاضى أبو يعلى والشيخ موفق الدين ابن قدامة . وقد حكى غير واحد اجماع السلف على عدم القول به — إلى أن قال — : وبالجملة فالتأويل الذى يوافق مادلت عليه النصوص وجاءت به السنة : هو التأويل الصحيح . وغيره هو الفاسد . ثم ذكر أنواع التأويل الباطل فى كلام نفيس . فارجع اليه .

لأن « التمثيل » نفاه الله بنص كتابه حيث قال (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) وقال (هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا) فكان أحب إلىّ من لفظٍ ليس فى كتاب الله ، ولا فى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وإن كان قد يُعنى بنفيه معنىً صحيح ، كما قد يعنى به معنى فاسد

ولما ذكرت « أنهم لاينفون عنه ما وصف به نفسه ، ولا يُحرّفون الكَلِمَ عن مواضعه ، ولا يُلْحدون فى أسماء الله وآياته » .

جعل بعض الحاضرين يَتَمْعَضُ من ذلك ، لاستِشْعاره مافى ذلك من الردّ لما هوعليه ، ولكن لم يتوجه له مايقوله .

وأراد أن يدور علىّ بالأسئلة التى أعلمها ، فلم يتمكن لعلمه بالجواب

ولما ذكرت آية الكُرْسِيّ ، أظن سأل الأمير عن قولنا « لايَقْرَبُه شيطان حتى يُصبح » .

فذكرت له حديث أبى هريرة رضى الله عنه فى الذى كان يسرق صدقة الفطر . وذكرت أن البخارى رواه فى صحيحه (١)

---

(١) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال « وكلنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفظ زكاة رمضان : فأتانى آت ، فجعل يحثو من الطعام . فأخذته . فقلت : لأرفعنك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إنى محتاج وعلى دين وعيال وفى حاجة شديدة . فخليت عنه . فأصبحت . فقال النبي صلى الله عليه وسلم . يا أبا هريرة ما فعل أسيرك البارحة ؟

وأخذوا يذكرون نفى التشبيه والتجسيم ويُطْنِبون فى هذا ويُعَرِّضون بما ينسبه بعض الناس إلينا من ذلك

فقلت : قولى « من غير تكييف ، ولا تمثيل » ينفى كل باطل وإنما أخذت هذين الاسمين . لأن « التكييف » مأثور نفيه عن السلف . كما قال رَبِيْعة ، ومالك ، وابن عُيَيْنة وغيرهم المقالة التى تلقاها العلماء بالقبول « الاستواء معلوم ، والكَيْفُ مجهول ، والايمانُ به واجب ، والسؤال عنه بِدْعة »

فاتفق هؤلاء السلف على أن الكَيْف غير معلوم لنا . فنفيت ذلك ،

قال قلت : يارسول الله شكا حاجة شديدة وعيالا . فرحمته فخليت سبيله . قال : أما انه قد كذبك وسيعود . فعرفت أنه سيعود . لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : انه سيعود ، فرصدته . فجاء يحثو من الطعام ــ وذكر الحديث إلى أن قال . فأخذته يعنى فى الثالثة . فقلت : لأرفعنك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلمُ . وهذا آخر ثلاث مرات تزعم أنك لاتعود ثم تعود . قال : دعنى أعلمك كلمات ينفعك الله بها . قلت : ماهن ؟ قاله : إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسى (الله لا إله إلا هو الحى القيوم) حتى تختم الآية . فانك لايزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح : فخليت سبيله . فأصبحت ، فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : مافعل أسيرك البارحة ؟ قلت : زعم أنه يعلمنى كلمات ينفعنى الله بها فخليت سبيله . قال ماهى : قال لى إذا أويت إلى فراشك ــ الحديث ــ إلى ان قال صلى الله عليه وسلم : صدقك وهو كذوب »

اتباعاً لسلف الأمة ، وهو أيضا منفيٌّ بالنص . فان تأويل آيات الصفات يدخل فيها حقيقة الموصوف وحقيقة صفاته . وهذا من التأويل الذى لايعلمه إلا الله . كما قدقررت ذلك فى قاعدة مفردة ذكرتها فى التأويل . والمعنى . والفرق بين علمنا بمعنى الكلام . وبين علمنا بتأويله .

وكذلك «التمثيل» يُنفَى بالنص والاجماع القديم ، مع دلالة العقل على نفيه . ونفى التكييف . إذ كُنْهُ البارى تعالى غير معلوم للبشر

وذكرتُ فى ضمن ذلك كلام الخَطّابى الذى نقل أنه مذهب السلف . وهو : « إجراء آيات الصفات وأحاديثها على ظاهرها ، مع نفى الكيفية ، والتشبيه عنها ، إذ الكلام فى الصفات فرع عن الكلام فى الذات يُحتذَى فيه حذوه ، ويُتَّبَعُ فيه مثاله . فاذا كان إثبات الذات إثبات وجود ، لا إثبات تكييف . فكذلك إثبات الصفات إثبات وجود لا إثبات تكييف »

فقال أحد كبراء المخالفين : فحينئذ يجوز أن يقال : هو جسم ، لا كالأجسام ؟ .

فقلت له ، أنا وبعض الفضلاء الحاضرين : إنما قيل : إنه يوصف الله بما وصف به نفسه ، وبما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم . وليس فى الكتاب والسنة أن الله جسم ، حتى يلزم هذا السؤال

وأخذ بعض القضاة الحاضرين والمعروفين بالديانة يريد إظهار أن

ينفى عنا ما يقوله ، فجعل يزيد فى المبالغة فى نفى التشبيهِ والتجسيم .

فقلت : قد ذُكر فيها فى غير موضع « من غير تحريف ، ولا تعطيل . ومن غير تكييف ولا تمثيل »

وقلت فى صدرها : « ومن الإيمان بالله : الايمان بما وصف الله به نفسه فى كتابه ، وبما وصفه به رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، من غير تحريف ولا تعطيل . ومن غير تكييف ولا تمثيل »

ثم قلت : « وما وصف الرسول به ربه من الأحاديث الصحاح التى تلقاها أهل المعرفة بالقبول وجب الإيمان بها كذلك »

إلى أن قلت : « إلى أمثال هذه الأحاديث الصحاح التى يخبر فيها رسول الله صلى الله عليهِ وسلم بما يخبر به .. فان الفْرقة الناجية أهلَ السنة والجماعة يؤمنون بذلك ، كما يؤمنون بما أخبر الله به فى كتابه ، من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تكييف ولا تمثيل بل هم الوسط فى فرق الأمة . كما أن الأمة هى الوسط فى الأمم . فهم وسط فى باب صفات الله بين أهل التعطيل الجهمية ، وأهل التمثيل المشبهة » .

ولما رأى هذا الحاكم العدل تمالؤهم وتعصُّبهم . ورأى قِلة المعاون منهم والناصر ، وخافهم قال : أنت قد صنفت اعتقاد الإمام أحمد فنقول : هذا اعتقاد أحمد ؟

يعنى والرجل يصنف على مذهبه فلا يُعترض عليه . فان هذا مذهب متبوع .

وغرضهُ بذلك : قطع مخاصمة الخصوم .

فقلت : ما جمعت إلا عقيدة السلف الصالح جميعهم ، ليس للامام أحمد اختصاص بهذا . والإِمام أحمد إنما هو مبلِّغ العلم الذى جاء به النبى صلى الله عليه وسلم . ولو قال أحمد من تلقاء نفسه مالم يجىء به الرسول صلى الله عليه وسلم لم نقبله . وهذه عقيدة محمد صلى الله عايه وسلم .

وقلت مرات : قد أمهلت كل من خالفنى فى شىء منها ثلاث سنين . فان جاء بحرف واحِد عن القرون الثلاثة التى أثنى عليها النبى صلى الله عليه وسلم ، حيث قال : « خير القرون القرن الذى بعثت فيهم ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم [1] » يخالف ما ذكرته فأنا أرجع عن ذلك . وعلىَّ أن آتى بنقول جميع الطوائف من القرون الثلاثة توافق ما ذكرته : من الحنفية ، والمالكية ، والشافعية ، والحنبلية وَالأشعرية ، وَالصوفية ، وَأهل الحديث ، وَغيرهم .

---

(١) رواه الامام احمد والبخارى ومسلم والترمذى عن ابن مسعود بلفظ « خير الناس قرنى ثم الذين يلونهم . ثم الذين يلونهم . ثم يجىء اقوام تسبق شهادة احدهم يمينه . ويمينه شهادته »

وَقلت أيضاً ، فى غير هذا المجلس : الأمام أحمد ، رضى الله عنهُ ، لما انتهى إليه من السنة ونصوص رسول الله صلى الله عليه وَسلم أكثر مما انتهي إلى غيره ، وَابتلى بالمحنة وَالرَّد على أهل البدع أكثر من غيره كان كلامهُ وَعمله فى هذا الباب أكثر من غيره . فصار إماما فى السنة أظهر من غيره . وإلا فالأمر كما قاله بعض شيوخ المغاربة العلماء الصلحاء ، قال : المذهب لمالك والشافعى ، والظهور لأحمد بن حنبل

يعنى أن الذى كان عليه أحمد عليه جميع أئمة الإسلام ، وإن كان لبعضهم من زيادة العلم والبيان ، وإظهار الحق ، ودفع الباطل ماليس لبعض

ولما جاء حديث أبى سعيد المتفق عليه فى الصحيحين عن النبى صلى الله عليه وسلم « يقول الله يوم القيامة : يا آدم . فيقول : لَبَّيكَ ، وَسَعْدَيكَ . فينادَى بصوتٍ : إن الله يأمرك أن تبعثَ بَعثاً إلى النار الحديث »(١) .

---

(١) رواه البخارى فى تفسير سورة الحج فى باب قوله تعالى (وترى الناس سكارى) عن أبى سعيد الخدرى قال قال النبى صلى الله عليه وسلم « يقول الله عز وجل : يا آدم . فيقول : لبيك ربنا وسعديك . فينادى بصوت . إن الله يأمر أن تخرج من ذريتك بعثا إلى النار . قال : يارب ، وما بعث النار ؟ قال : من كل ألف - أراه قال : تسعمائة وتسعة وتسعين - فحينئذ تضع الحوامل حملها . ويشيب الوليد . وترى الناس سكارى وماهم

سألهم الأمير : هل هذا الحديث صحيح ؟

فقلت : نعم ، هو فى الصحيحين . ولم يخالفوا فى ذلك . واحتاج المنازع إلى الاقرار به

وطلب الأمير الكلام فى مسألة الحرف والصوت . لأن ذلك طلب منه

فقلت : هذا الذى يَحْكيه كثير من الناس عن الإمام أحمد وأصحابه : أن صوتَ القارئين و مِدادَ المصاحف : قديم أزَلِىٌّ — : كذب مُفْترًى . لم يقل ذلك أحمد ، ولا أحد من علماء المسلمين

وأخرجت كُرَّاساً كان قد أُحْضِرَ مع العقيدة . وفيه ماذكره

بسكارى ولكن عذاب الله شديد . فشق ذلك على الناس ،حتى تغيرت وجوههم فقال النبى صلى الله عليه وسلم : من يأجوج ومأجوج : تسعمائة وتسعة وتسعين ، ومنكم واحد ، ثم أنتم فى الناس كالشعرة السوداء فى جنب الثور الأبيض ، أو كالشعرة البيضاء فى جنب الثور الأسود ، وإنى لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة . فكبرنا ، ثم قال : ثلث أهل الجنة . فكبرنا ثم قال : شطر أهل الجنة فكبرنا » ورواه البخارى أيضا فى الرقاق فى باب إن زلزلة الساعة شىء عظيم

الشيخ أبو بكر الخلال فى كتاب السُّنَّة عن الإمام أحمد [(١)] . وماجمعه صاحبه أبو بكر المروزى من كلام أحمد ، وكلام أئمة زمانه فى : « أن من قال : لفظى بالقرآن مخلوق . فهو جهمى . ومن قال . غير مخلوق . فهو مبتدع »

قلت : فكيف بمن يقول لفظى قديم ؟ فكيف بمن يقول : صوتى غير مخلوق ؟ فكيف بمن يقول : صوتى قديم ؟

وأحضرت جواب مسألة كنت سئلت قديما عنها . فيمن حلف بالطلاق فى مسأله الحرف والصوت ، ومسألة الظاهر فى العرش [(٢)] وقلت : هذا جوابى

---

(١) كتاب السنة لعبد الله بن الامام أحمد طبعه جلالة الملك الصالح السلفى عبد العزيز آل سعود فى مكة المكرمة . وجعله وقفا لوجه الله . نشرا لمذهب السلف وخدمة للدين ، كما طبع غيره من الكتب النفيسة ، فجزاه الله خير الجزاء

(٢) فى كتاب التسعينية المطبوع فى الجزء الخامس من الفتاوى (ص ١٢٣) وقلت فى جواب الفتيا الدمشقية . وقد سئلت فيها عن رجل حلف بالطلاق الثلاث أن القرآن حرف وصوت وأن الرحمن على العرش استوى على مايفيده الظاهر . ويفهمه الناس من ظاهره الخ .

وكتاب التسعينية هذا فيه بسط لتلك الحوادث التى يحكيها الشيخ هنا ورد على المعترضين عليه من تسعين وجها . وهو كتاب قيم جداً

وكانت هذه المسألة قد أرسل بها طائفة من المعاندين المتجهمة . ممن كان بعضهم حاضراً فى المجلس . فلما وصل إليهم الجواب أسكتهم .

وكانوا قد ظنوا أنى إن أجبت بما فى ظنهم أن أهل السنة تقوله . حصل مقصودهم من الشناعة . وإن أَجبت بما يقولونه هم . حصل مقصودهم من الموافقة

فلما أجيبوا بالفرقان الذى عليه أهل السنة . وليس هو مايقولونه هم ، ولا ماينقلونه عن أهل السنة ، إذ يقوله بعض الجهال ؛ بُهِتوا لذلك

وفيه : «إن القرآن كلام الله حروفه ومعانيه ، ليس القرآن إسما لمجرد الحروف ، ولا لمجرد المعانى »

ولما جاءت مسألة القرآن ، فقلت : « ومن الإيمان به : الإيمان بأن القرآن كلام الله غير مخلوق ، منه بدأ وإليه يعود » — نازع بعضهم فى كونه منه بدأ وإليه يعود . وطلبوا تفسير ذلك

فقلت : أما هذا القول فهو المأثور الثابت عن السلف ، مثل مانقله عمرو بن دينار قال : « أدركت الناس منذ سبعين سنة يقولون : الله الخالق وماسواه مخلوق ، إلا القرآن ، فانه كلام الله غير مخلوق ، منه بدأ وإليه يعود » وقد جمع غير واحد ما فى ذلك من الآثار عن النبى صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين .

وأما معناه : فان قوله « منه بدأ » أى هو المتكلم به ، وهو الذى أنزله من لدنه ، ليس هو كما تقوله الجهمية : إنه خلق فى الهواء أو غيره ، أو بدأ من عند غيره

وأما « إليه يعود » فانه يسرى به فى آخر الزمان من المصاحف والصدور ، فلا يبقى فى الصدور منه كلمة ، ولا فى المصاحف منه حرف

ووافق على ذلك غالب الحاضرين ، وسكت المنازعون .

وخاطبت بعضهم فى غير هذا المجلس ، بأن أريته العقيدة التى جمعها الإمام القادر بالله ، التى فيها . « إن القرآن كلام الله . خرج منه » فتوقف فى هذا اللفظ

فقلت . هكذا قال النبى صلى الله عليه وسلم « وما تَقَرَّب العباد إلى الله بمثل ماخرج منه [1] » يعنى القرآن .

---

(١) روى الترمذى فى أبواب فضل القرآن قال : حدثنا أحمد بن منيع أخبرنا أبو النضر أخبرنا بكر بن خنيس عن ليث بن أبى سليم عن زيد ابن أرطاة عن أبى أمامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ماأذن الله لعبد فى شيء أفضل من ركعتين يصليهما . وأن البر ليذر على رأس العبد مادام فى صلاته . وماتقرب العباد إلى الله عز وجل بمثل ماخرج منه » قال أبو النضر : يعنى القرآن . هذا حديث غريب لانعرفه إلامن

وقال خَبَّاب بن الأرَتّ « ياهَنتاه . تقرَّبْ إلى الله بما استطعت فلن تتقرب إليه بشيء أحبّ إليه مما خرج منه » ؟!

وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه — لما قرىء عليه قرآن مُسيْلمة الكذاب — فقال « إن هذا كلام لم يخرج من إلّ » يعنى رَبٍّ .

ومما فيها : « ومن الإيمان به : الايمان بأن القرآن كلام الله منزل ، غير مخلوق ، منه بدأ وإليه يعود . وأن الله تكلم به حقيقة . وأن هذا القرآن الذى أنزله الله على محمد صلى الله عليه وسلم هو كلام الله حقيقة ، لا كلام غيره . ولا يجوز إطلاق القول بأنه حكاية ، أو عبارة عن كلام الله ، بل إذا قرأ الناس القرآن ، أو كتبوه فى المصاحف ، لم يخرج بذلك عن أن يكون كلام الله ، فان الكلام إنما يضاف حقيقة إلى من قاله مبتدئا ، لا إلى من قاله مُبَلِّغا ، مؤديا »

فامتعض بعضهم من كونه إثبات كلام الله حقيقة ، بعد تسليمه أن الله تكلم به حقيقة . ثم إنه سلم ذلك لما بُيِّن له أن المجاز يصح نفيه ، وهذا لا يصح نفيه . ولما بُيِّن له أن أقوال المتقدمين المأثورة

هذا الوجه . وبكر بن خنيس قد تكلم فيه ابن المبارك وتركه فى آخر أمره اه . والحديث رواه الامام أحمد أيضا . وفى سنده : بكر بن خنيس وليث بن أبى سليم . وكلاهما مطعون فيه . وذكره فى جامع الفوائد ، وقال « قال أبو النضر : يعنى القرآن ، منه بدأ الأمر به وإليه يعود الحكم فيه »

عنهم ، وشعر الشعراء المضاف إليهم ، هو كلامهم حقيقة . فلا يكون نسبة القرآن إلى الله بأقل من ذلك .

ولما ذكر فيها : «أن الكلام إنما يضاف حقيقة إلى من قاله مبتدئا ، لا إلى من قاله مُبَلِّغا مؤديا» . استحسنوا هذا الكلام وعظموه . وأخذ أحد كبراء الخصوم يظهر تعظيم هذا الكلام ، وأنه أزال عنه الشبهات ، ويذكر أشياء من هذا النَّمط .

ولما جاء ذكر ماذكر من الايمان باليوم الآخر ، وتفصيله ونظمه استحسنوا ذلك وعظموه

وكذلك لما جاء ذكر الايمان بالقَدَرِ ، وأنه على درجتين ، إلى غير ذلك مما فيه من القواعد الجليلة

وكذلك لما جاء الكلام فى الفاسق المِلِّيِّ ، وفى الايمان

لكن اعترضوا على ذلك بما سأذكره

وكان مجموع مااعترض به المنازعون المعاندون — بعد انقضاء قراءة جميعها ، والبحث فيها — : أربعة أسئلة :

السؤال الأول : قولنا : «ومن أصول الفرقة الناجية : أن الايمان والدين : قول ، وعمل ، يزيد وينقص . قولُ القلبِ واللسان ، وعَمَلُ القلبِ واللسان والجوارح .»

قالوا : إذا قيل : إن هذا من أصول الفرقة الناجية ، خرج عن الفرقة الناجية من لم يقل بذلك ، مثل أصحابنا المتكلمين الذين يقولون : إن الايمان هو التصديق ، ومن يقول : إن الايمان هو التصديق و الاقرار . وإذا لم يكونوا ناجين ، لزم أن يكونوا هالكين .

وأما الأسئلة الثلاثة ، وهى التى كانت عمدتهم ، فأوردوها على قولنا : «وقد دخل فيما ذكرناه من الايمان بالله : الايمان بما أخبر الله به فى كتابه ، وتواتر عن رسوله صلى الله عليه وسلم ، وأجمع عليه سلف الأمة : ومن أنه سبحانه فوق سمواته ، وأنه على عرشه ، علىّ على خلقه . هو معهم أينما كانوا ، يعلم ماهم عاملون ، كما جمع بين ذلك فى قوله : (هو الذى خلق السموات والأرضَ فى ستة أيامٍ ثم استَوَى على العرْش يعلم ما يَلِجُ فى الأرض وما يخرج منها ، وما ينزل من السماء وما يَعْرُجُ فيها . وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير) (١)

«وليس معنى قوله (وهو معكم) أنه مختلط بالخلق . فان هذا لا توجبه اللغة ، وهو خلاف ما أجمع عليه سلف الأمة وخلاف ما فطرَ الله عليه الخلق ، بل القمر آية من آيات الله من أصغر مخلوقاته . وهو موضوع فى السماء . وهو مع المسافر وغير المسافر أينما كان . وهو سبحانه فوق

---

(١) سورة الحديد الآية (٤)

العرش، رقيب على خلقه، مُهَيْمِنٌ عليهم ، مُطَّلع عليهم . إلى غير ذلك من معانى ربوبيته »

« وكل هذا الكلام الذى ذكره الله : من أنه فوق العرش ، وأنه معنا : حق على حقيقته . لايحتاج إلى تحريف ، ولكن يُصان عن الظنون الكاذبة »

والسؤال الأول قال بعضهم : نُقِرُّ باللفظ الوارد ، مثل حديث العباس رضى الله عنه ، حديث الأوعال (١) « والله فوق العرش »

---

(١) رواه ابوداود فى : باب فى الجهمية : حدثنا محمد بن الصباح البزار حدثنا الوليد بن ابى ثور عن سماك عن عبد الله بن عميرة عن الأحنف ابن قيس عن العباس بن عبد المطلب قال « كنت فى البطحاء فى عصابة فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فمرت بهم سحابة ، فنظر اليها . فقال: ماتسمون هذه ؟ قالوا : السحاب قال : والمزن. قالوا: والمزن . قال : والعنان قالوا : والعنان - قال أبو داود : لم أتقن العنان جيداً - قال : هل تدرون مابعد مابين السماء والأرض ؟ قالوا : لاندرى. قال: إن بعد ما بينهما ، إما واحدة ، أو اثنتان ، أو ثلاث وسبعون سنة. ثم السماء فوقها كذلك . حتى عد سبع سموات . ثم فوق السابعة بحر بين سقفه وأعلاه مثل مابين سماء الى سماء ثم فوق ذلك ثمانية . أوعال، بين أظلافهم وركبهم مثل مابين سماء الى سماء . ثم على ظهورهم العرش بين أسفله وأعلاه مثل مابين سماء

ولانقول : فوق السموات ، ولانقول : على العرش

وقالوا أيضاً : نقول (الرحمن على العرش استوى) ولا نقول: الله على العرش استوى . ولانقول : مستوٍ

وأعادوا هذا المعنى مراراً — أى إن اللفظ الذى ورد ، يقال اللفظ بعينهِ ، ولا يبدّل بلفظ يرادفه ، ولايفهم له معنى أصلا ، ولايقال : إنه يدل على صفة لله أصلا .

وانبسط الكلام فى هذا المجلس الثانى ، كما سنذكره إن شاء الله تعالى .

والسؤال الثانى ، قالوا: التشبيه بالقمر : فيه تشبيه كون الله فى السماء بكون القمر فى السماء .

السؤال الثالث : قالوا : قولك : « حق على حقيقته » الحقيقة هى المعنى اللغوى . ولا يفهم من الحقية إلا استواء الأجسام وفوْقيتّها . ولم تضع العرب ذلك إلا لها ، فإثبات الحقيقة : هو محض التجسيم ، ونفى التجسيم مع هذا تناقض ، أو مصانعة ؟

الى سماء، ثم الله تبارك و تعالى فوق ذلك » ثم رواه أبو داود من طريقين آخرين . وقال المنذرى : واخرجه الترمذى وابن ماجه . وقال الترمذى : حسن غريب . وروى شريك بعض هذا الحديث عن سماك فوقفه اه

قال فى عون المعبود : وفى اسنادة الوليد بن أبى ثور، لايحتج بحديثه .

فأجبتهم عن الأسئلة: بأن قولي : « اعتقاد الفرقة الناجية » هي الفرقة التي وصفها النبي صلى الله عليه وسلم بالنجاة ؛ حيث قال : « تفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة ، ثنتان وسبعون في النار ، وواحدة في الجنة ، وهي من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي (١) »

فهذا الاعتقاد هو المأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وهم ومن اتّبعهم : الفرقة الناجية .

فانه قد ثبت عن غير واحد من الصحابة أنه قال : « الايمان يزيد وينقص » .

وكل ما ذكرته في ذلك فانه مأثور عن الصحابة رضي الله عنهم بالأسانيد الثابتة : لفظه أو معناه ، وإذا خالفهم مَنْ بعدهم ، لم يضرني ذلك .

ثم قلت لهم : وليس كل مخالف في شيء من هذا الاعتقاد يجب أن يكون هالكا . فان المنازع قد يكون مجتهدا مخطئا ، يغفر الله له خطأه . وقد لا يكون بلغه في ذلك من العلم ماتقوم به عليه الحجة . وقد يكون له من الحسنات مايمحو الله به سيئاته . وإذا كانت ألفاظ الوعيد المتناولة

---

(١) رواه أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ « افترقت بنو اسرائيل على بضع وسبعين فرقة . وستفترق امتي ـ الخ »

له لا يجب أن يدخل فيها المتأول، والتائب، وذو الحسنات الماحية، والمغفور له وغير ذلك . فهذا أولى . بل موجب هذا الكلام : أن من اعتقد ذلك نجا فى هذا الاعتقاد، ومن اعتقد ضده فقد يكون ناجيا، وقد لا يكون ناجيا . كما قال « من صمت نجا » (١)

وأما السؤال الثانى : فأجبتهم، أولا : بأن كل لفظ قلته . فهو مأثور عن النبى صلى الله عليه وسلم، مثل لفظ « فوق السموات » ولفظ « على العرش » و « فوق العرش » .

وقلت : اكتبوا الجواب . فأخذ الكاتب فى كتابته .

ثم قال بعض الجماعة : قد طال المجلس اليوم . فيؤخر هذا إلى مجلس آخر فتكتبون أنتم الجواب . وتحضرونه فى ذلك المجلس .

وأشار بعض الموافقين : بأن يتمم الكلام بكتابة الجواب . لئلا تنتشر أسئلتهم واعتراضهم .

وكأن الخصوم كان لهم غرض فى تأخير كتابة الجواب، ليستعدوا لأنفسهم، ويطالعوا، ويحضروا من غاب من أصحابهم، ويتأملوا العقيدة فيما بينهم، ليتمكنوا من الطعن والاعتراض .

---

(١) رواه الامام احمد والترمذى عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم . ورمز له السيوطى فى الجامع بعلامة الضعيف

فحصل الاتفاق على أن يكون تمام الكلام يوم الجمعة .

وقمنا على ذلك .

وقد أظهر الله من قيام الحجة و بيان المحجة ما أعزَّ الله به السنة والجماعة ، وأرغم به أهل البدعة والضلالة ، ، وفى نفوس كثير من الناس أمور لما يحدث فى المجلس الثانى .

وأخذوا فى تلك الأيام يتأملونها ، و يتأملون ما أجيب به فى مسائل تتعلق بالاعتقاد ، مثل المسئلة الحموية فى الاستواء والصفات الخبرية وغيرها .

فصل

فلما كان فى المجلس الثانى ، يوم الجمعة ، بعد الصلاة ، ثانى عشر رجب — وقد أحضروا أكبر شيوخهم (١) ممن لم يكن حاضرا ذلك اليوم — وبحثوا فيما بينهم ، واتفقوا وتواطأوا ، وحضروا بقوة واستعداد ، غير ما كانوا عليه . لأن المجلس الأول أتاهم بغتة ، و إن كان أيضا بغتة للمخاطب الذى هو المسئول والمجيب والمناظر .

---

(١) بهامش الاصل : أظنه الصفى الهندى . كذا فى المنقول عنه .

فلما اجتمعنا — وقد أحضرت ما كتبته من الجواب على أسئلتهم المتقدمة التى طلب تأخيره الى هذا اليوم — حمدت الله بخطبة الحاجة ، خطبة ابن مسعود رضى الله عنه (١) .

ثم قلت : إن الله أمرنا بالجماعة والائتلاف ، ونهانا عن الفرقة والاختلاف ، وقال لنا فى القرآن (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا (٢)) وقال (إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم فى شىء (٣)) وقال (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات (٤)) وربنا واحد ، وكتابنا واحد ، ونبينا واحد ، وأصول الدين لا تحتمل التفرق والاختلاف . وأنا أقول ما يوجب الجماعة بين المسلمين . وهو متفق عليه بين السلف . فان وافق الجماعة فالحمد لله ، وإلا فمن خالفنى بعد ذلك ، كشفت له الأسرار ، وهتكت الأستار ، وبينت المذاهب الفاسدة ، التى أفسدت الملل والدول . وأنا أذهب إلى سلطان الوقت على البريد ، وأعرفه

---

(١) رواه الترمذى عن ابن مسعود قال « علمنا النبى صلى الله عليه وسلم التشهد فى الصلاة ، والتشهد فى الحاجة . وذكر تشهد الصلاة قال : والتشهد فى الحاجة : إن الحمد لله ونستعينه ونستهديه ونستغفره . ونعوذ بالله من شرور انفسنا ومن سيئات أعمالنا — الحديث » وقال الترمذى : حسن صحيح .

(٢) سورة آل عمران آية (١٠٣)

(٣) سورة الانعام آية (١٥٩)

(٤) سورة آل عمران آية (١٠٥)

من الأمور ما لا أقوله فى هذا المجلس . فان للسّلم كلاما ، وللحرب كلاما .

وقلت : لا شك أن الناس يتنازعون ، فيقول هذا : أنا حنبلى ويقول هذا : أنا أشعرى ، ويجرى بينهم تفرق واختلاف ، على أمور لا يعرفون حقيقتها

وأنا قد أحضرت ما بين اتفاق المذاهب فيما ذكرته ، وأحضرت كتاب تبيين كذب المفترى فيما ينسب إلى الشيخ أبى الحسن الأشعرى. تأليف الحافظ أبى القاسم ابن عساكر .

وقلت : لم يصنف فى أخبار الأشعرى المحمودة كتاب مثل هذا . وقد ذكر فيه لفظه الذى ذكره فى كتاب الإبانة

فلما انتهيت إلى ذكر المعتزلة ، سأل الأمير عن معنى المعتزلة ؟

فقلت : كان الناس فى قديم الزمان قد اختلفوا فى الفاسق الملّى . وهو أول اختلاف حدث فى الملّة ، هل هو كافرٌ ، أو مؤمن ؟ فقالت الخوارج : إنه كافر . وقالت الجماعة : إنه مؤمن .

فقالت طائفة : نقول : هو فاسق ، لا كافر ، ولا مؤمن . نُنْزله منزلة بين منزلتين ، وخلّدوه فى النار ، واعتزلوا حلقة الحسن البصرى وأصحابه ، فسُمّوا معتزلة

فقال الشيخ الكبير ، بجبهٍ وردّ (١) : ليس كما قلت ، ولكن

(١) كذا فى الأصل ولعله : بجلبة ورد

أول مسألة اختلف فيها المسلمون : مسألة الكلام ، وسُمِّى المتكلمون متكلمين لأجل تكلمهم فى ذلك ، وكان أول من قالها : عمرو بن عُبيد ، ثم خلفه بعد موته عطاء بن واصل .

هكذا قال : وذكر نحوا من هذا .

فغضبت عليه ، وقلت : أخطأت . وهذا كذب مخالف للاجماع .

وقلت له : لا أدب ولا فضيلة ، لا تأدبت معى فى الخطاب ، ولا أصبت فى الجواب .

ثم قلت : الناس اختلفوا فى مسألة الكلام فى خلافة المأمون ، وبعدها فى أواخر المائة الثانية . وأما المعتزلة فقد كانوا قبل ذلك بكثير ، فى زمن عمرو بن عبيد بعد موت الحسن البصرى ، فى أوائل المائة الثانية . ولم يكن أولئك قد تكلموا فى مسألة الكلام ، ولا تنازعوا فيها . وإنما أول بدعتهم : تكلمهم فى مسائل الأحكام ، والأسماء ، والوعيد .

فقال : هذا ذكره الشهرستانى فى كتاب الملل والنحل .

فقلت : الشهرستانى ذكر ذلك فى اسم المتكلمين : لم سُمّوا متكلمين ، لم يذكره فى اسم المعتزلة ، والأمير إنما سأل عن اسم المعتزلة .

وأنكر الحاضرون عليه .

وقال : غلطت

وقلت فى ضمن كلامى : أنا أعلم كل بدعة حدثت فى الاسلام

وأول من ابتدعها . وما كان سبب ابتداعها .

وأيضاً : فما ذكره الشهرستانى ليس بصحيح فى اسم المتكلمين . فإن المتكلمين كانوا يسمون بهذا الاسم قبل تنازعهم فى مسألة الكلام وكانوا يقولون عن واصل بن عطاء : إنه متكلم ، ويصفونه بالكلام ولم يكن الناس اختلفوا فى مسألة الكلام .

وقلت أنا وغيرى: إنما هو وَاصل بن عطاء .

قلت : وواصل لم يكن بعد موت عمرو بن عبيد ، وإنما كان قريبه .

وقد روى أن واصلا تكلم مرة بكلام . فقال عمرو بن عبيد: لو بعث نبى ما كان يتكلم بأحسن من هذا ، وفصاحته مشهورة ، حتى قيل : انهُ كان ألثغ ، فكان يحترز عن الراء ، حتى قيل له : أمر الأمير أن يحفر بئر فى قارعة الطريق . فقال : أوعز القائد ، أن يقلّب قليب فى الجادّة

قال الشيخ المتقدم فيهم : لا ريب أن الإمام أحمد إمام عظيم القدر ، ومن أكبر أئمة الاسلام ، لكن قد انتسب إليه أناس ابتدعوا أشياء

فقلت : أما هذا فحق ، وليس هذا من خصائص أحمد ، بل ما من إمام إلا وقد انتسب إليه أقوام ، هو منهم برىء . قد انتسب إلى مالك

أناس . مالك برىء منهم . وانتسب إلى الشافعى أناس . هو منهم برىء وانتسب إلى أبى حنيفة أناس ، هو برىء منهم . وقد انتسب إلى موسى عليه السلام أناس هو برىء منهم . وانتسب إلى عيسى عليه السلام أناس ، هو برىء منهم . وقد انتسب إلى على بن أبى طالب رضى الله عنه أناس ، هو برىء منهم . ونبينا صلى الله عليه وسلم قد انتسب إليه من القرامطة ، والباطنية وغيرهم ، من أصناف الملاحدة والمنافقين من هو برىء منهم

وذكر فى كلامه : أنه انتسب إلى أحمد أناس من الحشوية والمشبِّهة . ونحو هذا الكلام .

فقلت : المشبهة والمجسمة فى غير أصحاب أحمد أكثر منهم فيهم ، هؤلاء أصناف الأكراد ، وكلهم شافعية ، وفيهم من التشبيه والتجسيم ما لا يوجد فى صنف آخر . وأهل جَيلان ، فيهم شافعية وحنبلية

قلت : وأما الحنبلية المحضة . فليس فيهم من ذلك ما فى غيرهم .

وكان من تمام الجواب : أن الكرَّامية المجسِّمة كلهم حنفية .

وتكلمت على لفظ الحَشْوِيَّة ، ما أدرى جوابا عن سؤال الأمير ، أو غيره ، أو عن غير جواب .

فقلت .هذا اللفظ أول من ابتدعه المعتزلة ؛ فإنهم يسمون الجماعة والسوادالأعظم : الحشو، كماتسميهم الرافضةُ : الجمهور

وحشو الناس : هم عموم الناس وجمهورهم ، وهم غير الاعيان المتميزين يقولون :هذا من حشو الناس. كما يقال : هذا من جمهورهم

وأول من تكلم بهذا: عمرو بن عبيد ، وقال : كان عبد الله بن عمر حشويا . فالمعتزلةسموا الجماعة حشوا ، كما تسميهم الرافضةُ : الجمهور .

وَقلت : — لا أدرى فى المجلس الأول ، أو الثانى — : أول من قال: إن الله جسم ، هشام بن الحكم الرافضى

وقلت لهذا الشيخ : مَن فى أصحاب الامام أحمد من الأعيان حشوىٌّ بالمعنى الذى تريده ؟ الأثرم ، أبو داود ، المروزى ، الخلاَّل ، أبو بكر بن عبد العزيز ، أبو الحسن التميمى ، ابن حامد القاضى ، أبو يعلى ، أبو الخطاب ، ابن عقيل ؟

ورفعت صوتى وقلت : سَمِّهم . قل لى : مَن هُمْ ، مَن هم؟

أيكذب ابن الخطيب (١) وافترائه على الناس فى مذاهبهم تبطل الشريعة ، وتندرس معالم الدين ؟ كما نقل هو وغيره عنهم . أنهم يقولون : إن القرآن القديم هو أصوات القارئين ، ومداد الكاتبين ، وأن الصوت

(١) هو الفخر الرازى

والمداد قديم أزلى ؟ من قال هذا ؟ وفى أى كتاب وجد هذا عنهم ؟ قل لى .

وكما نقل عنهم : أن الله لا يُرَى فى الآخرة ، باللزوم الذى ادّعاه ، والمقدمة التى نقلها عنهم ؟

وأخذت أذكر ما يستحقه هذا الشيخ : من أنه كبير الجماعة وشيخهم وأن فيه من العقل والدين ، ما يستحق أن يعامل بموجبه .

وأمرت بقراءة العقيدة جميعها عليه ، فانه لم يكن حاضرا فى المجلس الأول ، وإنما أحضروه فى الثانى ، انتصارا به .

وحدثنى الثقة عنه بعد خروجه من المجلس ، أنه اجتمع به ، وقال له : أخبرنى عن هذا المجلس ؟

فقال : ما لفلان ذنب ، ولا لى ، فان الأمير سأل عن شىء . فأجابه عنه . فظننته سأل عن شىء آخر .

وقال : قلت لهم : مالكم على الرجل اعتراض ، فانه نَصَرَ ترك التأويل ، وأنتم تنصرون قول التأويل ، وهما قولان للأشعرى .

وقال : أنا أختار قول ترك التأويل . وأخرج وصيته التى أوصى بها . وفيها : قول ترك التأويل .

قال الحاكي لى : فقلت له : بلغنى عنك أنك قلت ، فى آخر المجلس، لما أشهد الجماعة على أنفسهم بالموافقة : لا تكتبوا عنى نفيا ولا إثباتا . فلِمَ ذاك ؟

فقال : لوجهين ، أحدهما : أنى لم أحضر قراءة جميع العقيدة فى المجلس الأول . والثانى : لأن أصحابى طلبونى لينتصروا بى ، فما كان يليق أن أُظهر مخالفتهم ، فسكتُّ عن الطائفتين

وأمَرْتُ غير مرة أن تعادَ قراءةُ العقيدة جميعها على هذا الشيخ ؛ فرأى بعض الجماعة أنّ ذلك يطول ، وأنه لا يُقرأ عليه إلا الموضع الذى لهم عليه سؤال ، وأعظمه : لفظ « الحقيقة » فقرأوه عليه

وذكر هو بحثاً حسنا ، يتعلق بدلالة اللفظ ؛ فحسَّنته ومدحته عليه

وقلت : لا ريب أن الله حيٌّ حقيقةً ، سميع حقيقة ، بصير حقيقة وهذا متفق عليه بين أهل السنة والصفاتية ، من جميع الطوائف ، ولو نازع بعض أهل البدع فى بعض ذلك ، فلا ريب أن الله موجود ، والمخلوق موجود . ولفظ « الوجود » سواء كان مقولا عليهما بطريق الاشتراك اللفظى فقط ، أو بطريق التواطىء ، المتضمن للاشتراك لفظا ومعنى ، أو بالتشكيك ، الذى هو نوع من التواطىء ، فعلى كل قول : فالله موجود حقيقة . والمخلوق موجود حقيقة . ولا يلزم من إطلاق الاسم

على الخالق والمخلوق بطريق الحقيقة محذورٌ

ولم أرجّح فى ذلك المقام قولا من هذه الثلاثة على الآخر ، لأن غرضى يحصل على كل مقصود .

وكان مقصودى تقرير ماذكرته على قول جميع الطوائف ، وأن أُبيِّن اتفاق السلف ومن تبعهم على ماذكرته وأن أعيانَ المذاهب الأربعة ، والأشعرى ، وأكابر أصحابه على ماذكرته

فانه قبل المجلس الثانى ، اجتمع بى من أكابر الشافعية ، والمنتسبين إلى الأشعرية ، والحنفية ، وغيرهم ؛ ممن عظم خوفهم من هذا المجلس ، وخافوا انتصار الخصوم فيه ، وخافوا على نفوسهم أيضا من تفرق الكلمة فلو أظهرتُ الحجة التى ينتصر بها ماذكرته ، أولم يكن من أئمة أصحابهم من يوافقها — : لصارت فُرقة ،ولصعب عليهم أن يُظهروا فى المجالس العامة الخروج عن أقوال طوائفهم ، لما فى ذلك من تمكن أعدائهم من أغراضهم . فاذا كان من أئمة مذاهبهم من يقول ذلك ، وقامت الحجة عليه، وبان أنه مذهب السلف ، أمكنهم إظهار القول به ، مع مايعتقدونه فى الباطن من أنه الحق

حتى قال لى بعض الأكابر من الحنفية ، وقد اجتمع بى :

لوقلت : هذا مذهب أحمد بن حنبل ، وثبّت على ذلك ؛ لانقطع النزاع .

ومقصوده : أنه يحصل دفع الخصوم عنك بأنه مذهبُ متبوع ، ويستريح المنتصر والمنازع من إظهار الموافقة .

فقلت: لاوالله ، ليس لأحمدبن حنبل بهذا اختصاص ، وإنما هذا اعتقاد سلف الأمة ، وأئمةأهل الحديث .

وقلت أيضا : هذا اعتقاد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكل لفظ ذكرته ، فأنا أذكر به آية أو حديثا ، أو إجماعا سلفيا ، وأذكر من ينقل الاجماع عن السلف ، من جميع طوائف المسلمين : أتباع الفقهاء الأربعة ، والمتكلمين ، وأهل الحديث ، والصوفية.

وقلت لمن خاطبنى من أكابر الشافعية : لأَبيِّن أن ما ذكرته هو قول السلف ، وقول أئمة أصحاب الشافعى ، وأذكر قول الأشعرى ، وأئمة أصحابه التى تَرُدّ على هؤلاء الخصوم . ولينتصرن كل شافعى ، وكل من قال بقول الأشعرى الموافق لمذهب السلف . وأبيّنُ أن القول المحكىّ عنه فى تأويل الصفات الخبرية قولٌ لا أصل له فى كلامه ، وإنما هو قول طائفة من أصحابه . فللأشعرية قولان ، ليس للأشعرى قولان .

* فلما ذكرت فى المجلس أن جميع أسماء الله التى يسمى بها المخلوق كلفظ « الوجود » الذى هو مقولٌ بالحقيقة على الواجب والممكن ، على الأقوال الثلاثة ، تنازع كبيران : هل هو مَقولٌ بالاشتراك ، أو بالتواطىء ؟

فقال أحدهما : هو متواطىء . وقال الآخر : هو مشترك . لئلا يلزم التركيب .

وقال هذا : قد ذكر فخر الدين : أن هذا النزاع مبنى على أن وجوده هل هو عين ماهيته ، أم لا ؟

فمن قال : إن وجود كل شىء عين ماهيته ، قال : إنه مقول بالاشتراك ، ومن قال : إن وجوده قدر زائد على ماهيته ، قال : إنه مقول بالتواطىء .

فأخذ الأول يرجح قول من يقول : إن الوجود زائد على أن الماهية . لينصر أنه مقول بالتواطىء .

فقال الثانى : ليس مذهب الأشعرى وأهل السنة : أن وجوده عين ماهيته .

فأنكر الأول ذلك

فقلت : أما متكلموا أهل السنة ، فعندهم : أن وجود كل شىء عين ماهيته . وأما القول الآخر ؛ فهو قول المعتزلة : ان وجود كل شىء

قدر زائد على ماهيته ، وكل منهما أصاب من وجه ، فان الصواب أن هذه الأسماء مقولة بالتواطىء ، كما قد قررته فى غير هذا الموضع

وأجبت عن شبهة التركيب بالجوابين المعروفين

وأما بناء ذلك على كون وجود الشيء عين ماهيته أو ليس عينها . فهو من الغلط المضاف إلى ابن الخطيب . فانا وإن قلنا : إن وجود الشيء عين ماهيته ، لا يجب أن يكون الاسم مقولا عليه وعلى نظيره الاشتراك اللفظى فقط ، كما فى جميع أسماء الأجناس . فان اسم « السواد » مقول على هذا السواد وهذا السواد بالتواطىء . وليس عين هذا السواد هو عين هذا السواد ، إذ الاسم دال على القدر المشترك بينهما ، وهو المطلق الكلي ، لكنه لا يوجد مطلقا كليا بشرط الاطلاق إلا فى الذهن ، ولا يلزم من ذلك نفى القدر المشترك بين الأعيان الموجودة فى الخارج ، فانه على ذلك تنتفى الأسماء المتواطئة ، وهى جمهور الأسماء الموجودة فى اللغات . وهى أسماء الاجناس اللغوية ، وهو الأسم المطلق على الشىء وعلى كل ما أشبهه ، سواء كان اسم عين ، أو اسم صفة ، جامدا ، أو مشتقا ، وسواء كان جنساً منطقيا ، أو فقهياً ، أولم يكن . بل اسم الجنس فى اللغة يدخل فيه الأصناف والأجناس والأنواع ، ونحو ذلك . وكلها أسماء متواطئة ، وأعيان

مسمياتها فى الخارج متميزة .

وطلب بعضهم إعادة قراءة الأحاديث المذكورة فى العقيدة ، ليطعن فى بعضها

فعرفت مقصوده .

فقلت : كأنك استعددت للطعن فى حديث الأوعال . حديث العباس ابن عبد المطلب ، وَكانوا قد تعنتوا حتى ظفروا بما تكلم به زكى الدين عبد العظيم ، من قول البخارى فى تاريخه : عبد الله بن عَميرة ، لا يعرف له سماع من الأحنف (١)

---

(١) الحديث رواه أبو داود فى الباب الثامن عشر من كتاب السنة قال : حدثنا محمد بن الصباح البزاز ، نا الوليد بن أبى ثور عن سماك بن حرب عن عبد الله بن عميرة عن الأحنف بن قيس عن العباس بن عبد المطلب قال : « كنت فى البطحاء فى عصابة فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فمرت سحابة — الحديث »

قال فى عون المعبود : قال المنذرى : ورواه الترمذى وابن ماجه . وقال الترمذى : حسن غريب . وروى شريك بعض هذا الحديث عن سماك ، فوقفه . هذا آخر كلامه . وفى إسناده الوليد بن أبى ثور لا يحتج بحديثه اه ثم روى أبو داود عن أحمد بن أبى سريج . انا عبد الرحمن بن عبد الله بن سعد ومحمد بن سعيد قالا : أنا عمرو بن أبى قيس عن سماك — باسناده ومعناه — حدثنا أحمد بن حفص حدثنى أبى حدثنا ابراهيم بن طهمان عن

فقلت . هذا الحديث — مع أنه رواه أهل السنن . كأبى داود ، والترمذى ، وابن ماجه ، وغيرهم — فهو مروى من طريقين مشهورين . فالقدح فى أحدهما لا يقدح فى الآخر .

فقال : أليس مداره على ابن عميره ، وقد قال البخارى : لا يعرف له سماع من الأحنف ؟

فقلت : قد رواه إمام الأئمة ابن خزيمة فى كتاب التوحيد الذى اشترط فيه أنه لا يحتج فيه إلا بما نقله العدل عن العدل موصولا إلى النبى صلى الله عليه وسلم (١)

سماك باسناده ومعناه . قال فى عون المعبود . أحمد بن أبى سريج هو أحمد ابن الصباح بن أبى سريج - بجيم مصغر - الرازى . وثقه النسائى . وهذا سند قوى جيد الاسناد ، وكذا إسناد احمد بن حفص قوى أيضا . وقال الحافظ ابن القيم فى تعليقاته على سنن أبى داود : وأما رد الحديث الوليد بن أبى ثور ففاسد . فان الوليد لم ينفرد به ، بل تابعه عليه ابراهيم بن طهمان كلاهما عن سماك . ومن طريقه رواه أبو داود . ورواه أيضا عمرو بن أبى قيس عن سماك اه . ورواه ابن ماجه من حديث الوليد بن ابى ثور عن سماك . وأى ذنب للوليد فى هذا ؟ وأى تعلق عليه ؟ وإنما ذنبه روايته ما يخالف الجهمية . وهى علته المؤثرة عند القوم انتهى كلامه مختصرا . قلت : وحديث ابراهيم بن طهمان أخرجه البيهقى فى الأسماء والصفات . والله اعلم اه من عون المعبود (ج ٤ ص ٣٦٩) ورواه الامام احمد فى المنسد (ج ١ ص ٢٠٦)

(١) قال الامام محمد بن اسحاق بن خزيمة فى كتاب التوحيد الطبعة المنيرية

قلت : والاثبات مقدم على النفى ، والبخارى إنما نفى معرفته لسماعه من الأحنف ، لم ينف معرفة الناس بهذا ، فاذا عرف غيره — كإمام الأئمة ابن خزيمة -- الإسناد ، كانت معرفته و إثباته مقدما على نفى غيره ، وعدم معرفته ، ووافق الجماعة على ذلك .

وأخذ بعض الجماعة يذكر من المدح مالا يليق أن أحكيه .

وأخذوا يناظرون فى أشياء لم تكن فى العقيدة ، ولكن لها تعلق بما أجبت به فى مسائل ، ولها تعلق بماقد يفهمونه من العقيدة .

فأحضر بعض أكابرهم كتاب الأسماء والصفات ، للبيهقى فقال : هذا فيه تأويل الوجه عن السلف .

فقلت : لعلك تعنى قوله تعالى : (فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ[1]) ؟

فقال : نعم . قد قال مجاهد والشافعى : يعنى قِبْلَةَ الله .

(ص ١٥) : لست أحتج فى شىء من صفات خالقى عز وجل إلا بما هو مسطور فى الكتاب ، أو منقول عن النبى صلى الله عليه وسلم بالأسانيد الثابته الصحيحة . وهذا الحديث رواه ابن خزيمة فى باب ذكر استواء خالقنا العلى الأعلى الفعال لما يشاء على عرشه (ص ٦٨) حدثنا احمد ابن نصر قال اخبرنا الدشتكى عبد الرحمن بن عبد عبد الله الرازى قال حدثنا عمرو بن ابى قيس عن سماك بن حرب عن عبدالله بن عميرة عن الأحنف بن قيس عن العباس الحديث .

(١) سورة البقرة آية (١١٥)

فقلت : نعم . هذا صحيح عن مجاهد ، والشافعى وغيرهما . وهذا حق ، وليست هذه الآية من آيات الصفات ، ومَنْ عَدّها فى الصفات فقد غلط ، كما فعل طائفة ، فان سياق الكلام يدل على المراد ، حيث قال : (ولِلّه المَشْرِقُ والمَغْرِبُ فأَيْنَما تُوَلّوا فَثَمَّ وَجْهُ الله) والمشرق والمغرب : الجهات . والوجه : هو الجهة — يقال : أىَّ وَجْه تريد ؟ — أى أىَّ جهة . وأنا أريد هذا الوجه . أى هذه الجهة — كما قال تعالى : (ولِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيها) ، ولهذا قال : (فأَيْنَما تُوَلّوا فثم وجه الله) — أى تستقبلوا وتتوجهوا . والله أعلم

* * *

هذا آخر ماعلقه الشيخ فيما يتعلق بالمناظرة ، بحضرة نائب السلطان والقضاة ، والفقهاء ، وغيرهم ، بالقصر .

[كتاب السلطان بارسال الشيخ إلى مصر] ٧٠٥

وفى يوم الاثنين خامس شهر رمضان من سنة خمس وسبعمائة وصل كتاب السلطان بالكشف عما كان وقع للشيخ تقىّ الدين ، فى ولاية سيف الدين جاغان ، وفى ولاية القاضى إمام الدين و باحضاره و إحضار القاضى نجم الدين بن صَصْرى إلى الديار المصرية .

فطلب نائب السلطنة الشيخ وجماعة من الفقهاء ، وسألهم عن تلك الواقعة ، وقرىء عليهم المرسوم .

فأجاب كل منهم بما كان عنده من تلك القضية ، وكتبه عنهم صاحب الديوان محى الدين ،والقاضى نجم الدين إلى مصر على البريد ، وخرج مع الشيخ خلق كثير ، وبكوا ، وخافوا عليه من أعدائِهِ .

وأخبرتُ : أن نائب السلطنة كان قدأشار على الشيخ بترك التوجه إِلى مصر ، وأنه يكاتب فى ذلك . فامتنع الشيخ من ذلك ، ولم يقبل وذكر أن فى توجهه إلى مصر مصالح كثيرة .

* * *

وقرأت بخط بعض أصحاب الشيخ ، قال :

ولما توجه الشيخ فى اليوم الذى توجه فيه من دِمَشق المحروسة ، كان يوما مشهوداً ، غريب المثل ، فى كثرةازدحام الناس لوداعه ورؤيته حتى انتشروا من باب داره إلى قريب للجسورة — فيما بين دمشق والكسوة — التى هى أول منزلة منها ، وهم ما بين باكٍ وحزين ، ومتعجب ومتنزه ، ومُزاحم متغال فيه . ودخل الشيخ مدينة غزّة يوم السبت ، وعمل فى جامعها مجلساً عظيما .

وفى يوم الخميس الثانى والعشرين من رمضان وصل الشيخ والقاضى

إلى القاهرة .

وفى ثانى يوم بعد صلاة الجمعة ، جمع القضاة ، وأكابر الدولة بالقلعة لمحفلٍ . وأراد الشيخ أن يتكلم ؛ فلم يُمكّن من البحث والكلام على عادته ، وانتَدِبَ له الشمس ابن عدلان خصما ، احتسابا . وادّعى عليه القاضى ابن مخلوف المالكى أنه يقول :

إنّ الله فوق العرش حقيقة ، و إن الله يتكلم بحرف وصوت ، وسأل جوابه .

فأخذ الشيخ فى حمد الله والثناء عليه

فقيل له : أجب . ماجئنابك لتخطب .

فقال : ومَن الحاكم فىّ ؟

فقيل له : القاضى المالكى

قال : كيف يحكم فىّ وهو خصمى ؟

فغضب غضباً شديدا ، وانزعج

فاقيم مُرسّما عليه . وحبس فى برج أياما

ثم نقل منه ليلة عيدالفطر إلى الحبس المعروف بالجُبِّ هو وأخواه : شرف الدين عبد الله ، و زين الدين عبد الرحمن

ثم إن نائب السلطنة — سيف الدين سلارا — بعد أكثر من سنة

وذلك ليلة عيد الفطر من سنة ست وسبعمائة أحضر القضاة الثلاثة : الشافعى ، والمالكى ، والحنفى . ومن الفقهاء : الباجى ، والجزرى ، والنمراوى . وتكلَّم فى إخراج الشيخ من الحبس .

فاتفقو على أنه يشترط عليه أمور ، ويُلزَم بالرجوع عن بعض العقيدة .

فأرسلوا إليه من يحضره ليتكلموا معه فى ذلك . فلم يجب إلى الحضور .

وتكرر الرسول إليه فى ذلك مرات . وصمم على عدم الحضور

فطال عليهم المجلس ، وانصرفوا عن غير شىء

[إرسال الشيخ كتابا من سجنه الى دمشق]

وفى اليوم الثامن والعشرين من ذى الحجة من سنة ست وسبعمائة ، أخبر نائب السلطنة بدمشق ، بوصول كتاب إليه من الشيخ تقى الدين من الجب ، وأعلم بذلك جماعة ممن حضر مجلسه . وأثنى عليه ، وقال : ما رأيت مثله ، ولا أشجع منه .

وذكر ما هو عليه فى السجن : من التوجه إلى الله تعالى ، وأنه لم يقبل شيئاً من الكسوة السلطانية ، ولا من الادرار السلطانى ، ولا تدنس بشىء من ذلك .

* * *

* وفى هذا الشهر أيضا — شهر ذى الحجة — فى يوم الخميس اليوم السابع والعشرين منه طُلب أخوَا الشيخ تقى الدين : شرفُ الدين عبدُ الله ، وزينُ الدين عبدُ الرحمن — إلى مجلس نائب السلطنة سلار ، وحضر القاضى زينُ الدين بنُ مخلوف المالكى ، وجرى بينهم كلام كثير ، وأُعيدا إلى موضعهما ، بعد أن بحث الشيخ شرف الدين مع القاضى المالكى ، وظهر عليه فى النَّقل والمعرفة ، وخطَّأه فى مواضع ادَّعى فيها الاجماع . وكان الكلام فى مسألة العرش، وفى مسألة الكلام . وفى مسألة النزول .

* وفى يوم الجمعة ثانى اليوم المذكور أُحْضِرَ الشيخُ شرفُ الدين وحده إلى مجلس نائب السلطنة ، وحضر ابنُ عدلان ، وتكلم معه الشيخ شرف الدين وناظره ، وبحث معه ، وظهر عليه .

* وفى اليوم الرابع والعشرين من صفر من سنة سبع وسبعمائة اجتمع القاضي بدرُ الدين بنُ جماعة بالشيخ تقىِّ الدين فى دار الأوحدى بالقلعة ، بُكرَةَ الجمعة ، وتفرقا قبل الصلاة . وطال بينهما الكلام

[اخراج ابن مهنا الشيخ من الجب]

* وفى شهر ربيع الأول من سنة سبع وسبعمائة دخل الأمير حسام الدين مهنَّا بن عيسى ملك العرب إلى مصر ، وحضر بنفسه إلى الجب .

فأخرج الشيخ تقى الدين بعد أن استأذن فى ذلك . فخرج يوم الجمعة الثالث والعشرين من الشهر إلى دار نائب السلطنة بالقلعة . وحضر بعض الفقهاء . وحصل بينهم بحث كثير . وفرقت صلاة الجمعة بينهم .

ثم اجتمعوا إلى المغرب . ولم ينفصل الأمر .

ثم اجتمعوا يوم الأحد بعد يومين بمرسوم السلطان مجموع النهار . وحضر جماعة أكثر من الأولين : حضر نجم الدين بن الرفعة ، وعلاء الدين الباجى ، وفخرُ الدين ابن بنت أبى سعد ، وعزُّ الدين النمراوى ، وشمسُ الدين بن عَدلان ، وجماعة من الفقهاء . ولم يحضر القضاة . وطُلبوا . فاعتذر بعضهم بالمرض ، و بعضهم بغيره ، وقَبل عذرَهم نائبُ السلطنة . ولم يكلفهم الحضور ، بعد أن رسم السلطان بحضورهم وانفصل المجلس على خير .

و بات الشيخ عند نائب السلطنة .

وكتب كتابا إلى دمشق بكرة الاثنين السادس والعشرين من الشهر يتضمن خروجه ، وأنه أقام بدار ابن شقير بالقاهرة . وأن الأمير سيف الدين سلار رسم بتأخيره عن مدة مقام الشيخ فى الجب ثمانية عشر شهرا .

ففرح خلق كثير بخروجه ، وسروا بذلك سرورا عظيما ، وحزن آخرون وغضبوا

* وامتدحه الشيخ الإمام نجم الدين سليمان بن عبدالقوى بقصيدة . منها :

فاصبر ، ففى الصبر ما يغنيك عن حِيَلٍ
وكلٌّ صعب إذا صابرته هانا
ولست تعدِمُ من خطب رُميتَ به
إحدى اثنتين ، فأيقن ذاك إيقانـــا :

تمحيص ذنب ، لتلقى الله خالصة ... أو امتحانا به تزداد قربانا
يا سعد ، إنا لنرجو أن تكون لنا ... سعدا ، ومرعاك للوُرَّاد سعدانا
وأنْ يَضُرَّبك الرحمٰنُ طائفةً ... وَلَّتْ ، وينفع مَنْ بالوُدِّ والانا
يا أهل تيميّة العالين مرتبة ... ومنصبا فرع الافلاك تبيانا
جواهر الكون أنتم ، غير أنكم ... فى معشر أُشربوا فى العقل نقصانا
لا يعرفون لكم فضلا ، ولو عقلوا ... لصيَّروا لكم الأجفان أوطانا
يامن حوى من علوم الخلق ماقصُرت ... عنه الأوائل مُذْ كانوا إلى الآنا
إن تُبْتَلَى بلئامٍ الناس يرفعهم ... دهر عليك لأهل الفضل قد خانا (١)

---

(١) بهامش الأصل: قوله «يرفعهم دهر ، الخ» فى كلامه نظر . ففى الصحيح عن ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال «قال الله تعالى : يؤذينى ابن آدم، يسب الدهر . وأنا الدهر ، أقلب الليل والنهار» وفى رواية « لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر» اه كذا فى المنقول عنه.

إنى لأقسم ، والاسلام معتقدى ، وإننى من ذوى الايمان : أيمانا :
لم ألق قبلك إنسانا أُسَرّ به فلا برحت لعين المجد إنسانا
فى أبيات كثيرة غير هذه ، يمدح فيها الشيخ ويذم أعداءه .

***

وفى يوم الجمعةُ صلى الشيخ فى جامع الحاكم . وجلس . فاجتمع إليه خلق عظيم . وسأله بعضهم أن يتكلم بشىء يسمعونه منه . فلم يجبهم إلى ذلك بل كان يتبسم ، وينظر يَمنة ويَسرة

فقال له رجل : قال الله فى كتابه الكريم (وإذ أخَذَ الله ميثاق الذين أُوتوا الكتابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ للناس ولا تكتمونه)

فنهض الشيح قائما . وابتدأ بخطبة الحاجة : خطبة ابن مسعود رضى الله عنه ، ثم استعاذ بالله من الشيطان الرجيم ، وقرأ (بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله رب العالمين . الرحمن الرحيم . مالك يوم الدين . إياك نعبد و إياك نستعين . إهدنا الصراط المستقيم . صراط الذين أنعمت عليهم . غير المغضوب عليهم ولا الضالين)

وتكلم على تفسير قوله تعالى (إياك نعبد و إياك نستعين) وفى معنى العبادة ، والاستعانة إلى أن أذّن مؤذن العصر.

***

* وفي يوم الخميس السادس من شهر ربيع الآخر سنة سبع وسبعمائة عقد للشيخ مجلس آخر بالمدرسة الصالحية بالقاهرة . واجتمع فيه القضاة وغيرهم .

وكان مما جرى فى المجلس – فيما بلغنى – أنه قيل للشيخ : نستغفر الله العظيم ، ونتوب إليه

فقال الشيخ : كلنا نستغفر الله العظيم ، ونتوب إليه

والتفت إلى رجل منهم . فقال له : استَغْفِرِ الله العظيم وتُبْ إليه

فقال : أستغفر الله العظيم وأتوب إليه . وكذلك قال لآخر ، ولآخر وكلهم يقول كذلك

فقيل للشيخ : تب إلى الله عزّ وجل من كذا وكذا – وذُكر له كلام

فقال : إن كنت قلت كلاما يستوجب التوبة فأنا تائب منه .

فقال له قائل : هذه ليست توبة

فردّ عليه الشيخ ، وجهّله

ووقع كلام يطول ذكره

* ووصل كتاب الشيخ مؤرخا بليلة الجمعة الرابع عشر من الشهر ، يذكر فيه أنه عُقد له مجلس ثالث بالمدرسة الصالحية بالقاهرة ، بعد خروج مُهَنَّا فى يوم الخميس سادس الشهر ، وأنه حصل فيه خير ، وأن فى إقامته مصالح وفوائد .

[كتاب الشيخ إلى والدته وإلى غيرها]

وقد وقفت على عدة كتب بخط الشيخ، بعثها من مصر إلى والدته، وإلى أخيه لأمه: بَدْر الدين، وإلى غيرهما

منها كتاب إلى والدته يقول فيه:

من أحمد بن تيمية إلى الوالدة السعيدة، أقرّ الله عينها بنعمه، وأسبغ عليها جزيل كرمه، وجعلها من خيار إمائه وخدمه.

سلام عليكم، ورحمة الله وبركاته

فإنا نحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو، وهو للحمد أهل، وهو على كل شيء قدير. ونسأله أن يُصلىَ على خاتم النبيين، وإمام المتقين، محمدٍ عبده ورسوله. صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليما.

كتابي إليكم عن نعم من الله عظيمة، ومِنَنٍ كريمة، وآلاء جسيمة نشكر الله عليها، ونسأله المزيد من فضله. ونِعَمُ الله كلَّما جاءت في نُمُوٍّ وازدياد، وأياديه جلَّت عن التعداد

وتعلمون أن مُقامنا الساعة في هذه البلاد، إنما هو لأمور ضرورية متى أهملناها فسد علينا أمر الدين والدنيا. ولسنا والله مختارين للبعد عنكم، ولو حملتنا الطيور لسرنا إليكم، ولكن الغائب عذره معه، وأنتم لو اطلعتم

على باطن الأمور ، فانكم - ولله الحمد - ماتختارون الساعة إلا دلك ، ولم نعزم على المقام والاستيطان شهرا واحدا ، بل كل يوم نستخير الله لنا ولكم ، وادعوا لنا بالخِيرَة ، فنسأل الله العظيم أن يخير لنا ولكم وللمسلمين ، مافيه الخِيرَة ، فى خير وعافية

ومع هذا فقد فتح الله من أبواب الخير والرحمة ، والهداية والبركة ، مالم يكن يخطر بالبال ، ولا يدور فى الخيال ، ونحن فى كل وقت مهمومون بالسفر ، مستخيرون الله سبحانه وتعالى . فلا يظن الظَّانّ أنَّا نُؤثر على قربكم شيئا من أمور الدنيا قط . بل ولا نؤثر من أمور الدين ، ما يكون قربكم أرجح منه ، ولكن ثَمَّ أمور كبار ، نخاف الضرر الخاص والعام من إهمالها . والشاهد يرى مالا يرى الغائب .

والمطلوب ، كثرة الدعاء بالخيرة ، فان الله يعلم ، ولا نعلم ، ويقدر ولا نقدر ، وهو علّام الغيوب وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم « من سعادة ابن آدم استخارته الله ، ورضاه بما يقسم الله له ، ومن شقاوة ابن آدم : ترك استخارته الله ، وسخطه بما يقسم الله له [١] » والتاجر يكون

(١) رواه الترمذى عن سعد بن أبى وقاص . وقال الترمذى . حديث غريب لا نعرفه الامن حديث محمد بن أبى حميد . وليس بالقوى عند أهل الحديث . ورواه الامام أحمد وأبو يعلى بلفظ « من سعادة ابن آدم استخارته الله عز وجل » والحاكم وزاد « ومن شقوة ابن آدم تركه استخارة الله » وقال : انه صحيح الاسناد .

مسافرا فيخاف ضياع بعض ماله ، فيحتاج أن يقيم حتى يستوفيه وما نحن فيه أمرٌ يَجِلّ عن الوصف ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

والسلام عليكم ، ورحمة الله وبركاته ، كثيراً ، كثيراً . وعلى سائر من فى البيت من الكبار والصغار ، وسائر الجيران ، والأهل والأصحاب واحدا ، واحدا .

والحمد لله رب العالمين . وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

***

كتاب آخر للشيخ بعثه من مصر إلى دمشق

ومنها كتاب ، قال فيه : بعد حمد الله تعالى ، والصلاة على نبيه صلى الله عليه وسلم

أما بعد . فان الله — وله الحمد — قد أنعم علىّ من نعمه العظيمة ومِنَنه الجسيمة ، وآلائه الكريمة ، ما هو مستوجب لعظيم الشكر ، والثبات على الطاعة ، واعتياد حسن الصبر ، على فعل المأمور . والعبد مأمور بالصبر فى السراء أعظم من الصبر فى الضراء قال تعالى (وَلَئِنْ أذَقْنَا الإنسانَ مِنّا رحمةً ، ثُمَّ نَزَعْناها مِنْهُ ، إنّهُ لَيَئُوسٌ كَفورٌ . وَلَئِنْ أذَقْناهُ نَعْماءَ بَعْدَ ضَرّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ : ذَهَبَ السَّيِّئاتُ عَنِّى ، إنه لَفَرِحٌ فَخُورٌ . إلا الذين

صَبَرُوا ، وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ، أولئك لهم مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ [١])

وتعلمون ، أن الله سبحانه منّ فى هذه القضيّة من المِنَنِ التى فيها من أسباب نصر دينه . وعلوّ كلمته ، ونصرِ جنده ، وعزّةِ أوليائه ، وقوّةِ أهل السنة والجماعة ، وذُلّ أهل البِدْعةِ والفُرْقة . وتقرير ما قُرِّر عندكم من السنة ، وزيادات على ذلك بانفتاح أبواب من الهدى والنصر ، والدلائل ، وظهور الحق ، لأمم لا يُحصِى عددَهم إلا الله تعالى ، وإقبال الخلائق إلى سبيل السنة والجماعة ، وغير ذلك من المنن ، مالا بد معه من عظيم الشكر ، وَمن الصبر ، وإن كان صبراً فى سرّاء

وتعلمون أن من القواعد العظيمة ، التى هى من جِماع الدّين : تأليفَ القلوب ، واجتماعَ الكلمة ، وصلاحَ ذات البَيْنِ ، فان الله تعالى يقول : (فاتّقُوا الله ، وأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ [٢]) ويقول : (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ الله جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا [٣]) ويقول : (ولا تَكُونُوا كالذين

---

(١) سورة هود الآيات (٩ ، ١٠ ، ١١)

(٢) سورة الأنفال الآية الأولى

(٣) سورة آل عمران آية (١٠٣)

تفرّقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البيّنات، وأولئك لهم عذاب عظيم »[1]

وأمثال ذلك من النصوص التي تأمر بالجماعة والائتلاف ، وتنهى عن الفُرقة والاختلاف .

وأهل هذا الأصل : هم أهل الجماعة ، كما أن الخارجين عنه ، هم أهل الفُرقة .

وجماعُ السنة : طاعة الرسول . ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة « إن الله يرضى لكم ثلاثا : أن تعبدوه ، ولا تشركوا به شيئا ، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ، ولا تفرّقوا ، وأن تناصحوا مَن ولّاهُ الله أموركم » .

وفي السنن من حديث زيد بن ثابت وابن مسعود — فقيهي الصحابة — عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « نضّرَ اللهُ امرأً سمع منّا حديثًا فبلّغه إلى مَنْ لم يسمعه ، فرُبَّ حاملِ فقهٍ غيرِ فقيه ، ورُبَّ حاملِ فقهٍ إلى مَنْ هو أفقهُ منهُ . ثلاثٌ لا يَغُلُّ عليهن قلبُ مسلمٍ : إخلاص العمل لله ، ومُناصحةُ وُلاةِ الأمر . ولزومُ جماعة المسلمين، فإن دعوتهم تُحيطُ مِنْ وَرائهم »[2]

(١) سورة آل عمران آية (١٠٥)

(٢) ذكره الحافظ عبد العظيم المنذري في باب الترغيب في الاخلاص

وقوله « لايغل » أى لايحقد عليهن . فلا يبغض هذه الخصال قلب المسلم ، بل يُحبّهن ، ويرضاهن .

وأولُ ما أبدأ به من هذا الأصل : مايتعلق بى ، فتعلمون — رضى الله عنكم — أنى لاأحبّ أن يؤذَى أحد من عموم المسلمين — فضلا عن أصحابنا — بشىء أصلا ، لاباطنا ولاظاهراً ، ولاعندى عَتْبٌ على أحد منهم . ولا لومٌ أصلا ، بل لهم عندى من الكرامة ، والاجلال والمحبة ، والتعظيم أضعاف أضعاف ما كان ، كلٌّ بحسَبِه ، ولايخلو الرجل . إما أن يكون مجتهدا مصيبا ، أو مخطئا ، أو مذنبا . فالأول : مأجور مشكور . والثانى مع أجره على الاجتهاد : فمعفوٌّ عنه ، مغفور له . والثالث : فالله يغفر لنا وله ، ولسائر المؤمنين .

فنطوِى بساط الكلام المخالف لهذا الأصل

عن أبى سعيد الخدرى . ثم قال : رواه البزار باسناد حسن . ورواه ابن حبان فى صحيحه من حديث زيد بن ثابت ، ويأتى فى باب سماع الحديث إن شاء الله . وقد روى هذا الحديث أيضا عن ابن مسعود ، ومعاذ بن جبل ، والنعمان بن بشير ، وجبير بن مطعم ، وأبى الدرداء ، وأبى قرصافة جندرة بن خيشنة وغيرهم من الصحابة رضى الله عنهم وبعض أسانيدهم صحيح .

كقول القائل : فلان قصَّر ، فلان ما عمل ، فلان أُوذى الشيخ بسببه ، فلان كان سببَ هذه القضية ، فلان كان يتكلم فى كيد فلان . ونحو هذه الكلمات ، التى فيها مَذَمّة لبعض الأصحاب ، والاخوان . فانى لا أسامح من آذاهم ، من هذا الباب ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

بل مثل هذا يعود على قائله بالملام ، إلا أن يكون له من حسنة وممن يغفر الله له إن شاء . وقد عفا الله عما سلف .

وتعلمون أيضا : أن ما يجرى من نوع تغليظ ، أو تخشين على بعض الأصحاب والاخوان .: ما كان يجرى بدمَشق ، ومما جرى الآن بمصر ، فليس ذلك غَضاضةً ولا نقصا فى حق صاحبه ، ولا حصل بسبب ذلك تَغيُّرٌ منّا ، ولا بعض . بل هو بعد ما عومل به من التغليظ والتخشين ، أرفع قدراً ، وأنبَهُ ذكرا ، وأحبُّ وأعظم ، وإنما هذه الأمور هى من مصالح المؤمنين ، التى يُصلح الله بها بعضهم ببعض ، فان المؤمن للمؤمن كاليدين ، تغسل إحداهما الأخرى . وقد لا ينقَلِعُ الوَسَخُ إلا بنوع من الخشونة ، لكن ذلك يُوجب من النظافة ، والنُّعومة ، ما نَحْمَد معه ذلك التخشين .

وتعلمون : أنا جميعا ، متعاونون على البِرِّ والتقوى ، واجب علينا

نصر بعضنا بعضا ، أعظمَ مما كان ، وأشدَّ . فمن رام أن يؤذى بعض الأصحاب ، أو الاخوان ، لما قد يظنه من نوع تَخْشين — عوسل به بدمشق ، أو بمصر الساعة ، أو غير ذلك — : فهو الغالط .

وكذلك ، من ظن أن المؤمنين يبخلون عما أمروا به من التعاون والتناصر ، فقد ظن ظنَّ سَوء (وان الظن لا يُغْنى من الحقِّ شيئا) وماغاب عنا أحد من الجماعة ، أو قدم إلينا الساعة ، أو قبل الساعة ، إلا ومنزلته عندنا اليوم أعظم مما كانت ، وأجلُّ ، وأرفع .

وتعلمون — رضى الله عنكم — : أن ما دون هذه القضية من الحوادث يقع فيها من اجتهاد الآراء ، واختلاف الأهواء وتنوع أحوال أهل الإيمان ، وما لا بد منه — من نزغات الشيطان — ما لا يتصوَّر أن يَعْرَى عنه نوع الإنسان . وقد قال تعالى : (وحَملها الإنسان إنه كان ظَلُوماً جَهولاً . لِيُعَذِّبَ الله المنافقين والمنافقات ، والمشركين والمشركات ويَتُوبَ الله على المؤمنين والمؤمنات ، وكان الله غفورا رحيما [١]) بل أنا أقول ما هو أبلغ من ذلك — تنبيها بالأدنى على الأعلى ، وبالأقصى على الأدنى — فأقول :

تعلمون كثرة ما وقع فى هذه القضية من الأكاذيب المفتراة والأغاليط المظنونة ، والأهواء الفاسدة ، وأن ذلك أمر يَجَلُّ عن

---

(١) آخر سورة الاحزاب .

الوصف . وكلّ ما قيل : من كذب وزُور ، فهو فى حقنا خيرٌ ونعمة . قال تعالى : (إنَّ الذين جاءوا بالأفك عُصْبَةٌ منكم لا تحسبوه شرّاً لكم ، بل هو خَيْرٌ لكُمْ . لكل امرىء منهم ما اكتسب من الأثم ، والذى تولى كِبْرَهُ منهم له عذاب عظيم)

وقد أظهر الله من نور الحق وبرهانه ، ما رَدَّ به إفك الكاذب وبهتانه .

فلا أحب أن يُنْتَصر من أحد بسبب كذبه علىّ ، أو ظلمه وعدوانه ، فانى قد أحللت كل مسلم . وأنا أحب الخير لكل المسلمين ، وأريد لكل مؤمن من الخير ما أحبه لنفسي .

والدين كذبوا وظلموا فهم فى حِل من جهتى .

وأما مايتعلق بحقوق الله ، فان تابوا أتاب الله عليهم ، و إلا فحكم الله نافذ فيهم ، فلو كان الرجل مشكورا على سوء عمله ، لكنت أشكر كلّ من كان سببا فى هذه القضيه ، لما يترتب عليه من خير الدنيا والآخرة ، لكن الله هو المشكور على حسن نعمه وآلائه ، وأياديه التى لا يقضى للمؤمن قضاء إلا كان خيرا له .

وأهل القصد الصالح يُشكرون على قصدهم ، وأهل العمل الصالح يُشكرون علي عملهم ، وأهل السيئات نسأل الله أن يتوب عليهم

وأنتم تعلمون هذا من خلقى . والأمر أزيد مما كان وأوكد، لكن حقوق الناس بعضهم مع بعض ، وحقوق الله عليهم ، هم فيها تحت حكم الله .

وأنتم تعلمون أن الصدِّيق الأكبر فى قضية الأفْكِ ، التى أنزل الله فيها القرآن ، حلف لا يَصِل مِسْطَحَ بن أُثاثة ، لأنه كان من الخائضين فى الافك . فأنزل الله تعالى : (ولا يَأْتَلِ أُولو الفضل منكم والسَّعة أن يُؤتوا أُولى القُرْبَي والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله ولْيَعْفُوا وليصفحوا ، ألا تحبون أن يغفر الله لكم؟ والله غفور رحيم)[1]. فلما نزلت قال أبو بكر : بلى ، والله إنى لأحب أن يغفر الله لى . فأعاد إلى مسطح النفقة التى كان ينفق[2] »

ومع ماذكر من العفو والاحسان ، وأمثاله ، وأضعافه ، والجهاد على مابعث الله به رسوله من الكتاب والحكمة أمر لابد منه (فسوف يأتِ الله بقومٍ يُحبُّهم ويحبونه ، أذِلَّةٍ على المؤمنين ، أعِزَّةٍ على الكافرين ، يُجاهدون فى سبيل الله ، ولا يخافون لَوْمَةَ لائم ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله واسع عليم . إنما وَلِيُّكُمُ اللهُ ورسوله ، والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاةَ ويُؤتون الزكاة ، وهم راكعون . ومَن يتولَّ الله

---

(١) سورة النور آية (٢٢)

(٢) رواه الامام أحمد والبخارى ومسلم وغيرهما عن عائشة رضى الله عنها فى حديث الافك الطويل

ورسوله ، والذين آمنوا ، فإنَّ حِزْبَ الله هم الغالبون) (١)

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليما .

وقد بعث الشيخ رحمه الله الى أقاربه وأصحابه بدمشق كتبا غيرهذه .

[شكوى الصوفية الشيخ إلى السلطان وأمره بحبسه]

ولم يزل بمصر يُعلِّم الناس ، ويفتيهم ، ويُذكِّر بالله ويدعو إليه ، ويتكلّم فى الجوامع على المنابر بتفسير القرآن وغيره من بعد صلاة الجمعة إلى العصر ، إلى أن ضاق منه وانحصر ، واجتمع خلق كثير من أهل الخوانق والرُّبُط والزّوايا . واتفقوا على أن يَشكوا الشيخ إلى السلطان

فطلع منهم خلق إلى القلعة . وكان منهم خلق تحت القلعة ، فكانت لهم ضجّة شديدة ، حتى قال السلطان : ماهؤلاء ؟

فقيل له . هؤلاء كلهم قد جاءوا من أجل الشيخ تقى الدين بن تيمية ، يشكون منه ، ويقولون : إنه يسبُّ مشايخهم ، ويضع من قدرهم عند الناس ، واستغاثوا منه وأجلبوا عليه ، ودخلوا على الأمراء فى أمره ، ولم يُبقوا ممكنا

وكان بعض الناس يأتون إلى الشيخ فيقولون له : إن الناس قد جمعوا لك جمعا كثيرا

---

(١) سورة المائدة . الآيات (٥٤ - ٥٦)

فيقول : حسبنا الله ونعم الوكيل .

وأمر من يعقد له مجلسا بدار العدل .

فعقد له مجلس يوم الثلاثاء فى العشر الأول من شوال ، من سنة سبع وسبعمائة . وظهر فى ذلك المجلس من علم الشيخ وشجاعته ، وقوة قلبه ، وصدق توكله ، و بيان حجته ، ما يتجاوز الوصف . وكان وقتا مشهودا ، ومجلسا عظيما .

وقال له كبير من المخالفين : من أين لك هذا ؟

فقال له الشيخ : من أين لا تعلمه .

وذكر بعض من حضر ذلك المجلس : أن الناس لما تفرقوا منه قام الشيخ ومعه جماعة من أصحابه .

قال : فجاء وجئت معه إلى موضع — ذكره — فى دار العدل .

قال : فلما جلسنا استلقى الشيخ على ظهره ، وكان هناك حجر لأجل تثقيل الحصير ، فأخذه ووضعه تحت رأسه ، فاضطجع قليلا . ثم جلس وقال له إنسان : ياسيدى قد أكثر الناس عليك .

فقال إنْ هم إلا كالذباب . ورفع كفه إلى فيه ونفخ فيه .

قال : وقام ، وقمنا معه ، حتى خرجنا . فأُتى بحصان ، فركبه ويحتـل بذؤابته . فلم أر أحدا أقوى قلبا ، ولا أشد بأسا منه .

قال : فلما أكثروا الشكاية منه والملام ، وأوسعوا من أجله الكلام .
رُسِم بتسفيره إلى بلاد الشام .

* فخرج للسفر ليلة الخميس ثانى عشر الشهر إلى جهة الشأم . ثم رُدَّ فى يوم الخميس المذكور . وحُبس بسجن الحاكم بحارة الدَّيلم ، فى ليلة الجمعة تاسع عشر شوال .

قال : ولما دخل الحبس وجد المحابيس مشتغلين بأنواع من اللعب ، يلتهون بها عمَّا هم فيه ، كالشطرنج والنرْدِ ، ونحو ذلك من تضييع الصلوات . فأنكر الشيخ عليهم ذلك أشد الإنكار ، وأمرهم بملازمة الصلاة ، والتوجه إلى الله بالأعمال الصالحة ، والتسبيح ، والاستغفار ، والدعاء ، وَعلّمهم من السنة مايحتاجون إليه ؛ وَرغّبهم فى أعمال الخير ، وحضَّهم على ذلك . حتى صار الحبس بما فيه من الاشتغال بالعلم والدين خيرا من الزَّوايا والرُّبط ، والخوانق والمدارس . وصار خلق من المحابيس إذا أُطْلِقُوا يختارون الاقامة عنده . وكثر المترددون إليه ، حتى كان السجن يمتلىء منهم

فلما كثر اجتماع الناس به . وترددهم إليه ساء ذلك أعداءه ، وَحِصرتْ صدورهم . فسألوا نقله إلى الاسكندرية ، وظنوا أن قلوب أهلها عن محبته عرِيّة . وأرادوا أن يبعد عهم خبره . أولعاهم يقتلونه فينقطع أثره

فأُرسلَ به إلى ثغر الاسكندرية ، فى ليلة يسفر صباحها عن يوم الجمعة سلخ صفر من سنة تسع وسبعمائة

***

(ماذكره البرزالى فى حبس الشيخ بالاسكندرية)

وذكر الشيخ البرزالى وغيره : أن فى شهر شوال من سنة سبع وسبعمائة . شكا شيخ الصوفية بالقاهرة — كريم الدين الابلى ، وابن عطاء ، وجماعة نحو الخمسمائة — من الشيخ تقى الدين ، وكلامه فى ابن عربى وغيره : إلى الدولة

فرُدَّ الأمرُ فى ذلك إلى القاضى الشافعى

وعقد له مجلس وادَّعى عليه ابن عطاء بأشياء لم يثبت شىء منها ، لكنه قال « لا يستغاث إلا بالله . حتى لا يستغاث بالنبى صلى الله وسلم استغاثة ـ بمعنى العبادة ـ ولكنه يتوسل به ، ويتشفع به إلى الله

فبعض الحاضرين قال : ليس فى هذا شىء

ورأى قاضى القضاة : بدر الدين ، أن هذا فيه قلة أدب

فحضرت رسالة إلى القاضى أن يعمل معه ما تقتضيه الشريعة فى ذلك . فقال القاضى : قد قلت له ما يقال لمثله .

ثم إن الدولة خيروه بين أشياء وهى : الاقامة بدمشق ، أو الاسكندرية بشروط ، أو الحبس . فاختار الحبس .

فدخل عليه جماعة فى السفر إلى دمشق ملتزما ما شُرط . فأجابهم

فاركبوهم خيل البريد ليلة الثامن عشر من شوال .

ثم أرسل خلفه من الغد بريدا آخر فردّه . وحضر عند قاضى القضاة بحضور جماعة من الفقهاء

فقال بعضهم له : ما ترضى الدولة إلا بالحبس

وَقال قاضى القضاة : وفيه مصلحة له

واستناب شمس الدين التونسى المالكى وأذن له أن يحكم عليه. فتحيّر .

فقال الشيخ : أنا أمضى إلى الحبس وأتبع ما تقتضيه المصلحةُ .

فقال نور الدين المأذون له فى الحكم : فيكون فى موضع يصلح لمثله

فقيل له : ما ترضى الدولة الا بمسمى الحبس . فأُرسل إلى حبس القاضى، وأجلس فى الموضع الذى أجلس فيه القاضى تقى الدين ابن بنت الأعز ، لما حبس ، وأذن أن يكون عنده من يخدمه .

وكان جميع ذلك باشارة الشيخ نصر المنْبِجى و وجاهته فى الدولة

واستمر الشيخ فى الحبس يُستفْتَى ويَقصده الناس ويزورونه، وتأتيه الفتاوى المشكلة من الأمراء وأعيان الناس .

قال علم الدين : وفى ليلة الأربعاء ، العشرين من شوال من سنة ثمان وسبعمائة. طُلب أخوا الشيخ تقى الدين . فوُجدَ زينُ الدين وعنده

جماعة . فرسم عليهم . ولم يوجد شرف الدين ، ثم أطلق الجماعة سوى زين الدين . فانه حمل إلى المكان الذى فيه الشيخ . وهو قاعة الترسيم بالقاهرة . ثم إنه أخرج فى خامس صفر سنة تسع وسبعمائة .

قال : وفى الليلة الأخيرة من شهر صفر هذا ، وهى ليلة الجمعة توجه الشيخ تقى الدين من القاهرة إلى الاسكندرية ، مع أمير مقدّم ولم يمكّن أحد من جماعته من السفر معه .

ووصل هذا الخبر إلى دمشق بعد عشرة أيام ، فحصل التألم لاصحابه ومحبيه ، وضاقت الصدور وتضاعف الدعاء له

و بلغنا : أن دخوله الاسكندرية كان يوم الأحد . دخل من باب الخوخة إلى دار السلطان . ونقل ليلا إلى برج فى شرقى البلد

ثم وصلت الأخبار : أن جماعة من أصحابه توجهوا إليه بعد ذلك . وصار الناس يدخلون إليه و يقرأون عليه ، و يتحدثون معه . و كان الموضع الذى هو فيه فسيحاً متسعاً .

[كتاب الشيخ شرف الدين

إلى أخيه بدر الدين]

وقد رأيت كتابا بخط الشيخ شرف الدين كتبه إلى أخيه بدر الدين بعد توجه الشيخ إلى الاسكندرية . يقول فيه :

من أخيه عبد الله بن تيمية .

سلام الله ورحمته وبركاته على الشيخ الامام العالم الجليل الكبير بدر الدين ، والى الله عليه آلاءه وأتبعها ، وأسبغ عليه نعمه ونوّعها ، ومنحه مننه وأينعها . وأيّده بالقوة والتأييد ، لاقامة الحق على القريب والبعيد . غير مقصّر ولا وانٍ ، ولا مُفتَّر ولا متوانٍ . بالرأى السديد ، والعزم الوكيد . وجمعنا وإياه فى هذه الدار على طاعته . وفى دار القرار فى دار كرامته ، مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين أهل ولايته ، إنه ذو الفضل العظيم ، والمنّ الجسيم ، والطول العميم .

أما بعد . فانى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو . وهو للحمد أهل ، وهو على كل شىء قدير . وأصلى على سيد ولد آدم ، وخير خلق الله أجمعين ، وسيد رسل رب العالمين : إلى الأسود . والأحمر ، والجن والانس . بشيرا للمؤمنين ، ونذيرا للكافرين . أتمّ الصلاة وأفضلها . وأشرفها وأكملها ، دائمة إلى يوم الدين ، وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا .

وبعد . فنحن والجماعة فى نعم الله الكاملة . ومننه الشاملة ، التي تفوت العدّ والإحصاء . وتعجز العقول عن تصورها ودركها ، وتحْصَر

الألسن عن نعتها ووصفها ، فضلا عن كتابتها . فنسأل الله العظيم أن يُوْزِعَنا شكرَها . وأن يديمها علينا وعلى جميع الاخوان والمؤمنين . إنه الجواد الكريم .

فمنها : نزول الأخ الكريم بالثغر المحروس . فان أعداء الله قصدوا بذلك أمورا ، يكيدون بها الاسلام وأهله . وظنوا أن ذلك يحصل عن قريب . فانقلبت عليهم مقاصدهم الخبيثة المعلومة ، وانعكست من كل الوجوه ، وأصبحوا وما زالوا عند الله وعند العارفين من المؤمنين سود الوجوه . يتقطَّعون حسرات وندما على مافعلوه . وأقبل أهل الثغر أجمعون إلى الأخ ، متقبلين لما يذكره وينشره ، من كتاب الله وسنة رسوله والحطِّ والوقيعة فى أعدائهما من أهل البدع والضلالات ، والكفر والجهالات ، خصوصا أخبث الملاحدة والاتحادية ، ثم الجهمية

واتفق أنه وَجد بها إبليسَ إلحادهم ، قدباض وفرّخ ، ونصب بها عرشه ودَوّخ ، وأضلّ بها فريقى السبعينية والعربية[(١)] ، فمزّق الله بها بقدومه الثغر جموعهم ، شَذَرَ مَذَرَ ، وهتك أستارهم وكشف رمزهم[(٢)] إلحاد والكفر وأسرارهم وفضحهم ، واستتاب جماعات منهم ، وتوّب رئيسا من رؤسائهم ، وإن كان عند عباد الله المؤمنين حقيراً ، وصنّف هذا

---

(١) نسبه الى ابن سبعين وابن عربى

(٢) كذا بالأصل . ولعل صحه العبارة : وكشف رمزهم فى إلحادهم ، وهتك أسرارهم

التائب كتابا فى كشف كفرهم و إلحادهم ، وكان من خواص خواص اللعين عدو الله ورسوله نصير الملحدين (١) ، واشتهر ذلك واستقر عند عموم المؤمنين . وخواصهم ، من أمير وقاض ، وفقيه ومفتٍ وشيخ ، وعموم المجاهدين ، إلامن شذ من الأغمار الجهال ، مع الذلة والصغار ، حذرا على نفسه من أيدى المؤمنين وألسنتهم ، وعلَتْ كلمةُ الله بها على أعداء الله ورسوله ، وأُعنوا لعناً ظاهرا فى مجامع الناس بالاسم الخاص . وصار بذلك عند نصير الملحدين المقيمُ المقعدُ ، ونزل به من الخوف والذل مالا يعبر عنه ، وهمَّ أن يكيد كيدا آخر ، فوقع ماوقع عندكم بالشأم من الأمر المزعج ، والكرب المقلق ، والبلاء العظيم والذل ، واستعطاف من كانوا لايلتفتون إليه بالأموال والأنفس ، والتذلل ، حتى رقَّ بعض الأصحاب لهم ، فزُجِر عن ذلك . وقيل له (ولا تأخذكم بهم رأفة فى دين الله) . إلى أمور كثيرة من المحن والبلاء ، مما لايمكن وصفه ، فنسأل الله العظيم أن يعجل تمام النقمة (٢) عليهم ، وأن يقطع دابرهم ، وأن يريح عباده و بلاده منهم ، وأن ينصر دينه وكتابه ورسوله وعباده عليهم ، وأن يُوزعنا شكر هذه النعمة ، وأن يتمَّها علينا . وعلى سائر المؤمنين .

---

(١) هو نصر المنبجى الاتحادى

(٢) كان بدله فى الأصل النعمة

وغير خاف عنك سيرتنا :

إذا أعجبتك خصال امرىء * فكُنْه يكن [1] مايعجبك

فليس لدى المجد والمكرما * ت إذا جئتها حاجب يحجبك

فأسال الله العظيم ، أن يعينك ويُمدَّك ، ويؤيدك بروح منه ، وأن يُقرَّبك أعين المؤمنين ، وأن يخزى بك الكفار والمنافقين ، وأن يوفقك لما يحبه ويرضاه ، وأن يتولاك فى جميع الأمور ، ويعينك على القيام فيها بما يرضى الله ورسوله .

والسلام عليك ورحمة الله وبركاته ، وعلى السعيدة الكريمة الطيبة التى رضى الله عنها وأرضاها ، وجعل بعد اجتماعنا بها الجنة دارها ومأواها ، وأراها وجهه الكريم فى دار النعيم : الوالدة التى منحها الله تعالى — فى آخر عمرها — هذه الكرامة العظيمة ، والمنزلة الرفيعة ، والدرجة العليّة ، وأكملُ السلام وأتماه .

وعلى جميع الأهل والاخوان ، والأصحاب والمعارف والجيران ، كبيرهم وصغيرهم ، قريبهم وبعيدهم ، كل فرد فرد له السلام .

---

(١) بهامش الأصل : لعله « يكن منه » او « فيه » أو مايقاربه .
أبو اسمعيل يوسف حسين عفى عنه

وغير خاف عنهم العجز عن حصرهم .

فالله تعالى يرضى عن جميعهم ، و يجمعناو إياهم — بعد نصر دين الله ورسوله — على مايحبه و يرضاه .

وكُتب والخاطر مشغول بأمر المسلمين ، لحدوث أمر يذكره لكم الشيخ عبد الله .

والحمد لله رب العالمين . وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

***

قلت : بقي الشيخ بثغر الاسكندرية ثمانية أشهر ، مقيما ببرج مليح نظيف ، له شباكان : أحدهما إلى جهة البحر ، يدخل إليه من شاء ، ويتردد إليه الأكابر والأعيان ، والفقهاء يقرأون عليه و يبحثون معه ، و يستفيدون منه .

***

[احضار الشيخ من سجن الاسكندرية]

إلى القاهرة

فلما دخل السلطان الناصر إلى مصر بعد خروجه من الكرك ، وقدومه إلى دمشق ، وتوجه منها إلى مصر — وكان قدومه إليها يوم عيد الفطر ، من سنة تسع وسبعمائة — نفَّذ لإحضار الشيخ من الاسكندرية فى اليوم الثامن من شوال .

وخرج الشيخ منها متوجها إلى مصر ، ومعه خلق من أهلها يودعونه ، ويسألون الله أن يردَّه إليهم . وكان وقتا مشهودا .

ووصل إلى القاهرة يوم السبت ثامن عشر الشهر .

واجتمع بالسلطان فى يوم الجمعة الرابع والعشرين منه . وأكرمه وتلقاه فى مجلس ، حَفَل فيه قضاة المصريين والشاميين والفقهاء . وأصلح بينه وبينهم .

ولقد أخبرنى بعض أصحابنا قال :

أخبرنى القاضى جمال الدين بن القلانسى ، قاضى العساكر المنصورة ، فيما تذاكرتُ أنا وهو ذات ليلة ، حين كان الشيخ تقيّ الدين مُعتقلا فى القلعة المنصورة — يعنى قلعة دمشق — وقد أشاع بعض الجهلة

وأرجف بعض المبغضين للسُّنَّة بأخبار مختلفة ، لاحقيقة لها ، لكن وقع في نفوس أصحاب الشيخ من ذلك ما يلقيه الشيطان فى قلب الإنسان ، وما ذاك إلا من شدة الشفقة والمحبة .

فقلت له — فيما تحدثنا به : إن الناس يقولون : كيت وكيت . وأن الشيخ ربما يخرج من القلعة ويُدَّعى عليه ، ويُعَزَّر ويطاف به .

فقال : يافلان هذا لايقع منه شىء ، ولا يسمح السلطان — خلد الله سعادته — بشىء من ذلك . وهو أعلم بالشيخ من كل هؤلاء وبعلمه ودينه .

ثم قال : أُخبرك بأمر عجيب ، وقع من السلطان فى حق الشيخ تقى الدين ، وذلك حين توجه السلطان إلى الديار المصرية ، ومعه القضاة والأعيان ، ونائب الشام الأفرم .

فلما دخل الديار المصرية وعاد إلى مملكته ، وهرب سلار والشنكير . واستقر أمر السلطان ، جلسا يوما دَستِ السلطنة وأُبَّهة الملك ، وأعيان الأمراء من الشاميين والمصريين حضور عنده ، وقضاة مصر عن يمينه ، وقضاة الشام عن يساره — وذكر لى كيفية جلوسهم منه ، كحسب منازلهم — قال : وكان من جملة من هناك ابن صَصْرى ، عن يسار السلطان ، وتحته الصدر علىّ قاضى الحنفية ، ثم بعده الخطيب جلال الدين . ثم بعده ابن

الزملكانى . قال . وأنا إلى جانب ابن الزملكانى . والناس جلوس خلفه ، والسلطان على مقعد مرتفع ، فبينما الناس على ذلك جلوس إذ نهض السلطان قائما . فقام الناس ، ثم مشى السلطان ، فنزل عن تلك المقعدة . ولا ندرى مابه . وإذا بالشيخ تقى الدين ابن تيمية — رحمه الله — مقبل من الباب والسلطان قاصد إليه ، فنزل السلطان عن الإيوان . والناس قيام . والقضاة والأمراء والدولة . فتسالم هو والسلطان وتكارشا [1] . وذهبا إلى صُفَّة فى ذلك المكان ، فيها شباك إلى بستان ، فجلسا فيها حينا . ثم أقبلا — ويد الشيخ فى يد السلطان — فقام الناس . وكان قد جاء فى غيبة السلطان تلك : الوزير فخر الدين بن الخليل ، فجلس عن يسار السلطان فوق ابن صصرى . فلما جاء السلطان جلس على مقعدته . وجاء الشيخ تقى الدين فجلس بين يدى السلطان على طرف مقعدته متربعاً .

فشرع السلطان يُثنى على الشيخ عند الأمراء والقضاة بثناء ماسمعته من غيره قط . وقال كلاما كثيراً . والناس تقول معه . ومثله القضاة والأمراء .

وكان وقتاً عجيبا . وذلك مما يسوء كثيراً من الحاضرين من أبناء جنسه .

---

(١) كذا بالاصل . ولعلها : وتسارا

وقال فى الشيخ من الثناء والمبالغة مالا يقدر أحد من أخص أصحابه أن يقوله .

ثم إن الوزير أنهى إلى السلطان أن أهل الذّمة قد بذلوا للديوان فى كل سنة سبعمائة ألف درهم ، زيادة على الجالية ، على أن يعودوا إلى لبس العمائم البيض ، المعلَّمة بالحمرة والصُّفرة والزرقة ، وأن يُعْفَوا من هذه العمائم المصبَّغة كلها بهذه الألوان ، التى ألزمهم بها ركن الدين الشاشنكير .

فقال السلطان للقضاة ومَنْ هناك : ماتقولون ؟

فسكت الناس .

فلما رآهم الشيخ تقى الدين سكتوا جثا على ركبتيه ، وشرع يتكلم مع السلطان فى ذلك بكلام غليظ ، ويردُّ ماعرضه الوزير عنهم ردًّا عنيفا ، والسلطان يسكته بترفُّق وتؤدة وتوقير

فبالغ الشيخ فى الكلام . وقال مالا يستطيع أحد أن يقوم بمثله ، ولا بقريب منه .

حتى رجع السلطان عن ذلك ، وألزمهم بما هم عليه . واستمروا على هذه الصفة .

فهذه من حسنات الشيخ تقى الدين ابن تيمية رحمه الله ورضى الله عنه آمين .

قال : هذا ملخص ما أخبرنى به رحمه الله .

***

وكنت جلست يوما إلى قاضى القضاة : صدر الدين قاضى الحنفية .

فقال لى ، وهو يضحك . تحب الشيخ تقي الدين ابن تيمية ؟

فقلت : نعم .

فقال : والله تحب شيئا مليحا ، وحكى لى قريبا مما ذكر ابن القلانسى ، لكن سياق ابن القلانسى أبسط وأتم .

***

[حلم الشيخ وعفوه عمن ظلمه]

وسمعت الشيخ تقى الدين ابن تيمية رحمه الله يذكر : أن السلطان لما جلسا بالشباك ، أخرج من جيبه فتاوى لبعض الحاضرين فى قتله واستفتاه فى قتل بعضهم .

قال : ففهمت مقصوده وأن عنده حنقا شديدا عليهم ، لما خلعوه وبايعوا الملك المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير .

فشرعت فى مدحهم والثناء عليهم ، وشكرهم ، وأن هؤلاء لو ذهبوا لم تجد مثلهم فى دولتك ، أمَّا أنا فهم فى حِلٍّ من حقى ومن جهتى . وسكّنت ماعنده عليهم .

* قال: فكان القاضى زين الدين ابن مخلوف – قاضى المالكية – يقول بعد ذلك: ما رأينا أتقى من ابن تيمية، لم نبق ممكنا فى السعى فيه. ولما قدَرَ علينا عفا عنا.

***

ثم إن الشيخ – بعد اجتماعه بالسلطان – نزل إلى القاهرة: وسكن بالقرب من مشهد الحسين، وعاد إلى بث العلم ونشره، والخلق يشتغلون عليه ويقرأون، ويستفتونه ويجيبهم بالكلام والكتابة، والأمراء والأكابر والناس يترددون إليه. وفيهم من يعتذر إليه ويتنصَّل مما وقع

فقال: قد جعلت الكل فى حل مما جرى

وبعث الشيخ كتابا إلى أقاربه وأصحابه بدمشق، يذكر ما هو فيه من النعم العظيمة والخير الكثير. ويطلب فيه جملة من كتب العلم يرسل بها إليه. وقال فى هذا الكتاب:

[كتاب الشيخ الى أقاربه بدمشق]

تعلمون أنّا بحمد الله فى نعم عظيمة ، ومِنَن جسيمة ، وآلاء متكاثرة ، وأيادٍ متظاهرة . لم تكن تخطر لأكثر الخلق ببال ، ولا تدور لهم فى خيال . والحمد لله حمدا كثيراً طيبا مباركا فيه . كما يحب ربنا ويرضى .

إلى أن قال :

والحق دائما فى انتصار وعلو وازدياد ، والباطل فى انخفاض وسِفال وَنَفاد . وقد أخضع الله رقاب الخصوم وأذلهم غاية الذل ، وطلب أكابرهم من السِّلم والانقياد مايطول وصفه .

* ونحن — ولله الحمد — قد اشترطنا عليهم فى ذلك من الشروط مافيه عز الاسلام والسنة ، وانقماع الباطل والبدعة ، وقد دخلوا فى ذلك كله ، وامتنعنا ، حتى يظهر ذلك إلى الفعل ، فلم نثق لهم بقول ولا عهد ، ولم نجبهم إلى مطلوبهم ، حتى يصير المشروط معمولا ، والمذكور مفعولا ، ويظهر من عز الاسلام والسنة للخاصة والعامة ما يكون من الحسنات التى تمحو سيئاتهم . وقد أمدّ الله من الأسباب التى فيها عز الاسلام والسنة ، وقمع الكفر والبدعة ، بأمور يطول وصفها فى كتاب . وكذلك جرى من الأسباب التى هي عز الاسلام وقمع اليهود والنصارى ، بعد أن كانوا قد استطالوا وحصلت لهم

شوكة ، وأعانهم من أعانهم على أمرٍ فيه ذُلٌ كبير من الناس ، فلطف الله باستعمالنا فى بعض ما أمر الله به ورسوله . وجرى فى ذلك مما فيه عز المسلمين ، وتأليف قلوبهم ، وقيامهم على اليهود والنصارى وذل المشركين وأهل الكتاب ، مما هو من أعظم نعم الله على عباده المؤمنين. ووصف هذا يطول .

وقد أرسلت إليكم كتابا أطاب ماصنفته فى أمر الكنائس ، وهى كراريس بخطى ، قَطْع النصف البلدى ، فترسلون ذلك إن شاء الله تعالى . وتستعينون على ذلك بالشيخ جمال الدين المزّى فانه يُقلّب الكتب ويخرج المطلوب. وترسلون أيضا من تعليق القاضى أبى يعلى الذى بخط القاضى أبى الحسين ، إن أمكن الجميع ، وهو أحدعشر مجلدا ، وإلا فمن أوله مجلدا ، أو مجلدين ، أو ثلاثة ، وذكر كتبا يطلبها منهم

ولم يزل الشيخ مستمرا على عادته من الاشتغال بتعليم الناس ونفعهم وموعظتهم والاجتهاد فى سُبل الخير .

***

[قيام جماعة من الغوغاء على الشيخ بجامع مصر

وضربه وقيام أهل الحسينية وغيرهم انتصارا للشيخ

ثم صفحه هو عمن آذوه]



فلما كان فى رابع شهر رجب من سنة إحدى عشرة وسبعمائة جاء

رجل — فيما بلغنى — إلى أخيه الشيخ شرف الدين ، وهو فى مسكنه بالقاهرة . فقال له : إن جماعة بجامع مصر قد تعصبوا على الشيخ ، وتفردوا به وضربوه .

فقال : حسبنا الله ونعم الوكيل . وكان بعض أصحاب الشيخ جالسا عند شرف الدين . قال : فقمت من عنده . وجئت إلى مصر . فوجدت خلقا كثيرا من الحسينية وغيرها رجالا وفرسانا يسألون عن الشيخ . فجئت فوجدته بمسجد الفخر كاتب المماليك على البحر . واجتمع عنده جماعة ، وتتابع الناس . وقال له بعضهم : ياسيدى ، قد جاء خلق من الحسينية ، ولو أمرتهم أن يهدموا مصر كلها لفعلوا

فقال لهم الشيخ : لأى شىء ؟ قال : لأجلك

فقال لهم : هذا مايحق

فقالوا : نحن نذهب إلى بيوت هؤلاء الذين آذوك فنقتلهم ونخرب دورهم . فانهم شوشوا على الخلق ، وأثاروا هذه الفتنة على الناس

فقال لهم : هذا مايحل

قالوا : فهذا الذى قد فعلوه معك يحل ؟ هذا شىء لانصبر عليه ، ولابد أن نروح إليهم ونقاتلهم على مافعلوا

والشيخ ينهاهم ويزجرهم

فلما أكثروا فى القول قال لهم : إما أن يكون الحق لى ، أولكم ، أولله . فان كان الحق لى فهم فى حِل منه . و إن كان لكم فان لم تسمعوا منى ولا تستفتونى فافعلوا ماشئتم . و إن كان الحق لله . فالله يأخذحقه إن شاء كما يشاء

قالوا : فهذا الذى فعلوه معك هو حلال لهم ؟

قال : هذا الذى فعلوه قد يكونون مثابين عليه مأجورين فيه

قالوا : فتكون أنت على الباطل وهم على الحق ؟ فاذا كنت تقول : إنهم مأجورين فاسمع منهم ووافقهم على قولهم .

فقال لهم : ما الأمر كما تزعمون . فانهم قد يكونون مجتهدين مخطئين ففعلوا ذلك باجتهادهم . والمجتهد المخطىء له أجر .

فلما قال لهم ذلك . قالوا : فقُمْ واركب معنا ، حتى نجيء إلى القاهرة

فقال : لا . وسأل عن وقت العصر فقيل له : إنه قريب . فقام قاصدا إلى الجامع لصلاة العصر .

فقيل له : ياسيدى قد تواصوا عليك ليقتلوك . وفى الجامع قد يتمكنون منك ، بخلاف غيره . فصلِّ حيث كان .

وأبى إلا المضىّ إلى الجامع والصلاة فيه .

فخرج وتبعه خلق كثير لايرجعون عنه . فضاقت الطريق بالناس

فقال له من كان قريبا منه : ادخل إلى هذا المسجد - مسجد فى الطريق — واقعدفيه حتى يخف الناس ، لئلا يموت أحد من الزحام .

فدخل ولم يجلس فيه . ووقف وأنا معه . فلما خفّ الناس خرج يطلب الجامع العتيق . فمرَّ فى طريقه على قوم يلعبون بالشطرنج على مسطبة بعض حوانيت الحدادين . فنفض الرقعة وقلبها . فبُهِتَ الذى يلعب بها والناس من فعله ذلك .

ثم مشى قاصدا للجامع ، والناس يقولون : هنا يقتلونه ، الساعة يقتلونه .

فلما وصل إلى الجامع قيل : الساعة يغلق الجامع عليه وعلى أصحابه ويقتلون .

فدخل الجامع ودخلنا معه . وصلى ركعتين . فلما سلّم منها أذّن المؤذن بالعصر ، فصلّى العصر . ثم افتتح بقراءة : (الحمد لله رب العالمين) ثم تكلم فى المسألة التى كانت الفتنة بسببها إلى أذان المغرب .

فخرج أتباع خصومه . وهم يقولون : والله لقد كنا غالطين فى هذا الرجل لقيامنا عليه . والله إن الذى يقوله هذا ، هو الحق . ولو تكلّم هذا بغير الحق لم نُمهله إلى أن يسكت ، بل كنا نبادر إلى قتله ، ولو كان هذا يُبطن خلافَ ما يُظهر لم يَخْفَ علينا . وصاروا فرقتين يخاصم بعضهم بعضا .

قال : ورُحنا مع الشيخ إلى بيت ابن عمه على البحر فبتنا عنده .

***

[واقعة أخرى فى أذى الشيخ بمصر]

وقال الشيخ علم الدين : وفى العشر الأوسط من رجب من سنة إحدى عشرة وسبعمائة ، وقع أذى فى حق الشيخ تقى الدين بمصر ، وظفر به بعض المبغضين له فى مكان خال . وأساء عليه الأدب . وحضر جماعة كثيرة من الجند وغيرهم إلى الشيخ بعد ذلك لأجل الانتصار له . فلم يجب إلى ذلك .

وكتب إلىّ المقاتلى يذكر أن ذلك وقع من فقيه بمصر ، يعرف بالمبدى . حصل منه إساءة أدب ثم بعد ذلك طاب وتودّد . وشَفَع فيه جماعة . والشيخ ما تكلّم ولا اشتكى . ولو حصل منه شكوى أهين ذلك غاية الاهانة ، لكن قال : أنا ما أنتصر لنفسى .

وأقام الشيخ بعد هذا مدة بالديار المصرية .

[خروج الشيخ إلى الشام مع الجيش المصرى]

ثم إنه توجه إلى الشأم ، صحبة الجيش المصرى قاصدا الغَزَاة .

فلما وصل معهم إلى عسقلان توجه إلى بيت المقدس ، وتوجه منه إلى دمشق . وجعل طريقه على عَجْلون و بعض بلاد السواد . وزُرَع . ووصل إلى دمشق فى أول يوم من شهر ذى القعدة سنة اثنتى عشرة وسبعمائة . ومعه أخواه وجماعة من أصحابه . وخرج خلق كثير لتلقيه . وسروا سرورا عظيما بمقدمه وسلامته وعافيته .

وكان مجموع غيبته عن دمشق سبع سنين وسبع جمع .

وقد توفى فى أثناء غيبة الشيخ عن دمشق غير واحد من كبار أصحابه وساداتهم .

[ترجمة الشيخ عماد الدين ابن شيخ الحزاميين]

منهم الشيخ الإمام القدوة الزاهد العارف عماد الدين أبو العباس أحمد بن ابراهيم بن عبدالرحمن الواسطى ، المعروف بابن شيخ الحزاميين توفى يوم السبت السادس والعشرين من شهر ربيع الآخر من سنة إحدى عشرة وسبعمائة .

وكان رجلا صالحا ورعا ، كبير الشأن ، منقطعا إلى الله ، متوفرا على العبادة والسلوك .

وكان قد كتب رسالة و بعثها إلى جماعة من أصحاب الشيخ وأوصاهم فيها بملازمة الشيخ ، والحث على اتباع طريقته ، وأثنى فيها على الشيخ ثناء عظيما.

وهذه نسخة الرسالة التى كتبها .

[كتاب نفيس جدا للشيخ عماد الدين

فى الثناء على الشيخ ابن تيمية والوصاية به]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسبحان الله و بحمده ، تقدّس فى علوه وجلاله . و تعالى فى صفات كماله . وتعاظم فى سُبُحات فرادنيته وجماله ، وتـكرّم فى إفضاله وجمال نواله ، جل أن يمثَّل بشىء من مخلوقاته ، أو يحاط به ، بل هو المحيط بمبتدعاته ، لاتصوره الأوهام ، ولا تُقِلّه الأجرام ، ولا يَعقل كنهَ ذاته البصائر ولا الأفهام .

الحمد لله مؤيد الحق و ناصره ، ودافع الباطل وكاسره ، ومعز الطائع وجابره ، ومذل الباغى وداثره ، الذى سعد بحظوة الاقتراب من قدسه من قام بأعباء الاتباع فى بنانه (١) وأسّه ، وفاز بمحبو بيته فى ميادين أنسه من بذل مايهواه فى طلبه من قلبه وحسه ، وتَثَبَّت فى مَهـامِهِ الشـكوك منتظرا زوال لبسه ، سبحانه و بحمده له المثل الأعلى ، والنور الأتم الأجلى ، والبرهان الظاهر فى الشريعة المثلى .

---

(١) لعله بنيانه

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له . الذى شهدت لوحدانيته الفطر ، وأسلم لربوبيته ذو العقل والنظر ، وظهرت أحكامه فى الآى والسور ، وتمّ اقتداره فى تنزل القدر .

وأشهد أن محمدا صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله، الذى شهدت بنبوته الهواتف والأحبار ، فكان قبل ظهوره ينتظر ، وتلاحقت عند مبعثه معجزاته من حنين الجذع وانقياد الشجر ، صلوات الله عليه وعلى آله وأصحابه أهل الخشية والحذر ، والعلم المنور ، فهم قدوة التابع للأثر .

وبعد . فهذه رسالة سطرها العبد الضعيف الراجى رحمة ربه وغفرانه ، وكرمه وامتنانه . أحمد بن ابراهيم الواسطى. عامله الله بما هو أهله . فانه أهل التقوى وأهل المغفرة .

إلى إخوانه فى الله السادة العلماء ، والأئمة الأتقياء ، ذوى العلم النافع ، والقلب الخاشع ، والنور الساطع ، الذين كساهم الله كسوة الاتباع ، وأرجو من كرمه أن يحققهم بحقائق الانتفاع :—

السيد الأجل العالم ، الفاضل فخر المحدثين ، ومصباح المتعبدين المتوجه إلى رب العالمين ، تقى الدين أبى حفص عمر بن عبد الله بن عبد الأحد بن شقير

والشيخ الأجلّ ، العالم الفاضل السالك الناسك ذى العلم والعمل ، المكتسى من الصفات الحميدة أجمل الحلل ، الشيخ شمس الدين محمد ابن عبد الأحد الآمدى

والسيد الأخ ، العالم الفاضل ، السالك الناسك ، التقي الصالح ، الذى سيماء نور قلبه لائح على صفحات وجهه ، شرف الدين محمد ابن المنجّى .

والسيد الأخ ، الفقيه العالم النبيل ، الفاضل فخر المحصلين ، زين الدين، عبد الرحمن بن محمد بن عبيدان البعلبكي

والسيد الأخ العالم الفاضل ، السالك الناسك ، ذى اللب الراجح والعمل الصالح ، والسكينة الوافرة ، والفضيلة الغامرة ، نور الدين محمد بن محمد بن محمد بن الصائغ .

وأخيه السيد الأخ ، العالم التقى الصالح ، الخيِّر الدَّيِّن ، العالم الثقة ، الأمين الراجح ، ذى السمت الحسن ، والدين المتين ، فى اتباع السنن ، فخر الدين محمد

والأخ العزيز الصالح ، الطالب لطريق ربه ، والراغب فى مرضاته وحبه ، العالم الفاضل ، الولد شرف الدين محمد بن سعد الدين سعد الله ابن نجيح .

وغيرهم من اللائذين بحضرة شيخهم وشيخنا السيد الامام ، الأُمَّة [١] الهمام ، محيي السنة ، وقامع البدعة ، ناصر الحديث ، مفتي الفرق ، الفائق عن الحقائق ، وموصلها بالأصول الشرعية للطالب الذائق ، الجامع بين الظاهر والباطن ، فهو يقضي بالحق ظاهرا وقلبه في العلى قاطن ، أنموذج الخلفاء الراشدين ، والأئمة المهديين ، الذين غابت عن القلوب سيرهم ، ونسيت الأمة حذوهم وسبلهم ، فذكرهم بها الشيخ ؛ فكان في دارس نهجهم سالكا ، ولموات حذوهم محييا ، ولأعنة قواعدهم مالكا : الشيخ الامام تقي الدين أبو العباس ، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية ، أعاد الله علينا بركته ، ورفع إلى مدارج العلى درجته ، وأدام توفيق السادة المبدوّ بذكرهم وتسديدهم ، وأجزل لهم حظهم ، ومزيدهم .

السلام عليكم معشر الاخوان ورحمة الله وبركاته ، جعلنا الله وإياكم ممن ثبت على قَرْع نوائب الحق جأشُه ، واحتسب لله مابذله من نفسه في إقامة دينه ، وما احتوشته من ذلك وحاشه ، واحتذى حذو السُّبَّقِ الأولين ، من المهاجرين والأنصار ، والذين لم تأخذهم في الله لومة لائم ،

---

(١) قال ابن مسعود رضى الله عنه : الامة . معلم الخير اه بغوى اه من هامش الاصل

فما ضَرّهم مَنْ خذلهم ولا من خالفهم ، مع قِلة عددهم فى أول الأمر ، فكانوا مع ذلك كلٌّ منهم مجاهد بدين الله قائم . ونرجو من كرم الله تعالى أن يوفقنا لأعمالهم ، ويرزق قلوبنا قسطامن أحوالهم ، وينظمنافى سلكهم ، تحت سَجَفتهم ولوائهم ، مع قائدهم وإمامهم سيد المرسلين ، وإمام المتقين ، محمد صلوات الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين .

أذكركم رحمكم الله بما أنتم به عالمون ، عملا بقوله تعالى (وذَكِّرْ فانَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ المؤمنين)

وأبدأ من ذلك بأن أوصى نفسى وإياكم بتقوى الله ، وهى وصية الله تعالى إلينا وإلى الأمم من قبلنا ، كما بين سبحانه وتعالى قائلا وموصيا : (ولقد وصّينا الّذين أُوتوا الكتابَ مِنْ قَبْلِكُم وإيّاكم أنِ اتّقُوا الله) .

وقد علمتم تفاصيل التقوى على الجوارح والقلوب ، بحسب الأوقات والأحوال : من الأقوال ، والأعمال ، والإرادات ، والنيات .

وينبغى لناجميعا أن لانقنع من الأعمال بصورها حتى نطالب قلوبنا بين يدى الله تعالى بحقائقها . ومع ذلك فلتكن لنا همة علوية ، تترامى إلى أوطان القرب ، ونفحات المحبوبية والحب . فالسعيد من حظى من ذلك بنصيب . وكان مولاه منه على سائر الأحوال قريبا بخصوص التقريب .

فيكتسى العبد من ذلك ثمرة الخشية والتعظيم ، للعزيز العظيم ، فالحبُّ والخشية ثابتتان فى الكتاب العزيز والسنة المأثورة . قال تعالى : (يُحِبُّهم و يُحِبُّونَه [1]) (والذين آمنوا أشدُّ حُبًّا لله [2]) وقال تعالى : (إنما يخشى اللهَ من عبادة العلماء [3]) وفى الحديث « أسألك حبك وحب من أحبك وحب عمل يقربنى إلى حبك [4] » وفى الحديث «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ، ولخرجتم إلى الصُّعُدات تجأرون إلى الله [5] »

ومعلوم أن الناس يتفاوتون فى مقامات الحب والخشية ، فى مقام أعلى من مقام ، ونصيب أرفع من نصيب ، فلتكن همة أحدنا من مقامات الحب والخشية أعلاه ، ولا يقنع إلا بذروته وذراه ، فالهم القصيرة

---

(١) سورة المائدة آية (٥٤)

(٢) سورة البقرة آية (١٦٥)

(٣) سورة فاطر آية (٢٨)

(٤) رواه الترمذى عن ابن عباس فى دعاء طويل .

(٥) رواه الامام أحمد والبخارى ومسلم والترمذى والنسائى عن أنس بدون قوله « ولخرجته الخ » وهو بهذه الزيادة عند الطبرانى فى الكبير والحاكم والبيهقى عن أبى الدرداء .

تقنع بأيسر نصيب ، والهمم العلية تعلو مع الأنفاس إلى قريب الحبيب لايشغلنا عن ذلك ماهو دونه من الفضائل ، والعاقل لايقنع بأمر مفضو عن حال فاضل . ولتكن الهمة منقسمة على نيل المراتب الظاهرة ، وتحصيل المقامات الباطنة . فليس من الإنصاف الانضباب إلى الظواهر والتشاغل عن المطالب العلوية ذوات الأنوار البواهر .

وليكن لنا جميعا بين الليل والنهار ساعة ، نخلو فيها بربنا جل اسمه وتعالى قدسه ، نجمع بين يديه فى تلك الساعة همومنا ، ونطرح أشغال الدنيا من قلوبنا ، فنزهد فيما سوى الله ساعة من نهار ، فبذلك يعرف الإنسان حاله مع ربه ، فمن كان له مع ربه حال ، تحركت فى تلك الساعة عزائمه . وابتهجت بالمحبة والتعظيم سرائره ، وطارت إلى العلى زفراته وكوامنه . وتلك الساعة أنموذج لحالة العبد فى قبره ، حين خلوه عن ماله وحِبِّه . فمن لم يخل قلبه لله ساعة من نهار ، لما احتوشه من الهموم الدنيوية وذوات الآصار . فليعلم أنه ليس له ثَم رابطة علوية ، ولانصيب من المحبة ولا المحبوبية ، فليبك على نفسه ، ولايرضى منها إلا بنصيب من قرب ربه وأنسه .

فاذا حصلت لله تلك الساعة ، أمكن إيقاع الصلوات الخمس على نمطها من الحضور والخشوع ، والهيبة للرب العظيم فى السجود والركوع

فلا ينبغى لنا أن نبخل على أنفسنا فى اليوم والليلة من أربع وعشرين ساعة بساعة واحدة لله الواحد القهار ، نعبده فيها حق عبادته ، ونجتهد على إيقاع الفرائض على ذلك النهج فى رعايته ، وذلك طريق لنا جميعا إن شاء الله تعالى إلى النفوذ ، فالفقيه إذا لم ينفذ فى علمه حصل له الشطر الظاهر ، وفاته الشطر الباطن . لاتصاف قلبه بالجمود . و بعده فى العباد والتلاوة عن لين القلوب والجلود . كما قال تعال : (تَقْشَعِرُّ منه جلُودُ الذينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهم ثُمَّ تَلِين جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهم إلى ذِكرِ الله [1])

وبذلك يرتقى الفقيه عن فقهاء عصرنا . ويتميز به عنهم ، فالنافذ من الفقهاء له بصيرة المنورة ، والذوق الصحيح ، والفراسة الصادقة ، والمعرفة التامة ، والشهادة على غيره بصحيح الأعمال وسقيمها . ومن لم ينفذ لم تكن له هذه الخصوصية ، وأبصر بعض الأشياء وغاب عنه بعضها .

فيتعين علينا جميعا طلب النفوذ إلى حضرة قرب المعبود ، ولقائه بذوق الإيقان ، لنعبده كأننا نراه . كما جاء فى الحديث [2]

---

(١) سورة الزمر آية (٢٣)

(٢) حديث جبريل فى سؤاله عن الاسلام والايمان والاحسان فقال له « الاحسان أن تعبدالله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك » رواه البخارى ومسلم عن عمر وعن ابنه رضى الله عنهما

وبعد ذلك الحظوة فى هذه الدار بلقاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، غيبا فى غيب ، وسرا فى سر ، بالعكوف على معرفة أيامه وسننه واتباعها . فتبقى البصيرة شاخصة إليه ، تراه عيانا فى الغيب ، كأنها معه صلى الله عليه وسلم ، وفى أيامه . فيجاهد على دينه . ويبذل مااستطاع من نفسه فى نصرته .

وكذلك من سلك فى طريق النفوذ يُرجَى له أن يلقى ربه بقلبه غيبا فى غيب ، وسرا فى سر ، فيرزق القلب قسطا من المحبة والخشية . والتعظيم اليقينى ، فيرى الحقائق بقلبه من وراء ستر رقيق . وذلك هو المعبر عنه بالنفوذ . ويصل إلى قلبه من وراء ذلك الستر مايغمره من أنوار العظمة والجلال والبهاء والكمال ، فيتنور العلم الذى اكتسبه العبد . ويبقى له كيفية أخرى زائدة عَلَى الكيفية المعهودة من البهجة والأنوار والقوة فى الاعلان والاسرار .

فلا ينبغى لنا أن نتشاغل عن نيل هذه الموهبة السنية ، بشواغل الدنيا وهمومها ، فننقطع بذلك — كما تقدم — بالشىء المفضول عن الأمر المهم الفاضل . فاذا سلكنا فى ذلك برهة من الزمان ، ورزقنا الله تعالى نفوذا ، وتمكنا فى ذلك النفوذ فلا تعود هذه العوارض الجزئيات الكونيات تؤثر فينا إن شاء الله تعالى .

وليكن شأن أحدنا اليوم : التعديل بين المصالح الدنيوية والفضائل العلمية ، والتوجهات القلبية ، ولا يقنع أحدنا بأحد هذه الثلاثة عن الآخرَيْن . فيفوته المطلوب . ومتى اجتهد فى التعديل فانه ان شاء الله تعالى بقدر ما يحصل للعبد جزء من أحدهم ، حصَّل جزءاً من الآخر . ثم بالصبر عَلَى ذلك تجتمع الأجزاء المحصلة ، فتصير مرتبة عالية عند النهاية — ان شاء الله تعالى .

هذا وإن كنتم — أيدكم الله تعالى — بذلك عالمين ، لكن الذكرى تنفع المؤمنين

فصل

واعلموا — أيدكم الله — أنه يجب عليكم أن تشكروا ربكم تعالى فى هذا العصر ، حيث جعلكم بين جميع أهل هذا العصر كالشامة البيضاء فى الحيوان الأسود . لكن من لم يسافر إلى الأقطار ، ولم يتعرف أحوال الناس ، لايدرى قدر ماهو فيه من العافية . فأنتم إن شاء الله تعالى فى حق هذه الامة الاولى كما قال تعالى (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ للناسِ . تأمُرونَ بالمعروف وتَنْهَونَ عن المنكر وتؤمنون بالله [1]) وكما

(١) سورة آل عمران آية (١١٠)

قال تعالى . (الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فى الارضِ أقاموا الصَّلاةَ وآتوا الزَّكاةَ وأَمَرُوا بالْمَعْرُوفِ وَنَهَوا عن المنكر ولله عاقبة الامور) (١)

أصبحتم إخوانى تحت سَنْجق (٢) رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إن شاء الله تعالى ، مع شيخكم وإمامكم ، وشيخنا وإمامنا المبدوء بذكره رضى الله عنه . قد تميزتم عن جميع أهل الأرض ، فقهائها وفقرائها ، وصوفيتها ، وعوامها : بالدين الصحيح .

وقد عرفتم ما أحدث الناس من الاحداث ، فى الفقهاء والفقراء والصوفية والعوام . فأنتم اليوم فى مقابلة الجهمية من الفقهاء . نصرتم الله ورسوله فى حفظ ما أضاعوه من دين الله ، تصاحون ما أفسدوه من تعطيل صفات الله .

وأنتم أيضا فى مقابلة من لم ينفذ فى علمه من الفقهاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجمد على مجرد تقليد الأئمة فانكم قد نصرتم الله ورسوله فى تنفيذ العلم إلى أصوله من الكتاب والسنة ، واتخاد أقوال الأئمة ، تأسِّياً بهم لا تقليداً لهم .

وأنتم أيضا فى مقابلة ما أحدثته أنواع الفقراء من الأحمدية والحريرية

(١) سورة الحج آية (٤١)
(٢) أى تحت لوائه ورايته

من إظهار شعار المكاء والتصدية [1] ، ومؤاخاة النساء والصبيان ، والاعراض عن دين الله إلى خرافات مكذوبة عن مشايخهم ، واستنادهم إلى شيوخهم وتقليدهم فى صائب حركاتهم وخطائها ، وإعراضهم عن دين الله الذى أنزله من السماء . فأنتم بحمد الله تجاهدون هذا الصنف أيضا كما تجاهدون من سبق . حفظتم من دين الله ما أضاعوه . وعرفتم ماجهلوه تقوّمون من الدين ماعوجوه ، وتصلحون منه ماأفسدوه .

---

(١) الذى هو شعار كفار مكة فى عبادتهم الباطلة التى قال الله تعالى فى وصفها (وما كان صلاتهم عندالبيت إلا مكاء وتصدية) والمكاء الصفير، والتصدية التصفيق . وذلك مثل ما يصنع اليوم أهل الطرق وضلال المتصوفة فى حلقات رقصهم الشيطانى ولهوهم النسوانى ، الذى يسمونه زوزوا وبهتانا ذكرا لله ، وكذبوا، خيبهم الله وأضلهم وأخزاهم . يقوم ناعقهم ينشد بلغو القول وفسوقه : من وصف النسوان والمردان والخمر والسكارى ، ومعه مصفر بالعفاطة ، وشيطانهم الأكبر ،وعجلهم الأكفر فى وسط الحلقة يدق على يديه . ويصفق لهم على كفيه، على نغمة الصفارة ، وهم يتمايلون على هذه النغمات ويتصايحون بتلك الآهات . ويتواجدون تواجد السكارى الثملين ويتشاهقون شهيق المجانين . مضاهاة لما كان عليه سلفهم الكافرين . من عبدة العجل إخوان السامرى وأبى جهل وحزبه اللعين . فأولئك هم والله أعداء الرحمن . وحزب الشيطان (ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون) طهر الله الأرض منهم . ودمر على مجالسهم . وأراح الناس من شرهم

وأنتم أيضا فى مقابلة رسمية الصوفية والفقهاء ، وما أحدثوه من الرسوم الوضعية ، والآصار الابتداعية ، من التصنع باللباس ، والاطراق والسجادة لنيل الرزق من المعلوم ، ولبس البقيار ، والاكمام الواسعة فى حضرة الدرس ، وتمزيق الكلام، والعدو بين يدى المدرس راكعين ، حفظا للمناصب ، واستجلابا للرزق والادرار

فخلط هؤلاء فى عبادة الله غيره ، وتألهوا سواه . ففسدت قلوبهم من حيث لايشعرون . يجتمعون لغير الله بل للمعلوم ، ويلبسون للمعلوم وكذلك فى أغلب حركاتهم يراعون ولاة المعلوم . فضيعوا كثيرا من دين الله وأماتوه . وحفظتم أنتم ماضيعوه ، وقومتم ماعوجوه

وكذلك أنتم فى مقابلة ماأحدثته الزنادقة من الفقراء والصوفية من قولهم بالحلول والاتحاد ، وتأله المخلوقات . كاليونسية ، والعربية ، والصدرية ، والسبعينية ، والتلمسانية . فكل هؤلاء بدلوا دين الله تعالى وقلبوه . وأعرضوا عن شريعة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فاليونسية يتألهون شيخهم ، ويجعلونه مظهراً للحق ، ويستهينون بالعبادات ، ويظهرون بالفرعنة والصولة ، والسفاهة والمحالات ، لما وقر فى بواطنهم من الخيالات الفاسدة ، وقبلتهم الشيخ يونس. ورسول الله

صلى الله عليه وسلم والقرآن المجيد عنهم بمعزل ، يؤمنون به بألسنتهم ، ويكفرون به بأفعالهم

وكذلك الاتحادية ، يجعلون الوجود مظهرا للحق ، باعتبار أن لا متحرك فى الكون سواه ، ولا ناطق فى الأشخاص غيره . وفيهم من لا يفرق بين الظاهر والمظهر ، فيجعل الأمر كموج البحر ، فلا يفرق بين عين الموجة وبين عين البحر ، حتى إن أحدهم يتوهَّم أنه الله ، فينطق عَلَى لسانه ، ثم يفعل ماأراد من الفواحش والمعاصى ، لانه يعتقد ارتفاع الثنوية فمَنِ العابد ومَنِ المعبود ؟ صار الكل واحدا .

اجتمعنا بهذا الصنف فى الرُّبُط والزوايا

فأنتم بحمد الله قائمون فى وجه هؤلاء أيضا تنصرون الله ورسوله ، وتذبُّون عن دينه ، وتعملون عَلَى إصلاح ماأفسدوا وعَلَى تقويم ماعوجوا فان هؤلاء محوا رَسْمَ الدين ، وقلعوا أثره . فلايقال أفسدوا ولاعوجوا بل بالغوا فى هدم الدين ومحوا أثره . ولا قربة أفضل عند الله من القيام بجهاد هؤلاء بمهما أمكن ، وتبيين مذاهبهم للخاص والعام . وكذلك جهاد كل من ألحد فى دين الله وزاغ عن حدوده وشريعته . كائنا فى ذلك ما كان من فتنة وقول . كما قيل :

إذا رضى الحبيب فلا أبالى * أقام الحىُّ أم جدَّ الرَّحيل

وبالله المستعان

وكذلك أنتم بحمد الله قائمون بجهاد الأمراء والأجناد ، تصلحون ما أفسدوا من المظالم والاجحافات ، وسوء السيرة الناشئة عن الجهل بدين الله ، بما أمكن . وذلك لبعد العهد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. لأن اليوم له سبعمائة سنة ، فأنتم بحمد الله تجددون مادثر من ذلك ودُثر .

وكذلك أنتم بحمد قائمون فى وجوه العامة ، مما أحدثوا من تعظيم الميلادة . والقَلَنْدس ، وخميس البيض . والشَّعانين [1] ، وتقبيل القبور والأحجار ، والتوسل عندها . ومعلوم أن ذلك كله من شعائر النصارى والجاهلية . وإنما بُعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ليُوَحَّدَ الله ويعبد وحده ، ولا يُألّه معه شيء من مخلوقاته . بعثه الله تعالى ناسخا لجميع الشرائع والأديان والأعياد . فأنتم بحمد الله قائمون باصلاح ما أفسد الناس من ذلك .

وقائمون فى وجوه من ينصر هذه البدع من مارقى الفقهاء ، أهل الكيد والضرار لأولياء الله ، أهل المقاصد الفاسدة . والقلوب التى هى عن نصر الحق حائدة .

وإنما أعرض هذا الضعيف عن ذكر قيامكم فى وجوه التتر والنصارى ، واليهود ، والرافضة ، والمعتزلة ، والقدرية ، وأصناف أهل البدع والضلالات

---

(١) مما يصنعونه فى شم النسيم ويعظمونه من أعياد النصارى ، من ميلاد المسيح وغيره .

لأن الناس متفقون على ذمهم . يزعمون أنهم قائمون برد بدعتهم ، ولا يقومون بتوفية حق الرد عليهم كما تقومون . بل يعلمون ويجبنون عن اللقاء فلا يجاهدون ، وتأخذهم فى الله اللائمة . لحفظ مناصبهم ، و إبقاء على أعراضهم .

سافرنا البلاد فلم نر من يقوم بدين الله فى وجوه مثل هؤلاء — حق القيام — سواكم ، فأنتم القائمون فى وجوه هؤلاء إن شاء الله . بقيامكم بنصرة شيخكم وشيخنا — أيده الله — حق القيام ، بخلاف من ادعى من الناس أنهم يقومون بذلك .

فصبرا ياإخوانى على ما أقامكم الله فيه ، من نصرة دينه وتقويم اعوجاجه ، وخذلان أعدائه . واستعينوا بالله ، ولا تأخذكم فيه لومة لائم . وإنما هى أيام قلائل . والدين منصور . قد تولى الله إقامته ونصره ، ونصرة من قام به من أوليائه ، إن شاء الله ، ظاهراً و باطنا .

وابذلوا فيما أقمتم فيه ما أمكنكم من الأنفس والأموال ، والأفعال ، والأقوال ، عسى أن تلحقوا بذلك بسلفكم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلقد عرفتم مالقوا فى ذات الله ، كما قال خُبَيْب حين صُلب على الجذع : —

وذلك فى ذات الآله ، وإن يشأ

يُبارِكْ على أوصال شِلْوٍ مُمَزَّع [(١)]

وقد عرفتم ما لقى رسول الله صلى الله عليه وسلم من الضر والفاقة فى شَعْب بنى هاشم [(٢)] ، وما لقى السابقون الأولون من التعذيب والهجرة

---

(١) هو خبيب بن عدى الأنصارى بعثه النبى صلى الله عليه وسلم مع رهط عشرة بامرة عاصم بن ثابت عينا . فنفر إليهم بنو لحيان من هذيل بنحو مائة ، فقتلوا عاصما فى سبعة . ونزل إليهم ثلاثة نفر بالعهد والميثاق ، منهم خبيب وزيد بن الدثنة وآخر . فلما استمكنوا منهم أطلقوا أوتار قسيهم فربطوهم . فقال الرجل الثالث : هذا أول الغدر ، فوالله لا آمنكم . ان لى بهؤلاء أسوة . يريد القتلى ، فقتلوه . وانطلقوا بخبيب وزيد فباعوهما بمكة بعد وقعة بدر . فابتاع بنو الحارث بن عامر بن نوفل خبيبا ، وكان قتل الحارث . فلبث خبيب عندهم أسيرا حتى أجمعوا قتله فلما خرجوا به من الحرم ليقتلوه ، قال : دعونى أركع ركعتين . فتركوه فركع ركعتين ، ثم قال : والله لولا أن تحسبوا أن مابى جزع من الموت لزدت . اللهم أحصهم عددا ، واقتلهم بددا ، ولا تبق منهم أحدا

فلست أبالى حين أقتل مسلما

على أى جنب كان فى الله مصرعى

وذلك ذات الآله الخ اهـ من أسد الغابة باختصار . والشلو : العضو

(٢) حين حصره المشركون فى الشعب هو وبنوها شم ، وتعاهدوا على مقاطعتهم . وكتبوا بذلك صحيفة علقوها فى الكعبة

إلى الحبشة ، وما لقى المهاجرون والأنصار فى أُحُد ، وفى بئر مَعُونة ، وفى قتال أهل الرِّدَّة ، وفى جهاد الشأم والعراق ، وغير ذلك .

وانظروا كيف بذلوا نفوسهم وأموالهم لله ، حُبًّا له ، وشوقا إليه . فكذلك أنتم ، رحمكم الله . كل منكم على قدر إمكانه واستطاعته ، بفعله ، و بقوله ، و بخطه ، و بقلبه ، و بدعائه . كل ذلك جهاد . أرجو أن لايخيب من عامل الله بشىء من ذلك . إذ لاعيش إلا فى ذلك ، ولو لم يكن فيه إلا همكم ، مزاحمةً لأهل الزيغ ، مشوشة لهم ، تبغضونهم فى الله ، وتطلبون استقامتهم فى دين الله . وذلك من الجهاد الباطن إن شاء الله تعالى .

فصل

ثم اعرفوا إخوانى حق ما أنعم الله عليكم من قيامكم بذلك . واعرفوا طريقكم إلى ذلك ، واشكروا الله تعالى عليها . وهو أن أقام لكم ولنا فى هذا العصر مثل سيدنا الشيخ الذى فتح الله به أقفال القلوب ، وكشف به عن البصائر عمى الشبهات وحيرة الضلالات ، حيث تاه العقل بين هذه الفرق ، ولم يهتد إلى حقيقة دين الرسول صلى الله عليه وسلم

ومن العجب أن كلا منهم يدّعى أنه على دين الرسول ، حتى

كشف الله لنا ولكم بواسطة هذا الرجل عن حقيقة دينه الذى أنزله من السماء وارتضاه لعباده .

واعلموا أن فى آفاق الدنيا أقواما يعيشون أعمارهم بين هذه الفرق ، يعتقدون أن تلك البدع حقيقة الاسلام . فلا يعرفون الإسلام إلا هكذا .

فاشكروا الله الذى أقام لكم فى رأس السبعمائة من الهجرة من بيَّن لكم أعلام دينكم . وهدا كم الله به و إيانا إلى نهج شريعته . و بيَّن لكم بهذا النور المحمدى ضلالات العبّاد وانحرافاتهم ، فصرتم تعرفون الزائغ من المستقيم ، والصحيح من السقيم . وأرجو أن تكونوا أنتم الطائفة المنصورة . الذين لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم . وهم بالشأم إن شاء الله تعالى .

فصل

ثم إذا علمتم ذلك ، فاعرِفوا حقّ هذا الرجل الذى هو بين أظهركم وقدره ، ولا يعرف حقه وقدره إلا من عرف دين الرسول صلى الله عليه وسلم وحقه وقدره . فمن وقع دين الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من قلبه بموقع يستحقه ، عرف حق ما قام به هذا الرجل بين أظهر عباد الله ، يقوِّم معوجَّهم ، و يصلح فسادهم ، ويلُمّ شَعَثهم ، جهد إمكانه ، فى الزمان المظلم ، الذى انحرف فيه الدين ، وجهلت السنن ،

وعهدت البدع ، وصار المعروف منكرا ، والمنكر معروفا ، والقابض على دينه ، كالقابض على الجمر ، فان أجر من قام باظهار هذا النور فى هذه الظلمات لا يوصف ، وخطره لا يعرف . هـذا إذا عرفتموه أنتم من حيثية الأمر الشرعى الظاهر . فهنا قوم عرفوه من حيثيـة أخرى من الأمر الباطن . ومن يقوده إلى معرفة أسماء الله تعالى وصفاته ، وعظمة ذاته ، واتصال قلبـه بأشعة أنوارها ، والاحتظاء من خصائصها وأعلى أذواقها ، ونفوذه من الظاهر إلى الباطن ، ومن الشهادة إلى الغيب ، ومن الغيب إلى الشهادة ، ومن عالم الخلق إلى عالم الأمر ، وغير ذلك مما لا يمكن شرحه فى كتاب .

فشيخكم - أيدكم الله تعالى - عارف بذلك ، عارف بأحكام الله الشرعية ، عارف بأحكامه القدَرية ، عارف بأحكام أسمائه وصفاته الذاتية ، ومثل هذا العارف قد يُبْصر ببصيرته تنزُّل الأمر بين طبقات السماء والأرض . كما قال تعالى (الله الذى خلق سبْعَ سمواتٍ ومن الأرض مِثْلَهُنَّ ، يَتنزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لتعلموُا أنَّ الله على كل شيءٍ قدير وأنَّ اللهَ قد أَحاطَ بكُلِّ شيءٍ عِلْماً) [1]

---

(١) سورة الطلاق آية (١٢)

فالناس يحسون بما يجرى فى عالم الشهادة . وهؤلاء بصائرهم شاخصة إلى الغيب ، ينتظرون ما تجرى به الأقدار ، يشعرون بها أحياناً عند تنزلها .

فلا تهونوا أمر مثل هؤلاء فى انبساطهم مع الخلق ؛ واشتغال أوقاتهم بهم . فإنهم كما حكى عن الجنيد رحمه الله أنه قيل له « كم تنادى على الله تعالى بين الخلق ؟ فقال : أنا أنادى على الخلق بين يدى الله ؟ »

فالله الله فى حفظ الأدب معه ، والانفعال لأوامره ، وحفظ حرماته فى الغيب والشهادة ، وحب من أحبه ، ومجانبة من أبغضه وتنقصه ورد غيبته ، والانتصار له فى الحق .

واعلموا رحمكم الله ، أن هنا من سافر إلى الأقاليم ، وعرف الناس وأذواقهم وأشرف على غالب أحوالهم ، فوالله ، ثم والله ثم والله ، لم ير أديم تحت السماء مثل شيخكم : علما ، وعملا ، وحالا ، وخلقا ، واتباعا ، وكرما وحلما . فى حق نفسه ، وقياما فى حق الله عند انتهاك حرماته . أصدق الناس عقدا ، وأصحهم علما وعزما ، وأنفذهم وأعلاهم فى انتصار الحق وقيامه همة ، وأسخاهم كفا ، وأكملهم اتباعا لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم .

مارأينا فى عصرنا هذا من تُستجلى النبوةُ المحمدية وسنتهامن أقواله وأفعاله إلا هذا الرجل . بحيث يشهد القلب الصحيح أن هذا هوالاتباع حقيقة .

و بعد ذلك كله فقول الحق فريضة ، فلا ندعى فيه العصمة عن الخطأ ، ولا ندّعى إ كماله لغايات الخصائص المطلوبة . فقد يكون فى بعض الناقصين خصوصية مقصودة مطلوبة ، لايتم الكمال إلابهاتيك الخصوصية وهذا القدر لايجهله منصف عارف . ولولا أن قول الحق فريضة ، والتعصب للانسان هوى ، لأعرضت عن ذكر هذا — لكن يجب قول الحق — إن ساء أو سر . والله المستعان .

إذا علمتم ذلك — أيدكم الله تعالى — فاحفظوا قلبه ، فان مثل هذا قد يُدْعَى عظيما فى ملكوت السماء . واعملوا على رضاه بكل ممكن واستجلبوا وُدَّهُ لكم ، وحبه إيا كم بمهماقدرتم عليه . فان مثل هذا يكون شهيدا ، والشهداء فى العصر تبع لمثله ، فان حصلت لكم محبته رجوت لكم بذلك خصوصية أكتمها ولا أذكرها ، ور بما يفطن لها الأذكياء منكم ، ور بما سمحت نفسى بذكرها ، كيلا أكتم عنكم نصْحى .

وتلك الخصوصية : هى أن ترزقوا قسطا من نصيبه الخاص المحمدى

مع الله تعالى . فان ذلك إنما يسرى بواسطة محبـــة الشيخ للمريد ، واستجلاب المريد محبـة الشيخ بتأتّيه معه ، وحفظ قلبه وخاطره ، واستجلاب وُدّه ومحبته ، فأرجو بذلك لـكم قسطا مما بينه و بين الله تعالى ، فضلا عما تكسبونه من ظاهر علمه وفوائده وسياسته ، إن شاء الله تعـالى .

وأرجو أنـكم إذا فتحتم بينـكم و بين ربكم تعالى بصحيح المعـاملة بحفظ تلك الساعة فى الصلوات الخمس والتهجد أن ينفتح لـكم معرفة حقيقة هذا الرجل ونبأه إن شاء الله تعالى .

وإنما ذكرت حفظ الساعة — وإن كان فى الصـلوات الخمس كفاية . إذا قام العبد فيها لحق الله تعالى — وذلك لأن الصلوات قد تهجم على العبد وقلبه مأخوذ فى جواذب الظاهر ، فلا يعرف نصيب قلبه من ربه فيها ، فاذا كان للعبد ساعة بين الليل والنهار عرف فيهـا نصيب قلبه من ربه ، فاذا جاءت الصلوات ، عرف فيها حاله وزيادته ونقصانه باعتبار حالته مع ربه فى تلك الساعة . وبالله المستعان .

فصـــل

وإذا عرفتم قدر دين الله تعالى الذى أنزله على رسوله صلى الله عليه

وسلم ، وعرفتم قدر حقائق الدين الذى يعبر عنه بالنفوذ إلى الله تعالى ، والحظوة بقربه . ثم عرفتم اجتماع الأمرين فى شخص معين ، ثم عرفتم انحراف الأمة عن الصراط المستقيم ، وقيام الرجل المعين الجامع للظاهر والباطن فى وجوه المنحرفين ، بنصر الله تعالى ودينه ، ويقوِّم معوجهم ، ويلُمُّ شعثهم ، ويصلح فاسدهم . ثم سمعتم بعد ذلك طعنَ طاعن عليه من أصحابه أو من غيرهم ، فانه لايخفى عنكم مُحِقٌّ هو ، أو مبطل ؟ إن شاء الله .

وبرهان ذلك : أن المحق طالب الهدى والحق بغرض عند من أنكر عليه ذلك الفعل الذى أنكره ، إما بصيغة السؤال أو الاستفهام بالتاطف عن ذلك النقص الذى رآه فيه ، أو بلغه عنه ، فان وجد هناك اجتهاداً ، أورأيا أو حجة ، قنع بذلك ، وأمسك ، ولم يُفْشِ ذلك إلى غيره ، إلا مع إقامةِ مابينه من الاجتهاد ، أو الرأى ، أوالحجة ، ليَسُد الخَلَل بذلك . فمثل هذا يكون طالب هدى ، محباً ، ناصحا ، يطلب الحق ، ويروم تقويم أستاذه عن انحرافه بتعريفه وتفويضه . كما يروم أستاذه تقويمه . كما قال بعض الخلفاء الراشدين (١) — ولا يحضرنى اسمه — « إذا اعوججت فقومونى »

---

(١) هو أبو بكر الصديق رضى الله عنه — كذا فى المنقول عنه — اهمن هامش الأصل وذلك فى أول خطبة قام بها بعد الخلافة ويروى أيضا عن عمر:

فهذا حق واجب بين الأستاذ والطالب . فان الأستاذ يطلب إقامة الحق على نفسه ليقوم به ، ويتّهمُ نفسه أحياناً ، ويتعرّف أحواله من غيره ، مما عنده من النّصَفة وطلب الحق ، والحذر من الباطل ، كما يطلب المريد ذلك من شيخه من التقويم ، وإصلاح الفاسد من الأعمال والأقوال .

ومن براهين المحق : أن يكون عدلا فى مدحه ، عدلا فى ذمّه ، لا يحمله الهوى ـ عند وجود المراد ـ على الافراط فى المدح ، ولا يحمله الهوى — عند تعذر المقصود ـ على نسيان الفضائل والمناقب ، وتعديد المساوىء والمثالب .

فالمحق فى حالتى غضبه ورضاه ثابت على مدح من مدحه وأثنى عليه ؛ ثابت علي ذم من ثلبه وحطّ عليه .

وأما من عمل كراسة فى عد مثالب هـذا الرجل القائم بهذه الصفات الـكاملة بين أصناف هدا العالم المنحرف ، فى هذا الزمان المظلم ، ثم ذكر مع ذلك شيئاً من فضائله ، ويعلم أنه ليس المقصود ذكر الفضائل ، بل المقصود تلك المثالب . ثم أخذ الـكراسة يقرؤها على أصحابه واحدا واحدا فى خلوة ، يوقف بذلك هممهم عن شيخهم ، ويريهم قدحا فيه . فانى أستخير الله تعالى وأجتهد رأيى فى مثل هذا الرجل ، وأقول

انتصارا لمن ينصر دين الله ، بين أعداء الله فى رأس السبعمائة ، فان نصرة مثل هذا الرجل واجبة على كل مؤمن كما قال وَرَقَة بن نوفل : « لئن أدركنى يومُك لأنصرَنّك نصراً مُؤَزّرا [١] » ثم أسأل الله تعالى العصمة فيما أقول عن تعدى الحدود والاخلاد إلى الهوى

أقول : مثل هذا ـ ولا أعيِّن الشخص المذكور بعينه ـ لا يخلو من أمور : ـ

أحدها : أن يكون ذا سنّ تغيَّر رأيه لِسِنِّه . لا بمعنى أنه اضطرب بل بمعنى أن السنّ إذا كبر يجتهد صاحبه للحق . ثم يضعه فى غير مواضعه . مثلا يجتهد أن إنكار المنكر واجب . وهذا منكر . وصاحبه قد راج على الناس . فيجب علىّ تعريف الناس ما راج عليهم . وتغيب عليه المفاسد فى ذلك .

فمنها : تخذيل الطلبة ، وهم مضطرون إلى محبة شيخهم ، ليأخذوا عنه . فمتى تغيرت قلوبهم عليه ورأوا فيه نقصا حرموا فوائده الظاهرة والباطنة . وخيف عليهم المقت من الله أولا . ثم من الشيخ ثانيا

المفسدة الثانية : إذا شعر أهل البدع الذين نحن وشيخنا قائمون الليل والنهار بالجهاد والتوجه فى وجوههم لنصرة الحق : أن فى أصحابنا

---

(١) رواه البخارى فى بدء الوحى

من ثلب رئيس القوم بمثل هذا . فانهم يتطرّقون بذلك إلى الاشتفاء من أهل الحق ويجعلونه حجة لهم .

المفسدة الثالثة : تعديد المثالب فى مقابلة ما يستغرقها ويزيد عليها بأضعاف كثيرة من المناقب ، فان ذلك ظلم وجهل .

والأمر الثانى ، من الأمور الموجبة لذلك : تغير حاله وقلبه . وفساد سلوكه بحسد كان كامناً فيه . وكان يكتمه بُرهة من الزمان . فظهر ذلك الكمين فى قالبٍ ، صورته حق ومعناه باطل .

فصل

وفى الجملة — أيّدكم الله — إذا رأيتم طاعناً على صاحبكم فافتقدوه فى عقله أولا ، ثم فى فهمه ، ثم فى صدقه ، ثم فى سِنّه . فاذا وجدتم الاضطراب فى عقله ، دَلّكم على جهله بصاحبكم . وما يقول فيه وعنه . ومثله قِلّة الفهم . ومثله عدم الصدق ، أو قصوره ، لأن نقصان الفهم يؤدى إلى نقصان الصدق بحسب ما غاب عقله عنه . ومثله العلو فى السنّ فانه يشيخ فيه الرأى والعقل كما تشيخ فيه القُوى الظاهرة الحِسّيّة ، فاتّهموا مثل هذا الشخص واحذروه ، وأعرضوا عنه إعراض مداراة بلا جدل ولا خصومة .

وصفه الامتحان بصحة إدراك الشخص وعقله وفهمه : أن تسألوه

عن مسألة سلوكية . أو علمية ، فاذا أجاب عنها فأوردوا على الجواب إشكالا متوجها بتوجيه صحيح ، فان رأيتم الرجل يروح يمينا وشمالا ، ويخرج عن ذلك المعنى إلى معان خارجة ، وحكايات ليست فى المعنى حتى ينسى رَبُّ المسألة سؤاله ، حيث تَوَّهه عنه بكلام لافائدة فيه ، فمثل هـذا لاتعتمدوا على طعنه ، ولا على مدحه ، فانه ناقص الفطرة ، كثير الخيال ، لايثبت على تحرّى المدارك العلمية ، ولا تنكروا مثل إنكار هذا . فانه اشتهر قيام ذى الخُوَيْصِرة التَّميمى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله له « اعدل — فانك لم تعدل — إن هذه قسمة لم يردبها وجه الله تعالى » أو نحو ذلك .

فوقوع هذا وأمثاله من بعض معجزات الرسول صلى الله عليه وَسلم . فانه قال : « لتركَبُنَّ سَنَنَ من كان قبلكم حَذوَ القُذَّة بالقذَّة » وإن كان ذلك فى اليهود والنصارى ، لكن لما كانوا منحرفين عن نَهْج الصواب ، فكذلك يكون فى هذه الأمة من يحذو حَذوَ كل منحرف وجد فى العالم ، متقدما كان أو متأخراً ، حَذو القُذَّة بالقذة ، حتى لو دخلوا جُحْرَ ضَبٍّ لدخلوه .

ياسبحان الله العظيم ، أين عقول هؤلاء ؟ أعميت أبصارهم و بصائرهم ؟ أفلا يرون ما الناس فيه من العمى والحيرة فى الزمان المظلم المدلهم ، الذى قد ملكت فيه الكفار معظم الدنيا ؟ وقد بقيت هذه الخطة الضيقة ،

يشمُّ المؤمنون فيها رائحة الاسلام ؟ وفى هذه الخطة الضيقة من الظلمات من علماء السوء والدُّعاة إلى الباطل و إقامته ، ودَحْض الحق وأهله مالا يحصر فى كتاب . ثم إن الله تعالى قدرحم هذه الأمةُ بإقامة رجل قوي الهمة ، ضعيف التركيب ، قدفرَّق نفسه وهمَّهُ فى مصالح العالم ، و إصلاح فسادهم ، والقيام بمهماتهم ، وحوائجهم ، ضِمْنَ ماهو قائم بصدد البـدع والضلالات ، وتحصيل موادّ العلم النبوى الذي يصلح به فساد العالم ، ويردهم إلى الدين الأول العتيق جُهْد إمكانه ؟ . و إلا فأين حقيقة الدين العتيق ؟

فهو مع هذا كله قائم بجملة ذلك وَحْدَه ، وهو منفرد بين أهل زمانه ، قليل ناصره ، كثير خاذله ، وحاسده ، والشامت فيه !! .

فمثل هذا الرجل فى هذا الزمان ، وقيامه بهذا الأمر العظيم الخطير فيه . أيقال له : لمَ يردُّ على الأحمدية ؟ لمَ لا تعدل في القسمة ؟ لم تَدخل على الامراء ؟ لَمَ تُقَرِّبُ زيداً وعمرا ؟

أفلا يستحيي العبد من الله ؟ يذكر مثل هذه الجزئيات فى مقابلة هذا العِبْء الثقيل ؟ ولو حُوقق الرجلُ على هذه الجزئيات وُجد عنده نصوص صحيحة ، ومقاصد صحيحة و نِيَّات صحيحة !! تغيب عن الضعفاء العقول ، بل عن الكُمَّل منهم ، حتى يسمعوها .

أما رَدُّه على الطائفة الفلانية أيها المفرط التائه ، الذى لايدرى

مايقول . أفيتموم دين محمد بن عبد الله الذى أنزل من السماء ، إلا بالطعن على هؤلاء ؟ وكيف يَظهر الحق إن لم يَخذل الباطل؟ لا يقول مثل هذا إلا تائه ، أو مُسِنٌّ أو حاسد .

وكذا القسمة للرجل ، فى ذلك اجتهاد صحيح . ونظر إلى مصالح تترتب على إعطاء قوم دون قوم ، كما خَصَّ الرسول صلى الله عليه وسلم الطُّلَقاء بمائة من الإبل ، وحرم الأنصار ! حتى قال منهم أحداثهم شيئاً في ذلك . لاذووا أحلامهم ، وفيها قام ذو الخويصرة فقال ماقال ،

وأما دخوله على الأمراء ، فلو لم يكن ، كيف كان شمَّ الأمراء رائحة الدين العتيق الخاص ؟ ولو فتَّش المفتش ، لوجد هذه الكيفية التى عندهم من رائحة الدين ، ومعرفة المنافقين ، إنما اقتبسوها من صاحبكم .

وأما تقريب زيد وعمرو ، فلمصلحة باطنة . لو فتَّش عنها مع الانصاف وجد هنالك ما يرى أن ذلك من المصلحة . ونفرض أنك مصيب فى ذلك ، إذ لا نعتقد العصمة إلا فى الأنبياء ، والخطأ جار على غيرهم ، أيذكر مثل هذا الخطأ فى مقابلة ما تقدم من الأمور العظام الجسام ؟

لا يذكر مثل هذا فى كراسة ويعددها ، ثم يدور بها على واحد واحد ، كأنه يقول شيئا ، إلا رجل يسأل الله العافية فى عقله ،

وخاتمة الخير على عمله ، وأن يرده عن انحرافه إلى نهج الصواب ، بحيث لا يبقى مَعْشَرُهُ يَعِيبُهُ بعلمه ، وتصنيفه ، من أولى العقول والأحلام

ونستغفر الله العظيم ، من الخطأ والزلل ، فى القول والعمل . والحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

***

هذا آخر الرسالة التى سماها مؤلفها

(التذكرة والاعتبار ، والانتصار للأبرار)

فرحم الله من قام بحمل الاصرار ، وتصحيح التوبة النصوح بالاستغفار إلى عالم الأسرار . نفع الله من وقف عليها ، وأصغى إلى ما يفتح منها ولديها . آمين

***

[فتاوى الشيخ بدمشق

و بعض اختياراته التي خالف فيها المذاهب الأربعة ، أو بعضها]

ثم إن الشيخ رحمه الله بعد وصوله من مصر إلى دمشق واستقراره بها ، لم يزل ملازما للاشتغال والاشغال ، ونشر العلم وتصنيف الكتب وإفتاء الناس بالكلام والكتابة المطولة وغيرها ، ونفع الخلق والإحسان إليهم ، والاجتهاد فى الأحكام الشرعية

فى بعض الأحكام يفتى بما أدى إليه اجتهـاده ، من موافقة أئمة المذاهب الأربعة ، وفى بعضها قد يفتى بخلافهم ، أو بخلاف المشهور من مذاهبهم

ومن اختياراته التى خالفهم فيها ، أو خالف المشهور من أقوالهم :

القول بقَصْر الصلاة فى كل ما يُسَمَّى سفرا ، طويلا كان أو قصيرا . كما هو مذهبُ الظاهرية . وقول بعض الصحابة .

والقول بأن البكر لا تُستَبْرأ ، وإن كانت كبيرة . كما هو قول ابن عمر . واختاره البخارى صاحب الصحيح .

والقول بأن سجود التلاوة لا يشترط له وضوء . كما يشترط للصلاة . كما هو مذهب ابن عمر . واختيار البخارى أيضا .

والقول بأن من أكل فى شهر رمضان معتقداً أنه ليل . فبـان نهاراً لا قضاء عليه . كما هو الصحيح عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وإليه ذهب بعض التابعين ، وبعض الفقهاء بعدهم .

والقول بأن المتمتع يكفيه سعى واحد بين الصفا والمروة . كما هو فى حق القارن والمفْرِد . كما هو قول ابن عباس رضى الله عنهما . ورواية عن الامام أحمد بن حنبل . رواها عنه ابنه عبد الله . وكثير من أصحاب الامام أحمد لا يعرفونها .

والقول بجواز المسابقة بلا مُحَلِّل . وإن خرج المتسابقان .

والقول باستبراء المختلِعَة بحيضه . وكذلك الموطوءه بشبهة . والمطلَّقة آخر ثلاث تطليقات .

والقول بإباحة وطء الوثنيات بملك اليمين .

والقول بجواز عقد الرِّداء فى الإحرام . ولا فدية فى ذلك ، وجواز طواف الحائض . ولا شىء عليها ، إذا لم يمكنها أن تطوف طاهراً .

والقول بجواز بيع الأصل بالعصير . كالزيتون بالزيت . والسمسم بالشَّيْرَج .

والقول بجواز الوضوء بكل ما يسمَّى ماء ، مطلقا كان أو مُقَيَّداً .

والقول بجواز بيع ما يتخذ من الفضَّة للتحلى وغيره . كالخاتم ونحوه ، بالفضة متفاضلا ، وجعل الزائد من الثمن فى مقابلة الصَّنعة .

والقول بأن المائع لا ينجس بوقوع النجاسة فيه إلا . أن يتغير ، قليلا كان أو كثيراً .

والقول بجواز التيمم لمن خاف فوات العيد والجمعة باستعمال الماء

والقول بجواز التيمم فى مواضع معروفة .

والجمع بين الصلاتين فى أماكن مشهورة .

وغير ذلك من الأحكام المعروفة من أقواله

وكان يميل أخيرا لتوريث المسلم من الكافر الدمى ، وله فى ذلك مصنف وبحث طويل .

ومن أقواله المعروفة المشهورة التى جرى بسبب الافتاء بها مِحَنٌ وقلاقل : قوله بالتكفير فى الحلف بالطلاق .

وأن الطلاق الثلاث لايقع إلا واحدة .

وأن الطلاق المحرم لايقع

وله فى ذلك مصنفات ومؤلفات كثيرة . منها : —

قاعدة كبيرة سماها « تحقيق الفرقان بين التطليق والايمان » نحو أربعين كراسة .

وقاعدة سماها « الفرق المبين بين الطلاق واليمين ، بقدر النصف من ذلك .

وقاعدة فى أن جميع أيمان المسلمين مكفرة ، مجلد لطيف .

وقاعدة فى تقرير أن الحالف بالطلاق من الأيمان حقيقة ،

وقاعدة سماها « التفصيل بين التكفير والتحليل »

وقاعدة سماها « اللمعة [1] »

---

(١) بهامش الأصل : لعله اللمحة . لان له رحمه الله قاعدة سماها المحة المختطف

وغير ذلك من القواعد والأجوبة فى ذلك لاينحصر ولا ينضبط

وله فى ذلك جواب أعتراض ، ورد عايه من الديار المصرية . وهو جواب طويل فى ثلاث مجلدات ، بقطع نصف البلدى .

***

وكان القاضى شمس الدين بن مسلم الحنبلى رحمه الله ، فى يوم الخميس منتصف شهر ربيع الآخر ، من سنة ثمان عشرة وسبعمائة قد اجتمع بالشيخ ٧١٨ هـ وأشار عليه بترك الافتاء في مسأله الحلف بالطلاق . فقبل الشيخ إشارته وعرف نصيحته ، وأجاب إلى ذلك .

وكان قد أجتمع الى القاضى جماعة من الكبار حتى فعل ذلك .

فلما كان يوم السبت ، مستهل جمادى الاولى من هده السنة ، ورد البريد إلى دمشق . ومعه كتاب السلطان بالمنع من الفتوى فى مسألة الحلف بالطلاق ، التى رآها الشيخ تقى الدين بن تيمية وأفتى فيها . وصنف فيها والأمر بعقد مجلس فى ذلك

فعقد يوم الاثنين ثالث الشهر المذكور بدار السعادة . وانفصل الأمر على ما أمر به السلطان ، ونودى بذلك فى البلد يوم الثلاثاء رابع الشهر المذكور .

ثم إن الشيخ عاد إلى الافتاء بذلك وقال : لا يسعنى كتمان العلم

فلما كان فى يوم الثلاثاء التاسع والعشرين من شهر رمضان سنة

تسع عشرة وسبعمائة جمع القضاة والفقهاء عند نائب السلطنة بدار السعادة ، وقرىء عليهم كتاب السلطان . وفيه فصل يتعلق بالشيخ ، بسبب الفتوى فى هذه المسألة ، وأحضر وعوتب على فتياه بعد المنع ، وأكد عليه فى المنع من ذلك .

***

[سجن الشيخ بسبب فتياه فى الطلاق]

فلما كان بعد ذلك بمدة ، في يوم الخميس الثانى والعشرين من رجب من سنة عشرين وسبعمائة ، عقد مجلس بدار السعادة حضره النائب والقضاة ، وجماعة من المفتين ، وحضر الشيخ ، وعاودوه فى الافتاء بمسألة الطلاق ، وعاتبوه على ذلك ، وحبسوه بالقلعة ، فبقى فيها خمسة أشهر وثمانية عشر يوما

ثم ورد مرسوم السلطان باخراجه . فأخرج منها يوم الاثنين يوم عاشوراء ، من سنة إحدى وعشرين وسبعمائة . وتوجه إلى داره .

***

ثم لم يزل بعد ذلك يعلّم الناس و يلقى الدرس بالحنبلية أحيانا ، و يقرأ عليه فى مدرسته بالقصاصين ، فى أنواع من العلم .

وكنت أتردد إليه فى هـذه المدة أحيانا . وقرأت عليه قطعة من

الأربعين للرازى . وشرحها لى ، وكتب لى على بعضها شيئا ، وكان يُقرأ عليه فى تلك المدة من كتبه ، وهو يصلح فيها ، ويزيد وينقص .

ولقد حضرت معه يوما فى بستان الأمير فخر الدين بن الشمس لؤلؤ . وكان قد عمل وليمة ، وقرأت على الشيخ فى ذلك اليوم أربعين حديثا . وكتب بعض الجماعة أسماء الحاضرين . وأخذ الشيخ بعد ذلك فى الكلام فى أنواع العلوم . فنُهت الحاضرون لكلامه ، واشتغلوا بذلك عن الأكل .

ومما حفظت من كلامه فى المجلس قوله :

« يقول الله تعالى فى بعض الكتب : أهلُ ذكرى أهل مشاهدتى ، وأهل شكرى أهلُ زيارتى ، وأهلُ طاعتى أهل كرامتى . وأهلُ معصيتى لا أؤيسهم من رحمتى ، إن تابوا فأنا حبيبهم ، وإن لم يتوبوا فأنا طبيبهم ، أبتليهم بالمصائب لأطهّرهم من المعايب »

وحصل فى ذلك المجلس خير كثير . وكان فيه غير واحد من المشايخ . واستمر الشيخ بعد ذلك على عادته

***

(الكلام على شد الرحال إلى القبور)

فلما كان في سنة ست وعشرين وسبعمائة وقع الكلام فى مسألة شدّ

٧٢٦

الرحال ، وإعمال المطى ّ إلى قبور الأنبياء والصالحين . وظفروا للشيخ بجواب سؤال فى ذلك . كان قد كتبه من سنين كثيرة . يتضمن حكاية قولين فى المسألة ، وحجة كل قول منهما .

وكان للشيخ فى هذه المسأله كلام متقدم أقدم من الجواب المذكور بكثير . ذكره فى كتاب « اقتضاء الصراط المستقيم » وغيره . وفيه ماهو أبلغ من هذا الجواب الذى ظفروا به .

وكثر الكلام ، والقيل والقال ، بسبب العثور على الجواب المذكور وعظم التشنيع على الشيخ ، وحُرِّف عليه . ونُقِل عنه مالم يَقُلْه ، وحصل فتنة طار شررها فى الآفاق ، واشتد الأمر ، وخِيفَ على الشيخ من كَيْد القائمين فى هذه القضية بالديار المصرية والشامية ، وكثر الدعاء والتضرع والابتهال إلى الله تعالى . وضعف من أصحاب الشيخ من كان عنده قوة ، وجَبُن منهم من كانت له همة .

وأما الشيخ — رحمه الله — فكان ثابت الجأش ، قوى ّ القلب وظهر صدق توكله واعتماده على ربه .

ولقد اجتمع جماعة معروفون بدمشق وضربوا مشورة فى حق الشيخ فقال أحدهم : ينفى . فنفى القائل .

وقال آخر : يُقطع لسانه ، فقطع لسان القائل

وقال آخر : يُعَزَّر . فعزر القائل .

وقال آخر : يُحْبس ، فحبس القائل .

أخبرنى بذلك من حضر هذه المشورة وهو كاره لها .

واجتمع جماعة آخرون بمصر ، وقاموا فى هذه القضية قياما عظيما ، واجتمعوا بالسلطان ، وأجمعوا أمرهم على قتل الشيخ . فلم يوافقهم السلطان على ذلك .

***

[أمر السلطان بحبس الشيخ بقلعة دمشق]

ولما كان يوم الاثنين بعد العصر ، السادس من شعبان من السنة المذكورة ، حضر إلى الشيخ من جهة نائب السلطنة بدمشق مِشَدُّ الأوقاف ، وابن خطير ، أحد الحجاب . وأخبراه : أن مرسوم السلطان ورد بأن يكون فى القلعة ، وأحضرا معهما مركوبا .

فأظهر الشيخ السرور بذلك . وقال : أنا كنت منتظراً ذلك وهذا فيه خير عظيم .

وركبوا جميعاً من داره إلى باب القلعة ، وأخليت له قاعة حسنة

وأجرى إليها الماء ، ورسم له بالاقامة فيها . وأقام معه أخوه زين الدين يخدمه باذن السلطان . ورُسم له بما يقوم بكفايته .

وفى يوم الجمعة عاشر الشهر المذكور قرىء بجامع دمشق الكتاب السلطانى الوارد بذلك . وبمنعه من الفتيا .

وفى يوم الأربعاء منتصف شعبان أمر القاضى الشافعى بحبس جماعة من أصحاب الشيخ بسجن الحكم ، وذلك بمرسوم النائب وإذنه له فى فعل مايقتضيه الشرع فى أمرهم .

وأوذى جماعة من أصحابه . واختفى آخرون . وعُزِّر جماعة . ونودى عليهم ، ثم أطلقوا ، سوى الامام شمس الدين محمد بن أبى بكر إمام الجوزية ، فانه حبس بالقلعة . وسكنت القضية .

« * »

وهذا صورة الفتيا وموافقة البغاددة له وغيرهم :

بسم الله الرحمن الرحيم .

الحمد لله رب العالمين . وصلواته وسلامه على محمد وآله .

أما بعد . فهذه فتيا أفتى بها الشيخ الأمام تقى الدين أبو العباس أحمد بن تيمية رضى الله عنه .

ثم بعد مدة ، نحو سبع عشرة سنة ، أنكرها بعض الناس ، وشَنَّع بها جماعة عند بعض ولاة الامور . وذكرت بعبارات شنيعة ففهم منها جماعة غير ما هى عليه . وانضم إلى الانكار والشناعة وتغيُّر الالفاظ أمور ، أوجب ذلك كله مكاتبة السلطان — سلطان الاسلام بمصر — أيده الله تعالى . فجمع قضاة بلده . ثم اقتضى الرأى حبسه فحبس بقلعة دمشق المحروسة ، بكتاب ورد سابع شعبان المبارك سنة ست وعشرين وسبعمائة.

وفى ذلك كله لم يحضر الشيخ المذكور بمجلس حكم ، ولا وقف على خَطّه الذى أنكر ، ولا ادُّعى عليه بشىء .

فكتب بعض الغرباء من بلده هذه الفتيا ، وأوقف عليها بعض علماء بغداد . فكتبوا عليها بعد تأملها ، وقراءة ألفاظها .

وسئل بعض مالكية دمشق عنها . فكتبوا كذلك . وبلغنا أن بمصر من وقف عليها فوافق .

ونبدأ الآن بذكر السؤال الذى كتب عليه أهل بغداد . وبذكر الفتيا ، وجواب الشيخ المذكور عليها ، وجواب الفقهاء ، بعده .

وهذه صورة السؤال والأجوبة : —

المسئول من إنعام السادة العلماء ، والهداة الفضلاء . أئمة الدين ، وهداة المسلمين ، وفقهم الله لمرضاته ، وأدام بهم الهداية : أن ينعموا ويتأملوا

الفتوى وجوابها المتصل بهذا السؤال المنسوخ عقبه ، وصورة ذلك :

مايقول السادة العلماء ، أئمة الدين ، نفع الله بهم المسلمين : فى رجل نوى السفر إلى زيارة قبور الأنبياء والصالحين ، مثل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، وغيره . فهل يجوز له فى سفره أن يقصر الصلاة ؟ وهل هذه الزيارة شرعية أم لا ؟ ؟

وقد رُوِيَ عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال «من حج ولم يزرنى فقد جفانى» «ومن زارنى بعد موتى ، كمن زارنى فى حياتى» وقد رُوِيَ عنه صلى الله عليه وسلم أيضاً أنه قال «لاتشد الرِّحَال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجدى هذا . والمسجد الأقصى»

افتونا مأجورين رحمكم الله .

الجواب

الحمد لله رب العالمين .

أمامن سافر لمجرد زيارة قبور الأنبيا والصالحين ، فهل يجوز له قصر الصلاة ؟ على قولين معروفين :

أحدهما — وهو قول متقدمى العلماء الذين لايجوّزون القصر فى سفر المعصية . كأبى عبد الله ين بَطَّة ، وأبى الوفاء بن عقيل ، وطوائف كثيرة

من العلماء المتقدمين — : أنه لايجوز القصر فى مثل هذا السفر . لأنه سفر منهى عنه . ومذهب مالك والشافعى وأحمد : أن السفر المنهى عنه فى الشريعة لا يقصر فيه .

والقول الثانى : أنه يقصر ، وهذا يقوله مَنْ يُجَوِّزُ القصر فى السفر المحرم . كأبى حنيفة . ويقوله بعض المتأخرين من أصحاب الشافعى ، وأحمد ، ممن يجوز السفر لزيارة قبور الأنبياء والصالحين ، كأبى حامد الغزالى ، وأبى الحسن ابن عبدوس الحرانى ، وأبى محمد بن قدامة المقدسي . وهؤلاء يقولون : إن هذا السفر ليس بمحرم . لعموم قوله صلى الله عليه وسلم « زوروا القبور »

وقد يحتج بعض من لا يعرف الحديث ، بالأحاديث المروية فى زيارة قبر النبى صلى الله عليه وسلم . كقوله « من زارنى بعد مماتى ، فكأنما زارنى فى حياتى » رواه الدرقطنى

وأما ما ذكره بعض الناس من قوله « من حج ولم يزرنى فقد جفانى » فهذا لم يروه أحد من العلماء . وهو مثل قوله : « من زارنى وزار أبى ابراهيم فى عام واحد ضمنت له على الله الجنة »

فان هذا أيضاً باتفاق العلماء لم يروه أحد ، ولم يحتج به أحد ، وإنما يحتج بعضهم بحديث الدار قطنى ونحوه .

وقد احتج أبو محمد المقدسى على جواز السفر لزيارة القبور بأنه صلى الله عايه وسلم ، كان يزور مسجد قُباء .

وأجاب عن حديث « لا تشد الرحال » بأن ذلك محمول على نفى الاستحباب .

وأما الأولون، فانهم يحتجون بما فى الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام، ومسجدى هذا ، والمسجد الأقصى »

وهذا الحديث مما اتفق الأئمة على صحته والعمل به ، فلو نذر أن يشد الرحل ليصلى بمسجد ، أو مشهد ، أو يعتكف فيه و يسافر إليه، غير هذه الثلاثة . لم يجب عليه ذلك باتفاق الأئمة .

ولو نذر أن يسافر و يأتى المسجد الحرام لحج أو عمرة . وجب عليه ذلك باتفاق العلماء .

ولو نذر أن يأتى مسجد النبى صلى الله عليه وسلم ، أو المسجد الأقصى لصلاة أو اعتكاف . وجب عليه الوفاء بهذا النذر ، عند مالك والشافعى فى أحد قوليه . وأحمد. ولم يجب عليه عند أبى حنيفة ، لأنه لا يجب عنده بالنذر إلا ما كان جنسه واجباً بالشرع .

أما الجمهور ، فيوجبون الوفاء بكل طاعة . كما ثبت فى صحيح

البخارى عن عائشة رضى الله عنها ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
« من نذر أن يطيع الله فليطعه ، ومن نذر أن يعصى الله فلا يعصه »

والسفر إلى المسجدين طاعة ، فلهذا وجب الوفاء به .

وأما السفر إلى بقعة غير المساجد الثلاثة ، فلم يوجب أحد من العلماء السفر إليه إذا نذره ، حتى نصّ العلماء على أنه لا يسافر إلى مسجد قباء لأنه ليس من المساجد الثلاثة ، مع أن مسجد قباء يستحب زيارته لمن كان فى المدينة . لأن ذلك ليس بشد رحل . كما فى الحديث الصحيح :
« من تَطَهَّر فى بيته ، ثم أتى مسجد قباء ، لا يريد إلا الصلاة فيه ، كان كعمرة »

قالوا : ولأن السفر إلى زيارة قبور الأنبياء والصالحين بدعة ، لم يفعلها أحد من الصحابة ولا التابعين ، ولا أمر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا استحب ذلك أحد من أئمة المسلمين ، فمن اعتقد ذلك عبادة ، وفعله ، فهو مخالف للسنة ولإجماع الأئمة .

وهذا مما ذكره أبو عبد الله بن بَطّة فى الإبانة الصغرى من البدع المخالفة للسنة والاجماع .

وبهذا يظهر بطلان حجة أبى محمد المقدسى . لان زيارة النبي صلى الله عليه وسلم لمسجد قباء لم تكن بشد رحل ، ولأن السفر اليه لا يجب بالنذر .

وقوله : بأن الحديث الذى مضمونه « لا تشد الرحال » : محمول على نفى الاستحباب . يجاب عنه بوجهين

أحدهما ـ أن هذا ـ إن سُلِّم : فيه أن هذا السفر ليس بعمل صالح ، ولا قربة ، ولا طاعة ، ولا هو من الحسنات . فاذاً من اعتقد أن السفر لزيارة قبور الأنبياء والصالحين قربة وعبادة وطاعة ، فقد خالف الاجماع . وإذا سافر لاعتقاد أن ذلك طاعة ، كان ذلك محرما باجماع المسلمين ، فصار التحريم من جهة اتخاذه قربة ، ومعلوم أن أحداً لا يسافر إليها إلا لذلك .

وأما إذا نذر الرجل أن يسافر إليها لغرض مباح ، فهذا جائز، وليس من هذا الباب .

الوجه الثانى : أن هذا الحديث يقتضى النهى ، والنهى يقتضى التحريم . وماذكروه من الأحاديث فى زيارة قبر النبى صلى الله عليه وسلم فكلها ضعيفة ، باتفاق أهل العلم بالحديث ، بل هى موضوعة . لم يرو أحد من أهل السنن المعتمدة شيئامنها ، ولم يحتجَّ أحد من الأئمة بشىء منها ، بل مالكٌ ـ إمام أهل المدينة النبوية الذين هم أعلم الناس بحكم هذه المسألة . كره أن يقول الرجل : زرت قبر النبى صلى الله عليه وسلم ، ولو كان هذا اللفظ معروفا عندهم ، أومشروعا ، أو مأثورا عن النبى صلى الله عليه وسلم لم يكرهه عالم أهل المدينة

والامام أحمد أعلم الناس فى زمانه بالسنة . لما سئل عن ذلك ، لم

يكن عنده ما يعتمد عليه فى ذلك من الأحاديث ، إلا حديث أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ما من رجل يُسلِّم علىّ إلا ردّ الله علىّ رُوحى حتى أرد عليه السلام »

وعلى هذا اعتمد أبو داود فى سننه .

وكذلك مالك فى الموطأ ، روى عن عبد الله بن عمر « أنه كان إذا دخل المسجد قال : السلام عليك يارسول الله ، السلام عليك ياأبا بكر ، السلام عليك يا أبت ، ثم ينصرف »

وفى سنن أبى داود عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : «لاتتخذوا قبرى عيدا ، وصلُّوا علىّ ، فانّ صلاتكم تبلغنى حيثما كنتم »

وفى سنن سعيد بن منصور « أن عبد الله بن حسن بن حسن بن على بن أبى طالب ، رأى رجلا يختلف إلى قبر النبى صلى الله عليه وسلم فقال له : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لاتتخذوا قبرى عيدا . وصلوا علىّ . فان صلاتكم حيثما كنتم تبلغنى » فما أنت ورجل بالأندلس منه إلا سواء »

وفى الصحيحين عن عائشة : عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال فى مرض موته « لعن الله اليهود والنصارى ، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد

يُحَذِّرُ ما فعلوا . ولولا ذلك لأُبْرِزَ قبره ، ولكن كُرِه أن يتخذ مسجدا »

وهم دفنوه صلى الله عليه وسلم فى حجرة عائشة رضى الله عنها ، خلاف ما اعتادوه من الدفن فى الصحراء . لئلا يصلى أحد عند قبره ويتخذه مسجدا ، فيتخذ قبره وثنا .

وكان الصحابة والتابعون ـ لما كانت الحجرة النبوية منفصلة عن المسجد ، إلى زمن الوليد بن عبد الملك ـ لا يدخل أحد إليه ، لا لصلاة هناك ، ولا تمسُّح بالقبر ، ولا دعاء هناك . بل هذا جميعه إنما كانوا يفعلونه فى المسجد .

وكان السلف من الصحابة والتابعين إذا سلموا على النبى صلى الله عليه وسلم ، وأرادوا الدعاء دعوا مستقبلى القبلة ، ولم يستقبلوا القبر .

واما الوقوف للسلام عليه ، صلوات الله عليه وسلامه ، فقال أبو حنيفة : يستقبل القبلة أيضا ، ولا يستقبل القبر .

وقال أكثر الأئمة : يستقبل القبر عند الدعاء .

وليس فى ذلك إلا حكاية مكذوبة ، تروى عن مالك ، ومذهبه بخلافها .

واتفق الأئمة على أنه لا يمسُّ قبرَ النبى صلى الله عليه وسلم ولا يُقَبِّلُه .

وهذا كله محافظةً على التوحيد ، فان من أصول الشرك بالله : اتخاذ القبور مساجد ، كما قال طائفة من السلف فى قوله تعالى : (وقالوا لا تَذَرُنَّ آلهتكم ، ولاتذرن وَدًّا ، ولاسُوَاعًا ولا يَغُوثَ وَيَعُوقَ ونَسْرًا) قالوا « هؤلاء كانوا قوما صالحين فى قوم نوح ، فلما ماتوا عكفوا على قبورهم ، ثم صوروا على صورهم تماثيل ، ثم طال عليهم الأمد فعبدوها »

وقد ذكر البخارى فى صحيحه هذا المعنى عن ابن عباس .

وذكره محمد بن جرير الطبرى وغيره فى التفسير عن غير واحد من السلف وذكره وَثِيمةُ (١) وغيره فى قصص الانبياء ،من عدة طرق .

وقد بسطت الكلام على أصول هذه المسائل فى غير هذا الموضع (٢)

وأول من وضع هذه الأحاديث فى السفر لزيارة المشاهد التى على القبور : أهل البدع ، من الرافضة ونحوهم ، الذين يُعَطِّلُون المساجد . ويعظمون المشاهد ، يَدَعُون بيوت الله التى أَمَرَ أنْ يُذكر فيها اسمه ، ويُعْبَد

---

(١) بفتح الواو وكسر الثاء وإسكان الياء وفتح الميم .

(٢) فى قاعدة جليلة فى التوسل والوسيلة ، وفى الرد على الاخنائى والبكرى ، وفى اقتضاء الصراط المستقيم ، وفى منهاج السنة . وغير ذلك كثير .

وحده لاشريك له ، ويعظمون المشاهد التى يشرك فيها ويكذّب ، ويبتدع فيها دين لم ينزل الله به سلطانا ، فان الكتاب والسنة ، إنما فيهما ذكر المساجد ، دون المشاهد ، كما قال تعالى (قل أمر ربى بالقسْطِ ، وأقِيمُوا وُجوهكم عندَ كُلّ مَسْجِدٍ وادْعُوه مُخْلِصِينَ له الدِّين)

وقال تعالى : (إنما يَعْمُر مَساجدَ اللهِ مَنْ آمَنَ بالله واليوم الآخر)

وقال تعالى : (ولاتُباشِرُ وهُنَّ وأنْتُمْ عاكفُون فى المساجد)

وقال تعالى : وأنَّ المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً)

وقال تعالى : (وَمَنْ أظلَمُ مِمّنْ مَنَعَ مساجدَ اللهِ أنْ يُذْكَرَ فيها اسْمُهُ وسَعَى فى خَرابها ؟)

وقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم فى الصحيح : أنه كان يقول «إن مَنْ كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد ، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد ، فانى أنهاكم عن ذلك »

***

هذا آخر ما أجاب به شيخ الاسلام والله سبحانه وتعالى أعلم .

وله من الكلام فى مثل هذا كثير ، كما أشار إليه فى الجواب .

ولما ظفروا فى دمشق بهذا الجواب كتبوه ، وبعثوا به إلى الديار المصرية وكتب عليه قاضى ا[illegible]نفية :

قابلت الجواب عن هذا السؤال ، المكتوب على خط ابن تيمية .

فصح - الى أن قال : و إنما المحرف جعله : زيارة قبر النبى صلى الله عليه وسلم وقبور الأنبياء صلوات الله عليهم معصية بالاجماع مقطوع بها

هذا كلامه . فانظر إلى هذا التحريف على شيخ الاسلام ، والجواب ليس فيه المنع من زيارة قبور الأنبياء والصالحين . و إنما ذكر فيه قولين فى شد الرحل والسفر إلى مجرد زيارة القبور . وزيارة القبور من غير شد رحل إليها مسألة ، وشد الرحل لمجرد الزيارة مسألة أخرى .

والشيخ لا يمنع الزيارة الخالية عن شد رحل ، بل يستحبها ، و يندب إليها . وكتبه ومناسكه تشهد بذلك ، ولم يتعرض الشيخ إلى هذه الزيارة فى الفتيا ، ولا قال : إنها معصية ، ولا حكى الاجماع على المنع منها . والله سبحانه وتعالى لا تخفى عليه خافية .

***

ولما وصل خط القاضى المذكور إلى الديار المصرية ، كثر الكلام وعظمت الفتنة ، وطلب القضاة بها ، فاجتمعوا وتكلموا ، وأشار بعضهم بحبس الشيخ . فرسم السلطان به . وجرى ما تقدم ذكره .

ثم جرى بعد ذلك أمور على القائمين فى هذه القضية لا يمكن ذكرها فى هذا الموضع .

[انتصار علماء بغداد]

[للشيخ فى مسألة شد الرحال للقبور]

وقد وصل ماأجاب به الشيخ فى هذه المسألة إلى علماء بغداد ،فقاموا فى الانتصار له ، وكتبوا بموافقته ، ورأيت خطوطهم بذلك وهذا صورة ما كتبوا :

بسم الله الرحمن الرحيم

يقول العبد الفقير إلى الله تعالى : —

بعد حمد الله السابغة نعمه ، السابقة مننه . والصلاة على أشرف الأنبياء والمرسلين : محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين .

إنه حيث قد منّ الله تعالى على عباده ، وتفضّل برحمته على بلاده بأن وَسَّدأمور الأمة المحمدية،وأسندأزمة الملة الحنيفية ، إلى من خصصه الله تعالى بأفضل الكمالات النفسانية ، وخصص بأكمل السعادات الروحانية ، محيي سُنن العدل ، ومُبْدى سُنَن الفضل ، المعتصم بحبل الله ، المتوكل على الله ، المكتفى بنعم الله ، القائم بأوامر الله ، المستظهر بقوة الله المستضىء بنورالله ، أعزالله سلطانه ، وأعلى على سائرالملوك شأنه ، ولازالت رقاب الأمم خاضعة لأوامره ، وأعناق العبادطائعةلمراسمه ، ولازال مُوالى دولته بطاعته مجبوراً ، ومعادى صولته بخِزيه مدموما مدحورا .

فالمرجو من ألطاف الحضرة المقدسة — زادها الله تعالى علوا وشرفا — أن يكون للعلماء الذين هم ورثة الأنبياء ، وصفوة الأصفياء ، وعماد الدين ، ومدار أهل اليقين ، حظ من العناية السلطانية وافر ، ونصيب من الرحمة والشفقة ، فانها مَنْقَبَة لا يعادلُها فضيلة ، وحَسَنة لا يحيطها سيئة ، لأنها حقيقة التعظيم لأمر الله تعالى ، وخلاصة الشفقة على خلق الله تعالى

ولا ريب أن المملوك وقف على ما سئل عنه الشيخ الامام العلامة وحيد دهره ، وفريد عصره ، تقيّ الدين أبو العباس ، أحمد بن تيمية وما أجاب به .

فوجدته خلاصة ماقاله العلماء فى هذا الباب حسب ، ما اقتضاه الحال من نقله الصحيح ، وما أدى اليه البحث من الالزام والالتزام ، لايداخله تحامل ، ولايعتريه تجاهل . وليس — فيه والعياذ بالله — ما يقتضى الازراء والتنقيص بمنزلة الرسول صلى الله عليه وسلم

وكيف يجوز للعلماء أن يحملهم العصبية : أن يتفوهوا بالازراء والتنقيص فى حق الرسول صلى الله عليه وسلم ؟

وهل يجوز أن يتصور متصور : أن زيارة قبره صلى الله عليه وسلم تزيد فى قدره ، وهل تركها مما ينقص من تعظيمه ؟

حاشا للرسول من ذلك .

نعم لو ذكر ذلك ذاكر ابتداء ، وكان هناك قرائن تدل على الازراء والتنقيص ، أمكن حمله على ذلك . مع أنه كان يكون كناية لا صريحا فكيف وقد قاله فى معرض السؤال ، وطريق البحث والجدل ؟ ؟

مع أن المفهوم من كلام العلماء ، وأنظار العقلاء : أن الزيارة ليست عبادة وطاعة لمجردها ، حتى لو حلف : أنه يأتى بعبادة أوطاعة ، لم يَبَرَّ بها

لكن القاضى ابن كَجٍّ — من متأخرى أصحابنا — ذكر أن نذر هذه الزيارة عنده قربة تلزم ناذرها .

وهو منفرد به ، لا يساعده فى ذلك نقل صريح ولا قياس صحيح .

والذى يقتضيه مطلق الخبر النبوى فى قوله صلى الله عليه وسلم : « لا تشد الرحال — إلى آخره » أنه لا يجوز شد الرحال إلى غير ما ذكر أو وجوبه ، أو ندبيته . فان فعله كان مخالفا لصريح النهى ، ومخالفة النهى معصية — إما كفر ، أو غيره — على قدر المنهى عنه ، ووجوبه ، وتحريمه ، وصفة النهى والزيارة أخص من وجه . فالزيارة بغير شد غير منهى عنها ، ومع الشد منهى عنها .

وبالجملة ، فما ذكره الشيخ تقى الدين على الوجه المذكور الموقوف عليه ، لم يستحق عليه عقابا ، ولا يوجب عتابا .

والمراحم السلطانية أحرى بالتوسعة ، والنظر بعين الرأفة و الرحمة إليه وللآراء الملكية علوّ المزيد .

حرره ابن السبكي الشافعي . حامدا لله على نعمه . اه

جواب آخر

الله الموفق

ما أجاب به الشيخ الأجل الأوحد ، نقية السلف ، و قدوة الخلف رئيس المحققين ، و خلاصة المدققين ؛ تقي الملة والحق والدين :

من الخلاف في هذه المسألة : صحيح منقول في غير ما كتاب من كتب أهل العلم ، لا اعتراض عليه في ذلك ، إذ ليس في ذلك ثَلْبٌ لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا غَضٌّ من قدره صلى الله عليه وسلم

وقد نص الشيخ أبو محمد الجويني في كتبه على تحريم السفر لزيارة القبور . و هذا اختيار القاضي الإمام عياض بن موسى بن عياض في إكماله . وهو من أفضل المتأخرين من أصحابنا (١)

---

(١) بهامش الأصل ما نصه :

قال القسطلاني في شرح البخاري ، في شرح باب فضل بيت المقدس ،

ومن المدونة : ومن قال : على المشي إلى المدينة ، أو بيت المقدس ، فلا يأتيهما أصلا ، إلا أن يريد الصلاة فى مسجديهما ، فليأتهما ؟

فلم يجعل نذر زيارة قبره صلى الله عليه وسلم طاعة يجب الوفاء بها ، إذ من أصلنا : أن من نذر طاعة لزمه الوفاء بها ، كان من جنسها ما هو واجب بالشرع ، كما هو مذهب أبى حنيفة ، أو لم يكن .

إذ تكلم على حديث « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد » :

الاستثناء مفرغ ، والتقدير : لا تشد الرحال إلى موضع . ولازمه منع السفر إلى كل موضع غيرها ، كزيارة صالح ، أو قريب ، أو طلب علم ، أو تجارة ؛ لأن المستثنى منه فى المفرغ ، يقدر بأعم . لكن المراد بالعموم هنا : الموضع المخصوص ، وهو المسجد ، كما مر تقريره

واختلف فى شد الرحل إلى غيرها ، يعنى : الثلاثة المساجد ، كالذهاب إلى زيارة الصالحين أحياء وأمواتاً ، وإلى المواضع الفاضلة للصلاة فيها والتبرك بها .

فقال أبو محمد الجوينى : يحرم ، عملا بظاهر الحديث . واختاره القاضى حسين . وقال به القاضى عياض وطائفة . انتهى بلفظه

وقد سبقه إلى ذلك الحافظ ابن حجر فى فتح البارى

فيسع ابن تيمية رحمه الله ، فى منعه شد الرحل لزيارة القبور ما وسع أبا محمد الجوينى ؛ والقاضيين حسينا وعياضا ؛ وغيرهم ، إن كان الانصاف يعد مرضاة اه كذا فى المنقول عنه

قال القاضى أبو اسحق اسمعيل بن اسحق ، عقيب هذه المسألة : ولولا الصلاة فيهما لما لزمه إتيانهما ، ولو كان نذر زيارة طاعة لما لزمه ذلك

وقد ذكر ذلك القيروانى فى تقريبه ، والشيخ ابن سيرين فى تنبيهه وفى المبسوط : قال مالك : ومن نذر المشى إلى مسجد من المساجد يصلى فيه . قال : فانى أكره ذلك له . لقوله صلى الله عليه وسلم « لا تُعْمَلُ المطِيُّ ، إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، ومسجد بيت المقدس ، ومسجدى هذا » وروى محمد بن الموّاز فى الموّازيّة : إلا أن يكون قريباً ، فيلزمه الوفاء ، لأنه ليس بشد رَحْل .

وقد قال الشيخ أبو عمر بن عبد البَر فى كتابه « التمهيد » : يحرم على المسلمين أن يتخذوا قبور الأنبياء والصالحين مساجد .

وحيث تقرر هذا فلا يجوز أن ينسب من أجاب فى هذه المسألة بأنه سفر منهى عنه . إلى الكفر ، فمن كفّره بذلك من غير موجب ، فان كان مستبيحا ذلك فهو كافر : وإلا فهو فاسق

قال الامام أبو عبد الله محمد بن على المازرى : فى كتاب المعلم : من كفر أحداً من أهل القبلة ، فان كان مستبيحا ذلك فقد كفر ، وإلا فهو فاسق . يجب على الحاكم إذا رفع أمرُه إليه أن يؤدبه ، ويُعزِّره بما يكون رادعاً لأمثاله ، فان ترك مع القدرة عليه . فهو آثم . والله تعالى أعلم اه

كتبه محمد بن عبد الرحمن البغدادى ، الخادم للطائفة المالكية بالمدرسة الشريفة المستنصرية . رحمة الله على منشئها

أجاب غيره فقال

الحمد لله رب العالمين ، وصلواته على سيدنا محمد ، وعلى آله الطاهرين ما ذكره مولانا الامام ، العالم العامل ، جامع الفضائل والفوائد ، بحر العلوم ، ومنشأ الفضل جمال الدين ، كاتب خطه أمام خطى هذا ، جمّل الله به الاسلام ، وأسبغ عليه سوابغ الانعام ، أتى فيه بالحق الجلى الواضح ، وأعرض فيه عن إغضاء المشايخ ، إذ السؤال والجواب اللذان تقدماه ، لا يخفى على ذى فطنة وعقل ، أنه أتى فى الجواب المطابق للسؤال ، بحكاية أقوال العلماء الذين تقدموه ، ولم يبق عليه فى ذلك إلا أن يعترضه معترض فى نقله ، فيبرزه له . من كتب العلماء الذين حكى أقوالهم . والمعترض له بالتشنيع ، إما جاهل لا يعلم ما يقول ، أو متجاهل يحمله حسده وحَمِيّة الجاهلية على رد ما هو عند العلماء مقبول ، أعاذنا الله تعالى من غوائل الحسد ، وعصمنا من مخائل النكد ، بمحمد وآله الطيبين الطاهرين ؛ والحمد لله رب العالمين .

كتبه الفقير إلى عفو ربه ورضوانه . عبد المؤمن بن عبد الحق الخطيب . غفر الله له والمسلمين أجمعين .

وأجاب غيره فقال

بعد حمد الله الذى هو فاتح كل كلام ، والصلاة والسلام على رسوله محمد خير الأنام ، وعلى آله وأصحابه البررة الكرام ، أعلام الهدى ومصابيح الظلام .

يقول أفقر عباد الله ، وأحوجهم إلى عفوه : ما حكاه الشيخ الامام البارع الهمام ، افتخار الأنام ، جمال الاسلام ، ركن الشريعة ، ناصر السنة ، قامع البدعة ، جامع أشتات الفضائل قدوة العلماء الأماثل ، فى هذا الجواب ، من أقوال العلماء ، والأئمة النبلاء — رحمة الله عليهم أجمعين — بَيِّنٌ لايُدفع . ومكشوف لايَتقَنّع . بل أوضح من النّيّرَين ، وأظهر من فرقَ الصبح لذى عينين ، والعُمدة فى هذه المسألة : الحديث المتفق على صحته . ومنشأ الخلاف بين العلماء من احتمالى صيغته .

وذلك : أن صيغة قوله صلى الله عليه وسلم « لاتُشَدّ الرحال » ذات وجهين ، نفى ونهى . لاحتمالها . فان لُحِظ معنى النفى فمقتضاه (١) : نفى فضيلة واستحباب شد الرحال ، وإعمال المطىّ إلى غير المساجد الثلاثة إذ لو فرض وقوعهما لا متنع رفعهما . فتعين توجُّه النفى إلى فضيلتهما

---

(١) بهامش الأصل : « فمعناه » كذا فى الأصل على هامشه اه أبو اسماعيل يوسف حسين

واستحبابهما دون ذاتهما ، وهذا عام فى كل ما يعتقد أن إعمال المطى وشد الرحال إليه قربة وفضيلة : من المساجد ، وزيارة قبور الصالحين ، وما جرى هذا المجرى ، بل أعم من ذلك . و إثبات ذلك بدليل ضرورة إثبات ذلك المنفى المقدّر فى صدر الجملة لما بعد « إلاّ » ، و إلاّ لما افترق الحكم بين ماقبلها وما بعدها ، وهو مفترق حينئذ . لايلزم من نفى الفضيلة والا ستحباب نفى الإباحة ، فهذا وجه متمسك من قال بإباحة هذا السفر ، بالنظر إلى أن هذه الصيغة نفى . وبنى على ذلك جواز القصر .

و إن كان النهى ملحوظا . فالمعنى نهيه عن إعمال المطىِّ وشدِّ الرحال إلى غير المساجد الثلاثة ، إذ المقرر عند عامة الأصوليين أن النهى عن الشىء قاضٍ بتحريمه أو كراهته ، على حسب مقتضى الأدلة ، فهذا وجه متمسك من قال بعدم جواز القصر فى هذا السفر ، لكونه منهيا عنه . وممن قال بحرمته : الشيخ الامام أبو محمد الجوينى من الشافعية ، والشيخ أبو الوفاء ابن عقيل من الحنابلة ، وهو الذى أشار القاضى عياض من المالكية إلى اختياره

وما جاء من الأحاديث فى استحباب زيارة القبور ، فمحمول على مالم يكن فيه شدُّ رَحْل و إعمالُ مَطىٍّ ، جمعاً بينهما .

ويحتمل أن يقال : لايصلح أن يكون غير حديث «لا تشد الرحال» معارضا له ، لعدم مساواته إياه فى الدرجة . لكونه من أعلى أقسام الصحيح . والله أعلم .

وقد بلغنى أنه رُزِئ وضُيِّق على المجيب . وهذا أمر يحار فيه اللبيب ويتعجب منه الأريب ؛ ويقع به فى شك مريب .

فان جوابه فى هذه المسألة قاضٍ بذكر خلاف العلماء . وليس حاكما بالغضّ من الصالحين والأنبياء . فان الأخذ بمقتضى كلامه ، صلوات الله وسلامه عليه فى الحديث المتفق على صحة رفعه إليه : هو الغاية القصوى ، فى تتبع أوامره ونواهيه ، والعدول عن ذلك محذور ، وذلك مما لا مِرية فيه .

وإذا كان كذلك فأىُّ حَرَجٍ على مَنْ سُئل عن مسألة فذكر فيها خلاف الفقهاء ، ومال فيها إلى بعض أقوال العلماء ؟ فان الأمر لم يزل كذلك على ممرّ العصور ، وتعاقب الدهور .

وهل ذلك محمول من القادح إلا على امتطاء نِضْوِ الهوى المفضى بصاحبه الى التَّوى ، فإنَّ مَن يُقتبَس من فوائده ، ويلتقط من فرائده ، لحقيق بالتعظيم ، وخليق بالتكريم . ممن له الفهم السليم ، والذهن المستقيم . وهل حكم المظاهر عليه فى الظاهر ، إلا كما قيل فى المثل السائر ، وقول الشاعر : الشعير يؤكل ويذم

جزى بنوه أبا الغيلان عن كِبَرٍ * وحُسن فعل كما يُجزى سِنِمَّارُ

غيره :

وحديث ألذه ، وهو مما ينعت الناعتون يوزن وزنا

منطق رائع . ويلحن أحيانا . وخير الحديث ما كان لحنا

وقال الله تعالى : (ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى ، واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون) وقال تعالى . (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ، واتقوا الله إن الله شديد العقاب) وقال تعالى : (ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديداً ، يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيما) وقال تعالى (ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز) .

ولولا خشية الملالة ، لما نكبت عن الاطالة

نسأل الله الكريم . أن يسلك بنا وبكم سبيل الهداية ، وأن يجنبنا وإياكم مسالك الغواية . إنه على كل شيء قدير . وبالإجابة جدير . حسبنا الله ونعم الوكيل ونعم النصير

والحمد لله رب العالمين ، وصلوات الله وسلامه على سيد المرسلين ، محمد النبي وآله الطاهرين ، وأصحابه الكرام المنتخبين .

هذا جواب الشيخ الامام العلامة جمال الدين يوسف بن عبد المحمود ابن عبد السلام بن البتِّي الحنبلى رحمه الله تعالى .

قال المؤلف : ومن خطه نقلت

جواب آخر

لبعض علماء أهل الشام المالكية

الحمد لله ، وهو حسبي .

السفر إلى غير المساجد الثلاثة ليس بمشروع . وأما من سافر إلى مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ، ليصلى فيه ويسلم على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى صاحبيه رضى الله عنهما ، فمشروع ، كما ذكر باتفاق العلماء

وأما لو قصد إعمال المطى لزيارته صلى الله عليه وسلم ، ولم يقصد الصلاة ، فهذا السفر إذا ذكر رجلٌ فيه خلافاً للعلماء : وأن منهم من قال ، إنه منهى عنه . ومنهم من قال : إنه مباح . وأنه على القولين ليس بطاعة ، ولا قربة ، فمن جعله طاعة وقربة على مقتضى هذين القولين كان حراما بالإجماع ، وذكر حجة كل قول منهما ، أو رجحٌ أحد القولين . لم يلزمه مايلزم مَنْ تنقص ، إذ لا تنقص ولا إزراء بالنبى صلى الله عليه وسلم .

وقد قال مالك رحمه الله ، لسائل سأله : أنه نذر أن يأتى قبر النبى صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : إن كان أراد مسجد النبى صلى الله عليه وسلم فليأته ، وليصل فيه . و إن كان أراد القبر فلا يفعل ، للحديث الذى جاء « لا تُعْمَل المطِىُّ إلا إلى ثلاثة مساجد » والله أعلم

كتبه أبو عمرو بن أبى الوليد المالكى .

كذلك يقول عبد الله بن أبى الوليد المالكى :

قال المؤلف رحمه الله : نقلت هذه الأجوبة كلها من خط المفتين بها

قال : ووقفت على كتاب ورد مع أجوبة أهل بغداد ، وصورته :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ناصر الملة الاسلامية ، ومُعِزّ الشريعة المحمدية ، بدوام أيام الدولة المباركة السلطانية ، المالكية ، الناصرية ؛ ألبسها الله تعالى لباس العزِّ المقرون بالدوام ، وحلاَّها بِحلْيَةِ النَّصْرِ المستمر بمرور الليالى والأيام ؛ والصلاة والسلام ، على النبى المبعوث إلى جميع الأنام : صلى الله عليه وعلى آله البررة الكرام .

اللهم إن بابك لم يزل مفتوحا للسائلين ، و رِفْدَكَ ما بَرِحَ مبذولا للوافدين ، مَنْ عوَّدته مسألتك وحدك ، لم يسأل أحداً سواك ، ومَنْ

مَنَحْتَه منائح رِفْدِك ، لم يَفِدْ على غيرك ، ولم يحتَمِ إلا بحِماك . أنت الرب العظيم الكريم الأكرم ، قصدُ باب غيرك على عبادك محرم . أنت الذى لا إِلٓه غيرك ، ولا معبود سواك ، عزّ جارك وجلّ ثناؤك ، وتقدَّست أسماؤك ، وعظم بلاؤك ، ولا إِلٓه غيرك . ولم تزل سُنَّتُك فى خلقك جارية بامتحان أوليائك وأحبابك ، تفضلا منك عليهم ، وإحساناً من لدنك إليهم . ليزدادوا لك فى جميع الحالات ذكرا ، ولانعامك فى جميع التقلبات شكرا . ولكن أكثر الناس لا يعلمون . (وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون) .

اللهم وأنت العالم الذى لا تُعلَّم ، وأنت الكريم الذى لا تَبْخَل ، قد علمت يا عالم السِّرّ والعلانية ، أن قلوبنا لم تزل ترفع إخلاص الدعاء صادقة ، وألسنتنا فى حالتى السر والعلانية ناطقة . أن تسعفنا بامداد هذه الدولة المباركة الميمونة السلطانية الناصرية ، بمزيد العلا والرفعة والتمكين ، وأن تحقق آمالنا فيها باعلاء الكلمة فى ذلك ، برفع قواعد دعائم الدين ، وقمع مكايد الملحدين . لأنها الدولة التى برئت من غشيان الجَنَف والحَيْفِ ، وسلمت من طغيان القلم والسَّيْفِ .

والذى ينطوى عليه ضمائر المسلمين ، ويشتمل عليه سرائر المؤمنين : أن السلطان الملك الناصر للدين ، ممن قال فيه رب

العالمين ، وإله السموات والأرضين : الذى بتمكينه فى أرضه ، حصل التمكين لملوك الأرض ، وعظماء السلاطين ، فى كتابه العزيز الذى يتلى ، فمن شاء فليتدبر : (الذين إن مَكَّناهم فى الأرض أقاموا الصَّلاةَ وآتَوُا الزَّكاةَ ، وأمروا بالمعروف . ونَهَوْا عن المنكر) وهو ممَّن مَكّنه الله تعالى فى الأرض تمكينا ، يقينا لا ظناً ، وهو ممن يُعنَى بقوله تعالى : (وَعدَاللهُ الَّذين آمنوا منكم وعملوا الصَّالحات لَيَسْتَخلِفَنَّهم فى الأرض كما استخلف الَّذين من قبلِهم ، ولَيُمَكِّنَنَّ لهم دينهم الذى ارْتَضى لهم ، ولَيُبَدِّلَنَّهم من بعدِ خَوْفِهم أمْناً . يعبدوننى لا يشركون بى شيئاً) .

والذى عهده المسلمون ، وتعوَّده المؤمنون ، من المراحم الكريمة ، والعواطف الرحيمة . إكرام أهل الدين ، وإعظام علماء المسلمين

والذى حمل على رفع هذه الأدعية الصريحة إلى الحضرة الشريفة ــ وإن كانت لم تزل مرفوعة إلى الله سبحانه بالنية الصحيحة ــ قوله صلى الله عليه وسلم : « الدين النصيحة ، قيل : لمن يا رسول الله ؟ قال : لله ، ولرسوله ، ولأئمة المسلمين ، وعامتهم » وقوله صلى الله عليه وسلم : « الأعمالُ بالنيات » فهذان الحديثان مشهوران بالصحة ، ومستفاضان فى الأمة.

ثم إن هذا الشيخ المعظم الجليل ، والامام المكرم النبيل ؛ أوحد

الدهر ، وفريد العصر ؛ طراز المماسكة الملكية ، وعلم الدولة السلطانية .
لو أقسم مقسم ، بالله العظيم القدير : أن هذا الامام الكبير ، ليس له فى عصره
مماثل ولا نظيره لكانت يمينه برَّة ، غنية عن التكفير ، وقد خلت
من وجود مثله السبع الأقاليم ، إلا هذا الاقليم ، يوافق على ذلك كل
منصف جبل على الطبع السليم . ولست بالثناء عليه أُطْرِيه ، بل لو أطنب
مُطنِبٌ فى مدحه والثناء عليه ، لما أتى على بعض الفضائل التى هى
فيه : أحمد بن تيمية ، دُرَّة يتيمةُ يتنافس فيها ، تشترى ولا تباع . ليس
فى خزائن الملوك درَّة تماثلها وتؤاخيها ، انقطعت عن وجود مثله الأطماع ،
لقد أصمَّ الاسماع ، وأوهى قوى المتبوعين والأتباع . سماعُ
رفع أبى العباس — أحمد بن تيمية — إلى القلاع .

وليس يقع من مثله أمرٌ ينقم منه عليه . إلا أنه يكون أمراً قد لبس
عليه ، ونسب إلى مالا ينسب مثله إليه والتطويل على الحضرة
العالية ، لايليق . إن يكن فى الدنيا قطب فهو القطب على التحقيق ،
قد نصب الله السلطان أعلى الله شأنه فى هذا الزمان ، منصب يوسف
الصديق ، صلى الله على نبينا وعليه ، لما صرف الله وجوه أهل البلاد
إليه ، حين أَمْحَلَتِ البلاد ، واحتاج أهلها إلى القوت المدَّخَرِ لديه .
والحاجة بالناس والآن إلى قوت الأرواح ، المشار فى ذلك الزمان إليها .
لاخفاء أنها للعلوم الشريفة ، والمعانى اللطيفة

وقد كانت فى بلاد المملكة السلطانية ، حرسها الله تعالى تُكال إلينا جزافا بغير أثمان ، مِنْحَةً عظيمة من الله للسلطان ، ونعمة جسيمة ، إذ خص بلاد مملكته ، وإقليم دولته ، بما لا يوجد فى غيرها من الأقاليم والبلدان ، وكان قد وفد الوافدون من سائر الأمصار ، إلى تلك الديار ؛ فوجدوا صاحب صُواع الملك قد رُفع إلى القلاع ، ومثل هذه المِيْرة لا توجد فى غير تلك البلاد ، تُشْتَرى أو تباع ، فصادف ذلك جَدْبَ الأرض ونواحيها ، جدباً أعطب أهاليها ، حتى صاروا من شدة حاجتهم إلى الأقوات ، كالأموات ، والذى عرض للملك بالتضييق على صاحب صُواعه ، مع شدة الحاجة إلى غذاء الأرواح ، لعله لم يتحقق عنده أن هذا الامام من أكابر الأولياء ، وأعيان أهل الصلاح ، وهذه نزغة من نزغات الشيطان ، قال الله سبحانه : (وقُلْ لِعبَادى يَقُولُوا التى هى أحسن ، إن الشيطان يَنْزَغُ بينهم ، إن الشيطان كان للانسانِ عدوًّا مبينا) .

وأما إزراء بعض العلماء عليه في فتواه ، وجوابه عن مسألة شدّ الرِّحال إلى القبور . فقد حمل جواب علماء هذه البلاد ، إلى نظرائهم من العلماء ، وقرنائهم من الفضلاء ، وكلهم أفتى : أن الصواب فى الذى به أجاب .

والظاهر بين الانام ، أن إكرام هذا الامام ، ومعاملته بالتبجيل والاحترام ، فيه قِوام الملك ، ونظام الدولة ، وإعزاز المِلّة ، واستجلاب

الدعاء ، وكَبْتُ الأعداء ، وإذلال أهل البدع والأهواء ؛ وإحياء الأمة وكشف الغُمَّة ، ووفور الأجر ، وعُلُوُّ الذكر ، ورَفْعُ البأس ، ونفع الناس ، ولسان حال المسلمين ، تال قول الكبير المتعال : (ولمَّا دخلوا عليه قالوا : يا أيُّها العزيز مَسَّنا وأهْلَنا الضُّرُّ وجِئْنا ببِضاعةٍ مُزْجاةٍ فأَوْفِ لنا الْكَيْلَ وتَصَدَّقْ علَيْنا إن الله يَجْزِي المتصدقين)

والبضاعة المزجاة : هى هذه الأوراق ، المرقومة بالأقلام ، والمِيرَة المطلوبة : هى الافراج عن شيخ الاسلام ، والذى حمل على هذا الاقدام قوله عليه السلام : « الدين النصيحة » والسلام ، ، .

وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطيبين الكرام ، وسلم تسليما .

هذا آخر هذا الكتاب

قال المؤلف : ووقفت على كتاب آخر من بغداد أيضا . صورته :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على المرسلين محمد النبى وآله وصحبه أجمعين .

اللهم فكما أيدت ملوك الاسلام ، وولاة الأمور ، بالقوّة والأيْدِ ، وشَيَّدتَ لهم ذِكراً ، وجعلتهم للمقهور اللائذ بجنابهم ذُخْراً ، وللمكسور العائذ بأكناف بابهم جَبْرا ، . فاشْدُدِ اللَّهمَّ منهم بحُسْنِ مَعُونَتِك لهم

أَزْراً ، وأعلِ لهم جَدًّا وارفع قدراً ، وزِدْهُمْ عِزًّا وزوِّدهم على أعدائك نصراً ، . وامنَحْهُم توفيقا مسددا ، وتمكينا مستمراً ؛

وبعد . فانه لما قرع أسماع أهل البلاد المشرقيَّة ، والنواحي العراقية . التضييق على شيخ الاسلام ، . تقيّ الدين أبي العباس — أحمد بن تيمية — سلمه الله ، عَظُمَ ذلك على المسلمين ، وشقّ على ذوى الدين ، وارتفعت رءوس الملحدين ، وطابت نفوس أهل الأهواء والمبتدعين ، ولما رأى علماء أهل هذه الناحية ، عِظم هذه النازلة ، من شماتة أهل البدع وأهل الأهواء ، بأكابر الأفاضل وأئمة العلماء ، أنْهَوْا حالَ هذا الأمر الفظيع والأمر الشنيع ، إلى الحضرة الشريفة السلطانية ، زادها الله شرفا ، وكتبوا أجوبتهم فى تصويب ماأجاب به الشيخ . سلمه الله فى فتاواه ، وذكروا من علمه ، وفضائله بعض ماهو فيه ، وحملوا ذلك إلى بين يدى مولانا ملك الأمراء . أعزّ الله أنصاره وضاعف اقتداره ، غيرة منهم على هذا الدين ، ونصيحة للاسلام وأمراء المؤمنين

والآراء المولوية العالية ، أولى بالتقديم ، لأنها ممنوحة بالهداية إلى الصراط المستقيم

وأفضل الصلاة وأشرف التسليم ، على النبى الأمى ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين ، وسلم تسليما

[وفاة الشيخ رحمه الله بالقلعة]

وما كتب بها قبل موته

ثم إن الشيخ رحمه الله تعالى بقي مقيما بالقلعة سنتين وثلاثة أشهر وأياما ، ثم توفى إلى رحمة الله ورضوانه . ومابرح فى هذه المدة مُكبًّا على العبادة ، والتلاوة ، وتصنيف الكتب ، والردِّ على المخالفين .

وكتب على تفسير القرآن العظيم جملة كثيرة ، تشتمل نفائس جليلة ونكت دقيقة ، ومعانٍ لطيفة ، وبيَّن فى ذلك مواضع كثيرة أشكلت على خلقٍ من علماء أهل التفسير .

وكتب فى المسأله التى حبس بسببها عدة مجلدات .

منها : كتاب فى الرد على ابن الاخنائى قاضى المالكية بمصر ، تعرف بالاخنائية (١) .

ومنها : كتاب كبير حافل فى الردِّ على بعض قضاة الشافعية ، وأشياء كثيرة فى هذا المعنى أيضا .

[وفاة الشيخ عبد الله أخى الشيخ]

وفى هذه المدة التى كان الشيخ فيها بالقلعة توفى أخوه الشيخ الامام

---

(١) طبع بالسلفية بمصر على نفقة جلالة الملك ابن السعود

العالم العلامة ، البارع ، الحافظ ، الزاهد ، الورع ، جمال الإسلام ، شرف الدين ، أبو محمد ، عبد الله . توفى يوم الأربعاء الرابع عشر من جمادى الأولى من سنة سبع وعشرين وسبعمائة . وصلى عليه ظهر اليوم المذكور ٧٢٧هـ بجامع دمشق ، وحمل إلى باب القلعة ، فصلى عليه مرة أخرى . وصلى عليه أخوه وخلق من داخل القلعة ، وكان الصوت بالتكبير يبلغهما ، وكثر البكاء فى تلك الساعة ، وكان وقتا مشهوداً . ثم صلى عليه مرة ثالثة ورابعة ، وحُمل على الرءوس والأصابع ، إلى مقبرة الصوفية ، فدفن بها . وحضر جنازته جمع كثير ، وعالم عظيم ، وكثر الثناء والتأسف عليه .

وكان رحمه الله صاحب صدق وإخلاص ، قانعا باليسير ، شريف النفس شجاعا . مقداما . مجاهدا ، بارعا فى الفقه ، إماما فى النحو . مستحضراً لتراجم السلف ووفياتهم ، له فى ذلك يد طُولى ، عالما بالتواريخ المتقدمة والمتأخرة . وكان رحمه الله شديد الخوف والشفقة على أخيه شيخ الاسلام

وكان يخرج من بيته ليلا ، ويرجع إليه ليلا ، ولا يجلس فى مكان معين ، بحيث يقصد فيه ، ولكنه يأوى إلى المساجد المهجورة ، والأماكن التى ليست بمشهورة .

وكان كثير العبادة والتأله . والمراقبة والخوف من الله . ولم يزل على ذلك إلى حين مرضه ، ووفاته

ومولده فى اليوم الحادى عشر من المحرم سنة ست وستين وستمائة بحرّان .

وسمع من أبى اليُسْر ، والجمال عبد الرحمن البغدادى ، وابن الصيرفى والشيخ شمس الدين ، وابن البخارى وخلق كثير .

وحدث وسمع الكتب الكبار .

وقد سُئل عنه الشيخ كمال الدين ابن الزملكانى . فقال : هو بارع فى فنون عديدة : من الفقه ، والنحو ، والأصول ، ملازم لأنواع الخير وتعليم العلم ، حسن العبادة ، قوىٌّ فى دينه ، جيِّد التفقه ، مستحضر لمذهبه استحضارا جيدا ، مليح البحث ، صحيح الذهن ، قوى الفهم

[معاملة الشيخ فى سجنه بالقلعة]

قلت : وما زال الشيخ تقى الدين رحمه الله فى هذه المدة معظما مكرما ، يكرمه نقيب القلعة ونائبها ، إكراما كثيرا ، ويستعرضان حوائجه ويبالغان فى قضائها .

وكان ما صنفه فى هذه المدة قد خرج بعضه من عنده ، وكتبه بعض أصحابه ، واشتهر ، وظهر .

فلما كان قبل وفاته بأشهر ورد مرسوم السلطان باخراج ما عنده كله . ولم يبق عنده كتاب ، ولا ورقة ، ولا دواة ، ولا قلم ، وكان بعد

ذلك إذا كتب ورقة إلى بعض أصحابه ، يكتبها بفحم . وقد رأيت أوراقا عدة بعثها إلى أصحابه ، و بعضها مكتوب بفحم . منها ورقة يقول فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، ونحن لله الحمد والشكر فى نعم متزايدة ، متوافرة ، وجميع ما يفعله الله فيه نصر الاسلام ، وهو من نعم الله العظام . و(هو الذى أَرْسَلَ رسولَه بالهُدَى ودين الحق ليُظهِرَه على الدِّين كلِّه وكَفَى بالله شهيداً) فان الشيطان استعمل حزبه فى إفساد دين الله ، الذى بعث به رسله ، وأنزل كتبه

ومن سنة الله : أنه إذا أراد إظهار دينه ، أقام من يعارضه ، فيُحِقُّ الحق بكلماته ، ويَقذفُ بالحق على الباطل فيَدْمَغه فإذا هو زاهق

والذى سعى فيه حزب الشيطان لم يكن مخالفة لشرع محمد صلى الله عليه وسلم وحده ، بل مخالفة لدين جميع المرسلين : ابراهيم ، وموسى والمسيح ، ومحمد خاتم النبيين صلى الله عليهم أجمعين .

وكانوا قد سعوا فى أن لا يظهر من جهة حزب الله ورسوله خطاب ولا كتاب ، وجزعوا من ظهور الاخنائية ، فاستعملهم الله تعالى . حتى أظهروا أضعاف ذلك وأعظم ، وألزمهم بتفتيشه ومطالعته ، ومقصودهم إظهار عيوبه ، وما يحتجون به ، فلم يجدوا فيه إلا ما هو حجة عليهم ،

وظهر لهم جهلهم ، وكذبهم وعجزهم ، وشاع هذا فى الأرض ، وأن هذا مما لا يقدر عليه إلا الله ، ولم يمكنهم أن يظهروا علينا فيه عيباً فى الشرع والدين ، بل غاية ماعندهم : أنه خولف مرسوم بعض المخلوقين ، والمخلوق كائناً من كان ، إذا خالف أمر الله تعالى ورسوله ، لم يجب ، بل ولا يجوز طاعتهُ ، فى مخالفة أمر الله ورسوله باتفاق المسلمين .

وقول القائل : إنه يظهر البدع ، كلام يظهر فساده لكل مستبصر ويعلم أن الأمر بالعكس ، فإن الذى يظهر البدعة ، إما أن يكون لعدم علمه بسنة الرسول ، أو لكونه له غرض وهوى يخالف ذلك ؛ وهو أولى بالجهل بسنة الرسول ، واتباع هواهم بغير هدى من الله (ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله) ، ممن هو أعلم بسنة الرسول منهم ، وأبعد عن الهوى والغرض فى مخالفتها (ثُمَّ جعلناك على شريعةٍ من الأمر فاتَّبِعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون . إنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ من الله شيئا ، وإن الظَّالمين بعضهم أولياء بعضٍ ، والله وَلىُّ المتقين)

وهذه قضية كبيرة لها شأن عظيم . ولتعلمنَّ نبأه بعد حين

ثم ذكر الشيخ فى الورقة كلاما ، لا يمكن قراءة جميعه ، لانطماسه

وقال بعده :

وكانوا يطلبون تمام الاخنائية ، فعندهم مايطمهم أضعافها ، وأقوى فقها منها ، وأشد مخالفة لأغراضهم . فان الزملكانية قد بين فيها من

نحو خمسين وجها : أن ما حكم به ورسم به ، مخالف لاجماع المسلمين وما فعلوه — لو كان ممن يعرف ماجاء به الرسول ، و يتعمد مخالفته — لكان كفرا وردَّة عن الإسلام ، لكنهم جهال دخلوا فى شيء ما كانوا يعرفونه ، ولاظنوا أنه يظهر منه أن السلطنة تخالف مرادهم والأمر أعظم مما ظهر لكم ، ، ونحن ولله الحمد ، على عظيم الجهاد فى سبيله .

ثم ذكر كلاما وقال :

بل جهادنا فى هذا مثل جهادنا يوم قازان ، والجبليه ، والجهمية ، والاتحادية ، وأمثال ذلك .. وذلك من أعظم نعم الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لايعلمون

* * *

ومنها ورقة قال فيها :

ورقة أخرى مما كتبه الشيخ فى السجن

ونحن ولله الحمد والشكر ، فى نعم عظيمة . تتزايد كل يوم ، ويجدد الله تعالى من نعمه نعما أخرى ، وخروج الكتب كان من أعظم النعم فانى كنت حريصا على خروج شيء منها ، لتقفوا عليه ، وهم كرهوا خروج الاخنائية ، فاستعملهم الله تعالى فى إخراج الجميع ، و إلزام المنازعين بالوقوف عليه . وبهذا يظهر ماأرسل الله به رسوله من الهدى ودين الحق

فان هذه المسائل كانت خفية على أكثر الناس . فاذا ظهرت فمن كان قصده الحق هداه الله ، ومن كان قصده الباطل قامت عليه حجة الله ، واستحق أن يذِلَّه الله وَيُخْزِيهُ ؛

وما كتبت شيئا من هذا لِيُكتم عن أحد ، ولو كان مبغضا ، والأوراق التى فيها جواباتكم غسلت

وأناطيِّبٌ وعيناى طيبتان أطيب ما كانتا ؛

ونحن فى نعم عظيمة لاتحصى ولا تعدُّ ، والحمد الله حمداً كثيراً طيبا مباركا فيه ؛

ثم ذكر كلاما . وقال :

كلُّ مايقضيه الله تعالى فيه الخير والرحمة والحكمة (إنَّ ربى لَطِيفٌ لما يشاء إنه هو القوىُّ العزيز) ، العليم الحكيم ، ولا يدخل على أحدٍ ضررٌ إلا من ذنوبه) ما أصابَكَ من حسنة فمِنَ الله ، وما أصابك من سيِّئةٍ فمن نفسك) فالعبد عليه أن يشكر الله ويحمده دائما على كل حال ، ويستغفر من ذنوبه ، فالشكر يوجب المزيد من النعم ، والإستغفار يدفع النقم ، ولا يقضى الله للمؤمن قضاء إلا كان خيراً له « إن أصابته سرّاء شكر وإن أصابته ضرّاء صبَر ، فكان خيراً له .

***

وهذه الورقة كتبها الشيخ وأرسلها بعد خروج الكتب من عنده بأكثر من ثلاثة أشهر : فى شهر شوال، قبل وفاته بنحو شهر ونصف.

ولما أخرج ما عنده من الكتب والأوراق ، حمل إلى القاضى علاء الدين القونوى ، وجعل تحت يده فى المدرسة العادلية .

وأقبل الشيخ بعد إخراجها على العبادة والتلاوة والتذكر والتهجد حتى أتاه اليقين .

وختم القرآن مدة إقامته بالقلعة ثمانين ، أو إحدى وثمانين ختمة انتهى فى آخر ختمة إلى آخر اقتربت الساعة (إن المتقين فى جنات وَنَهْر فى مَقعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مليكٍ مُقْتَدر) ثم كملت عليه بعد وفاته ، وهو مُسَجًّى .

كان كل يوم يقرأ ثلاثة أجزاء ، يختم فى عشرة أيام . هكذا أخبرنى أخوه زين الدين

وكانت مدة مرضه بضعة وعشرين يوما . وأكثر الناس ما علموا بمرضه ، فلم يفجأ الخلق إلا نعيه ، فاشتد التأسف عليه وكثر البكاء والحزن . ودخل إليه أقاربه وأصحابه ، وازدحم الخلق على باب القلعة والطرقات ، وامتلأ جامع دمشق وصلوا عليه ، وحمل على الرءوس . رحمه الله ورضى عنه

[ما كتبه العلماء فى وفاة الشيخ]

قال الشيخ علم الدين : وفى ليلة الاثنين ، لعشرين من ذى القعدة من سنة ثمان وعشرين وسبعمائة توفى الشيخ الإمام العلامة الفقيه ، الحافظ الزاهد ، القدوة ، شيخ الاسلام ، تقى الدين أبو العباس ، أحمد ، بن شيخنا الإمام المفتى ، شهاب الدين ، أبى المحاسن عبد الحليم ، بن الشيخ الامام شيخ الاسلام مجد الدين أبى البركات ، عبد السلام ، بن عبد الله ، بن أبى القاسم ، بن محمد بن تيمية الحرانى ، ثم الدمشقى ، بقلعة دمشق ، التى كان محبوسا فيها .

وحضر جمع الى القلعة ، فأذن لهم فى الدخول ، وجلس جماعة قبل الغسل . وقرأوا القرآن . وتبركوا برؤيته وتقبيله . ثم انصرفوا (١)

(١) سبحان الله !! لقد كان الشيخ ابن تيمية رحمه الله ـ يجاهد طول حياته تلك البدع . من قراءة القرآن على الموتى ، والتبرك بالموتى وبآثار الصالحين . ثم هؤلاء يصنعون به هذا الذى كان يكرهه . والذى ما أوذى بأنواع الأذى ، إلا من أجل انكاره . وهكذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان أصحابه رضى الله عنهم يحاربون تلك الخرافات الوثنية والعقائد الجاهلية ، ثم صنع الناس تلك الخرافات واعتقدوا هذه العقائد فى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى أصحابه وآل بيته بعد موتهم : من استجابة الدعاء وإغاثة

وحضر جماعة من النساء ففعلن مثل ذلك . ثم انصرفن .

واقتصر على من يغسل ويعين فى غسله . فلما فرغ من ذلك أخرج وقد اجتمع الناس بالقلعة والطريق إلى جامع دمشق ، وامتلأ الجامع وصحنه والكلاسة ، وباب البريد ، وباب الساعات إلى اللبادين والفوارة

وحضرت الجنازة فى الساعة الرابعة من النهار ، أو نحو ذلك . ووضعت فى الجامع والجند يحفظونها من الناس من شدة الزحام ، وصلى عليه — أولا — بالقلعة . تقدم فى الصلاة عليه الشيخ محمد بن تمام . ثم صلى عليه بجامع دمشق ، عقيب صلاة الظهر . وحمل من باب البريد ، واشتد الزحام . وألقى الناس على نعشه مناديلهم وعمائمهم للتبرك . وصار النعش على الرءوس ، تارة يتقدم وتارة يتأخر . وخرج الناس من الجامع من أبوابه كلها من شدة الزحام . وكل باب أعظم زحمة من الآخر .

ثم خرج الناس من أبواب البلد جميعها من شدة الزحام ، لكن كان المعظم من الأبواب الأربعة : باب الفرج ، الذى أخرجت منه الجنازة

المكروب ، وتفريج الضائقات ، وأمثال ما يقوله أولئك الجاهلون مما يبرأ منه رسول الله وأهل بيته . كقول البوصيرى فى بردته :

يا أشرف الخلق مالى من ألوذ به   سواك عند حدوث الحادث العمم

يزعمون أنهم يرضون رسول الله ويعظمونه . وهم يؤذونه ويهدمون دينه الذى جاهد ما جاهد وصبر على ما أوذى من أجله . فلا حول ولا قوة إلا بالله .

ومن باب الفراديس . ومن باب النصر ، وباب الجابية . وعظم الأمر بسوق الخيل

وتقدم فى الصلاة عليه هناك أخوه زين الدين عبد الرحمن . وحمل إلى مقبرة الصوفية . فدفن إلى جانب أخيه شرف الدين عبد الله رحمهما الله . وكان دفنه وقت العصر أو قبلها بيسير .

وأغلق الناس حوانيتهم . ولم يتخلف عن الحضور إلا القليل من الناس ، أو من أعجزه الزحام .

وحضرها نساء كثير بحيث حُزرن بخمسة عشر ألفا . وأما الرجال فحزروا بستين ألفا وأكثر ، إلى مائتى ألف . وشرب جماعة الماء الذى فضل من غسله . واقتسم جماعة بقية السِّدْر الذى غسل به .

وقيل : إن الطاقية التى كانت على رأسه دفع فيها خمسمائة درهم . وقيل : إن الخيط الذى فيه الزئبق ، الذى كان فى عنقه بسبب القمل دفع فيه مائة وخمسون درهما . وحصل فى الجنازة ضجيج وبكاء ، وتضرع . وختمت له ختم كثيرة بالصالحية والبلد .

وتردد الناس إلى قبره أياما كثيرة ليلا ونهاراً . ورؤيت له منامات كثيرة صالحة . ورثاه جماعة بقصائد جمة .

وكان مولده يوم الاثنين عاشر ربيع الأول ، بحران . سنة إحدى وستين وستمائة . ٦٦١هـ

وقدم مع والده وأهله إلى دمشق . وهو صغير . فسمع الحديث من ابن عبدالدايم ، وابن أبي اليسر ، وابن عبدان . والشيخ شمس الدين الحنبلي . والقاضي شمس الدين بن عطاء الحنفي ، والشيخ جمال الدين ابن الصيرفي ، ومجد الدين بن عساكر ، والشيخ جمال الدين البغدادي والنجيب المقداد ، وابن أبي الخير ، وابن علان ، وأبي بكر الهروي ، والكمال عبد الرحيم ، والفخر علي ، وابن شيبان ، والشرف ابن القواس وزينب بنت مكي ، وخلق كثير .

وقرأ بنفسه الكثير ، وَطلب الحديث . وكتب الطِّباق والأثبات ولازم السماع بنفسه مدة سنين . واشتغل بالعلوم .

وكان ذكيا كثير المحفوظ . فصار إماما في التفسير . وما يتعلق به ، عارفا بالفقه ، واختلاف العلماء ، والأصلين ، والنحو ، واللغة وغير ذلك من العلوم النقلية والعقلية . وما تكلم معه فاضل في فنٍّ إلا ظن أن ذلك الفنَّ فنُّهُ . ورآه عارفا به متقنا له

وأما الحديث فكان حافظاً له مميزاً بين صحيحه وسقيمه ، عارفا برجاله متضلعا من ذلك

وله تصانيف كثيرة ، وتعاليق مفيدة : فى الفروع ، والأصول .

كمل منها جملة وبُيِّضت ، وكتبت عنه . وجملة كثيرة لم يكملها

وجملة كملها ولكن لم تبيض .

وَأثنى عليه وعلى فضائله جماعة من علماء عصره ، مثل القاضى

أُلخوَى ، وابن دقيق العيد ، وابن النحاس ، وابن الزملكانى ، وغيرهم

ووجدت بخط الشيخ جمال الدين بن الزملكانى : أنه اجتمعت

فيه شروط الاجتهاد على وجهها . وأن له اليد الطولى فى حسن التصنيف ،

وجودة العبارة والترتيب ، والتقسيم والتبيين ، وكتب على تصنيف (١)

له هذه الأبيات الثلاثة من نظمه . وهى :

ماذا يقول الواصفون له * وصفاته جالت عن الحصرِ

هو حجة لله قاهرة * هو بيننا أعجوبة الدهرِ

هو آية للخلق ظاهرة * أنوارها أرْبَتْ على الفجرِ

وهذا الثناء عليه . وكان عمره نحو الثلاثين سنة

وَكان بينى وبينه مودَّة وصحبة من الصغر ، وسماع الحديث والطلب

من نحو خمسين سنة . وله فضائل كثيرة .

---

(١) وهذا التصنيف الذى أشار إليه هو رفع الملام عن الأئمة الأعلام للشيخ . انتهى من هامش الأصل

وأسماءُ مصنفاته ، وما جرى بينه وبين الفقهاء والدولة ، وحبسُه مرات ، وأحواله : لايحتمل ذكر جميعها هذا الكتاب

ولما مات كنت غائبا عن دمشق بطريق الحجاز الشريف . وبلغنا خبره بعدموته بأكثر من خمسين يوما ، لما وصلنا إلى تبوك . وحصل التأسف لفقده رحمه الله تعالى .

***

قلت : وقد قيل : إن الخلق الذين حضروا جنازة الشيخ كانوا أزيدمما ذكر .

ومن الجنائز العظيمة فى الاسلام : جنازة الإمام أبى عبدالله أحمد بن حنبل . فان الذين حضروها ، وصلوا عليه ، كانوا أكثر من ألف ألف إنسان .

وقد قال الامام أبو عثمان الصابونى : سمعت أبا عبدالرحمن السُّلَمِي يقول : حضرت جنازة أبى الفتح القواس الزاهد مع الشيخ أبى الحسن الدارقطنى . فلما بلغ إلى ذلك الجمع الكثير أقبل علينا وقال : سمعت أبا سهل بن زياد القطان يقول : سمعت عبد الله بن أحمد بن حنبل يقول : سمعت أبى يقول : قولوا لأهل البدع : بيننا و بينكم يوم الجنائز .

قال أبو عبد الرحمن ، على إثر هذه الحكاية: إنه حزر الحزارون

المصلين على جنازة أحمد ، فبلغ العدد بحزرهم ألف ألف وسبعمائة ألف سوى الذين كانوا فى السفن

***

وقد وجد بخط الشيخ أبيات ، قالها بالقلعة ، وهى :

أنا الفقير إلى رب السموات * أنا المسكين فى مجموع حالاتى
انا الظلوم لنفسى ، وهى ظالمتى * والخير ، إن جاءنا ، من عنده ياتى
لا أستطيع لنفسى جلب منفعة * ولا عن النفس فى دفع المضرات
وليس لى دونه مولى يُدبّرنى * ولا شفيع إلى رب البريّات
إلا باذن من الرحمن خالقنا * رب السماء ، كما قد جاء فى الآيات
ولست أملك شيئا دونه أبدا * ولا شريك أنا فى بعض ذراتى
ولا ظهيرٌ له كَيْما أعاونه * كما يكون لأرباب الولايات
والفقر لى وصف ذُات ، لازم أبدا * كما الغنى أبداً وصف له ذاتى
وهذه الحالُ حالُ الخلقِ أجمعهم * وكلّهم عنده عبد له آتى
فمن بغى مطلباً من دون خالقه * فهو الجهول الظلوم المشرك العاتى
والحمد لله مِلء الكون أجمعه * ما كان منه ، وما من بعده ياتى
ثم الصلاة على المختار من مُضَرٍ * خير البرية من ماضٍ ومن آتى

وله أيضا :

إن لله علينــا أنْعُماً * يعجز الحصرُ عن العدّ لها

فله الحمـد على أنعمـه * وله الحمد على الشكر لها

وقد مُدح الشيخ رحمه الله بقصائد كثيرة فى حياته ، ورثى بأكثر منها بعد وفاته

فمن القصائد التى مُدح بها : قصيدة نجم الدين اسحق بن أبى بكر ابن ألمَى التركى (١) . وهى :

ذرانىَ من ذِكْرَى سُعادٍ وزينب

ومن ندب أطلال اللوَى والمُحصّب

ومن مدح آرامْ سَنَحْنَ برامة

ومن غزلٍ فى وصف سِرب ورَبرَب (٢)

ولا تنشدانى غير شعر إلى العلا | يظَل ارتياحا يزدهينى ويطَّبي
وإن أنتما طارحتمانىَ ، فليكن | حديثكما فى ذكر مجدٍ ومنصبِ
بحب الأعالى ، لا بحب أم جُندب | أقضى لُبانات الفؤادِ المعـذب

(١) ولد سنة (٦٧٠) وسمع بمصر من علمائها وبالاسكندرية ورحل إلى الشام والعراق فاستوطنه . وانقطعت أخباره بعد سنة (٧٢١).

(١) « آرام » جمع « ريم » وهو ولد الظبية . والسرب : القطيع من الظباء والجماعة من النساء . والربرب : القطيع من بقر الوحش .

خلقت امرءاً جَلْداً على حمل الهوى
فلست أبالى بالقِلَى والتجنب
سواء أرى للوصل تعريض جُؤذَرٍ
وإعراض ظَبى ألْعَسَ الثَّغر أشْنَبِ (١)
ولم أصْبُ فى عصر الشبيبة والصِّبا
فهل أصْبُوَنْ كَهلاً بِلمَّة أشيب ؟
يُعَنِّفنى فى بغيتى رُتَبَ العلا
جهول . أراه راكباً غير مَرْكبِ
له هِمَّة دون الحضيض مَحَلُّها
ولى هِمَّةٌ تسمو على كل كوكب
فلو كان ذا جهل بسيطٍ عذرتُه
ولكنه يُدْلِي بجهل مُرَكَّبِ
يقول : علامَ اخترتَ مذهب أحمدٍ (٢)
فقلت له : إذ كان أحمدَ مذهبِ (٣)

---

(١) الجؤذر - - : ولد بقرة الوحشة . واللعس : سواد مستحسن فى الشفة . والشنب : رقة الأسنان وعذوبتها .

(٢) هو الامام احمد بن حنبل

(٣) «أحمد مذهب» أفعل تفضيل ، أى أكثر صفات يحمد من أجلها

وهل فى ابن شَيبان مقال لقائل

وهل فيه من طعن لصاحب مضرب ؟

أليس الذى قد طار فى الأرض ذكره

فطبَّقها ، ما بين شرق ومغرب ؟

إمام الهدى ، الداعى إلى سنن الهدى

وقد فاضت الأهواءُ من كل مَسْغَبَ (١)

أتوا بعظيم الإفْكِ ، وانتصروا له

بكلٍّ مقالٍ بالدليل مكذَّب

وقالوا : كلام الله خلْقاً ، وكذَّبوا

بما صحَّ نقلا عن أُبَيٍّ ومُصْعَبِ (٢)

وأصبح أهل الحق بين مُعاقَب

وبين مُعَدٍّ للأذَى مُترقِّب

فقام (٣) بما يُوهى ثَبيرا ويَذْبُلاً

قيام هِزَبْرٍ للفريسة مُغْضَب

---

(١) فى القاموس : هو مسغب له - بضم الميم وفتح السين ، وضم الغين مشددة - كذا ، ومسعب : مسوغ .

(٢) أبى بن كعب ، ومصعب بن عمير . رضى الله عنهما

(٣) قام الامام أحمد فى فتنة القول بخلق القرآن . وثبير ويذبل : جبلان عظيمان

ولم ينتهِ عنهم ، ولما يصده
عقوبة ذى ظلمٍ ، وجَوْر مُعذِّب
إلى أن بدا الاسلام أبلجَ ساطعا
وكَشَّف عن ظلمائهم كل غَيْهَب
وهدّم من أركانهم كل شامخ
ودوخ من شجعانهم كل قرهب (١)
ومزَّقهم أيدى سَبَا ، فتفرقت
كتائبهم ما بين شَرْق ومغرب
وأصحابهُ أهل الهدى لا يَضُرهم
على دينهم طعن امرىء جاهل غَبِي
همُ الظاهرون القائمون بدينهم
إلى الحشر ، لم يغلبهمُ ذو تغلُّب
لنا منهمُ فى كل عصرٍ أئمةٌ
هُداة إلى العليا ، مصابيح مُرقب
فأيدَّهم ربُّ العلا من عصابة
لاظهار دين الله أهلِ تعصب .

---

(١) القرهب : الثور المسن ، أو الكبير الضخم

وقد علم الرحمن أن زماننا
تشعَّب فيه الرأىُ أىَّ تشعب
فجاء بِحَبرٍ عالم من سَرَاتِهم
لسبع مِئِين ٍ بعد هجرة يَثْرب
يُقيم قَناة الدين ، بعد اعوجاجها
ويُنقذها من قبضة المتغصب
فذاك فتى تيميةٍ ، خيرُ سَيِّد
نجيب أتانا من سُلالة منجب
عليم بأدواء النفوس يسوسها
بحكمته ، فعل الطبيب المجرّب
بعيدٍ من الفحشاء والبغى والأذى
قريبٍ إلى أهل التقى ، ذو تحبب
يغيب ، ولكن عن مساوٍ وغيبة
وعن مشهد الإحسان لم يتغيب
حليم كريم مشفق ، بَيْدَ أنه
إذا لم يُطَعْ فى الله ، لله يغضب
يرى نُصرة الاسلام أكرم مغنم
وإظهار دين الله أربح مكسب

ليوث، إذا أهل الضلال تجمعوا — لكل فتى منهم يُعَدُّ بعقنب (١)

لئن جَحَدت علياءَ فضلك حُسَّدٌ — لعَمْرُ أبي ، قد زاد منهم تعجبي

وهل ممكن فى العقل أن يجحد السَّنَا — ضُحًى ،وضياء الشمس لم يتحجب؟

أيا مَطْلبا حزناه من غير مهلك — وكم مَهْلك صدَّ الورى دون مطلب

بعزم تَقِيٍّ الدين أحمد تُتَّقى — صروف زمان بالفوادح مُرعب

وفى الجدب نستسقى الغمام بوجهه — فنصبح فى روض كناديه مخصب

ربيب المعالى ، يافع الجود والنَّدَى — فتى العلم ، كَهْل الحلم ، شيخ التأدب

مُفَصِّل ماقد جاء من جمل النهى — وإيضاحُه للفهم غير مقرب

بسيط معان فى وجيز عبارة — بتهذيبه تعجيز كل مهذب

وليس له فى العلم والزهد مُشبِهَ — سوى الحسن البصرى وابن المسيَّب

ومن رام حَبْرا غيره اليوم فى الورى — فذاك الذى قد رام عَنقاء مُغْرِب

أليس هو النَّدْب الذى بانتصاره — حبا الدين حِبِّي ، بالامامة قد حبي

وجاهد فى ذات الإِلآه بنفسه — وبالمال والأهلين والأم والأب

ووازره فى حالتيه ابنُ أمه — فذلك عبدالله ، نعم الفتى الأبي

عقاب المعالى ، ضيغم الغابة ، الذى — فرَى كل ذى غيٍّ بناب ومِخْلب

هما ناصرا دين الإِلآه ، وحاميا — حمى خير خلق الله من نسل يعرب

مقيمان كالاسلام فى دار غربة — فياحَبَّذا فى الله حسن التغرب

وكم قد غدا بالقول والفعل مبطلا
ضلالة كذَّاب ورأى مكذب
ولم تَلْقَ من عاداه غيرَ منافق
وآخر عن نهج السبيل منكّب
لقد حاولوا منه الذى كان رامه
من المصطفى قِدْمًا حُيَيُّ بن أخْطَبَ (١)
ولكن رأى من بأسه مثلما رأى
من المصطفى فى حربه رأس مَرْحَبِ (٢)

تمسَّكْ ، أباالعباس بالدين ، واعتصم * بحبل الهدى ، تقهر عداك وتَغْلب
ولاتخشَ من كيد الأعادى ، فماهم * سوى حائر فى أمره ومُذَبْذَب
جنودهم من طامع ومذلَّل * مُسَيْلمة منهم يلوذُ بأشْعَب
وجندك من أهل السماء ملائك * يُمِدُّك منهم موكب بعد موكب
وكل امرىء قد باع لله نفسه * فليس إذاً يُصغِى لقول مُؤنِّب

---

(١) رئيس يهود خيبر ، كان ألد أعداء النبى صلى الله عليه وسلم . قتل يوم خيبر . وتزوج صلى الله عليه وسلم ابنته السيدة صفية ، بعد عتقها واسلامها رضى الله عنها .

(٢) مرحب زعيم شجعان خيبر . بارزه على رضى الله عنه فقتله

خدمتهما منى بعقد منضَّد ... بفكر سوائى دُرَّه لم يُثقب

تشنف سمع الدهر حسنا إذا اغتدى ... به الناظم التركى أفصح معرب

وما جئت فى مدحيهما متطلعا ... به عرضا يفنى ، ولا نيل منصب

ولكننى أبغى رضا الله خالقى ... وأرجو به غفران زَلَّة مذنب

وأجعله لى فى المعاد ذخيرة ... أفوز بها فى الحشر من خطبه الو بى

نجزت . وهى سبعة وستون بيتا

***

بسم الله الرحمن الرحيم

صورة فتيا قدمت في مجلس تقى الدين رضى الله عنه

فأجاب فى المجلس بهذا الجواب . وهو « تقدير القدر »

السؤال

أيا علماء الدين ، ذِمِّىّ دينكم ... تحيّر دُلُّوه بأوضح حجة

إذا ما قضى ربى بكفرى بزعمكم ... ولم يرْضَه منى ، فما وجه حيلتى ؟

دعانى، و سد الباب عنى ، فهل إلى ... دخولى سبيل ؟ بيِّنوا لى قضيتى

قضى بضلالى ، ثم قال : ارض بالقضا ... فما أنا راضٍ بالذى فيه شقوتى

فان كنت بالمقضيّ ، ياقوم راضياً فربّيَ لا يرضى بشؤم شكيّتي
فهل لى رضاً ، ما ليس يرضاه سيدى ؟ فقد حِرتُ ، دُلّونى على كشف حيرتى
إذا شاء ربى الكفر منّى مشيئة فهل أنا عاصٍ فى اتباع المشيئة ؟
وهل لى اختيار أن أخالف حكمه ؟ فبالله فاشفوا بالبراهين عِلّتى

الجواب

الحمد لله رب العالمين :

سؤالك ياهذا ، سؤال معاندِ تُخَاصِمُ رَبَّ العرش ، بارى البرية
وهذا سؤال ، خاصم الملأَ العُلا قديما به إبليسُ ، أصل البلية
وَمن يكُ خصما للمهيمن يرجعْ على أم رأس هاويا فى الحفيرة
ويُدعَى خصوم الله يوم معادهم إلى النار طُرًّا ، معشر القَدَرية
سواء نفوه ، أو سَعَوا ليخاصموا به الله ، أو مارُوا به للشريعة
وأصل ضلال الخلق من كل فرقة هو الخوض فى فعل الإلٰه بعلة
فانّهمو لم يفهموا حكمة له فصاروا على نوع من الجاهلية
و إن مبادى الشرّ فى كل أمة ذوى مِلّةٍ قُدْسية نبوية :
بخوضهم فى ذٰلكم ، صار شركهم وجاء دروس البيّنات بفترة
فان جميع الكون أوجب فعله مشيئة رب الخلق بارى الخليقة
وذات إله الخلق واجبة بما لها من صفات واجبات قديمة

مشيئته مع علمه ، ثم قدرة لوازم ذات الله قاضى القضية
فقولك : لِمْ قد شاء ؟ مثل سؤال من
يقول : فلِمْ قد كان فى الأزلية ؟
وذاك سؤال يبطل العقل وجهه وَتحريمُه قد جاء فى كل شرعة
وفي الكون تخصيص كثير يدلُّ مَنْ
له نوع عقل : أنه بإرادة
وَإصداره عن واحد بعد واحد أو القول بالتجويز رَمْية حَيْرة
وَلاريب فى تعليق كل مسبَّب بما قبله من عِلّة موجبيّة
بل الشأن فى الأسباب ، أسباب ماترى
وَمصدرها عن حكم محض المَشيئة
وَقولك : لِمْ شاء الاله ؟ هو الذى أزلَّ عقول الخلق فى قعر حُفرة
فان المجوس القائلين بخالق لنفعٍ ، وَربٍّ مُبدِعٍ للمَضَرَّة
سؤالهمُ عن عِلّةِ الشَّر ، أُوقعت رءوسهمْ فى شبهة المثْنَوِيّة
وإن ملاحيد الفلاسفةُ الأُولى يقولون بالفعل القديم بعلة
بغَوا عِلةً للكون بعد انعدامه فلم يجدوا ذا كم ، فضلوا بضِلّة
وَإن مبادى الشر فى كل أمّة ذوى ملة ميمونة نبوية :
بخوضهمو فى ذا كُم ، صار شركهم وَجاء دروس البينات بفترة

ويكفيك نقضا : أن ماقد سألته من العذر مردود لدى كل فِطْرة
فأنت تعيب الطاعنين جميعهم عليك ، وترميهم بكل مذمَّة
وَتَنْحِلُ مَنْ والاكَ صفوَ مَوَدَّة وتُبْغِض من ناواك من كل فِرْقة
وحالهمُ فى كل قول وفِعْلَةٍ كحالك ، ياهذا ، بأرجح حجة
وهَبْكَ كففت اللوم عن كل كافر وكل غَوِيٍّ خارج عن مَحجة
فيلزمك الاعراض عن كل ظالم
على الناس فى نفسٍ، ومال، وحُرمة
ولا تغضبن يوما على سافك دما ولا سارق مالاً لصاحب فاقة
ولا شاتم عرضامصونا ، وإن علا ولا ناكح فرجا على وَجْه غِيَّة
ولا قاطع للناس نَهْج سبيلهم
ولا مفسد فى الأرض فى كل وجهة
ولا شاهد بالزور إفكا وفِرْية ولا قاذف للمحصنات برِيبْة
ولا مُهلك للحَرْثِ والنَّسْل عامدا ولا حاكم للعالمين برِشْوة
وكُفَّ لسان اللوم عن كل مفسد
ولا تأخذن ذا جرمة بعقوبة
وسهِّلْ سبيل الكاذبين تعمدا على ربِّهم ، من كل جاء بفرْية

وإن قصدوا إضلال من تستجيبهم
بِرَوْمِ فساد النوع ، ثم الرياسة

وجادل عن الملعون ، فرعون ، إذ طغَى
فأُغْرِق فى اليمِّ انتقاما بعصيـة

وكل كَفور مشرك بإِلهٍ   وآخر طاغ كافر بنبوة
كعادٍ ، ونمروذٍ ، وقوم لصالح   وقوم لنوح ، ثم أصحاب الأَيْكَة
وخاصم لموسى ، ثم سائر من أتى   من الأنبياء محيياً للشريعة

على كونهم إذ جاهدوا الناس إذ بغوا
ونالوا من العاصي بلوغ العقوبة

وإلا فكل الخلق فى كل لفظة   ولَحْظَة عين ، أو تحرك شَعْرة
وبطشة كَفٍّ ، أو تخطى قَدَيْمَة   وكل حراك ، بل بكل سكينة
هو تحت أقدار الإله وحكمه   كما أنت فيما قد أتيت بحجة

وَهَبْك رفعت اللوم عن كل فاعل
فِعَالَ ردىً ، طردا لهذى المقيسة

فهل يُمكنَن رفعُ الملام جميعه   عن الناس طُرًّا عند كل قبيحة؟
وترك عقوبات الذين قد اعتدوا   وترك الورى الانصاف بين الرعية
فلا تُضمنَنْ نفس ومال بمثله   ولا تُعقبن عادٍ بمثل الجريمة

وهل فى عقول الناس ، أو فى طباعهم
قبول لقول النَّذْل : ماوجه حيلتى ؟

ويكفيك نقضاً : ما بجسم ابن آدم   صبى ، ومجنون ، وكل بهيمة :
من الألم المقضى، فى غير حيلة   وفيما يشاء الله أكملُ حكمة
إذا كان فى هذا له حكمة ، فما   يُظَنّ بخلق الفعل ، ثم العقوبة؟

وكيف ، ومِنْ هذا عذابٌ مخلد
عن الفعل فعل العبد ، عبد الطبيعة ؟

كآكل سمٍّ ، أوجب الموت أكله
وكلٌّ بتقديرٍ لرب البَرِيَّة

فكفرك ياهذا ، كسُمٍّ أكلته
وتعذيب نارٍ ، مثل جَرْعَة غُصة

ألست ترى فى هذه الدارَ من جنى
يعاقبُ ، إما بالقضا ، أو بشِرْعَة ؟

ولا عذر للجانى بتقدير خالق   كذلك فى الأخرى بلا مثْنَوِيَّة

وتقدير رب الخلق للذنب موجب
كتقدير عُقبى الذنب إلا بتوبة

ومن كان من جنس المتاب لرفعه   عواقب أفعال العباد الخبيثة

كجَبْرِيَّة تمحى الذنوب، ودعوة تجاب من الجانى ، ورَبِّ شفاعة

وقول حَليف الشعر : إنى مُقَدَّرٌ

عَلَيَّ ، كقول الذِّيبِ : هذى طبيعتى

وتقديره للفعل يجلب نقمة كتقديره الآثار طُرًّا بعـلة

فهلْ ينفَعَنْ عذر الملوم ، لأنه كذا طبعه ، أم هل يقال لعثرة ؟

أم الذنبُ والتعذيبُ أوْكدُ للذى

طبيعتُه فعلُ الشرور الشنيعة ؟

فان كنتَ ترجو أن تجاب بما عسى

ينجِّيك من نار الاله العظيمة

فدونك ربَّ الخلق ، فاقصده ضارعا

مريدا بأن يهديك نحو الحقيقة

وذَلِّلْ قِياد النفس للحق ، واسمَعَنْ

ولا تعرِضَنْ عن فـكرة مستقمة

وما بانَ من حقٍّ فلا تتركنَّه

ولا تعص من يدعو لأقوم رَيْعَة (١)

---

(١) الريع ـ بفتح الراء ـ الطريق المنفرج فى الجبل . والواحدة : ريعة

وَدَعْ دِين ذا العادات ، لاتَتْبَعَنَّه

وعُجْ عن سبيل الأمة الغضبيَّة (١)

ومن ضل عن حق فلا تقفونّه وزنْ ماعليه الناس بالمعدلية

هنالك تبدو طالعاتٌ من الهدى تُبَشِّرُ مَنْ قد جاء بالحنفية (٢)

بملّةِ إبراهيم ، ذاك إمامُنا ودين رسول الله خير البرية

فلا يقبلُ الرحمنُ دينا سوى الذى

به جاءت الرسل الكرام السجية

وقد جاء هذا الحاشر الخاتم الذى حوى كل خير فى عموم الرسالة

وأخبر عن رب العباد بأن مَنْ عدا عنه فى الأخرى بأقبح جَنْيَةِ

فهذى دلالات العباد لحائر وأما هداه فهو فعل الربوبة

وفقد الهدى عند الورى لايُقيل مَنْ

عَدا عنه ، بل يُجزى بلا وجه حجة

وحجَّةُ محتج بتقدير ربه يريد عذابا ، كاحتجاج مريضة

وأما رضانا بالقضاء فإنما أُمرنا بأن نرضى بمثل المصيبة

---

(١) هى أمة اليهود. غضب الله عليهم ولعنهم، لأنهم يتركون اتباع مايعلمون.

(٢) هى الحنيفية السمحة : شرعة محمد صلى الله عليه وسلم . وشريعة ابراهيم : اتباع ماجاءت به نصوص الوحى الالهى

كسقم ، وفقر ، ثم ذُلٍّ ، وغُربة   وما كان من سوء ، بدون جريمة

فأما الأفاعيل التى كُرهت لنا   فلا تُرتضى ، مسخوطة لمشيئة

وقد قال قوم من أُولى العلم : لارضاً
بفعل المعاصى والذنوب الكريهة

وقال فريق : ترتضى لقضائه   لها . وما فيها فيلقى بسخطة

كما أنها للرب خلق ، وأنها   لمخلوقة ، ليست كفعل الغريزة

فنرضى من الوجه الذى هى خلقه
ونسخط من وجه اكتساب بحيلة

ومعصية العبد المكلَّف تركُه   لما أمر المولى ، وإنْ بمشيئة

فإن إله الخلق حق مقالُه   بأنّ العباد فى جحيم وجنة

كما أنهم فى هذه الدار هكذا   بل البُهْمُ فى الآلام أيضا ونعمة

وحكمته العليا اقتضت مااقتضت من ال
فروق بعلمٍ ثم أيْدٍ ورحمة

يسوق أُولى التعذيب للسبب الذى
يُقَدِّره نحوَ العذاب بعِزَّة

ويهدى أُولى التنعيم نحو نعيمهم   بأعمال صدق ، فى رجاء وخشية

وأمْرُ إله الخلق تبيين مابه   يسوق أُولى التنعيم نحو السعادة

فَمَنْ كان من أهل السعادة أثَّرت

أوامره فيه بتيسير صنعة

ومَنْ كان من أهل الشقاوة لم ينَلْ

بأمر ولا نهى بتقدير شِقْوة

ولا مخرجٌ للعبد عما به قضى ولكنه شاء بخلق الإرادة

ومن أعجبِ الأشياء : خلق مشيئة

بها صار مختارَ الهدى والضلالة

فقولك : هل أختار تركا لحكمة ؟

كقولك : هل أختار ترك المشيئة ؟

وأختار أن لا أختار فعل ضلالة ولو نِلْتَ هذا الترك فُزت بتوبة

وذا ممكن ، لكنه متوقف على من يشاء الله من ذى المشيئة

فدونك ، فافهم مابه قد أجبتُ من

معانٍ ، إذا انحلَّت بفهم غريزة

أشارت إلى أصل تشير إلى الهدى

ولله ربِّ الخلق أكمل مدحة

وصلى إله الخلق ، جلَّ جلاله على المصطفى المختار خير البرية (١)

---

(١) نسخة : ختم النبوة اه هامش الأصل

تمت بحمد الله وعونه . وهى مائة وأربعة وثمانون بيتا . بل هى مائة وخمسة أبيات

***

الحمد لله رب العالمين

قال القاضى أبو بكر محمد بن عبد الباقى بن محمد البزار : سمعت المظفر هَنَّاد بن ابراهيم النسفى يقول : سمعت أبا القاسم عبد الواحد بن عبد السلام بن الواثق يقول : سمعت بعض الصالحين يقول : رؤى بعض الصالحين فى المنام . فقيل له : مافعل الله بك ؟ قال : غفرلى

قيل : من وجدتَ أكثر أهل الجنة ؟ قال : أصحاب الشافعى

فقيل : فأين أصحاب أحمد بن حنبل ؟

قال : سألتنى عن أكثرأهل الجنة . ماسألتنى عن أعلى أهل الجنة . أصحاب أحمد أعلى أهل الجنة . وأصحاب الشافعى أكثر أهل الجنة .

[مراثى العلماء والشعراء لشيخ الاسلام ابن تيمية]

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الفقيه ، أمين الدين عبد الوهاب بن سلار الشافعى . رضى الله عنه ، يرثى الشيخ تقى الدين ، الامام أحمد بن تيمية :

كل حى له الممات ورود ليس فى الدنيا لمرء خلود
كل خِلٍّ مفارق لخليل كل وصل إلى انفصالٍ يعود
ليس يبقى إلا إله البرايا دائمُ الملك والبقا . لا يبيد
عينُ ، سِحّى بمدمع ليس يرقأ وسهادٍ دائما ، وأجفانُ جووا
ياأُلجرح بمهجتى ، ليس يَبرا أو يجودوا بِطَيْفهم ، أو يعودوا
هل لمأبى من مُسْعِدٍ ، أومعين ؟ عزَّ صبرى ، وفَرْط حزنى يزيد
وَيْكِ نفسى ، تعاملى باصطبار فالذى قد قضى بهذا مُريد
قد رُزئنا إمام علمٍ ودين عَدِم المثل فى الزمان فريد
ياأُحَزن عليـــه ، عمّ البرايا يالَنارٍ ، بقلبى لها وَقود
كان شيخ الاسلام عقلا ونقلا سَنَن البِدْعِ عنـده مردود
كان فى العلم والشجاعة فَذًّا وهو فى الزهد والعفاف يسود
كان بالعُرف آمراً ، لا للحظ وعن النُّـكرِ للعباد يذود
كان لله ذا كراً كل وقت وعن اللهو والضـــلال بعيد
مات لله صابرا وسْطَ سجن يوم الاثنين ، سِرُّه مشهود
وتولاّه الأُبرار غَسْلاً ودفنا أبيض الوجه ، فى الثرى ملحود
حين وافى على الرءوس مُسَجًّى والبرايا من كل حَىٍّ وفود
صِحْتُ من فرط ما بدالى : مَهْ
لاً ، لك فى جنّة الخلود خلود

يا لها من رَزِيَّة طاش فيها كل لُبٍّ وتقشعرُّ الجلود
يا ابن تيميةٍ ، عليك سلامى كل وقت يمضى ، ووقت يعود
يا ابن عبد الحليم ، حلمُك يسمو يا ابن عبد السلام ، سِلمُك جود
يا إمام العلوم . من للفتاوى ؟ ولحل الأشكال حَبراً تفيد ؟
ولفهم الكتاب والنقل بَحرٌ فى معانيهما مصيب شديد
يا بشوشا لكل من رام نفعاً إنَّ من نال من جناك سعيد
كلُّ وقت مضى لديك سماعا ذاك عند التحقيق علم جديد
ليت شعرى ، أيَّامَنا باجتماع بك ، هل تبدو لنا ، أو تعود ؟
طِبْتَ تُرباً ، وقُدِّسَتْ منك روح ومُنِحْتَ النعيم مهما تريد

والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

وجدتُ بخط والدى يقول :

أنشد الشيخ الامام العالم ، مسند الشأم ، بهاء الدين القاسم بن محمود ابن عساكر . أبقاه الله تعالى ، لنفسه فى شيخ الاسلام تقىِّ الدين أحمد ابن تيمية هذين البيتين ، فى يوم الأربعاء سابع رجب عام عشرين وسبعمائة ، بمنزله بدمشق :

تقى الدين أضحى بحر علم يجيب السائلين بلا قنوط
أحاط بكل علم فيه نفع فقُلْ ما شئت فى البحر المحيط

* * *

وأيضا وجدت بخطه فى ابن تيمية يقول :

أنشدنا الشيخ صلاح الدين القوّاس من لفظه ونظمه ، فى شوال سنة ست وسبعمائة ببعلبك ، بمسجد الحنابلة :

قالوا : ابن تيميةَّ فى السجن ، قلت : لهم
لا يعجزنكم الأفكار بالقلق
مات الموفّق والقاضى الامام أبو
يَعْلَى ، ومات أبو الخطَّاب ، والِخرَقى
ولابن حنبلٍ الصديق نورُ هُدًى
حتى القيامة مثل البدر فى الغَسَق
وفضله بين أهل الفضل مشتهر وإصبعاه من الزنديق فى الحدق

تم والحمد لله وحده .

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

وجدت بخط الشيخ سعيد الذهلى يقول :

أنشدنا الشيخ الامام العالم الفاضل الكامل ، أوحد دهره ، وفريد عصره ، إمام المحققين ، وقدوة أئمة المحدثين ، تقى الدين أبو الثناء محمود بن على بن محمود بن مقبل بن سليمان بن داود الدقوقى المحدث سامحه الله تعالى لنفسه .

يرثى الشيخ الامام العلامة والبحر الفهامة ، حجة الاسلام ، وقدوة الأنام ، تقى الملة والحق والدين ، أحمد بن الشيخ الامام شهاب الدين عبد الحليم ، بن الشيخ الامام العلامة مجد الدين عبد السلام بن تيمية الحرّانى . قدس الله روحه . ونوّر ضريحه . فى سنة ثمان وعشرين وسبعمائة . ولم ير الشيخَ رحمه الله :

قِفْ بالربوع الهامدات وعَدِّدِ وأذْرِ الدموع الجامدات وبَدِّدِ

واحبس مطيَّك فى المنازل ساعة

واسْأل ، ولا تكُ فى سؤالك مُعْتَدِ

واقطع علائقك التى هى فتنة وَاتْبعْ سبيل أُولى الهداية تهتد

ودِّعْ صِباك . وَدَعْ أباطيل المُنَى واهجُرْ دُنَيَّات الأمور وسَدِّد

واقنع من الدنيا القليل ، ولازم الفعل الجميل ، وسرْ بسير مُجَرِّدِ

وتوخَّ فعل الخير ، واصْحَب أهله متحبباً متجنبا أهل الدَّدِ (١)

لاتعتِبَنَّ مفارقا يبكى على أحبابه ، وارحمه إن لم تُسْعَدِ

---

(١) الدد : اللهو واللعب

ودَعِ المروَّع بالبعاد . وعَذْلَه فالعذل أمضى من فعال مُهَنَّد

ماذا الوقوف عن السُّرى ، وصحابُنا
ساروا ، وصاروا بالعَراء القَدْخد ؟

لا اُخضرَّ بعدهم العقيق ، ولا شَدَتْ وُرْقُ الحمائم فوق برقَد تَهْمَد

أما أنا ، فلأَبْكِينَّ ، فان وَنى
دمعى ، سفكتُ حشاشة القلب الصدى

أين المعين على الخطوب إذا عرت ؟ أين المساعد عند فقد المسعد ؟

أوَمادرى مَنْ كُنت تعرف قدمضى
لسبيله فى ضنك لَحْدٍ مُوْصَد ؟

أين المحامى عن شريعة أحمد ؟ أين المحقق نهجَ مذهب أحمد ؟

مات الامام العالم الحبر الذى بُهداه عالِمُ كل قومٍ يهتدى

مَنْ لليهود ، وللنصارى بعده يرميهمُ بمقاله المتسدد ؟

سل عنه دَيَّان اليهود ، أما غدا مُتلفعا بصغاره المتهود ؟

نشأت على فعل التّقَى أطوارُه
فعنَتْ له التقوى ، وأعطت عن يَد

ورِثَ الزَّهادة كابراً عن كابر والعلمَ إرثا سيداً عن سيد

قف ، إن مررت بقاسيون على ثرى فيه ضريح العالم المتفرد

واعجب لقبر ضَمَّ بَحْراً زاخراً بالفضل يقذف بالعلا والسؤدد

بَشَرٌ يُبَشِّر بالغنى من جاءه ... يَسر يَسُرَّ فؤاد عان مزهد
كانت بهأرض الشآم أمينة ... من مُبْطل مُتَهَوِّل متلدد
لو تستطيع بنات نَعش أن ترى ... يوماً يسير بنعش ميت ملحد
كانت تسير بنعشه وتحطه ... فوق السِّماك وفوق فرْق الفرقد
مات الذى جمع العلوم إلى التقى ... والفضل والورع الصحيح الجيد
شيخ الأنام نقى دين محمد ... وجمال مذهب ذى الفضائل أحمد
ودّعت قلبى يوم جاء نعيُّه ... فتقاعدى ، ياعَيْنُ بى ، أو أنجدى
سقت العِهادُ عِراصَ قبر حلَّه ... جسدٌ حوى خُلُقا وحسن تودد
يامُبلغ العُذّال فَرْطَ صبابتى ... وتعلقى يوم النوَى وتسهُّدى
مابعد رُزْئك فى الزمان رزية ... تُصْمِى المقاتل بالفراق ولا تَدِى (١)
بَدَّدْتَ شمل الملحدين جميعهم ... وجمعتَ شمل ذوى التقى المتبدد
يامن ترى أقواله مُبيضَّةً ... فى كل ذى قول ووجه أسود
يا كالىء الإسلام من أعدائه ... وسمام (٢) كل أخى نفاق ملحد
ياواحد الدنيا الذى بعلومه ... يمتاز فى الاسلام كل موحد
ياحامل الأعباء عن مستنصر ... يا كاشف الغماء عن مستنجد
ياطارد الشبهات عن متردد ... يادافع الفاقات عن مسترفد

---

(١) وداه - كدحاه - أعطى ديته

(٢) سمام : جمع سم . ويجمع أيضا على سموم

قَرَّت عيون مُجاوريك ، وقد غنوا
بجوار قبرك عن وثير المرقد
فكأنما تلك اللحود حدائق
تزهو بنرجس زهرها الغضّ النّدى (١)

ياخاتم العلماء صحّ بموتك الـ خبر الذى يرويه كل مُجَوِّد
اليوم قَبْضُ العلم ، قولاً واحدا من غير مامنعٍ ، وغير تردد
لو لم يكن خَتم الأئمة أحمدٌ بَشَّرتُ أهل الخافقين بأحمد
خَوْضُ الكرائه لم يَزل من دأبه
فبهِ الفوارس فى المضايق تهتدى
شيخٌ إذا أبصرته فى مَحْفِلِ تَقْذَى برؤيته عيون الحُسَّد
ذو المنقبات الغُرِّ والشِّيَمِ التى يَفْنَى الزمان وذكره لم ينفد
يامَن يروم له عَديلاً فى الورى قد رُمْتَ كالعنقاء مالم يوجد
كَم بين رِئْبال الفلاة وثعلبٍ
كم بين شعواء البُزاةِ وجُدْجُدِ ؟ (٢)

---

(١) الأبيات الأربعة ، من « ياحامل » مضروب عليها فى الأصل بخط رفيع لم يمح الكتابة . ولعل ناسخها الشيخ يوسف حسين ضرب عليها لما فيها من الغداء

(٢) الرئبال ـ كقرطاس ـ الأسد . والشعراء : المنتفشة الشعر . والجدجد ـ كهدهد ـ طويئر شبه الجراد

ريح المَطِيّ ، ولا تكن كمحاول
صَيد النُّجوم من المياه الرُّكَّد
قد كان شمسا للصِّحاب منيرة بضيائها ، فى كل قُطرٍ ، نهتدى
واليوم أدركها الكسوف ، فأظلمت
طرق الهدى للسالك المتردد
لَهفى على تلك الشمائل والنَّدَى والجود ، والهَدْيِ القويم الأرشد
هجم الحِمام ، فلا مَفرَّ لهارب والموت فى الدنيا لنا بالمَرْصَد
مات الصديق ، ومات من عاديته وتموت أنت كمثله ، وكأنْ قَدِ
وإذا مضى أقران عمرك فانتظر فى يومك الناعِى ، وإلا فى غَدِ
لكن لنا عن كل خِلٍّ سَلوة بمصاب سيدنا النبى محمد
صلى عليه الله ماهجر الكَرَى جَفْن التقىّ القانت المتهجد

تمت والحمد لله . وعدَّتها ستة وخمسون بيتا

بسم الله الرحمن الرحيم

وأيضا للدُّقوقى ، رحمه الله تعالى

ما كُفَّ هذا الرُّزء جَفْنٌ تَسْجم أبدا ، ولا قلبٌ يذوب ويألم
رُزءٌ أصَمَّ جميع أسماع الورى سبق الحدوثَ به القضاء المبرم
رُزء يَجلُّ عن البكاء ، لأنه لارُزء منه فى البرية أعظم

يتضاءل اللَّسِن الفصيح لذكره ويجِلُّ قدراً فى النفوس ويعظم

رزء له هَوَتِ النجوم ، وكُوِّرت
شمس الضحى ، والصبح ليل مُعْتِم

من عُظْمِ موقعه ، وفادح خَطبه
لم يَدْرِ قُسٌّ ما البيانُ ، وأكثم (١)

لكنما تجرى الأمور بكل ما يقضى به رب السماء ويحكم

والأمر أعظم أن يقوم ببعضه
دمع يصوب ولم يخالطه دم (٢)

ذا الخطبُ أعظم أن يداوَى بالأسَى
هذا المصاب أجلّ مما تعلم

كلٌّ يدافع حَتفه عن أنفِه حتى يفاجئه الحِمام المؤلم

أعْيَى الأنام ، فما لهُ من ملجأ يُؤويهم عند الخطوب ، ويعصم

والموت وِردٌ للجميع ، وكلّهم فى ماء ذاك الوِرْد حتما يقدم

من أخطأته يد الحوادث فى الصبا لابد تدركه (٣) إذا هو يهرم

---

(١) قس بن سحبان ، وأكثم بن صيفى ، خطيبا العرب

(٢) وفى نسخة : بحقه * صب حشاشته تذوب وتكلم *

(٤) بهامش الأصل : وفى نسخة منقولة عنه «لابد أن تدركه اذ هو يهرم»

سيّان فى حكم القضاء (١) مؤجَّل فى نفسه ، ومعجل يتقدم
أُخَيَّ ، لا تُبْعد ، فليس بخالد أحد ، ولا حىٌّ عليها يسلم
لاتَعْـذل البا كى على أحبابه واعْذُره ، وارحمه ، لعلَّك تُرحم
للخطب يُدَّخر الصديق ، ولاأرى فى الناس يوم البَين خلاًّ يرحم
لاتحسبوا وُرْقَ الحَمَام سواجعا
يوم الرحيل ، ولا المطايا تَدْرَم (٢)
هذى تحِنُّ فتشْتـكى ألَمَ (٣) السُّرى
والوُرْقُ تذكر إلْفَها ، فترَنَّم
ماحاربت أيدى الرَّدَى فى مَأزِقٍ
إلا غـــدت أقرانه تَتَخَـرَّم
من ذا يُطيق مع الفِراق تجَلّداً ؟
قُلْ لى ، وقد (مات الامام الأعظم)
أودَى فريد الدهر أوحدَ عصره ومضى التقِيّ العارف المتوَسِّم (٤)

---

(١) فى نسخة بهامش الاصل « الفناء »
(٢) درم - كفرح - استوى
(٣) فى نسخة بهامش الأصل : « طول »
(٤) من قوله تعالى فى سورة الحجر (إن فى ذلك لآيات للمتوسمين)

شيخ يَسُود بجِده وبجَده (١)   وسواه فى هذين صِفرٌ مُعدِم

شيخ كأنَّ الله أودع سِرَّه   فيه ، فما تلقاه إلا يعلم

اليوم أكشف عن غوامض سره   اليوم منه يُفسِّر المستعجم

قد كان يؤثِرُ من أتاه بقوته   ويَظلّ طول نهاره لايطعم

ويجود بالموجود منه ، ويرشد الـ   جَنِف (٣) العصىَّ بهَدْيه ، ويقوِّم

ظهرت له شِيَم التقى ، فكأنه   بطهَارة الأثواب نُسْكا : مُحرِم

وإذا تقاعست الرجال ، فانه   يوم النزّاع : العالمُ المتقدم

مَنْ ذا يُرى للمشكلات يَحلها   والواقعات ، ومن به يُسْتعصَم ؟

وعلى النصارى الملحدين ، إذا أتوا   من ذا يَرُدّ ، ومَنْ يُجيب ويفْهم ؟

يشتاقه الإرسال فى إسناده   والنسخ والمنسوخ ، ثم المُحْكَم

وبَكَتْه عَنعنة الحديث وطُرْقه   وبيان ما يحوى عليه المعجم

هذا الذى للدين منه مُعلِّلٌ   ومنوِّع ، ومجنس ، ومعلِّم

هذا الامام الحجة الحَبْر ، الذى   تُنفَى به شُبَه الشكوك وتُحسَم

---

(١) الجد - بكسر الجيم - السعى و عمل الانسان و نشاطه . و بفتحها أب الأب . فهو حسيب نسيب اكتسب السيادة بنفسه و فضله و علمه ، و بآبائه الأفاضل العلماء الجهابذة .

(٢) الجنف : المائل عن الحق

فضلٌ وزهد لا يُحَدُّ (١) وعِفَّةٌ   وديانه ووزانة وتحلم

لك يا ابن مَجْدِ الدين طَوْدٌ باذخٌ   في الفضل، ممنوع الجوانب أَبْهَمُ (٢)

أقسمتُ ما وُصِف امرؤ بصيانة   في نفسه، إلا وصونك أعظم

أبدى مُصلاَّك البكاءُ، وحَسْبه   يبكي عليك، وحَقّه يتندَّم

أسفاً على مافاته من وِرْدِه   والليلُ ساجٍ، والخلائق نُوَّم

حسدوه إذ وجدوه أعلم منهم   ورأوه أفضلهم، وإن كانوا عَموا

عَقَلوه إذ عقلوه، ليثَ كباشهم
والليثُ يعقل من سِطاه ويُلْجَمُ (٣)

تبكي عليه جوامع، ومجامع   ومناقبٌ، ومراتب تتهدم

وزكتْ خلائقه الشِّراف، وكُرِّمت
منه المعارش، وهو منها أكرم

جُمعت له أشتات كلِّ فضيلة   تَرْوِي مدائح شاردات حُوَّمُ

ملأت فضائله البلاد، ففضله   كالشمس، نور ضيائها لا يُكتم

ولقد دَعوتُ الشعر يوم نَعِيِّه   فأبي عليَّ، فلم أُطِقْ أتكلم

---

(١) بهامش الأصل لعله «يحد» (٢) الأبهم: الجبل الصعب

(٣) عقلوه: أي حبسوه. وسطاه: وسطه.

أنَّى يجيب ؟ ومن لوازم حقّه   أن لا يُجيبَ ، وفكرُه متقسِّم
وأخذتُ أكتب ما أقول ، وأدمعى
بين السُّطور كعقدِ دُرٍّ يُنظم
نَفِدَ المدادُ ، فساعدته مَدامعى   فعَصَى علىَّ ، فساعد الدمعَ الدم
حالَ المدادُ عن السواد ، كأنه   دمع المحاجم صُبَّ فيه العَنْدم
جادت ضريحا بالشَّآم غمامة
تسقى ثَراه على المدى وتُدوِّم (١)
وسَقَى قبوراً جاورته من الرِّضا
تحت التراب سحاب عفو (٢) مُثْجَم
طُوبَى لمن أمسى مجاور تُرْبه   من أجلها الجار المجاور يُكرْم
أَمسى وتحت الأرض عُرْسٌ إذنوى   فيها ، وفوق الأرض فينا مأتم
هذا وأملاك السماء تَحُفُّه   فى كل يوم لا تَمَلُّ وتسأم
يا أرض صرتِ به كرَوْضة جنة   لنزيلها فى كل يوم مَوْسِم
لسواه تشقيق الجيوب ، وإنما   شقّ الجيوب عليه مما يلزم
سعِدَت به أرض أقام برِمْسِها   ميْتاً ، وهذا الميت حىٌّ مُكرم

---

(١) دومت ، وديمت : دام مطرها
(٢) نسخة بهامش الأصل «جود»

نقلت إلى جنات عَدْنٍ روحه　　والحُورُ والولدان فيها تخدِم
جُثمانه تحت العرَاء ، وروحه　　فى مقعد الصدّق الرضا تتنعم
لو كان للقبر المحيط بجسمه　　يوما لسانٌ ناطق يتكلم :
لسمعت بُشراه بمَنْ وافى إلى　　عرَصاته من خير ضَيْف يقدُم
هو فى جوار الله أشرف منزل　　واللهُ أرأف بالعباد وأرحم
تبكى له السبع الطّوافُ وسَعْيه　　والحِجْرُ ، والبيت العتيق ، وزمزم
وتعطَّل المحراب من مُتهجد　　بالذكر فى أسحاره يترَنَّم
والخلق إن نُسبوا إليه كواحد　　فى أمّةٍ ، وهو الفريد الأعلم
أضحت سُطور الفضل يصعب فهمها　　كالخط أصعبه الغريب المبهم
فأبان مشكلها ، وأوضح رمزها　　فغدت بتنقيط الفضائل تُعْجَم
إن كان قد أمسى رهين مودَّإٍ　　زَلِخُ الجوانب جَدْرُه متهدم (١)
فلرُبَّ عان قد أعان وأكمهٍ　　هَدَّى ، فأرشده . ولا يتبرّم
وضريحه كالمسك ، يَنْشِقُ عَرْفَهُ　　من كان من حَنقٍ عليه يُسَلم
إن كان هذا الرُّزء يعظم ذكره　　شرفاً ، ويُنْجد فى البلاد ويُتْهِم

---

(١) ودأ عليه الأرض تودئيا : سواها ، وزلخ الجوانب أملسها

فالصبر أكرم مَلْبَس يختاره حُرٌّ بصير ، بالعواقب مسلم

وعلى النبى من الإلـه صلاته ماسارت الأظعـان سوقا ترْزِم

قال الشيخ أبو بكر بن أحمد الدُّريبى رحمه الله :

كان على النسخة التى نقلت منها نسختى هذه ما صورته :

نقلتها من خط مؤلفها الشيخ الإمام العلامة ، أوحد عصره ، وفريد دهره أبى الثناء محمود بن على بن محمود الدقوقى ، البغدادى . قدس الله روحه :

وقال أيضا : شاهدت على الأصل المنقول عنه ما صورته :

سمع علىّ الولدُ السعيد أبو الخير ، سعيد بن عبد الله الذّهلى الحريرى جميع هذه القصيدة الموسومة : بمرثاة الشيخ العالم الربانى نقى الدين أحمد بن تيمية الحرانى . بقراءة الشيخ الامام الأوحد الفاضل المحقق الكامل ، جمال الدين أبى أحمد يوسف بن محمد بن مسعود بن محمد السامُرّى . وذلك فى يوم الثلاثاء سادس عشر ربيع الأول سنة ثلاثين وسبعمائة

وكتب ناظمها محمود بن على بن محمود الدقوقى حامدا ومصليا —

توفى ناظم هذه المرثاة الشيخ تقى الدين الدقوقى يوم الإثنين

العشرين من المحرم سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة · ودفن يوم الثلاثاء بمقبرة الامام أحمد ، وحملت جنازته على الرءوس . رحمه الله .

وللدقوقى أيضا رحمه الله تعالى :

مضى عالم الدنيا الذى عزَّ فقده ... وأضرم ناراً فى الجوانح بعده

فدمعى طليق فوق خدّى مُسلسل ... أُكَفْكِفه حينا ، وجفنى يَرُدُّه

ويرجو التلاقى ، والفراق يَصُدُّه ... وما حيلة الرَّاجى إذا خاب قصده

مضى الطاهر الأثواب ، ذو العلم والحجى

ولم يتدنس قط بالاثم بُرْده

مضى الزاهد النَّدب ابن تيمية الذى

أقرَّ له بالعلم والفضل ضِدّه

بكَتْهُ بلاد الشأم طُرًّا وأهلُها ... وجامعها وانْماعَ للحزن صَلْده

يَحِنُّ إليه فى النهار صِيامه ... ويشتاقه فى ظلمة الليل وِرْده

ويبكى له نوع الكلام وجنسه ... ويَنْدِبُهُ فصل الخطاب وجَده

حَمَى نفسَه الدنيا ، وعفَّ تكرما ... ولمّا يُصَعِّر للدَّنيَّات خَدّه

ولم يجتمع زوجان من شهواتها ... لديه ، وبين الناس قد صحَّ زهده

ويؤثر عن فقر ، وفيه قَناعة ... ويعجبه من كل شىء أشَدُّه

عليم بمنسوخ الحديث وحكمه ... وناسخه ، فخر الزمان ومَجده

قؤول ، فعول ، طيب الجِسْم ، طاهر
إمام ، له من كل علم أسَدُّه

فما قال فى دنياه هُجْرا ولا هوى ولا زاغ عن حق تبيَّن رشده
علوم كنَشر المِسْك من كل سيرة يُشيِّد دين المصطفى ويُجِده

فلله ما ضَمَّ التراب ، وما حوى
من الفضل ، فليفْخَرْ على الأرض لحده

فيا نعْشَه، ما ذا حملت من امرىء جميع الورى فيه ، وفوقك فرده ؟
وكان لنا بحرا من العلم زاخرا فما باله لم يصف مُذْ غاب وِرْده ؟

وما مات من تبقى التصانيف بعده
مخلَّدَةً ، والعلم والفضل وُلْده

وخلف آثارا حِسانا حميدة إِذا عُدِّدت زادت على ما نعده
ولست مطيقا شرح ذاك مُفصَّلا ولكن على الاجمال يعكس طرده
لقد فارقِ الأصحاب منه مصاحبا يُراعِى وِداد الخِلّ إِن خان أوده
قضى نَحبَه والله راضٍ بفعله ولله فيما قد قضى فيه حمده
يدل تراب القبر من جاء زائرا إليه بطيب فيه يَعبِق ندّه
ولا تحسبوا ما فاح عِطر حَنوطه ولكنه حُسن الثناء ومَجْده
وكان لأهل العلم تاجا مُكلَّلا يحوطهمُ من مُبْطِل خيفَ حقده

وما كان إلا التبرَ عند امتحانه يبين لعين الحاذق النقدِ نقده
وكان يقول الحق ، والحق حلوُه مَرير ، لهذا كان يُنكرَه رَدّه
وفى الحق لم تأخذه لَوْمة لائم ولاخاف من غُمْرٍ نشد د حَرْده (١)
وما كان الا السيف غارت يد العلا
عليه ، فردته كما غار غمده
ولم تلهه الدنيا وزخرفها الذى يروق لمن لم يؤنس الدهر رشده
لقد فقدت منه المحاسن زينها ولمّا يفارق علمه الجم وجده
وخضبت الأقلام بعد مدادها
عليه دما ، قد فاض فى الطِّرس مَدّه
فللدّهر ماضمّ الثرى من محقق ويالك من عضبٍ تثَلّم حَدّه
وكان إماما يُستضاء بنوره
وبحراً من الافضال قد غِيض عِدّه (٢)
وكنتُ أرَجّى أن أراه ، ونلتقى لكن قضاء الله ، مَنْ ذا يرده ؟
ترى الموت مألوف الطباع ، وربما يُعَلِّل بالمألوف من لا يَوَدّه
فآهٍ على تفريق شملٍ مُجَمَّع وحَرِّ فؤاد بان ، مُذْ بان بَرده

---

(١) الغمر — مثلث الغين — من لم يجرب الامور : والحرد : شدة الغضب والغيظ

(٢) العد — بكسر العين — الماء الجارى الذى له مدد لاينقطع

إلا أنها نفس ، وللنفس حرة — وقلب وقد يَشْجَى و يُضنيه وجده
ولست بناس عهد خلٍ تغيبت — محاسنه ، والخِلُّ يُحفَظ عهده
وما عُذْر دمع لا يَجيشُ بدمعه — غداة نأى عنه الصديق ورفده
يروم الأماني ، والمنايا تصدُّه — وما حيلة الراجي إذا حار قصده
عليك ، أبا العباس فاضت مدامعي — وقلبي لبُعْدى عنك أُجِجَ وَقْدُه
على مثلك الآن المراثي مباحة — و إن غاض دمعي ، فالدماء تمدُّه
شَددتَ عُرَى الإسلام شَدَّة عارف — قويٌّ على الأعداء لم يألُ جهده
تركت لهم دنياهم ترك عالم — علا قَدْرُه عند الإله ومجده
وكنتَ لجموع الطوائف مُقتدًى — وسَنَدًا لهذا الدين أبرم عقده
وكنتَ ربيعا للمريد وعِصْمةً
ثمُذْ صِرْتَ تحت الأرض صَوَّح وَرْده (١)

جمعت علوم الأولين مع التقى — إلى الورع الشافي الذي شاع حمده
وكنتَ تقيَّ الدين معنًى وصورة — قوْولا ، وخير القول عندك جِدُّه
رحلتَ وخلَّفت القلوب جريحة — تذوب وجيش الصبر قد قلَّ جنده
عليك سلام الله حيا وميتًا — مدى ما بدى نجمٌ وأشرق سَعْده

تمت وهي اثنان وخمسون بيتا .

***

---

(١) صوح : أذبل وجف

تقى الدين لما مِتَّ أضحت   لك الدنيا تُصَيِّح بانتحاب
وكنتَ البحر ، فوق الأرض تمشى
فعاد البحر من تحت التراب

***

للامام المحدث الفقيه الفاضل تقى الدين أبى عبد الله محمد بن سليمان بن عبد الله بن سالم الجَعْبَرى مرثاة فى شيخ الاسلام تقى الدين أبى العباس أحمد بن تيمية رحمة الله عليه :

جَلَّ رُزْئى وقَلَّ منى اصطبارى   ياقومى من قاصِم الأعمار
مَنْ معينى على نوائب دهرى   ومُلماته ، ومَنْ أنصارى ؟
قد سقتنى الأيام جرْعة صبْر   عَزَّ صبرى لها ، وبان اصطبارى
فدموعى مثل الغمام انسجاما
ونُواحى فى الليل مثل القَمارى (١)
ياعدولى ، اقْصِرْ ، فانك خِلوٌ
من شجونى ، فلا احْترقت بنارى
طاب كأس المنون صِرفاً ، أدِرْها   لا كؤوسا ممزوجة من عقَار
لست أبغى الحياة بعدُ ، ولكن   بُغيتى أن أموت فى الأبرار

---

(١) القمرى — بضم القاف نوع من الحمام ، والجمع القمارى بفتح القاف

بعد سبع من المئين وعشريـ ـن خريفا من هجرة المختار

مع ثمان للعقد عشرونْ إذ ذا ك يوم الاثنين بعد نصف النهار

مدفن الحبرْ محرز العـلم حقاً تَرجمان الـكتاب والآثار

أحمدٌ ، أحمدُ المناقب والوصـ ـف ابن تيميَّة الـكريم النَّجار

التقى النقىّ ذى المجـد والسـ ـود والمـكرمات ، والايثار

إن يكن جسمه تغيَّب فى التّر ب فمعناه نَشْرُه كالعِرار (١)

كان قطبا ، وعالما ، وإماما وشيخا لوحـده بالفَخار

جابراً لليتيم ، بَرّاً ، رحيما علمـه مشرق على الأمصار

لم أجـد بعده على الدهر (٢) معينا سوى عيون جوارى

فنهارى من فقده مثل ليـلى بعـد ليل ، بوصله كالنهار

يا ابن تيمية ، ويا أوحـد العصـ ـر ، ويا سيـدا غريب الدار

كنت كالـكهف ملجأ لمخيف من ضلال ، وناصراً باقتـدار

إن دعوت البكاء بعدك والصبـ ـر أجاب البكا ، وولّى اصطبارى

فرجائى إن ينقطع من وصال سوف يبقى حزنى مدى الأعمار

---

(١) نشره : طيب ريحه ، والعرار : نبت طيب الريح

(٢) كانت بالاصل: « لم أجد بعده معينا على الدهر »

كنتَ حِبًّا للمتقين إماما   فَالْقَ ماقد وُعدت من سَتار

غافر الذنب قابل ، التوب ، ذى الطو
ل ، العزيز المهيمن الغفار

وعلى نفسك الزكية منى   يامنائى ومنتهى أو طارى

كل وقت تحية ، وسلام   ما أضاءت كواكب الأسحار

تمت والحمد لله وحده .

* * *

للشيخ قاسم بن عبد الرحمن بن نصر المقرىء فى الشيخ تقى الدين ابن تيمية يرثيه :

عظم المصاب وزادت الأفكار   وجرت بحكم فراقك الأقدار

ياأوحداً فى حلمه وعلومه   خَلَت البقاع ، وقلَّت النصار

أَعَلَى تَقِّى الدين يحسن صَبْرُنا ؟   ولمثله تَتَهَتك الأسْتار

تجرى لعظم فِراقنا عَبَرَاتنا   أسفاً عليه ، كأنها أخطار

لَهْفى على بحر العلوم وغَوْصِه   يحوى الجواهر باهرٌ زخار

ينثال منه إلى القلوب جواهر   والدرّ من فيـه السَّنِيِّ نِثار

وله بتفسير الكتاب غرائب   جُليَتْ له . وكذلك الأخبار

حَبْر ، لبيب ، أوحد فى عصرنا   سَلْ ماتشا ، له به أخبار

غلب الملوك مهابةً وشجاعة ... ليثٌ يهابُ لقاءَه الكفار
ماكان إلا شامة فى شامنا ... وعليه من تقوى الاله شِعار
وله من الله الكريم عناية ... وله من الصبر الجميل دِثار
ماكان إلا دُرَّة مكنونة ... لايعتريه تدنس وغبار
لايأوين إلى الحطام تعففاً ... وعليه من تقوى الاله وقار
ماكان إلا حبر أمة أحمد ... شخصت لعظم مُصَابه الأبصار
ومجاهد فى الله حق جهاده ... بحر النَّدى ونواله مدرار
وله الزَّهادة والعبادة منهج ... وبسنة الهادى له استبصار
حاز العلوم : أصولها وفروعها ... وبكل مايروى له آثار
يلوى عن الدنيا ، ومايُعْنَى بها ... وزواه عنها الواحد القهار
لما اقتناه (١) هداه منهاج الهدى ... وعطاء ربك وافر مكثار
نزل القضاء به فآنس رحمةً ... من ربه لا تدفع الأقدار
بكت السماء عليه يوم فراقه ... أسفا . وجاء الغَيْث والأمطار
وبكى الشَّآم ، ومُدْنه ، وبقاعه ... لما قضى . وكذلك الأمصار
أوَما نظرتَ إليه فوق سريره ... حفَّت به من ربه الأنوار ؟
والناس من باك عليه بِحُرْقة ... ودموعهم فوق الخدود غِزار

---

(١) أى اختصه الله بنصرة دينه وإقامة شريعته

وهُم ألوف ، ليس يحصِى جمعهم　　إلا إلٰه　　غافر　ستّار
نزلوا به ، كالبدر فى إشراقه　　فتبـاشرت بقـدومه الأقطار
عبد الحليم ، وجده ، سعدوا به　　وأخوه عبـد الله والأرار
ولمثل هذا سارعوا أهل التقى　　فازوا　بما　فازت به الأخيار
الله　يكرمه　بأفضل　رحمة　　فى　جنة　من تحتها الأنهار
أكوابها　موضوعة　،　وقبابها　　مرفوعة　حفت　بها　الأنور
وكئوسها قد أدهقت ، وقصورها　　قد أشرقت من فوقها الأستار
وصحافها　من　فضة　،　ولباسهم　　من سندسن ، وطعامهم أَطيار
والحور فى تلك الخيام ببهجة　　لـكنهن على المدى أبـكار
عُرْبا لأصحاب اليمين ، فليتنا　　منهم إذا صرنا إلى ماصاروا
وعلى الأرائك ينظرون نعيمهم　　وعليهم كأس الرّحيق تُدار
ووجوههم مثل الصّباح إذ بدا　　للناظرين　،　كأنهم　أقمار
ويُمتّعون　بنظرة　قُدْسية　　من　ربهم　،　سبحانه الجبار
فى عمر عيسى ، والجمال كيُوسف　　وبطول　آدم　،　كلهم　أبرار
ثم　الصلاة　على النبى　محمد　　فهو الرسول المصطفى المختار
هادى الورى　وإمامهم وشفيعهم　　أنصاره　الأملاك　والأنصار
صلى عليه الله　ما اهتز الثرى　　فرحا ، إذا ما جادت الامطار

تمت . وهى أحد وأربعون بيتا .

من قصائد الشيخ مُجير الدين أحمد بن الحسن بن محمد الخياط الجوخى الدمشقى ، مرثية فى الشيخ رحمه الله تعالى :

خشعت لهيبة نعشك الأبصار لما عليه تبدّت الأنوار
وبه الملائكة الكرام تطوّفت زُمَرا ، وحَفَّت حوله الأبرار
فكساه رب العرش نورا ساطعا فكأنما غَشِىَ النهار نهار
ولأمَّة الاسلام حول سريره سام إلى رب السماء جُؤار
ولهم دموع من خشوع نفوسهم ودموعها فوق الخدود غزار
وسَرَوا به فوق الإران (١) ، وتحته منهم يمين أنامل ويسار
ولرحمة الرحمن ظلٌّ سَجْسَج يغشاهم ، وسكينة ووقار
فلَكَم عيون من تموّج ماءها حزنا تأجج فى الجوانح نار
كان الممات زفاف عرس حياته وبه النفوس مع الدموع تثار
إن كان من أهل وجيران نأى فله دنا من ذى الجلال جوار
أو كان عن دار الفناء رحيله فلديه فى دار البقاء ديار
أو كان أزعج عن ذرى أوطانه فله بخلد فى الجنان قرار
ما كان إلا مُزْن علم رُوِّضت منه بصَيِّب قطره الأقطار

---

(١) الاران — ككتاب — سرير الموت ، أو تابوته .

كالغيث أقلع بعد سحٍّ غيمه ... وتخلفت من بعده الآثار
ما كان إلا طود علم باذخ ... من دون وزن حصاته القنطار
ما كان إلا بحر جود ، كَفّه ... تياره بنواله زَخّار
ما كان إلا ديمة معروضها (١) ... بهباته لِعفاته مدرار
ما كان الا البدر عند كماله ... وافاه من نقص التَّمام سِرار
ما كان إلا خير أمة أحمد ... فى العصر ، لم تسمح به الأعصار
حبر ، وبحر للمكارم ، والتقى ... والجود ، والاحسان فيه بحار
وَلَكَمْ لأحمد فى المحامد رتبة ... من طولها تتقاصر الافكار
وله مناقب ماالحصر صفاتها ... عد ، ولا حد ، ولا مقدار
وله الشعور بكل علم نافع ... عقلا ، ونقلا ، فى الأنام : شعار
وله التزهد ، والتعبد ، والتقى ... ما بين أرباب الدثور : دثار
وله ، إذا فخر الفخور بزينة الـ ... دنيا بتشعيب الحياة ، فخار
ولأشرف الاشياء علمٌ نافع ... لادرهم يغنى ، ولا دينار
إن أظلمت سبل النهى لسكونه ... فلذكره فى الخافقين منار
ولقد علا الاسلام جلَّ مصابه ... لكنها لا تُدفع الأقدار
لو كان فى الدنيا يدوم مخلدا ... بشر ، لخلد أحمد المختار

---

(١) لعله «معروفها» اه من هامش الأصل

ولـكل حى خلع ثوب حياته   علما بأنْ ثوب الحياة معار
فيم النجاة ؟ وكل حى ميت   إلا الالٓه الواحد القهار
ولقد أسفت على فراقى أحمدا   إذ ليس لى قُضيت به الأوطار
لو كان يُفدى هان عند فدائه الـ   أموال ، والأولاد ، والأعمار
قد كان مغناطيس أفئدة الورى   أنسا . ولـكن فى القليل نفار
ما كنت أحسب أن يوم وفاته   يبدو المصون وتهتك الأستار
بكر النساء من الستور ثواكلاً   ومن الخدور النُّهَّد الأبكار
والناس أمثال الجراد ، لهم على الـ   تابوت منه تهافت ودوار
فـكأنه يعسوب نحل نحوه   حيـا وميتا للنفوس مطار
ملأت محاسنه البلاد ، ونوهت   بحديث معجز فضله الأمصار
وجرى بأفواه الأنام ثناؤه   فَلأَرْضُ روضة ذكره معطار
يفنى الزمان وينقضى وبأحمـد   وحديثه تتحـدث السُّمَّار
فأحَـلَّه الرحمٰن دار أمانه   ليزول من خوف عليه حذار
وحباه ظلا صافيا فى جنة   فَيحاء ، تجرى تحتها الأنهار

تمت وهى ثلاثة وأربعون بيتا

***

وله أيضا يرثى شيخ الإسلام رضى الله عنه :

لمصاب البر التقى الإمام كل دمع من الورى فى انسجام
والبوا كى لهم عليه نواح كفقيدات صادحات الحمام
مات يوم الاثنين ، والسرّ فيه غير خاف على ذوى الأفهام
موتة عظَّم المهيمن فيها قدره فى عموم جمع الأنام
حفَّه الناس أجمعون : رجالا ونساء ، سعيا على الأقدام
ومشوا تحت نعشه ، وهو من فو ق رؤس الأعيان والحكام
يسبلون الدموع من خشية الله ، وحزنا كمسبلات الغمام
وضجيج العباد سرا وجهرا كدوىّ فى سامق الجوّ سام
يالهُ مكفهر يوم عبوس عاث فى عارب السهى والسنام
كم به عائن الهلاك قوى ذو نشاط افرط كظّ الزحام
يالها رزيّة ، كان فيها يوم بؤس فى طوله فوق عام
جلّ فيه المصاب ، حتى تعدّ ى تعبيرُه على الأوهام
كان شيخ الاسلام فى العلم والزهـد وحلّ مشكلات الكلام
فقد الناسُ منه بحراً عليما هديه كالأئمة الأعلام
منه حب الكتاب والسنة المثـلى ، جرى فى عروقه والعظام
بلغ الأوج من سماء المعالى وتسامى علما على كل سامى
وطوى ذكره البلاد انتشارا فهو حتى المعاد فى الناس نامى

كان جبر الكسير إن هاضه الدهـ ـر ، وعون العانى ، وحطم الحطام
كان حب الدنيا إليه بغيضا فوق بغض الصحيح ثوب السقام
كان لا يرهب الملوك ولا ير غب فيما لهم من الأنعام
كان وترا فى الفضل فذًّا ، وكل الـ ـناس جاءوا بشفعهم والتُّؤام
كان سمحا ، بمثله الدهر ضنًّا فى ليالى الزمان والأيام
كان سطراً فى جبهة الدهر يُقرا فى البرايا ، وشامة فى الشآم
كان نفعا لكل من خاف ضرا فى سبيلَىْ حلاله والحرام
لم يكن ذا تأنق فى متاع ولباس ، ومشرب ، وطعام
كان يخشى داء ، ويرجو دواء وشفاء لكل داء عُقام
كان فى الله ذا انتقام ولا يو جد يوما لنفسه ذا انتقام
كان بَرًّا يُهدَى به ذو ضلال كان بحراً ، يُروى به كل ظام
كان كالليث بالنوائب فتكا كان كالغيث بالمواهب هام
فى يديه وصدره كل بحر زاخر بالنوال والعلم طام
أىُّ نَدْب ، شهم ، شجاع ، جواد أروع ، ماجد سَرِىٍّ همام
قام لما تذَبْذَب النا س ، وتبدى لما نبا كل حام
كم له فى حنادس الخطب والخلا ق نيام حتى الضحى من قيام
وجميع الأنام من شدة الخو ف نيام من الردَّى فى منام

وبنو فارس قد افترسوا النا — س افتراس الاسود سرْع السوّام
ودمَشقُ الشآم بعد انبساط — من ضواحى رستاقها فى انضمام
إذ غزانا عِلْجُ العلوج قزان — وغزانا من فارس بالطّغام
فأعاد العزيز منا ذليلا — ذا صَغار ، ينقاد كالأنعام
فنضاه الجبار ، جلّ ثناه — فى وجوه العدى كحد الحسام
فحمانا بالله من كل طاغ — لا برمح ، وصارم ، وسهام
ياله — حين فرّ كل كمىٍّ — من حُماة الاسلام عنا — : محامى
ياابن تيمية ، عليك خصوصا — وعموما : تحيتى وسلامى
ياسليل العلا ، عليك القوافى — قد بكت فى الطروس بالأقلام
يافقيد المثال : علما ، وحلما — وقريب المرمى ، بعيد المرام
يابطىء الاحجام إن عزّ خطب — وسريع القيام والاقدام
يامُحلّى ، ، وكاسياً كل فضل — ومُعرّى من كل عار وذام
كُفّ طرفى إن لذّ من بعد مرآ — ك لأجفانه لذيذ المنا
وبوُدّى — بفقد شخصك — لوحا — م على أيكتى حَمام حِمامى
ولعمرى ، يامن له فى فؤادى — لَحدُ ذكر ، دوامه بدوامى
إن حَلَلْتَ الثرّى فروحك حلت — ياابن عبد السلام ، دار السلام
فسقى تربةً حواك ثراها — كل مُزْنٍ بوابل ورِهام

وإذا سَحّت السوارى بسحٍ   والغوادى ، جُدْناك بالدمع دامِ

تمت بحمد الله وعونه . وعدتها اثنان وخمسون بيتا ، والحمد لله رب العالمين . وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

***

للامام نجم الدين إسحٰق بن ألْمَى التركى ، يُجيب صَدْرَ الدين ابن الوكيل ، فى قصيدة هجابها شيخَ الاسلام أحمد بن تيمية ، وزعم أنه لما خرج من دمشق فى محنته الأولى مطرت السماء :

مَنْ مُبلغٌ عنى الخبيث مقالة   كالسيّف أُقْصِم ظهره بفِرَنْدِه

أزعمتَ إذ غاب الامام هَمَى الغما   م ؟ كذبتَ ، بل بكت السماء لفقده

أوَ ماترى شمس الضحى فى مأتم   والجو قد لبس الحداد لبعده ؟

فَلَيَدْخُلَنَّ لأرض مصر إمامُنا   بسكينة حُفَّتْ به من عنده

وليرجعن إلى دمشق مؤيدا   حقا ، كما عاد الحسام لغمده

وترى بعينك مايسوؤك من علاً   يَفْنَى الزمان ، ولا نفاد لمجده

أظللت من حمق به متشبها   أين الثعالب في الثرّى من أُسده ؟

مَخَضَتْكما أيدى الزمان ، فكنت كالز   بد الجفاء . وكان خالص زُبده

فاستر معايبك التى سارت بها الر   كبان فى غَوْر الوجود ونجده

فكفاك مَقْتاً أن تكون محاربا   لولى رب العالمين وعبده

تمت وهى عشرة أبيات.

***

تُبْ إلى الله ، أيها الانسان   فَلِمَنْ تاب روضة وجنان

ولمن تاب فى القيامة فوز   ونعيم ، وقاصرات حسان

تُبْ إلى الله من جميع المعاصى   فلمن تاب عنده غفران

***

للشيخ محيي الدين أحمد بن الحسن الخياط الجوخى الدمشقى ، يرثى شيخ الاسلام ابن تيمية رضى الله عنه أيضا :

بمصرعك الناعى أصم وأسمعا   وصُمُّ الصَّفا من صدمة الحزن صدعا

فكم مُقْلة جفت جمودا من الأسى   وكم مُهْجة سالت مع الدمع أدمعا

وكم ثاكل بالنوح والندب رجّعت   وكم فاضل بالنظم والنثر سجعا

ولم يبق ذو علم ، وزهد من الورى   لفقدك إلا كاسف البال موجعا

تنكرت الدنيا على كل عارف   رأى منك مأهول المنازل بلقعا

جعلتُ لمن أخلى مضيفا ومربعا   فؤادى وأجفانى مضيفا ومربعا

فيا أحمد المحمود ، قد كنت للهدى   مناراً ، وللشرع الحنيفى مشرعا

وللدين والدنيا ضياء وبهجة   اذا لاح وجه الخطب أسود أسفعا

رُمينا برزء منك، لم تستطع له يداى، شديد الأيدِ والكيد مدفعا

رحلتَ عن الأوطان رحلة نازح إليهن لم تُزمع مدَى الدهر مرْجعا

لقد كنتَ عن شرٍّ بطيئا ووانيا وفى طلب الخيرات عَجلان مسرعا

وللحكم طودا راسخا باذخ الذّرى وللجود والاحسان والعلم منبعا

وركنا لدين الله حين تهدمت قواعده منه وَهىً وَتَضعضُعا

وروضَ عُلاء ناضرا عاد مُمْعِرا وَصَوّح منه كل ما كان مُمْرِعا(١)

ومجمع شمل شَتّت الشمل فقده وأنواع أشتات النوائب جَمّعا

وحبراً حوى حَيْزومه وبنانه بحار النّدى والجود والعلم أجمعا

سرى ذكره فى الأرض شرقا ومغربا سُرى نَشْر عَرف المَنْدَلِ الرّطب ضَوّعا

وحازت مساعيه الكواكب عدة مع القطر إذ فاتت رمالا ويرمعا

فيا موته، ما كان فى القلب أوجعا ويا يومه، ما كان فى العين أفظعا

ويالك من خطب جليل وحادث عدمنا به الشهم الجواد السَّمَيْدَعا

ومن يوم بؤس عابس الوجه كالح سبانا هماما؛ يؤمن الروع أروعا

---

(١) أمعرت الأرض: لم يكن بها نبات، أو قل نباتها، وأصله: أمعرت ناصية الرأس، اذا انحسر شعرها. والممرع: الكثير النبت. اسم فاعل من قولهم: أمرعت الأرض، اذا كثر نبتها وطال. وفى اللفظين من الجناس والمقابلة مالا يخفى.

مطيعاً لرب العرش لم يعص أمره ... ومنه له فى العصر لم نر أطوعا
منيبا إليه ، قائما بحدوده ... إلى حين ولّى مذ نشا وترعرعا
هِزَبْراً ومقداما على العُرْفِ كله ... مليكا لمنع المنكرات ممنعا
شجاعَ جلال فى جدال بحوثه ... يعيد جبانا كلَّ من كان أشجعا
يصول بسيف العلم فى معرك النهى ... وأَرْماح شرع الجهل أقبلن شُرّعا
وفى عصره كم من إزالة بدعة ... ومنكر فعل قد أجاد وأَبدعا
وما كان إلا الشمس فى ليل باطل ... يرينا بنور منه للحق مَطلعا
فكم من ظلام الظلم زَحزَح غَيْهَبا ... بساطع نور العدل من حين شَعْشَعا
وكم من كرامات له ومناقبٍ ... يضيق بها وُسْعُ الزمان توسّعا
وكم من طريق فى المباحث مُبْهم ... بإيضاحه أضحى لسارية مَهْيَعا
وكم سامها النقصان والخفض حاسد ... وخصَّ كمالا زائدا وترفعا
تولّى عن الدنيا حميدا ، ولم يكن ... لزخرفها المذموم يُبْدى تطلعا
وعاش إلى أن مات ، لم يُعطِ نفسَه ... بتأميل ما فى دار دنياه مطمعا
إمام عليم ، خاشع ، متواضع ... لهيبته تُغْضى النواظر خشعا
سحاب علوم رَوّضَ الأرض فضله ... وألبسها بُرْدَ البيان الموسعا
ونَضّر منها بالفضائل أوجها ... وتوّجها تاج المعالى المرصّعا
وخلّفها من بعد صيّب صوبه ... عليها رياضا للعقول ، وأقلعا
كذا المزن ، أنَّى جادَ بالوابل الثرى ... وروّى صداها حقَّ أن يتقشعا

فلله مفقود فقدناه نافع لنا منه ـ غيرَ الله ـ لم نر أنفعا
شغفنا به فى الله حبا ، فلم يدع هواه لغير الله فى القلب موضعا
عليك ، أبا العباس ، أحمد لم يزل فؤادى بتذكار الفؤاد مروعا
إلى أن يرينى الله وجهك سافرا بنضرته يوم المعاد مبرقعا

تمت . وهى ثلاثة وأربعون بيتا .

* * *

مرثية للشيخ برهان الدين أبى إسحٰق ابراهيم بن الشيخ شهاب الدين احمد بن عبد الكريم التبريزى ، يرثى شيخ الاسلام . وهى ثالثة ثلاث مرات . عدة أبياتها ثمانون بيتا :

لفقد الفتى التيمى تجرى المدامع وتصدع بالنوح الحمام الصوادع
فتغرق جفنا ، قد تقرّح بالبكا وتُضرم نيرانا حوَتْها الأضالع
وبالماء يُطفى كل نارٍ ، ونارنا مؤجّجها بين الضلوع المدامع
وأما الحمام الصادحات فانها حمام حمام للقلوب صوادع
على ماجد جلّت مآثره التى لها فى قلوب العارفين مواقع
علوم ، وأخلاق كرام ، وسؤدد وجود ، ومَجْد باذخ ، وتواضع
وزهد ، وإيثار ، وتقوى ، وعفة وتلك سجايا حازها وهو يافع
هو الحبر ، أما المشكلات فحلها يسير لديه ، وهو فى الحل بارع

وأما عقود الدّين، فهى وثيقة ... لديه، وعنها بالرماح ينازع
إمام، بكته أرضه وسماؤه ... بكاء حزين، حزنه متتابع
وما لهما لا يبكيان لفقد من ... عن الله لم يقطعه فى السكون قاطع
وحُقَّ لمن كانت جوامعهم له ... جوامع، يبكوا فقده، والجوامع
ولو بكت الدنيا، وما كان حقها ... فواحدها قد كان، والشمل جامع
وقد أصبحت ثَكْلَى تعزّى بفقده ... ومن بعده هالت عليها الفجائع
ولولا ابتغاء الأجر كان اصطبارنا الـ ... جميل قبيحا، إنما الصبر نافع
ومنبره لولا غزارة وعظه ... عليه قديما، حرقته المدامع
ومازال فى حق ابن تيمية الفتى الـ ... امام تقى الدين أحمد ضائع
أما كان شمسا فى المطالع يجتلى ؟ ... فعادت عليه فاختبته المطالع
وشامة حد الشام قد كان علمه الشـ ... ـريف على الخد المكرم طابع (١)
ونجم هدى للسالكين إذا سروا ... وبدر منير فى الدياجى طالع
قد غاب غاب البدر عنه ولم يشم ... لشائمه برق على الشام لامع
ولا افتر ثغر الشام من فرط حزنه ... على من عليه مدمع العين هامع
وبدر الدجى إن غاب لم تشرق الدنا ... ولو أشرقت فيها النجوم الطوالع

---

(١) جعل النكرة «طابع» اسم كان، والمعرفة «علمه الشريف» خبرها مقدما، كما فعل حسان بن ثابت فى قوله.

كأن سبيئة من بيت رأس ... يكون مزاجها عسل وماء

ومن مودعات الله كان استرده ... ولابد يوما أن ترد الودائع
ولـكن به عاشت نفوس ومتعت ... قلوب وأبصار ، ولدت مسامع
أجاب لداعى ربه مسرعا ، كما ... أجابوه أهل الاحتباء وسارعوا
دعاه إليه ربه فأجابه ... ومن يدعه المولى إليه يسارع
وأصبح جاراً للذى عزّ جاره ... كما كان يمضى ليله وهو راكع
تبارك من حلاّه بالزهد والتقى ... ورصع ذاك الحلى منه التواضع
وملـكه قلباً منيراً ، وكيف لا ... وفيه من السر المصون ودائع
وتوّجه تاجا من الزهد والتقى ... لمعناه تيجان الملوك خواضع
ومالى إذا بالغت فى وصف سيد ... حوى كل فضل فى الأنام منازع
وما أنا وحدى واصف بعض وصفه ... فكم فيه وصاف وبالحق صادع
ومن بابه قد خصه الله دون من ... سواه، وفضل الله ذى العرش واسع
إذا قيل : قد قال ابن تيمية الفتى ... مقالا ، فكل للذى قال سامع
ونور الهدى والعلم والزهد والتقى ... عليه ، على رغم الحواسد ساطع
وما ذاك إلا أنه لنبيه ... نبى الهدى فى كل شىء متابع
وفى الله لم تأخذه لومة لائم ... وليس له فى نُصرة الحق وازع
له راعداً مثل الهلال إذا بدا ... تشير إليه حيث كان الأصابع
وإن كان فى تقوى سواه منازع ... فما فى تقَى هذا التقى منازع
إمام ، عظيم ، عالم ، ومعلم ... صبور ، شكور للمهيمن طائع

وآتاه ذو العرش المجيد مواهبا   وليس لما يعطيه ذو العرش مانع
أما كان فى دفعات غازان جائلا   بعزْمة ليثٍ ، لم ترعه الوقائع
يقول لجيش المسلمين : ألا ابشروا   بنصر على الأعداء ، والنصر واقع
فأصبح جيش المسلمين مُؤَيَّدا   وغازان لاقى حتفه وهو راجع
تصانيفه فى كل علم بديعة   وفيها لأهل الابتداع بدائع
ولم يبتغ [شيئا] سوى وجه ربه   وَفى زخرف الدنيا عدته المطامع
فيا فوز من يحوى تصانيفه ، ولا   يزال لها فى كل وقت يطالع
علوما لمن يبغى النجاة اعتنى بها   وللناس فى تلك العلوم منافع
وذو الفضل يؤتيه المهيمن فضله   ولا حاصد إلا لما هو زارع
فيا ثلمة فى الدين ، لم يرج سدها   وخرقا عظيما ، ماله الدهر راقع
فان انتقاص الأرض من علمائها   سيوف حداد للظهور قواطع
ويامحنة أربت على كل محنة   وقارعة ، غابت لديها القوارع
فكم شت شملا بينه بعد جمعه   وليس لما قد فرق البين جامع
كما فاق فى الآفاق بالعلم والتقى   وشاع له فى الناس ما هو شائع
كذلك لم يُسمع بمثل جنازة الـ   امام تقى الدين أحمد سامع
مشيعها ضاق الفضا بازدحامهم   ورصَّت بمن صلى عليه الجوامع
وزف على الأعناق فوق سريره   زفاف عروس نحو حبٍّ تسارع

وأودعه الأحباب عند وداعه ... لمن لم تَخِبْ يوما لديه الودائع

وعادوامن التوديع حَرْقَى جوانح ... وغَرْقَى جفون ، أغرقتها المدامع

وما زالت النسوان يبكين فقده ... إلى أن نَضَتْ من دمعهن البراقع

فلو أنه يفدى فدته نفائس ... النفوس . ولكنّ القضا لايدافع

هنيئا لرمس ضمّ بحر فضائل ... فطوبى لقوم جاوروه وضاجعوا

فلا بدمن فضل عظيم ورحمة ... تحَيِّي بها طول المقام المضاجع

واني بتذكارى حلاوة عيشه ... [مدى الدهرما]استمرت[لدى] قانع

وإنى بتذكاريه صب مولع ... ولست لعذالى عليه أطاوع

ولولا التقى كان التصبر يتقى ... على رزئه لوأن صبرا يطاوع

وكيف يطيع الصبر فى رزء سيد ... به لخطوب الدهر ، كنا ندافع

فان شئتمو ياالأعمينا فاننا ... لكم نتناسى ذكره ونصانع

فهاتوا ، ولن تأتوا بحبر مؤيد ... يضارعه ، هيهات ، عز المضارع

وَإن عمّكم عجز باظهار سيد ... يناوئه . إن شئتم ، صِلوُا أوفقاطعوا

فقد وضحت أعذار كل من انتهى ... الى السيد التيمى ، وخاب المنازع

ثمانون عاما قد كسرت بحبها ... ومن جيش تسعين طلعن طلائع

فلم أر فى عمرى الذى طال مثله ... وما أنا فى رؤيا المماثل طامع

ثلاث مرار قد نظمت بهذه ... له ، ولى النظم الجموع مطاوع

فمن أجل ذا طالت وطابت اسامع ... وود من استجلى سناها يراجع

ومن حقه أنا نموت صبابة · كما مات أحباب على الموت تابع
وإنا لنرجو أن نقوم بحقه · الى حين يأتى حيننا ونناز‌ع
عسى الله فى الجنات يجمعنا به · فكل امرئ منا بذلك طامع
فلا أوحشت منه مواضعه التى · به أُهِّلت ، واليوم هن بلاقع
وكان بها يتلو القران مفسرا · غوامضه ، حتى تنير المواضع
ولا برحت تهمى سحائب رحمة · عليه كما تهمى عليه المدامع

تمت والحمد لله وحده

***

للشيخ شمس الدين الذهبى مرثية فى الشيخ رحمه الله :

ياموت خذ من أردت ، أوفدع · محوت رسم العلوم والورع
أخذت شيخ الاسلام وانفصمت · عرى التقى ، واشتفى أولو البدع
غيّبت بحرا مفسرا ، جبلا · حبرا ، تقيا ، مجانب الشبع
فان يُحدِّثْ ، فمسلم ثقة · وإن يناظر ، فصاحبُ اللُّمَع
وإن يخض نحو سيبويه يَفُهْ · بكل معنى فى الفن مخترع
وصار عالى الاسناد حافظة · كشعبة ، أوسعيد الضبعى
والفقه فيه ، فكان مجتهدا · وذا جهاد ، عارٍ من الجزع
وجوده الحاتمى مشتهر · وزهده القادرى فى الطبع
أسكنه الله فى الجنان ، ولا · زال علينا فى أجمل الخلع

مع مالك ، والامام أحمد ، والنعـ ـمان ، والشافعى ، والنخعى (١)
مضى ابن تيمية ، وموعده مع خصمه يوم نفخة الفزع

تمت . وعدتها احد عشر بيتا

***

للشيخ زين الدين عمر بن حسام الدين أقش الشملى يرثى الشيخ تقى الدين رضى الله عنه .

هل بعد بعدك طرفٌ دمعه راق أم هل لداء أخى الأحزان من راق ؟
بعدت عنا ، فللاحشاء نار جوًى تَشُبُّ فيها بازعاج وإحراق
إنا إلى الله من خطب غدا مثلا عم الانام بأوجال وإشفاق
كدنا من الحزن أن نقضى عليك أسًى برزت لنا من فوق أعناق
لما خرجت بيوم الدفن في أمم كأنه كان يوم الكشف عن ساق
وقلت : مات امام المسلمين ، فيا عين اذْرِفى ، إن رَعَيتِى حفظ ميثاق
لهفى على ناصر للدين وهو إلى الـ ـغايات من كل فضل خيرُ سبّاق
حوى فنون النهى ، صدقا بلا كذب وحاز علم الورى فى طيب أخلاق
لهفى على حجة الاسلام ، كان له مناقب حازها فى حسن أعراق
بحار علم حوى ، فى صدره ، وغدا ببحر جود لوافي المال نفاق

---

(١) كانت فى الاصل «الخلعى» وصححت من الهامش»

يزداد حزنى عليه كل آونة ... وليس يطفى لهيبى فيض آماق
غاضت بحار علوم الدين يوم ثوى ... ذاك الامام بلحد تحت أطباق
نسعى إلى الدفن مشيا فوق أرجلنا ... وَقَلَّ لو كان مشيا فوق أحداق
ياجامع الفضل قدجنّ الكتاب بما ... قد كان من بسط آجال وأرزاق
والموت بعدك لا يبقى على أحد ... لم يبق إلا الاآه الدائم الباقى

تمت ، وهى خمسة عشر بيتا

* * *

وقال بعضهم فى شيخ الاسلام تقى الدين قدس الله روحه :

الحمد لله حمدا دائما أبدا ... مباركا طيبا يستغرق العددا
ثم الصلاة على الهادى وعترته ... وصحبه وذويه الصفوة السعدا
قد أنجز الله للأبرار ما وعدوا ... من رفع نازلة مسّت إمام هدى
وأصلح الله ذات البين وانفرجت ... شدائد فككت أهوالها الزردا
وأغمد الله سيفا كان مشتهرا ... وأطفأ الله جمرا كان قد وُقدا
وألّف الله ما بين القلوب على التـ ... ـقوى ، وعرّفها طرق الهدى وهدى
فأصبح الناسُ فى صفو بلا كدر ... من بعدما كان كلٌّ عيشه نَكِدا
وَعْدًا على الله حقا نصر ناصره ... عليه به القرآن قد شهدا
ولم تكن محنة ، بل منحة جمعت ... لُطْفًا خفيا ، ولطفا للعيون بدا
فيها بصائر للمستبصرين بها ... تُنْبى لمن غاب عنها مَنْ لها شهدا

فداوموا شكر نعمًا كالحيا وَكَفتْ على الورى وكَفتْ كل الأنام رَدَى
فيالها نعمةً قد عمَّت سلامة من بالروح يفدى وقَلَّت أن تكون فدا
فهو الامام الذى ما زال عند ذوى الا أحكام فى سائر الأحكام مجتهدا
إن قيل من هو ؟ فاطربْ عند ذاك وقل نجل ابن تيميَّة فاشدد به عضدا
أو قيل مِنْ وَلد من هذا الكريم ؟ فقل: من ولد مجدٍ علا ، أكرم به ولدا
مولًى ، له فى جِلاد أو مجادلة لواء نُصر وتوفيق قد انعقدا
تهاب مجلسه العالى الملوك ، ومن يخشى سطاه ، ومن لم يرهب الأسدا
من أجل تعظيمه للحق لو وقف الليث الهصور لديه راح مرتعدا
وكونه ترك الدنيا وزينتها زهدا ولا سَبَدا أبقى ولا لَبدا
تصغى المسامع لِيتاً(١) عند منطقه كأنما السمع بالألفاظ قد عقدا
تُذَكّر الله ذكراه ورؤيتُه تذكار واجد ما قد كان قد فقدا
ترى ازدحاما على أبوابه أبدا إما لكسب علوم ، أو لنيل جَدى
لم يدع يوما على من خاض فى دمه بغيا ، ولا لام ذا لوم ولا حقدا
وربما استغفر الله العظيم لمن عمدا عليه اعتدى ، أو قتله اعتمدا
كذا يكون فتى الفتيان ، لا رجل يكون كالنمر الضارى إذا حَرَدا
هذى المكارم لا قُعبان من لَبَن لا يكفيان لبعض الجائعين غدا

---

(١) بهامش الأصل «ليتا» بالتاء المثناة . والليت صفحة العنق ، وفى الحديث «ثم ينفخ فى الصور ، فلا يسمعه أحد إلا أصغى ليتا ورفع ليتا» والله أعلم

له صفات كنشر الروض تالدة ... غب العماد عليك الريح مفتقدا
أو كالنجوم التى تهدى أخا سفر ... ليلا ، إذا ظلَّ فى الظلماء منفردا
عليه ألباب أرباب التقى عكفت ... ومُجتنِي الشهد لم يعكف عليه سُدَى
من المسائل ، إن أعيت غوامضها ... يحل مشكلها المستصعب العقدا ؟
ومن إذا رُصّ بالسادات مجلسه ... يكون فى صدره صدرا إذا قعدا ؟
يكاد يسلب ألباب الرجال بما ... يرويه مما يزيد المهتدين هدى
من العلوم التى عن ربه صدرت ... ومن حديث عن المختار قد وردا
وعن صحابته والتابعين ، وعن ... أئمة ساد مَنْ عنهم روى سندا
أم مَنْ يشنّف أسماع الأنام بما ... يربو على الدر مَنْثوراً ومنتضدا
سوى الامام تقىّ الدين أحمد تا ... ج العارفين ، وقاه الله كل رَدَى
وَمَنْ يُحدِّث عن بحرٍ ، فلا حرج ... عليه ، بل هو مأثوم إذا اقتصدا
وكم بمصر و بالشام الشريف فتى ؟ ... لكن بمجموع هذا الحبر ما وجدا
كفاه آيةَ تأييد سعايةُ مَن ... سعى ، ولم يستطع يؤذى له جسدا
لكنه حين حاز السبق من صغر ... وفاق كل كبير فاق وانفردا
وحاز علما لَدُنِّياً ، ومَنْقَبة ... تفتتت منه أكباد العِدى حَسدا
فأجمعوا كيدهم يبغون فتنته ... فما أعان عليه ربه أحدا
ولم يطق حاسد فى الأرض قاطبة ... بأن يمُدّ بمكروه إليه يدا
وكان سيفا على الأضداد مشتهراً ... فحاولوا أن يكون السيف منغمدا

ومن يصدّ سنا شمس إذا طلعت   أو يحجب البدر إن شقّ الدّجى و بدا

ونور ربك لا يطفى ، وإن حرص السخـــب اللئيم على الاطفاء واجتهدا ؟

وقد درى كل ذى خُبر بأن له   من فيض بحر عطايا ربه مددا

وقد علمتم به لما دعاه إلى   مصر الذين علمتم مابها وجدا

فاشترشد الله فى الإصْدارِ عن بلد   نبأ بِه ، واستخار الله ، ثم غدا

فاختـار مسراه مولاه ووفقه   فيه ، وهيّـا له من أمره رشدا

وسار ، والله يكلؤه و يحرسه   و كيف لا ؟ وعليه كان معتمدا

والشمس ماحجبت بالغيم عن بلد   إلا أنار سناها غيره بلدا

فالدرلولزم الأصداف ماارتفخ (١) اللّبـاب ، وارتكب التيجان واقتعدا

لم يُبق توديعه يوم الرحيل لذى   صبر وذى جلد صبراً ولا جَلَدا

كأن حاديَه يوم استقل به   مسيره نحو مصرٍ بالقلوب حدا

فاستعبرت أعين كادت لفرقته   تبيضّ حزنا وأولاها البكى رمدا

هذا . وكم قضى ظامٍ اليه ولم   يُقضَ له قبل وَشْك البين أن يردا

وما يَضُرُّ فتىً حالت منيته   دون الأمانى إذا ماعُدّ فى الشهدا

فحلّ مصر عزيزاً عند مالكها   وفى مهماته أضحى له عضدا

لتشرق الدولة الغرّا به ، و إذا   أضلّ جهل جهول بالعلوم هدى

---

(١) كذا بالاصل

ويأمر الناس بالتقوى ويخبرهم ... بسنة المصطفى ، فعلا ومعتقدا

وفى مجالسه اللاتى يحف بهـا ... ملائك الذكر تحصى من لهاشهداء

يدعو لسيدنا السلطان ناصرد ... ين الله نجل قلاوون الفتى أبدا

بأن يدوم له فى الملك أربعـة : ... عز ، ونصر ، وتأييد ، وكَبْت عدى

حتى يملكه الله العراق فيم ... حو الشرك ، والرفض منها ، والذى مردا

وعاد من مصر نحو الشام فى دعة ... مصالحا ، مُصْلحا ، ما كان قد فسدا

فحين وافى دمشق الشام محترزا ... من حَلِّ عقد وداد للورى عقدا

روّى صدَى مُهجٍ قد طالما ظمئت ... إليه شوقا ، وجلّى للقلوب صدا

وجاءنا بعد يأس مثل عافية ... جاءت عليلا . فلما لابسته هدى

ولاح شمس على روض وسحّ ندى ... والشمس عادتها فى الروض رفع ندى

واخضر روض الأمانى ثم فاح شذا ... بانُ الحمى ، وتغني وُرْقه ، وشدا

وصفق النهر ، والأغصان ، قد رقصت ... مَسَرَّة بفتى من مصر قد وردا

وسر أهل التقى من كل طائفة ... أنْ عاد أكرم مما كان حين بدا

وأنجح الله فى الدنيا مقاصده ... وسوف يؤتيه أجر الصابرين غدا

فادعوا له ، ولمن كان السفير له ... حتى ألمّ بكم من بعد ما بَعُدا

وحقق الله ماأمّلتموه له ... وصار كلٌّ بكلٍّ عيشة رغدا

فقل لقوم شقوا : زال الشقاء إلى ... أعدائكم ، وبقيتم أنتم السعدا

عين أصابت ، ولكن عين عائنة ... ألا تروه رقاد الموت قد رقدا

والله ماخيَّبَ اللهُ الدعاة له   من كل عبد له يدعو اذا سجدا
لكن أجاب وأعطى فوق ماطلبوا   فالحمد لله حمدا دائماً أبدا

تمت بحمد الله وحسن توفيقه

***

أنشد هذه القصيدة الشيخ الأجل شمس الدين أبو الثناء محمود بن خليفة بن محمد بن خلف المنبجى:

قال: أنشدنا لنفسه جميع هذه القصائد الشيخ الامام سعد الدين أبو محمد سعد الله بن نجيح فى مدح شيخ الاسلام تقى الدين بن تيمية قدس الله روحه ونور ضريحه ورحمه وعفا عنه:

أيها الماجد الذى فاق فخرا   وسما رفعة على الأقران
ياإماما أقامه الله للعالم   ين هاديا باللطف والاحسان
ياغريب المثال ، ياموضح الاش   كال بالبينات والبرهان
ياتقى الدُّنَى مع الدين ، يامن   خُصَّ بالفضل واكتمال المعانى
لاتحلّ العُوَّاد إن اكثروا التر   داد أو أقدموا بلا استئذان
أنت روح الوجود فى عصرك الآ
ن وقلب الورى ، وعين الزمان
والبرايا إذا اعتبرت جميعا   منك أضحوا بمنزل الجثمان

وإذا الداء خامر الروح والقلـ ب تعدى الداء إلى الابد ان
فجدير بسائر الصحب إن هم أطنبوا فى السؤال للرحمن
أن يديم ظلّك الظليل عليهم سالما من طوارق الحدثان
بالنبي الهادى محمد المبعوث بالمعجزات والقرآن
وبأصحابه مع الآل والأزواج والتابعين بالاحسان (١)
صلوات الإله تترى عليهم وعليه ما أشرق النيران

عدتها ثلاثه عشر بيتا

وله رحمه الله

يامن له فطنة فاقت ذوى الفطن ياذا المناقب والافضال والمنن
يامن أواليه فى سرى وفى علنى لا تلحنى فى انخذالى عن بنى الزمن
ولا اعترا بى عن الأهلين والوطن
يامن لدين هواه بتّ معتقدا ومن بذيل هواه ظلت معتضدا
كن لى عذيرا فلا نالت العدات غدا ولا تلمنى إذا أصبحت منفردا
عن الوجود بلا خلّ ولا سكن عن
كم جهد مثلى أن يخفى تململه عن الوشاة ، وأن يخفى تحمله

---

(١) من العجيب أن يكون مثل هذا الشاعر الذى يتوسل هذا التوسل المبتدع يمدح ابن تيمية الذى كان طول حياته يحارب مثل هذا التوسل

إن نمّ دمعي بأسراري يحق له　　فبي من الوجد ما إن لو تحمله
رَضوى لذاب جوى ، أو بذيل لفنى (١)

لكن قلبي ، وإن ضاقت مسارحه　　لما حوته من البلوى جوارحه
به غريم غرام لايبارحه　　ولي من الفكر ندمان أطارحه
مابي ، فأفهم ما أشكو ويفهمني .

شغلت فيه به عمن سواه فما　　ألوى على صرف دهر جار أورحما
ولا أبالي أذاع السر أم كتما　　وكيف أصبح بالأغيار ملتئما (٢)
وبعض مابي عن آباي يشغلني

هذا ولو أُضرمت في القلب نار غضىً　　ماازددت الا ابتهاجا بالهوى ورضا
لكن جوهر صبري مذ غدا عرضا　　أنشدت قول الفتى الجيلي متّعضا
به ومن مثل قول السيد الحسن

مخاطبا لجهول بات يؤلمه　　عذلا ، ويلحاه فيما ليس يعلمه
عني ملامك إني لست أفهمه　　ورب وقت وجودي فيه أسأمه
دع الأجانب بل روحي تزاحمني

تمت

***

---

(١) رضوى وبذبل . جبلان عظيمان

(٢) في المنقول عنه «ملتهما» اهـ من هامش الاصل

وله فيه أيضا رحمه الله ورضى عنه

يا عالما جلّ عن ضد يضاهيه ... وفاق أقرانه فيما يعانيه
ياذا الفضائل ، يازين الأماثل ، يا ... مُردى المماثل ، ياموهى مُناويه
إيضاح فضلك لا يحتاج تكملة ... لكن مفصّله عن ذاك مجزيه
يامن إذا رمتُ أن أحصي مناقبه ... نظما ونثرا وأنشيه وأرويه
حُصرت لولا سجاياه تهذبنى ... لما ظفرت بمعنى من معانيه
مُحَرّر المجد فى مدحيك لخص لى ... هداية أرشدت إرشاد تنبيه
يا عمدة المقتدى حقا ، ومقنعة ... فيما يروم ، وكافيه ومغنيه
ويا نهاية طلاب الرعايا من ... وسيط علم ، وخبر أنت حاويه
يا غنية المبتغين الرشد مانحهم ... فتوح غيب أتى من عند باريه
أبديت تعجيز أهل النظم فاعترفوا ... بالعجز عن كنه ما أصبحت تبديه
لله كم ميت علم أنت تنشره ... من بعد ما كادت الأيام تطويه
وكم حصون ضلال أنت هادمها ... قهرا ، وكم قول غاوٍ أنت موهيه
بينت إفساد ما قد حللوه لهم (١) ... تبيين تحريم لا تبيين تنزيه

---

(١) يشير الى كتاب اقامة الدليل على ابطال التحليل

من الدباثة ، حيث الجعل يبذله المسـكين من كفه ، كيما يكافيه(١)

وقمت بالحق فى ذا العصر مجتهدا ... فى نصره مبطلا دعوى أعاديه
ياحجة الله فى هذا الزمان على الـ ... ـوجود ما بين قاصيه ودانيه
يامن يراه إله العرش داعية ... الى الهدى بلطيف من تأتيه
يا كاشف المشكلات المعضلات لنا ... بأبلج مستنير من فتاويه
يامن أبى مقولى إلا مدائحه ... ولو مدحت سواه كنت أعنيه
ومن حدانى إلى أنى أخاطبه ... بالمدح ، حتى كأنى لا أناجيه
إلا مخافة ذى محْل وذى حسد ... يلحى ، فيعرب عما فيه من فيه
وإن تعرض ذو ضغن تلوت له ... فذلكن الذى لمتننى فيه

تمت

***

وله أيضاً يذكر ذل الخصوم رحمه الله

لئن نافقوه ، وهو فى السجن ، وابتغوا ... رضاه ، وأبدوا رِقّة ، وتوددا
فلا غرو إن ذل الخصوم لبأسه ... ولا عجب إن هاب سطوته العدا
فمن شيمة العضب المهنَّد أنه ... يُخاف ، ويُرجى ، مغمدا ومجردا

---

(١) يشير الى مايعطيه الزوج الديوث المطلق للتيس المستعار المحلل — من الأجر على زناه بزوجته باسم التحليل

وله أيضا فيه يمدحه رحمه الله

أيا من مناقبه فاخره ويا من مواهبه غامره
ويا من سحائب إفضاله بآمال آمالها ماطره
ويا من له همة لم تزل بنجح مقاصده ظافره
ويا من عزائمه لا تنى إلى درجات العلا سائره
ويا ليث حرب إذا ما سطا تذل له الأسُد الكاسره
ويا طور حلم اذا ماجنى عليه امرؤ ينثنى عاذره
وإن نال منه بسوء المقال وقبح الفعال غدا غافره
ويا بحر علم تكاد البحا ر تفيض بأمواجه الزاخره
ويا من أدلته بالنصو ص لأخصامه بدا قاهره
ويا من براهين أقواله كشمس الضحى إذ بدت سافره
ويا من عوارف عرفانه تفوق على الأنجم الزاهره
ويا من صوارم آرائه لأعناق أعدائه باتره
ويا قدوة يقتدى العارفون بنور هدايته الوافره
ويا من قصده بهُدى الطالبـ ين يؤيد باطنه ظاهره
ويا داعى الخلق فى عصره إلى الحق بالحجج الباهره

ويا من مكارم أخلاقه زكت بعناصره الطاهره
ويا من بدائع أوصافه تعين على مدحه شاعره
وماذا عسى يبلغ المادحو ن من القول بالفطن القاصره
ومجدك قد أعيا (١) الواصف ين وصير آذانهم حائره
ولكن ذلك جهد المقل فكن بالقبول له جابره
أيا من دعائى ويا من ولائى وفائح أثنيتى العاطره
لعلياء حضرته دائما تردد واردة صادره
لعمرك إن كان حظى غدا من الله فى داره الآخره
كما هو عندك فى هذه فتلك إذاً كرّة خاسره

* * *

وله أيضا فيه يمدحه رحمه الله

الله نشكر مخلصين ، ونحمد وله نعظم دائما ، ونوحد
وبذيله (٢) الضافى نلوذ ونلتجى واليه نسعى مخبتين ونحفد

---

(١) فى نسخة « أعز » من هامش الأصل

(٢) بهامش الاصل مانصه : « بفضله » كذا فى هامش الاصل ولكن الظاهر عندى مافى من الاصل والله أعلم . أبو أسماعيل يوسف حسين . وأنا

وبه نصول ونستعين على العدى ... اذ لاسواه لنا اله نعبد
فله الثنا والمجد ، إذ هو أهله ... وله الجلالة والبقاء السرمد
مولى حيانا فى فتور زماننا ... بفتى يثقف ديننا ويسدد
أعنى تقى الدين ؛ أكمل سيد ... لدعائم الشرع الشريف يشيد
العالم الورع المحقق ، والذى ... من دون رتبته السهى والفرقد
من جاد بالنفس النفيسة منه فى ... ذات الاله ولم يرعه تهدد
من لم يخفْ فى الله لومة لائم ... كلا ، ولم يرجعه عنه مفند
حبر حباه الله جل جلاله ... بصفات مجدٍ فى علاه تخلد
هو بحر علم ، طود حلم راسخ ... فى الحق لاوان ولامتردد
صدر لديه تحبب وتألف ... للمؤمنين ورأفة وتودد
وكذاك فيه على المنافق غلظة ... وتمنع ، وتصعب ، وتشدد
هو قائم لله يهدى خلقه ... أبدا إلى سبل النجاة ويرشد
فلذاك أصبح للبرية قدوة ... فى العصر إذ هو فيه قطب مفرد
لك يا أبا العباس ، إذْ عَنَّ فرقة ... من قبل ، قد كانت لحقك تجحد
ضاقت بهم سعة الفضا مذ عاينوا ... لك كل يوم رفعة تتجدد

اقول : الاظهر عندى والاليق بصفات الله تعالى « بفضله » لان كلمة « بذيله » لاتصح أن تنسب الى الله تعالى .

وراوك ممتازا بخير مناقب ليست لغيرك فى زمانك توجد
فعراهم الحسد المضل فأصبحوا ولديهم منه المقيم المقعد
إن يحسدوك فغير بدع منهم جَمُّ الفضائل لا محالة يحسد
راموا بلوغ مقامك العالى ، وما علموا بأنك فى المعالى أوحد
فدعا بهم داعى قصورهم : اخلدوا ومع الخوالف ما حييتم فاقعدوا
لما نأت عزماتهم عن شأوك السّا مى ، وصدوا عن حماهُ أُوبعدوا
هموا بأمر لم ينالوا منه ما طلبوا . لقد ضلوا ولما يهتدوا
ورموك بالإفك الفظيع ، وأطنبوا بالقول فيما زوَّروا ، وتقلدوا
وبغوا عليك بما افتروه تعمدا وسجيَّة الباغين أن يتعمدوا
لم يتركوا شيئا به يتوصلوا طمعا إلى ما قرروه وأكَّدوا
إلا نَحَوه ، وبالغوا فى جهدهم لكن سعدت ، وإنهم لن يسعدوا
حتى إذا ما استيأسوا نيل ما كانوا جميعا حاولوا وتقصدوا
خافوا سطاك فأجمعوا آراءهم أن يودعوك السجن ، ثم يخلدوا
فأبى إلهك أن ينالوا منك ما راموا وهل يزكو لباغ مقصد
ما ذاك إلا حال يوسف حُزته إرثا حباك به الكريم المرقد
فبلغت فيه من الرياضة فوق ما تختاره ، وصفا لديك المورد
ثم انقضت أيام خلوتك التى كمل العلاء بها وتم السؤدد
وبرزت كالابريز فارق كيره فاحتار فيه الجهبذ المستنقد

وظهرت كالصبح المنير إذا بدا ... فى الأفق فانقشع الظلام الأسود
وشُهرت كالعضب المجرد مقسما ... فى غير هامِ عداته لا يغمد
فهنـاك تعقد للجدال مجالس ... كانوا أرادوا أنها لا تعقـد
فرأوا نكولا عن جدالك خيفـة ... وتذبذبت آراؤهم وتفندوا
حتى إذا أمروا بذاك وأيقنوا ... أن الخميس ، ولاخلاف ، الموعد
حشدوا عليك جموعهم وتحزبوا ... وتواثبوا وتحفلوا وتجردوا
وحموا عصابتك الحضور وجادلوا ... (١) إذا همو لك أفردوا
فنهضت معتصما بربك واثقاً ... متوكلا تثنى عليـه وتحمد
وإليه أخلصت التوكل موقناً ... أن ليس يخذل من به يستنجد
ثم استخرت الله واستفتحته ... فيما تروم من الأمور وتقصد
فحبـاك منـه عواطفـاً ولواطفاً ... يفنى الزمان وذكرها لا ينفد
وأتاك نصرالله والفتح الذى ... بهما جميعا كنت منه توعـد
فوثبت وثبـة ثائر لله لم ... يحفل بما حشدوا ، ولا ما جندوا
أبديت من كنز العـلوم غوامضاً ... مكنونة ، لولاك كانت تفقـد
أسمعتهم منها لما لم يسمعوا ... وأتيتهم منها بما لم يعهـدوا
أسندتها ورويتها نصا ، كما ... جاءت معنعنة ، فيالك مُسنَد

---

(١) كذا فى الاصل بياض . كتبه أبو اسمعيل يوسف حسين

حَصِرت صدورهم عن استفهامها وتحـيَّروا لسماعها وتبلَّدوا
وبدا لهم مالم يكونوا يحسبوا مما يسوؤهمو ومما يكمد
فاسعد بها من مِحْنَة فى طيها مِنَح أقرَّلها الجحود الملحد
نلت الفخار بها وحزت مآثرا سرُّ الصحّاب بها وغمُ الُحسَّد
وغدوت فيها كابن حنبـل تاليا تقفوا جميـل جماله وتجـدد
أخمدت نار جهالة ، ماخلتها لولا جهادك واجتهادك ، نخمد
أرضيت ربك إذ أضفت كلامه حقا إليه ، وليس فيه تردد
وكذاك أثبت العلوم والاستوا من غير تكييف وحصر يوجد
ونزول خالقنا إلى أدنى سما ليلا ، كما صح الحديث المسند
وذكرت أسماء الاله ، ولم تزغ ميلا إلى ما حرفوه وألحدوا
ورويت أخبار الصفات وآيها مَرًّا ، كما نقل الثقات وجودوا
ونصرت ملة أحمد الهادى ، وقد أيّدت سنته ، فأنت مؤيد
وأقمت مذهب أحمد الثبت الصبو رعلى الأذى ، فلك الهنا ، يا أحمد
أوضحت منهجه السوى ، وأنه مذ كان ، فهو المستقيم الأرشد
وأثرت محنته ، وقمت مقامه فى العصر ، ترغم شانئيك وتكمد
فاحمد إلٰهك ، إنه لك ناصر وابشر ، فقدوتك النبى محمد (١)

---

(١) كانت فى الأصل « فعاضدك النبى محمد »

المصطفى الطهر الزكى المجتبَى — الهاشمى الأبطحى السيد
خير الورى وأجل من وطىء الثرى — وأبر مبعوث به يسترشد
صلى عليه الله ماسجعت ضحىً — ورق على أعلا الغصون تُغرِّد
وعلى صحابته الكرام وآله — والتابعين لهديه وبه هدوا
والحمد لله العميم نواله — والحمد [أفضل] مايقال وأوكد

تمت ، والحمد لله وحده

وله أيضاً يمدحه . رحمه الله ورضى عنه

الحقُّ حَصْحَص ، لا عذرُ لمعتذر — وقد تحققه من كان ذا بَصَر
وفاح عَرْفُ شذاه فى الوجود فظَلَّ — فى الكون أرْج من نَشْرِه العطِر
ولاح لألاؤه فى الأفق ، فانقشَعتْ — غياهب الأفك من خوف ومن حذر
وَفرَّ يُدْبر يمشى القَهْقَرى ، وهنا — له توابع تسعى منه فى الأثر
مذبذبون لضعف العزم ، تحسبهم — سفرا أصامهم جبن عن السفر
ضاقت بهم سعة الأقطار حين سما — سمو قدر تقىِّ الدين فى البشر
وفاق أنداده فى العصر قاطبة — بالعلم ، والحلم ، والتفسير ، والنظر
وامتاز بالدرجات العاليات على — شيوخ أشياخهم فى سالف الدهر
كانوا يظنون أن العلم منحصر — فيهم إلى أن أتاهم أحمد الأثر

ركن الشريعة ، يحيي العدل ناصر دِيـ ـنِ الحق ، مستنصر بالآى والخبر
ففَلّ بالنص والاجماع جمعهم فأصبحوا بعد ذاك الحصر فى حَصَر
لا يهتـدون إلى رشد ، وإنهمو لفى ضلال ، وفى غيّ ، وفى سُعُرِ
قد حُمّلوا حسدا من عند أنفسهم له ، فهمْ منه فى همٍّ وفى فـكر
تَبًّا لهم ، ما الذى نالوا بسعيهم ؟ وما عسى بلغوا فى ذاك من وَطر ؟
أيستطيعون أن يمحوا لما كتبت يد المهيمين بعد الذكر فى الزُّبُر ؟
أم يقدرون على تبديل ما نفذت به نوافذ أمر الله من قدر ؟
بل كلما أوقدوا للحرب نار غَضًى بالـكيد منهم ، طفاها مُنزل السور
وردّ كيدهم فيـه وأرجعهم بالتَّعْسِ وَالنَّكْسِ والخذلان والدَّبَر
واختاره للورى داع إلى سبل الـ ـخيرات ، والنفع نَهَّاءً عن الضَّرر
واختصَّه منـه بالزُّلْفى وثبَّته بالحزم ، والعزم ، والتأييد ، والظفر
وكم مناقب مَجْدٍ قد حباه بها وزاده بَسْطة في العلم والعمر
وكم له فى ذُرى العلياء مرتبة منيفة نالها من بارىء الصور
وكم له من أيادٍ في العطاء ، غدت تُرْبى على العارض الهطَّال بالمطر
وهمَّة فى المعالى غـير دانية تُزْرِى إذا ابتديت بالصارم الذكر
وكم له من كرامات مبينـة سناؤها كضياء الشمس والقمر
وحسبنا عود أهل العود معجزة مامثلهـا عـبرة تبقى لمعتـبر

رؤس كل ضلالات ، ومحدثة　　وبدعة نشأت فى البدو والحضر
لما استقرَّ لديهم علو همته　　وأن سيرته من أكمل السير
وأن دعوته للناس كلهم　　إلى الهدى باجتهاد غير مختصر
وأنه قائم لله منتصب　　فى نصرة الدين ، لايخشى من الخطر
خافوا سِطاه ، فمذ حلوا بساحته　　وشاهدوا مَخْبرا يوفى على الخبر
وعاينوا وجهه الهادى ، وقابلهم　　منصور عزم برب العرش مقتدر
وجاءهم بأسانيد معنعنة　　عن الهداة الثقات القادة الغرر
وقام بالحجج المقبول شاهدها　　مميزا بين عُرْف القول والنُّكُر
مبرهنا بدلالات منورة　　يُهْدَى لعرفانها من كان ذا نظر
فأذعنوا عَنوة للأمر حين رأوا　　نور الحقيقة بادٍ غير مستتر
ولم يسعهم مُماراةٌ ، ولاجدل　　لكنهم سلّموا تسليم منقهر
وهذه شِيمةٌ بين الورى عُرِفت　　فيمن يخالفه من سائر البشر
إذ قلّما فاء منهم للهدى أحد　　حتى يرى فيه أنواع من العبر
فالحمد لله كاليه وناصره　　ومجتبيه وواقيه من الغير
وأكمل الصلوات الزاكيات على　　رسوله المختار من مضر
محمد السيد الهادى وعترته　　وصحبه الأكرمين الأنجم الزُّهُر
صلى الإله عليهم كلما سجعت　　حمائم الدَّوح بالألحان فى السَّحَر

تمت والحمد لله وحده . وصلى الله على سيدنا محمد وآله

وله أيضا فى تبيين عدم قيام الأصحاب مع الشيخ ، حين يعظم الخطب ويقع الحرب :

سبرتُ خلال الأصفياء تدبراً — وميزت أحوال الصحاب تأملا
فشاهدتهم فى السلم من تلق منهم — تجده محبا يدعى صحة الولا
وعند نزول الخطب حاولتُ أن أرى — أخا ثقة إن أدبر الحرب أقبلا
فلم أرَ إلا لائما متبرما — ولم أر إلا شاتما متعقلا
فلما تحققت التخلف منهم — شطبت عليهم شطبة الصب ، لا إلى

وله أيضا ، فيمن أبدى عذلا فى حبه ومتابعته جهلا

سيان إن عذل الواشون أو عذروا — لا خُبْر عندهمو ولا خَبر
لاموا على حبه جهلا ، وما عقلوا — وعنَّفوا فيه عدوانا ، وما شعروا
ولو رأوا حسنه الزاهى بأعينهم — كما أراه أقلوا اللوم ، واقتصروا
ولو تجلت معانيه الحسان لهم — وشاهدوها كما شاهدتها بهروا
لكنه مُذْ بدا لألاؤه غشيت — أبصارهم ، فانثنوا منه ، وما نظروا

تمت والحمد لله وحده : وصلى الله على محمد وآله

مرثاة أخرى لغيره

فقد الأنام فوائدا وفضائلا … فقدوا من العلم الشريف جلائلا
فى موت بحر العلم والحبر الذى … سلك العلوم مذاهباً ودلائلا
أعنى تقى الدين أوحد عصره … قد كان حقا بالفضائل عاملا
قد أودع القبر الشريف علومه … عجبا لوسع القبر بحراً سائلا
قد كان لايحتاج طالب علمه … كثر السؤال ، وليس يلقى سائلا
قد كان ركننا فى المواعظ جملة … بحراً عميقا إن أردت مسائلا
وإذا رآك يكون حقا باديا … لك بالسلام مواردا ومسائلا
يارب ، فارحمه ، وبلَّ ثراه بالغيث الكريم ، معاودا ومواصلا
يارب ، وافعل ذا بكل موادد … ومجاور قبر الامام مؤملا
يارب ، وارحمنا ، وكل مشيع … صلى عليه ، أو أتاه مقبلا
من كان مسرورا به وبعلمه … من بعده ، فالحزن أضحى عاجلا
زكّى الإله ثراه ، فضلا منه فى … كل الزمان ، وزاد غيثا هاطلا
بعد السلام على النبى المصطفى … أعلى البرية فى المعاد منازلا
وعلى الصحابة والقرابة كلهم … والتابعين أواخراً وأوائلا

وقال بعضهم فى شيخ الاسلام رحمه الله ورضى عنه وجعل الجنة مأواه

دموعى على صحن الخدود تسيل | وصبرى قصير والغرام طويل
على فقد من قد كان للدين ناصحا | وكافح أهل الشرك وهو فضيل
لفقد تقى الدين ضاقت مذاهبى | وفى كبدى نار الفراق تجول
إمام كريم ، كان لله عابدا | وفى زهده شرح هناك يطول
قد كان للاسلام كهفا ومسعدا | إذا ماأصاب المسلمين نزول
وكان على حكم المهيمين صابرا | وفى كل مايلقى إليه حمول
بشرع رسول الله قد كان قائما | وعن سنة الرحمن ليس يحول
وجاهد في الرحمن حق جهاده | وكان له صبر عليه جميل
لقد بكت الدنيا حقيقا لفقده | ويبكيه علم نافع وأصول
وفى أرض مصر ، يالها من عجائب | لديه جرت ، وهو الصبور الحمول
إلا يوم الاثنين الذى كان قبضه | ففيه عزاء المسلمين جزيل
وفى سجنه يتلو ثمانين ختمة | قراءة ترتيل وقصد سبيل
وفى موته دقت بشائر رحمة | أتاه من المولى رضا وقبول
وسار إلى رب قديم مهيمن | عظيم كريم ليس ذاك قليل
عليه سلام الله مالاح بارق | وما سار غيث بالسماء هطول

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا نظمه العبد الفقير الى رحمة ربه ومغفرته بدر الدين حسن بن محمود النحوى الماردانى فى الشيخ الامام العالم العامل، الأوحد شيخ الاسلام، وقدوة الأنام تقى الدين أحمد بن تيمية تغمده الله برحمته ورضى عنه

ألا أيها القلب الذى عدم الصبرا — أفق، طالما جُرّعت من لوعة صبْرا

ويا عبرات الجفن أظهرت بالأسى — لنا عِبرا بالدمع أسطرها تقْرا

أيأمن من خطب الليالى مُخَاطبٌ — وشيمتها فى الناس أن تظهر الغدرا

وهل خالد فى الدهر عمرو وخالد — لعمرك لا يبقى، ولو أمّل العمرا

قضى ماجد، مامثله اليوم واحد — وأبقى جميل الفعل من بعده ذكرا

دما لو بكته دِمْنَة الربع والدما — وأمطرت الشّعْرى العبوز لها العبرا

أو اغبرّ وجه الأرض يوم مصابه — لقلّ، وجلّ الخطب من فقده قدرا

فتىً أَلِفَ المعروف، والجود عادة — تعوّدها طفلا، وكان بها أحرى

كَأن لم يقل يوما مقالا، فتنثنى — إلى قوله الأسماع طائعة قهرا

ولا ظهرت بين الأنام علومه — ولا طرّزت شاما، ولا جملت مصرا

دعانى ظلال الصبر فى صبر فقده — فأرسل رسل الدمع من مقلتى تترى

سننت. تقى الدين، أحمد سنة

وأوسعت فى كسب العلا بالندى صدرا

أيا شافعى الوقت فى ضبط نقله ... نثرت على الأيام من لفظك الدرا
قنعت ، وفى الدنيا زهدت ديانة ، ... وفارقتها،واخترت ضرتها الأخرى
أفضت على الأيام بحر مكارم ... وعلم ، فأربحت المتاجر والأجرا
عجبت لقبر ضَمَّ جسمك تُرْبه ... أيحوى الثّرَى فى تربه الشمسَ والبحرا؟
نقلت من الدنيا إلى ظل روضة ... وحُزْتَ الذى أملّت بالمقلة السهرا
وشاهدت فى حسن الزيادة نضرة ... وألبست وَشْيًا عند نظرتها نظرا
تدرعت أثواب المحامد والتقى ... كعرضك بيضا وابتدلت بها خضرا
لئن نقل الأعداء عنك ضلالة ... رواية نقل ما أحاطت بها خُبْرا
و إن أودعوك السجن منهم جهالة ... فقد زِدتَ قدرا ،عندما نقصوا قدرا
فما يختفى إلا الجواهر فى الورى ... ومن ظلم الاصداف يستخرج الدرا
أيا سائلى ، عن علمه ، وصفاته ... هو البحر ، فاعجب فيه من يصف البحرا
هو الغيث ، يثنى عنه كل لطيمة ... من الروض، بل تزكو لأوصافه بشرا
سما حاتما جودا ، وفاخر عاصما ... ففاق لمن يقرى الضيوف ومن يقرا
أيا بطل ، يوم الجدال مجندل ... فوارس علم من فواضله قهرا
إذا قال فى علياك أمعن قائل ... فما حاط من معشار ما نلته العشرا
وما ذا يقول المادحون بوصفه ... وقدرك فوق الشعر حل عن الشعرى
تفردت فى علم وزهد وفطنة ... فضلت بها فى الفضل بين الورى ذكرا

أعدت نهار الجهل ليلا مسودا　　وكافر ليل الكفر صيرته فجرا
نظمت على جيد الزمان قلائدا　　بفضلك نظما من علومك أو نثرا
لقد كنت فى يوم الفخار وفى الوغى　　شجاعا يرد الليث عن سبله قهرا
سيوفك بيض ، مثل عرضك في الورى
إذا اسوّد ليل النقع ، صيّرتها حمرا
كأنك قد أُفرِغتَ فى فَرْدِ قالب　　تلاشى ، فلم يصبر على قلبة أخرى
تجئت على الأيام فرداً ، ومن رأى　　مثالك من كنز المكارم قد أثرى
فأقسم بالقرآن فى العصر صادقا　　بأنك قد شرفت من دهرك العصرا
سقاك حياً . ومن وابل الغيث سحرة　　وحيّا ندًى قد ضم من كفك البحرا
ونَوّر نوار الربيع ربوعه　　وأطلع في أرجائه الزهر والزهرا
تمت بحمد الله وحسن توفيقه .

***

وله أيضا فيه . رحمه الله ورضى عنه آمين

أبى اليوم سر الكون أن يتكتما　　وصبغ مشيب الدمع أن يتكلما
وكل مصون من شجون ولوعة　　به تم فرط الحزن والدمع قد نما
قضى ، ومضى ، مولى سما كل ماجد　　فأوحش ربع المكرمات وأظلما
غمامة جود أقلعت بعد صوبها　　وبدر سعود غاب لما تتمما

وبحر علوم غاض زاخرُ يَمِّهِ ... وركن معالٍ قد وهى وتهدما
عيونى مصاب الخطب لما تحققت ... بها الدمع من جفنى تعندم عندما
أيا فاضل العصر الذى فى صفاته ... تأخر من فى الفضل عنه تقدما
قضيت جميل الفعل أوحد ملة ... حمى الدين والاسلام عزما وسلما
ليهنك كم جندلت يوما مجادلا ... وكلمته باللفظ منه تكلما
نثرت على فرق الزمان جواهرا ... ودرا على جيد الليالى تنظما
بفضل صلاة مع صلاتك فى الدجى ... وجودك والاحسان اربحت مغنما
سبقت الى الغايات فى الفضل للورى ... على قدم ، مقدامها قد تقدما
مضى علم فى الناس حَبْر معلم ... فأوحش من ربع المدارس معلما
فأصبح درس الفضل والعلم دارسا
يوَدّ بأن يشكو الجوى وتكلما
فتىً لو قلامات الأظافر قَدّما ... لكان شبيه مثله اليوم قلما
فلو أنصفته الباكيات لفقده ... بكته دما من فيض أجفانها الدما
متى صَيّر المعراج للخلد فى الدّجى ... بأوراده ، لما تسلم سلما
فكم جادلت أقواله من معاند ... تقاصر عنه ، حين أقدم أحجما
وكم رَدَعَتْ آراؤه من مخالف ... عن الدين بحثا ، حين سلَّم أسلما
لبستَ تقىً الدين ثوب تقاوة ... من الفضل عن مولى سواك تحرّما
تخيَّرت مايبقى على كل هالك ... فأربحت من تلك التجارة مغنما

لقيت الذى قدمته من صنائع من الخير ، أو ماجدت منك تكرما
وفى الحشر تلقى كل نفس نفائسا وتجزى الذى فى الناس أجرم ، أجرما
تأخرت عن نيل المناصب رفعة ومثلك فى أيامنا ماتقدما
بنيتَ على الاسلام ركنا ومعصما يُقَبّلُ منه المجدُ كَفاً ومعصما
أقمت قناة الدين منك بعزمة وأطفأت نار الشرك منك فأظلما
صبرت على حمل الأذى منك راضياً
وأعرضت عن فعل الأعادى تكرما
شهرت على أهل البدائع فى الورى صوارم شرك الكفر منها تصرما
وقفت على يوم الجلاد شجاعة بعزم يَردُّ المشرفيَّ مُثَلَّماً
إذا بكت الأبطال خوف قبيلة ضحكت بثغر فى الوغى قد تبسما
ولما تبدى نور نعشك لامعا تمنت بنات النعش أن تتحطما
وودت بأن تدنو الثريا إلى الثرى نثاراً عليه ، رفعة وتعظما
نزلت على أهل المقابر رحمة وأنقذتهم من ظلمة الظلم والظما
سقى قبرك الوَسْمِىُّ فى كل سَحْرة سحائب رضوان به الروض وسّما
ورفّ عليه الأقحوان مفلجا وأطلع فيه الروض نجما وأنجما

تمت والحمد لله رب العالمين

قصيدة

للشيخ الامام جمال الدين عبد الصمد بن براهيم بن الخليل بن ابرهيم بن الخليل الحنبلى . يرثى شيخ الاسلام والمسلمين أبا العباس أحمد ابن تيمية . قدس الله روحه . وعدتها ثمانية وأربعون بيتا :

عش ماتشاء ، فان آخره الفنا ... الموت مالا بد عنه ولا غِنى
والدهر إن يوما أعان ، فطالما ... بالسوء عان ، فعونه عين العنا
لابد من يوم يؤمُّك حتْفُه ... حتما ، نأى الأجلُ المقدر ، أودنا
للنفس سهم من سهام نوائب ... يَرمى ، فيُصمى من هناك ومن هنا
مَنْ غرَّه الأمل المديد ، فانه ... غِرٌّ ، لأن طعامه لن يُسمنا
شمس الحياة تَضَيَّفت(١) ، ومشيبه ... ضيف يجر من المنية ضيفنا
من حين أُوجد كان نفسُ وجوده ... فى الكون بالعدم المحقق مؤذنا
يامن يَعُدُّ الدهر صاحب دهره ... ويُعِد فيه للاقامة موطنا
أوَ مارأيتَ الموت كيف سطا بمن ... فى الخلق عن محض العلوم تكونا
نَدْبٌ مُباحُ الصبرِ حَظْر بعده ... فلم استحال ، وكان شيئا ممكنا ؟
بذّ الأنام ، مع البَذاذة(٢) ، فضله ... إذ لم يكن بسوى التقى متزينا

---

(١) أى مالت إلى الغروب

(٢) أى مع عدم الاعتناء والتأنق فى اللبس لأن تجمله كان بالتقى

ترك الجميع على الجموع ، فلم يهب … تلك الجموع ولا استراب ، ولاونى

ولكم مقامات له فى الحق ، لا … بيض الظُّبا يخشى ، ولا أُسمْر القَنا

بالعُرف نأمر ، ناهيا عن منكر … متقرباً ، وهو البعيد عن الخنا

ويخص أوقات الخصاصة بالنَّدى … فيعم عادا ، فقره أعلا الغنا

فبخير ما سَنٍّ ، و بالسنن اقتدى … والشكر والذكر الجميلين اقتنى

ماجار عن نهج الصواب وما اعتدى … و بغير تحصيل الفضائل مااعتنى

إمَّا تُبارزه ، تجده مُبرِّزا … فى أى علم شئت ، حبرا متقنا

و إذا تجاريه ، فما السيل انبرى … إما جرى فى بحثه متفننا

متزهدا ، متعبداً ، متهجداً … متخشعا ، متورعاً ، متدينا

فى كل عصر سيد ، هو حجة الـ … ـبارى على كل الخلائق فى الدُّنا

ونرى أحق من استحق ، فحازذا … مَنْ للامامة لم يزل متعينا

شيخ الأنام وحجة الاسلام من … أغناه نشر الذكر عن ذكر الكنى

أعنى أبا العباس أحمد ، بل تقيـ … ـى الدين حقا والعليم الممعنا

فى الله ليس يخاف لومة لائم … ويرى النوى فيه نهايات المنى

لما تحقق أن كل مخالف … يفنى ، و إن كان النفيس ، المثمنا

لم يدخر قوتا لأجل غد ، ولا … أبقى له إرثا سوى حسن الثنا

صدر حوى فى صدره لكماله … من كل علم معلوى معدنا

ظهرت ولايات الولاية بعده … وأسأَلْ لتصبح بالحقائق موقنا

واسمع مقالة أحمد متوعدا … أعداءه : يومُ الجنائز بيننا

فأحقّ ما يُبكى عليه فقده ... ما موت هذا الحبر رزءاً هينا
فيض النفوس يقلّ فيه ، فلا تلم ... وأعن عيونا فضن فيه أعينا
يا من أعاد أولى التشدق علمه ... خرسا ، وأنطق بالثناء الألسنا
يا دوحة الفضل التى فى أصلها ... طيب ، وزاكى فرعها حلو الجنا
يا حبر ، بل يا بحر ، كم حيّرتَ مِنْ ... حبر تصير ذا الفصاحة ألكنا
يا خاتم الفضلاء ، علمك معجز ... بهر الورى ، فصدرتُ عنه مؤمنا
إن كان ذا حفظا ، فوقتك ضيق ... عنه . ولو كان الزمان له أنا
لكنه من فضل ماهو قاذف ... بالحق من نور الولاية والسنا
أسست بنيانا على تقوى ورضـــوان ، فلا سِيمَا قد ارتفع البنا
غبرت ، يا من لا يشق غباره ... فى أوجه الفضلاء قدما قبلنا
جاهدت فى ذات المهيمن صابرا ... عند الأذى ، فأتت بشارات الهنا
إن الذين يجاهدون عدونا ... فينا ، سنهديهم إلينا سُبْلنا
الله قد أثنى على العلماء فى ... نص الكتاب وأنت أولى من عنى
لا غرو إن كنت ابتليت بحاسد ... فالحر ممتحن بأولاد الزنا
أشكو اليك ، وأنت أصل شكايتى ... من فرط ضر في افتقادك مسنا
قد عبّرت عبراتنا من حزننا ... وبما يُجِنُّ من الجوى نطقَ الـنى
سقياً لتلك الروح من سُحْب الرضا ... وتبوأت جنات عدن مسكنا
لو كان فيها الموت يقبل فدية ... كان الأنام فدى ، وأولهم أنا

تمت بحمد الله وعونه وحسن توفيقه . وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيراً إلى يوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه القصيدة نظم الشيخ عبد الله بن خضر بن عبد الرحمن الرومى الأصل ، الدمشقى الحريرى ، المعروف بالمتيم ، يرثى الشيخ تقى الدين ابن تيمية . وهو أحد أصحابه ، رضى الله عنه وأرضاه .

لقد عذبوا قلبى بنار المحبة ... وذاب فؤادى من فراق الأحبة
وزاد غرامى فى اشتياقى إلى الحمى ... وهيّج بلبالى حنينى ولوعتى
فياعُظم أحزانى ووجدى عليهمو ... ويا طول أشواقى إليهم . ووحشتى
فلم أنس أياما تقضت بقربهم ... ومن عيشتى ، لما تولوا تولت
ملأت النواحى من نواحى ، وكيف لا ... أنوح على قوم همو خير جيرتى؟
ومن عجبى أنى أحن إليهم ... وقد سكنوا قلبى وروحى ومهجتى
ذكرت فلم أنسى زمان وصالهم ... أأنسى ليال بالعُذَيب تقضت؟
منازل أحبابى مواطن سادتى ... مطالع أقمارى شروق أهلتى
معاهد أفراحى ديار سعادتى ... مواسم أرباحى أويقات لذتى
مضت وانقضت عنى ، كأن لم أكن بها ... وما ذاك إلا من ترادف غفلتى
أعلل روحى بالغوَير ، وبانة ... وما شوقها إلا لسكان رامة
إذا لم يلح لى بارق من حماهمو ... فياخيبة المسعى ، ويا طول شقوتى

وإن لم أقضّ العمر بين خيامهم فلاعشت فى الدنيا، ولانلت منيتى
وإن لم أشاهد حسنهم فى مشاهدى فقدفاتنى سؤلى ، ومت بحسرتى
وإن لم أجد نور الهدى من خبائهم يضىء به قلبى ، فياعظم حيرتى
لغير رضاهم ماتمنت مطامعى ولا اسواهم ماحلالى تلفتى
يقولون لى : لِمَ لاسَلَوْتَ هواهمو ؟ فقلت : دعونى ، مابليتم بمحنتى
ولا ذقتمو ماذاق قلبي من الجوى ولامسّكم ضرى ، ونارى وحرقتى
فهل لى جنان أن يهمّ بغيرهم وهل لى لسان أن يفوه بسلوتى
وحاشاى أن أسلو هواهم ، وحبهم يذكرنى حفظ العهود القديمة
فهم سِرُّ أسرارى ، ونورمناظرى وروحى ، وريحانى ، وأنسى وبهجتى
وهم عين أعيانى ، وقلبى ، وقالبى وهم منتهى قصدى ، ومشهدرؤيتى
وهم فى معانيهم حياتى حقيقة وهم فى مغانيهم ، أهيل مودتى
وهم فى تجلّيهم شموس إذا بدوا وهم فى تجنيهم رياضى وَنزهتى
وهم أينما كانوا نهاية مقصدى وهم أينما حلوا مرادى وبغيتى
وهم نور أنوارى ، وسر حقائقى وهم أنس تأنيسى ومأمن خيفتى (١)

---

(١) فى هذا الشعر غلو فى الاطراء ، لو قيل بين يدى شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله ، لأدب قائله وعلمه . وما وقع الناس فى الشرك إلا من وراء هذا الغلو فى الاطراء والمدح . ولذا يقول النبى صلى الله عليه وسلم « لاتطرونى كما أطرت النصارى عيسى بن مريم ، بل قولوا عبد الله ورسوله . فانما أنا عبد الله ورسوله » رواه البخارى

ترى يشتفى قلبى برؤيتهم على ‌ ‌ ‌ ‌ رياض الهنا يوما ، وتبرد غلتى؟
وتحيابهم روحى حياة هنيئة ‌ ‌ ‌ ‌ مسرمدة التنعيم فى روض جنة
اذا سمحوا لى نظرة من جمالهم ‌ ‌ ‌ ‌ فقد نلت من رضوانهم كل وصلة
عليهم سلام الله ما هبت الصبا ‌ ‌ ‌ ‌ وما ناحت الأطيار شوقا وحنت
وقد آن أن أبدى خفايا صبابتى ‌ ‌ ‌ ‌ وأظهر للعذال أصل رزيتى
وأبكى على من كان يجمع شملنا ‌ ‌ ‌ ‌ على طاعة الرحمن فى كل لمحة
وأندب أحزانى بما قد أصابنى ‌ ‌ ‌ ‌ وأنثر أشجانى بنظم قصيدتى
فقدت إماما كان أوحد عصره ‌ ‌ ‌ ‌ وقد فجعت فيه جميع البريه
فقدت إماما ، لم يزل متوكلا ‌ ‌ ‌ ‌ على، الله لايُصغى إلى غير سنة
فقدت إماما كان بالعلم عاملا ‌ ‌ ‌ ‌ وكان حقيقاً قامعاً كل بدعة
أتى بكتاب الله والسنة التى ‌ ‌ ‌ ‌ علت وارتقت حقاً على كل ملة
أتى بأحاديث الرسول وشرحها ‌ ‌ ‌ ‌ وعمن رواها بالمتون الصحيحة
أتى بعلوم العالمين جميعها ‌ ‌ ‌ ‌ بزهد ، وتأييد ، ودين ، وقوة
أتى بأصول الدين ، والفقه مجملا ‌ ‌ ‌ ‌ وفصَّلها تفصيل من غير شبهة
أتانا بأحوال الرسول حقيقة ‌ ‌ ‌ ‌ وسيرته تسمو على كل سيرة
أتانا بأحوال الصحابة كلهم ‌ ‌ ‌ ‌ والتابعين الملة المستقيمة
أتانا بأوصاف الأئمة كلها ‌ ‌ ‌ ‌ وصنف كتبا فى صفات الأئمة

أتانا بوصف الصالحين وحالهم ... وما هم عليه من جميل العقيدة
وعلمنا شرع الرسول ودينه ... بأفصح ألفاظ وأصدق لهجة
وأعلمنا أن النجاة من الهوى ... تمسكنا بالسنة النبوية
وحذرنا من كل زيغ وبدعة ... وعن كل طاغ خارج عن محجة
وناظر أرباب العقائد كلهم ... وبيّن من قد ضل من كل فرقة
ورد على أهل الضلال جميعهم ... بأوضح برهان . وأبلغ حجة
وبيّن تكذيب اليهود وخبثهم ... وما بدّلوا فى الملة الموسوية
وأخبرهم عن سر أسباب كفرهم ... فتعْساً لهم من أمة غَضَبِية
وأظهر أيضا للنصارى ضلالهم ... وما أحدثوا فى الملة العيسوية
وباحثهم حتى تبين أنهم ... سكارى حيارى بالطباع الخبيثة
ورد على كتب الفلاسفة الأولى ... بمنقول أحكام ومعقول حكمة
وقرر إثبات النبوات عندهم ... وجال عليهم كَرَّة بعد كرة
وردّ على جَهْم وجَعْدِ بن دِرهم ... وبِشْر المَرِيسىِ عمدة الجهمية
زنادقة ، كم أهلكوا من عوالم ... بسوء اعتقادات النفوس السقيمة
وجادل أهل الاعتزال جميعهم ... وسلَّ عليهم سيفه بالأدلة
يقولون : قولُ الله من بعض خلقه ... لقد كُبكبوا فى قعر نار حمية
وباحث أشياخ الروافض واتنى ... يقاتلهم بالدِّرة العمرية
لأنهمو عادوا خواص محمد ... وسبُّوا ، فهم فى الأصل شر الخليقة

بغوا ، وافتروا جهلا ، فهم أنجس الورى   وأكذب خلق الله من كل فرقة
وهم خصماء الله ، تبًّا لدينهم   وبعداً لهم من عصبة ثَنَوية
فكم أحدثوا فى ديننا من ضلالة   فلا مرحبا بالفرقة القدرية
وردّ على قوم ، تربت نفوسهم   على النفى والتعطيل من غير حجة
وردّ على قوم وشتت شملهم   وهم أهل تشبيه أتوا بكبيرة
ورد على أهل التناسخ عندما   تجروا وخاضوا فى أمور عظيمة
ومزّقهم فى كل واد ، لأنهم   يقولون لا شىء سوى البرزخية
وقد أنكروا أمر المعاد بقولهم   نفوس نأت عنا وفى الغير حلت
وجاهد أهل الاتحاد ، وردهم   إلى أشرف المسرى ، وأهدى طريقة
وأنقذهم من ظلمة الجهل والعمى   بنور وبرهان ، ودين النصيحة
ورد على أهل الحلول ، فإنهم   يرون تجلى الحق فى كل صورة
وقد زعموا أن التجلى مظاهر   ولا سيما فى صورة أمرَدِيَّة
فمن أجل هذا يرقصون ديانة   وفى رقصهم جاءوا بكل قبيحة
يرون شهود المرد والرقص قربة   فياويلهم من خزى يوم الفضيحة
ورد على أتباع إبليس عند ما   رآهم وقد مالوا إلى الجبرية
وكم قد طوى في علمه من طوائف   حرورية منهم على حشوية
مطايا بنُيَّات الطريق سرت بهم   إلى أن أناخوا فى عِراص القطيعة

وفى بحر آراء العقائد أغرقوا رمتهم خيالات العقول السخيفة
وكم قد أراهم كلهم سبل الهدى وكم قد نهاهم مرة بعد مرة
فمن كان قطب الكون فى حال عصره سواه ؟ ومن قد فاز بالبدلية ؟
شجاع همام بارع فى صفاته يروم مراما فى المراقى العلية
تزهد فى كل الوجود ، وغيره يدور على الدنيا بنفس دنية
يجود على المسكين فى حال عسره بأطماره فى حب بارى البرية
ويلقى لمن يلقاه بالبشر والرضا بأوصافه الحسنى ، ونفس زكية
ويدعو لمن قد نال من ثلم عرضه ولم ينتقم ممن أتى بالاذية
يسارع فى الخيرات سرا وجهرة ويلهو عن اللذات فى كل طرفة
يجاهد فى الله الكريم بجهده بصدق وإخلاص وعزم ونية
ويأمر بالمعروف حبا لربه وينهى عن الفحشاء نهيا بهمة
تقى نقى ، طاهر الذيل مذ نشا كريم السجايا ، ذو صفات حميدة
أليس الذى قد شاع فى الكون ذكره وعمَّ البرايا بالفتاوى العظيمة ؟
فمن كان تاج العارفين لوقتنا وشيخ الهدى؟ قل لى ، بغير حمية
هو الحبر والقطب الذى شاع ذكره وفاح شذاه كالعبير المفتت
اذا ما ذكرنا حاله وصفاته كأنا حللنا فى نعيم وروضة

***

تهنأ أبا العباس بالقرب والرضا لقد نلت ما ترجو بكل مسرة

ألا يا تقى الدين ، يافرد عصره   بروقك قد لاحت كشمس مضيئة
وبانت لكل الناس أوصافك التى   برزت بها مثل العيون الغزيرة
ظهرت بأنواع العلوم وجنسها   وسارت بها الركبان فى كل بلدة
فأظهرت ما قد كان للناس خافيا   بكل معان والفنون الغريبة
وأوضحت إشكالا ، وبينت مبهما   وأبديت أسرارا بنفس عليمة
وكم غصت فى بحر المعارف غوصة   ولججت فاستخرجت كل يتيمة
ظهرت باحسان وحسن سماحة   ودين ، وتوحيد ، وكل فضيلة
خرجت من السجن الذى كان ضيقا   إلى دار فوز فى رياض فسيحة
وقد نلت من مولاك ما كنت راجيا   وأشهدك المعنى بعين قريرة
حملت على النعش الذى كان تحته   مئين أُلوفا فى بكاء وضجّة
وصلى عليك الحاضرون جميعهم   بحسن اعتقاد فيك ، ياشيخ قدوة
وأما النساء المؤمنات فانهن   خرجن حيارى ، فوجة بعد فوجه
ومعهن أبكار تحجبن بالتقى   ينحن بأكباد عليك حزينة
صبرت على الأحكام طوعا وطاعة   وذقت من الآلام طعم البلية
وكنت حمولا للنوائب كلها   صبورا على الأقدار فى دار غربة
وأوسعت صدراً للمقادير عندما   شهدت جمال الحب فى كل خلوة
ولاحت لك الأنوار بالمشهد الذى   تطوف به الأنوار فى روض جنة
وعاينت موجودا تعالت صفاته   وشاهدت محبوبا بعين البصيرة

فلا أوحش الرحمن منك ، ولا خلت ربوعك من تلك العلوم الجليلة
ولا أقفرت منك الطلول ، ولا نأت ديارك من تلك الصفات الجميلة
ولا سكنت يوم الوداع دموعنا ولا اكتحلت فيك الجفون بغمضة
ولا احتجبت أسماعنا عنك ساعة ولا أيست منك العيون بنضرة
لقد كنت روحا للقلوب وراحة وقوتا وأنسا للنفوس النفيسة
تمسَّكت بالدين الحنيفي والهدى وبالعروة الوثقى وأصل الشريعة
ظهرت الى الدنيا بأحسن مظهر ورحت إلى الأخرى بأكمل روحة
وودعتنا توديع من غير راجع وفارقتنا والدار غير بعيدة
شربت بكأس العارفين مدامة حقيقتها من سر عين الحقيقة
وجدت بكأس الفضل منك تكرما على تابعين السنة الأحمدية
فسبحان من أعطاك من فضل جوده لقد نلت قربا لا ينال بحيلة
لقد عشتْ محبوبا ومت مكرما عليك من الرحمن أزكى تحيتي
وما برحت تعلوك أنوار أنسه وما زلت فى عز وقرب ورفعة
ومأواك جنات النعيم مع الذى تفرد من بين الورى بالوسيلة
نبي الهدى خير الورى صاحب اللوا شفيع على الاطلاق فى كل أمة
عليه صلاة الحق ثم سلامه على عدد الأنفاس فى كل طرفة
وبعد ، فلله المحامد كلها على ما أرانا من وضوح المحجة
وها أنا يا ربى عُبَيْد متيم عساك ترى حالى وتغفر زلتى

تمت ، وعدتها مائة وسبعة وعشرون بيتا [1] والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

وله أيضا رحمه الله يرثى شيخ الاسلام ابن تيمية مرة أخرى :

لله عيشا تقضى بالثنيات ... مع جيرة لذّ لى فيهم صباباتى
ماكان أهنا زمانى فى ربوعهمو ... والسعد يسعى بما فيهى إراداتى
والكأس تُجَلى بأنواع السرور، وفى ... قرب الأحبة تبدولى سعاداتى
إذا تجلّوا على قلبى بحسبهم ... كأننى فى نعيم وسط روضاتى
قد كنت فى قربهم والوصل مقترنى ... لم يخطر الصد والهجران فى ذاتى
واليوم أصبحت أبكى بعدَ بُعدِهم ... لما تناءوا نأت عنى مسراتى
وغاب مذ غاب عن عينى جمالهمو ... راحى وروحى ، وريحانى وراحاتى
ولاصفا بعدهم عيشى بمهلة ... ومذ تولوا تولى طيب لذاتى
ياسادة ملكوا قلبى بلطفهم ... ماضرهم لو أعادوا لى أويقاتى ؟
همو مرادى ،وهم سؤلى ، وهم أملى ... وهم نهاية مقصودى وغاياتى
وهم سرورى،وهم سمعى،وَهم بصرى ... وهم نعيمى ، وروضاتى وجناتى
وهم حياتى ، وهم أنسى ، وهم شرفى ... وذكرهم لم يزل فى القلب جلواتى
لهفى على زمن ولىّ وما ظفرت ... روحى، بما ترتجى يوم الأثيلات
لما سروا وفؤادى فى هوداجهم ... ناديت من حرقى: ياعظم لوعاتى

---

(١) كذا فى الأصل ولكنها مائة وأحد وثلاثون

ما كنت أعـلم قربى فى محبتهم ... حتى رمتنى إلى الأبعاد راياتى
فاندب على مامضى من عيشنا وصفا ... وأُبْكِ على ماقدجرى ، ياقلبى العاتى
واذكر مصارع قوم ، كيف قدشربوا ... بعـد الزلال بكاسات المنيات
فأصبحوا فى الثرى تَبلى وجوههم ... تحت التراب ، فياعظم المصيبات
أأنت من بعدهم تسرى كسيرهم ... إما بدار هوان أو بجنات ؟
أقول ماقاله العبد المنيب (١) ، وقد ... أودى به السجن فى بِرّ وطاعات
أنا الذليل ، أنا المسكين ، ذوشجن ... أنا الفُقير إلى رب السموات
أنا الـكسير ، أنا المحتاج ، ياأملى ... جدلى بفضلك ، واعف عن خطياتى
أنا الغريب ، فلا أهل ولا وطن ... أنا الوحيد ، فكن لى فى ملمـاتى
أنا العُبيد الذى مازلت مفتقراً ... إليك ، يا سيدى في كل حالاتى
مالى سواك ، ومالى عنك منصرف ... ذكراك فى القلب قرآنى وآياتى
أنت القدير على جبرى بوصلك لى ... أنت العليم بأسرارى الخفيات
أدعوك ياسيدى ، يامشتكى حزنى ... يا جابرى ، يا مغيثى فى مهماتى
فانظر إلى عبرتى وارحم صباجسدى ... يا راحم الخير يا بارى البريات
ما زال مفتقراً فى باب سيده ... ما زال مبتليـاً بالامتحانات
ما زال يتبع آثار الرسول على النـ ... ـهج القويم باعلام الدلالات

---

(١) هو ابن تيمية : والشاعر يشير بهذا الى قصيدة الشيخ التى قالها فى السجن . ومطلعها «أنا الفقير إلى رب السموات» التى تقدمت فى صفحة (٣٧٥)

يهدى لسنته ، يفتى بشرعته يرعى لحرمته فى كل ساعات
قطب الزمان وتاج الناس كلهمو روح المعانى ، حوى كل العبادات
حبر الوجود ، فريد فى معارفه أفنى بسيف الهدى أهل الضلالات
حوى من المصطفى علماً ومعرفة وجاءه منه إمداد النوالات
ما جاءه سائل إلا ويمنحه إما بجود ، وإما بالمداراة
ماذا أقول ؟ وقولى فيه منحصر فى وصف أخلاقه ؟ كلّت عباراتى
فى علمه ، ماعلمنا من يناسبه إلا أئمتنا أهل العنايات
فى زهده ، ما سمعنا من يشاكله إلا رجال مضوا أهل الكرامات
فى جوده ، ما وجدنا من يماثله غير البرامك كانوا فى سعادات
يجود ، وهو فقير ، إنّ ذا عجب هو الذى ما سمعنا فى الحكايات
تلوح شمس المعالى فى شمائله وفى صفا وجهه نور الهدايات
بحر المعارف ، تاهوا فى بدايته أهل المعانى وأرباب النهايات
قطب الحقائق ، حاروا فى فضائله أهل التصوف أصحاب الرياضات
أعجوبة الدهر ، فرد فى فضائله علاّمة الوقت فى الماضي وفي الآتى
والهفَ قلبى على من كان يجمعنا على فنون المعانى والإشارات
فارقت من كان يُروينى برؤيته إذ اتبدّى بدا سِرُّ العبادات
يروى الأحاديث عن سكان كاظمة فيطرب الكون من طيب الروايات
ويطنب الذكر فى إحسان حسنهم فيرقص القلب شوقا نحو سادات

أفضى الى الله والجنات مسكنه   عليه من ربه أزكى تحيات
ثم الصلاة على خير الأنام ومن   قد خصه الله من بين البريات
اختاره ليلة الاسرا لحضرته   حتى تجلى له رب السموات
فهو الشفيع الذى ترجى شفاعته   عند الشدائد فى يوم المجازاة
عليه منى سلام الله ماهمعت   سحب وجادت بالزيادات
والحمد لله حمداً لا انقطاع له   أرجو به من آلهى محو زلاتى

تمت وعدتها خمسة وخمسون بيتا .

وسئل الناظم لهذه القصيدة عن عمره فقال : نحو التسعين . ومولدى ببلاد الروم . وتوفى يوم الاربعاء سادس شعبان سنة إحدى وثلاثين وسبعمائة . ودفن بباب الصغير رحمه الله تعالى ورضى عنه (١)

مرثية

فى الشيخ تقى الدين ابن تيمية رحمه الله ، نظمها رجل اسمه جمال الدين محمود بن الأمير الحلبى ، وأرسلها من حلب المحروسة .

يادموعى سحى كسحب الغمام   هاطلات على الخدود سجام
لفراق الشيخ الامام المفدى   ابن تيمية ونجل الكرام

---

(١) اعاد هنا ذكر الابيات التى قالها الشيخ فى سجنه . وأولها « أنا الفقير الخ » وقد أسقطناها من هنا لانها تقدمت فى صفحة (٣٧٥) وعدتها أربعة عشر بيتا .

زاهد ، عابد ، تقى ، نقى فهمه لايقاس بالأفهام
ابن تيمية يتيمة دهر ماله من مساوم ومسامى
فجعت فيه كل أهل البرايا جمعها للعلوم والأحكام
أوحد فى العلوم والفضل والزهـــد ، لايرأى فى ملة الاسلام
بحر علم يغوص كل لبيب فى معانيه . حار كل الأنام
فاق بالعلم والفضائل للخلـــق ، فأضحى إمام كل إمام
إن يكن غاب شخصه وتوارى ومضت روحه لدار السلام
فمناقبه والفضائل تبقى فى ممر الدهور والاعوام
سيد قد علا بعلم وحلم فعداه لديه كالأنعام
كم رموه الحساد بالـكيد والبغـــى ، وهو لاينثنى عن الأقدام
طالب الحق لايخاف لحيف وهو يحمى عن ذروة الاسلام
لايخاف الملوك أيضا ، ولا الخلـــق ، ولا العبيد مع اللوام
كم ملوك أتى بحزم وعزم وهو فى الله مسرع الاقدام
ولغازان إذ أتاه بقلب ما أسود الغابات مع ضرغام
فتلقاه بالبشاشة والرحـ ـب والعطايا ، والعز والاكرام
أخذ العهد منه للناس جميـ ـعا بأمان لـكل أهل الشآم
نفس صادق تقبله الاله ، فأطاعته كل تلك الانام
وحماهم فى الحمى بخشوع وخضوع للواحد العلام

قل لمن رام للفخار ويبغى رتبة قد علت بحد الحسام
هو فى رتبة النبين ، فاعلم هكذا أخبر النبى التهامى
فقدته الدنى ، مع الدين والعلم ، وكل الزهاد والأيتام
كم فتاوى أتته . مع كل شخص أعجزت كل عالم صمصام
حلها كالنسيم فى الحال ، وجلى لصداها من علة الأسقام
كان بحراً للناس ، مَنْ غاص فيه فاز بالدر منه ، لا بالحطام
أوحد الخلق فى التفاسير طرا والأحاديث ، والعلوم التمام
شيخ كل الاسلام فى الزهد والنسك والعبادات ، والتقى ، والصيام
كان شمس الضحى ، ونيل البرايا وإمام العلوم والاحتشام
صدره للعلوم ، والقلب للرب ويداه للبذل والانعام
ولديه أهل العلوم تداعت إذ هوت حوله فى الازدحام
تبتغى من جنَىَ معانيه نطقا يستضىء منه فى دياجى الظلام
فيروى قلوبهم بعلوم فتراهم سكرى بغير مدام
كلما رُمْتُ سَلْوة عن هواه قادنى الشوق نحوه بزمام
لاتلمنى على المديح ، ودعنى فهو شيخى ، وبغيتى ، وغرامى
خجل البدر من سناه فاضحى يعتريه النقصان عند التمام
كل من مات فى هواه بوجد ما عليه فى حتفه من ملام
استمع ياعذول ، بالله ، وافهم لمعانيه فى جميع نظامى

قد تساوى فى الحق كل وزير عنده ، مع رذالة الأعوام
فضله شاع بين كل البرايا بعلوم شبه البحار الطوامى
كان بدرا يضىء فى الناس بالعلـــم وإماما ، فياله ، من إمام
حسدوه عند الوفاة على الخلـــق ، فلم يخل منهمو فى الحمام
نقلته أيدى المنية بالحق بجنان الخلود ، والدمع دامى
ياالهاساعة ، لقى الله فيها حاز فيها المُنَى ونيل المرام
فهو فى جنة النعيم مفدى بين حور ، كلولؤ فى الخيام
قدس الله روحه ، مع أخيه ما أضاء الصباح بالابتسام
يا نسيم الصبا بالله بلغ لحبيبي تحيتى وسلامي
وتعرض على المحبين ذكرى وشجونى وشقوتى وسقامى
ثم صفِ ما أكابد الآن فيه من همومى ولوعتي وهيامى
وتقول العبيد : محمود أضحى بدموع وعبرة كالغمام

تمت والحمد لله وحده وهى إحدى وخمسون بيتا (١)

للشيخ علاء الدين أبى الحسن ، على بن محمد بن سليمان ، بن حمائل ابن غانم المقدسى ، رحمه الله . يرثى شيخ الاسلام تقى الدين ابن تيمية رضى الله عنه :

أى حبر مضى ، وأىّ إمام فجعت فيه مِلَّة الاسلام

---

(١) كذا قال فى الأصل ، ولكنها بالتعداد خمسون فقط

بحر جود وعلم ، قد غاض من بعـ د ما فاض نداه ، وعم بالانعام
زاهد ، عابد ، تنزه فى دنيا ه عن كل ما بها من حطام
كان كنزا لـكل طالب علم ولمن خاف أن يرى فى حرام
ولعاف ، قد جاء يشكو من الفقـ ر لديه ينالُ كلّ مرام
حاز علما ماله من مساو فيه ، من عالم ، ولا من مُسام
ولم يكن فى الدنيا له من نظير فى البرايا فى الفضل ، والأحكام(١)
كان فى علمه وحيدا فريدا لم ينالوا ما نال فى الأحلام
عالم فى زمانه ، فاق بالعلـــم جميع الأئمة الأعـــلام
كل من فى دمشق ناح عليه ببكاء ، من شدة الآلام
حملوه على الرقاب إلي القـــبر ، وكادوا أن يهلكوا بالزحام
ما يرى عند يومه عند ما سا ر على النعش نحو دار السلام
فجع الناس فيه فى الغرب والشر ق ، وأضحوا فى الحزن كالأيتام
كل من فى الوجود فيه مصاب فيعزى به جميع الأنام
أعظم الله أجرهم فيه إذ صا ر على الرّغم في الثرى والرغام
صار جار الاله ، رب السموا ت ، الرحيم ، المهيمن ، العلام
كان وقت الحروب بالطعن والضر ب سريع القدوم والاقدام
لا يهـاب الهول العظيم بقو ل الحق فى نقضه ، وفى الابرام

(١) فى نسخة : جميع العلوم والأحكام اه من هامش الأصل

تابع سنة الرسول ، عليه من إله السماء أزكى سلام
قائم فى نصر الشريعة بالعلـــم ، وبالفضل منه كل قيام
كم بنور العلم أخرج قوما من ضلال ، ومن عظيم ظلام
نال ما نال من شريف مقال بعلوم شتى ، وعُظم مقام
طبّـق الأرض بالفتاوى اللواتى هى منقذات الورى من الآثام
حسدوه إذ ماله من نظير من بنى دهره الكبار الكرام
خصه بالكمال من كل علم ربنا ، ذو الجلال والاكرام
لو يُفدَّى بالروح كنا جميعـا قد فديناه من هجوم الحمام
قدس الله روحه وسقى قبـــراً حواه هاطلات الغمام
ورضى عنه ربنا وترضّا ه ، وملاَّه بالنعيم النامى
فلقد كان نادراً فى بنى الده ر ، وحسنا فى أوجه الأيام

تمت والحمد لله رب العالمين وعدتها ثلاثون بيتا (١)

***

قصيدة من القصائد التى رثى بها شيخ الإسلام ، تقى الدين بن تيمية وهى لرجل جندى بالديار المصرية يقال له : بدر الدين ، محمد بن عز الدين أُنْدُمُنْ المغيثى ، رجل فاضل له محفوظات متنوعة . وفيه ديانة وصلابة في دينه .

---

(١) كذا بالاصل ولكنها تسعة وعشرون فقط

أرسلها ، وذكر أنه عرضها على الإمام أبي حيان

خطبٌ دنا ، فبكى له الاسلام　　وبكت لعظم بكائه الأيام
وبكت له بعبرتها السماء ، فأمطرت　　فى غير فصل تسمح الأعوام
وبكت له الأرض الجليدة بعد ما　　أضحى عليها وحشه وقتام
وتزلزلت كل القلوب لفقده　　وتواترت من بعده الآلام
وللمؤمنين الجن حزن شامل　　ونياحة نطقت بها الأحلام
وتفجّع الدين القويم لفقده　　وبقى غريبا يُبتلى ويضام
مُذْ مات ناصره الذى أوصافه　　أبداً تكون على سواه حرام
لتقىّ دين الله وصفٌ باهر　　وخصائص خضعت لها الأفهام
ومواهب من ذي الجلال تُمدُّه　　فيهم فخـــــر شامخ ومقام
وغدا تقىّ الدين أحمد ماله　　حـد فتحمل فقده الأجسام
العالم الحبر الامام ، ومَنْ غدا　　فى راحتيه من العلوم زمام
ذو المنصب الأعلى الذى نصبت له　　فى الأرض فى أقطارها الأعلام
بحر العلوم ، وكنز كل فضيلة　　فى الدهر فردٌ ، فى الزمان إمام
حَبرٌ تخيّره الآله لدينه　　خَتمٌ لأعلام الهدى وختام
فوفى بأحكام الكتاب ، فكم له　　فى نصر توحيد الآله قيام ؟
والسنة البيضاء أحيا ميتها　　فغدت عليها حرمة وحجام (١)

(١) حجمه عنه حجما ، كنصر وضرب — منعه

وأمات من بدع الضلال عوائدا لا يستطيع لدفعها الصمصام
أسَّ الفضائل ، والذى لا تهتدى لفنونه وعلومه الأوهام
وأناله رب السموات العلا فى العلم سبقا ما إليه مرام
ونفوذه فى العلم قول محمد صلى عليه الخالق العلام
إن المنزّه ربنا سبحانه يقضى بما تأتى به الأحكام
يبدى لكم فى كل قرن قادم الدين من تُهدَى به الأقوام
فلئن تأخر فى القرون لثامن فلقد تقدم فى العلوم أمام
فاق القرون سوى الثلاث (١) فانها خير القرون يزينهن تمام
وسوى ابن حنبل إنه علم الهدى حبر إمام ، صابر قوَّام
لكنَّ أحمد مثل أحمد؛ قد حوى علما وزهدا فى العلوم تؤام
حدّث بلا حرجٍ وقل عن زهده ماشئت ، لا رد ، ولا آثام
هَجرَ المطاعم والملابس . والذى ولعزمه فى تركها إحزام
نزر المآكل ، والمنام ، ولا يُرى لبنى الدنى فى قلبه إعظام
وتراه يصمت لا لعى دائما إلا لعلم يقتنى ويرام
وإذا تكلم لا يراجع هيبة وسكينة ، وكلامه إبرام
ألقى عليه مهابة من ربه فخطابه الاجلال والاكرام

(١) التى يقول فيها النبى صلى الله عليه وسلم « خير القرون قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم — الحديث »

وإذا دنا فترى الرجال ذليلة فكأنها فى نفسها أحجام(١)
بشر يعظم بالقلوب ، وقدوة أبدا يعظم ، وهو بعد غلام
مِنن يخص بها المهيمين من يشا من خلقه ، والجاهلون نيام
وجفا العباد لشغله بحبيبه فوداده للأقربين سلام
وله مقام فى الوصول لربه ومقامه نطقت بها الاقتام(٢)
وله فتوح من غيوب إلهه وتحزن ، وتمسكن وكلام
وتصوف وتقشف وتعفف . وقراءة وعبادة وصيام
وعناية ، وحماية ، ووقاية وصيانة ، وأمانة ، ومقام
وله كرامات ، سمت ، وتعددت ولها على مر الدهور دوام
من رد عن أرض الشآم بعزمه مَنْ صَدَّ وجه الكفروهوحسام
من رَد غازان الهمام بحسرة مَنْ خلَّص الأسرى ، وهم أيتام
من قام بالفتح المبين مؤيدا فى كسروان ، وهم طغاة عظام
من جد فى بدع الضلال وحزبه وأذلهم بعد الرضاع فطام
من صار فى سنن الرسول ونصرها حتى استقر لأمرهن نظام

---

(١) جمع حجم : أى أجرام ساكنة بلا حركة

(٢) بهامش الاصل : نسخة « أغتام » الأغتم : الذى لا يفصح شيئا . والاقتم : الذى تعلوه ظلمة وسواد . و لا نسب للمعنى فى البيت « أغتام »

من قام فى خذل الصليب ودينه ‏ ‏ لما تداعوا للباس ، وقاموا [١]
فو هوا وردوا خائبين بذلة ‏ ‏ وعليهم فوق الوجوه ظلام
فالأمر بالمعروف يُفقد بعده ‏ ‏ والفاعلون النكر ليس يلاموا
فكأن أشراط القيامة قد دنت ‏ ‏ وانحلّ من سَرْج الزمان حزام
فالعلم فينا ليس يقبض سرعة ‏ ‏ كلا ، ولا يأتى حِماه حمام
لكن بقبض الراسخين ذهابُه ‏ ‏ وزواله ، وبقى رعاع طغام
لله ما لاقى تقى الدين من ‏ ‏ مِحَنٍ تتابعه ، وهُنّ ضخام
ومَكاره حُفّت بكل شديدة ‏ ‏ ومواقف زلت بها الأقدام
ومكائد نصبت له ، وحبائل ‏ ‏ قصداً إليه ، فردها الاقدام
فحكى ابنَ حنبل فى فنون بلائه ‏ ‏ بجنان ثبتٍ ، ليس فيه ذؤام
وبسجنه ، وبحصره ، ونكاله ‏ ‏ حتى رثى العذّال واللوام
فأراد رب العرش ، جل جلاله ‏ ‏ للقائه مُذ حانه الاعدام
وأتاه آتى الموت ، يخطب نفسه ‏ ‏ فأجابه طوعا له القمقام [٢]
نخلت مرابعه ، وأَوحش ربعه ‏ ‏ وتقوضت عند الرحيل خيام
وتفجّعت كل القلوب بفقده ‏ ‏ وغدا عليها ذِلة وسقام

---

(١) يشير الى ماحاوله النصارى من تغيير الزى الذى كان الزمهم به الملك فلما جاء برقوق تشفعوا لديه فى ذلك فرده الشيخ عن ذلك

(٢) القمقام — كصمصام — السيد العظيم .

ومضت جنازته الشريفة بعد ما سَدَّ المسالك صارخٌ وزحام
وأتت روايات الشآم بجمعها خبراً صحيحا ، ليس فيه أثام
أن الأولى شهدوا الصلاة وشيعوا والله ، لا تحصيهم الأقلام
فعليه أفضل رحمة تهدى له ومن الآله تحية وسلام
ما دامت الأفلاك فى دوراتها أو ناح من فوق الغصون حمام

تمت . وعدتها ستة وستون بيتا .

***

مرثاة للشيخ قاسم بن عبد الرحمن المقرى ، فى الشيخ تقى الدين رضى الله عنه .

عز التبصر ، والزمان رمانى بسهامه ، وترادفت أحزانى
أصبحت مكتئباً لفقد أحبة جبلت جبلتهم على الاحسان
لا صبر لى عنهم ، وكيف تصبرى عن سادة رحلوا من الأوطان ؟
إن أوحشوا نظرى ، فقلبى موطن وعمارة الأوطان بالسكان
خلت الديار ، فأصبحوا في بلقع يا وحشتاه لفرقة الاخوان
لما سمعت بأن أحمد قد قضى نحبا (١) على التوحيد والإيمان
ولقاء رب ، لا مرد لحكمه سبحانه من قادر منان
عظمت مصيبتنا لسيد عصرنا فى شرح سيد أحمد ببيان
والعلم حاز أصوله وفروعه وغرائب التفسير للقرآن

(١) النحب : العهد . كذا فى الأصل اه . من هامش الأصل

ويناظر الفقهاء فى أقوالهم   ويجيبهم بالثبت والتبيان
غلب الملوك بثبته وجنانه   وشجاعة بلغت إلى غازان
أفديه من بطل يلاقى عصبة   منهم ، بلا عون ، ولا أعوان
من ذا يقوم مقامه فى عصرنا   إذ مامضى فى سالف الأزمان
وله الزهادة والعبادة منهج   وكذا يكون العالم الربانى
سارت ركائبه إلى دار الجزا   متمسكا بمواعد الرحمن
أوَ ما نظرت إليه فوق سريره   حفت به الأنوار بالامكان ؟
والناس من حول الجنازة أحدقوا   كل يجود بعبرة الثكلان
وهمو ألوف ليس يحصى جمعهم   إلا إله عم بالغفران
نزلوا به كالبدر فى إشراقه   فتباشرت بقدومه القمران
عبد الحليم أبوه سيد عصره   وأخوه عبد الله حبر ثان
المجد حاز المجد فى عصر مضى   فى الجرح والتعديل والبرهان
ولمثل هذا سارعوا أهل التقى   فازوا بأرفع رتبة وأمان
فى جنة أنوارها قد أشرقت   وقطوفها للطائفين دوان
أكوابها موضوعة وقبابها   من لؤلؤ مرفوعة البنيان
والنور يغشى أهلها وهمو على   تلك الأسرة فى رضى وأمان
ولباسهم من سندس وخيامهم   قد ألبسوا من أحسن التيجان
ولأهلها مايشتهون وشغلهم   بالله لابالحور والغلمان

منهم تقى الدين فاز بزهده وبصبره فى طاعة الرحمن
ثم الصلاة على النبى محمد خير الأنام ، ومعدن الاحسان
هاد وأول شافع ، ومشفع وله الوسيلة مظهر الايمان
ماحن مشتاق إلى وادى منى وتطوفوا بالبيت والأركان

تمت والحمد لله رب العالمين . وعدتها إحدى وثلاثون بيتا

* * *

مرثاة للشيخ برهان الدين ابراهيم ، بن الشيخ شهاب الدين أحمد ابن عبد الكريم العجمي ، يرثى الشيخ تقى الدين بن تيميـة فى جمادى الآخرة سنة خمس وثلاثين وسبعمائة . ومولده فى أوائل سنة سبع وتسعين وستمائة . وتوفى فى رمضان سنة خمس وثلاثين وسبعمائة

جدى بانسجام الدمع يامقلة العانى إلى أن تروى الارض من فيض أجفانى
وذق يافؤادى كل يوم وليلة مرارة أشواق ولوعة أشجان
إلى أن أرى وجه ابن تيمية الذى به الله من أهل الضلالة نجانى
ومن لى بأن ألقاه ، والموت قد أتى فغيبه فى الترب عن كل انسان
فيا وحشة الدنيا لأنوار وجهه ويالهف إخوان عليه وجيران
يحق العين لاترجى لقاءه إلى الحشر أن تنهل بدمعها القانى
لقد عم أهل الأرض رزء مصابه ولم ينج فيهم منه قاص ولادانى
لقد كانت الدنيا به ذات بهجة ونور ، وإشراق ، وروح وريحان

وماكان إلا آية فى زمانه ... وفى كل علم حازليس له ثان
إمام هدى ، يدعو إلى دين ربه ... دعاء نصوح مشفق غير خوان
فمذهبه : ماجاء عن خير مرسل ... وأصحابه ، والتابعين باحسان
أتى بعلوم حيرت كل واصف ... على أنه يهدى بها كل حيران
فكم مبطل وافاه يبغى جداله ... فانصفه فى البحث من غيرعدوان
ويكشف عنه شبهة بعد شبهة ... إلى أن يبين الحق أحسن تبيان
فيصبح عن تلك المقالة معرضا ... ولو كان من أحبار سوء ورهبان
يغار على الاسلام من كل بدعة ... ومازال منها هادما كل بنيان
وفى الله لم تأخذه لومة لائم ... ولم يخش مخلوقا من الانس والجان
ولم ينتقم فى الدهر يوما لنفسه ... ولكنه يؤذَى فيعفو عن الجانى
وأما سخاء الكف فالبحر دونه ... ولم يك فى بذل العطايا بمنان
ولو وزنوا أهل الشجاعة كلهم ... به رجح الشجعانَ فى كل ميزان
فمن جاهد الأعداء فى الدين ليلة؟ ... ومن سل سيف العزم فى وجه غازان ؟
ومن قال للناس: اثبتوا يوم شقحب؟ ... فان الاعادى فى انهدام وخذلان
فمن خشى الرحمن بالغيب واتقى ... إله البرايا ، خانه كل سلطان
وماضره إن طال فى السجن مكثه ... إذا كان فى نسك وطاعة رحمن
منيباً إلى مولاه ، يقطع وقته ... بنقل أحاديث ، وتفسير قرآن
ولم يك مشغوفا بحب رياسة ... ولا شد بغلات ، ولاحسن غلمان

وما كان مشغولا بجاه ومنصب ولا رفع بنيان ولا غرس بستان
ولكن بعلم نافع وعبادة وزهد ، وإخلاص ، وصبروايمان
وفى موته قد كان للناس عبرة لما شاهدوا من غير زور وبهتان
إذ انتشروا مثل الجراد ، وكادأن تزيغ عقولٌ من رجال ونسوان
وسار على أعناقهم نحو قبره يجاور مولى ، ذا امتنان وغفران
إلى الذهب الباقى دعاه إلٰهه فذاك له خير من الخزف الفانى
دعاه إلى جنات عدن وطيبها ومنه فيها بحور وولدان
فنسأل رب العرش يجمع شملنا به فى جنان الخلد من بعد حرمان
ويجبرنا بعد انكسار قلوبنا ويروى برؤيا وجهه كل ظمآن

تمت ولله الحمد . وهى خمسة وثلاثون بيتا

***

للشيخ الامام المحدث، الفاضل ، الأديب البارع ، صفى الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادى الحنبلى ، مدرس المدرسة البشيرية ببغداد .

يقول : قال العبد الفقير : عبد المؤمن ، بن عبد الحق ، حين بلغه وفاة الشيخ الامام العالم ، بقية العلماء المجتهدين ، تقى الدين أحمد بن تيمية الحرانى ، رحمه الله ورضى عنه ، وبوأه الجنة ، بمنه وكرمه آمين :

طبت مثوى ياخاتم العلماء في مقام الزلفى ، مع الأتقياء
أولياء الرحمن والسادة الغـر ، الهداة ، الأئمة ، الصلحاء
ويح للموت ، كم طوى بك من علـم غزير ، وفطنة وذكاء
وبيان يشفى القلوب من الغى ، ويجلو عنها صدى الغماء
أين تلك العلوم والمنطق الصائب عند السؤال والافتاء ؟
أين ذاك الخلق الجميل وحسن البشر للزائرين عند اللقاء ؟
رمدت مقلة الفضائل مُذْ مِتَّ ، وقرت عيون أهل الشقاء
حين لا عالم يرد الذى قالوا ، وما نمقوه للاغواء
من ضلال أهل فلسفة اليونان والاعتزال ، والارجاء
وذوى الرفض من يدينون بالطعـن على الصالحين ، والإزراء
من لحل الشكوك بعدك والمردود من شبهة ، وقول هراء ؟
من لتبيين مشكل قصرت عنـه عقول لما به من خفاء ؟
من لقمع الخصم المجادل فى الديـن عنادا من ملة عوجاء ؟
من ترى للغريب بعدك يلقـاه بوجه طلق ، وفضل حياء ؟
ضاع من بعدك الغريب فما يلـقى معينا له على اللأواء
أيما عالم نعاه لنا الناعى وحبر قد صين فى الغبراء ؟
أى حبر قد عيضته المنايا فى رجا حفرة من الأرجاء
أعلم الناس كلهم بكتاب الله ، جل اسمه بغير مراء

بمعانيه والعلوم التى فيـــه ، وأدرى بالسنة الغراء
من أحاديث سيد الرسل يرويـــه كبار الأئمة ، النبلاء
من صحيح ومن سقيم وأخبا ر الرواة الثقات والضعفاء
و بآثار صحبه وفتاو ى من أتى بعدهم من العلماء
و باجماعهم وما اختلفوا فيـــه من الحكم سادة الفقهاء
حاله ، إن نظرت فيه ، تجد مثل أحوال سادة الأولياء
قانع النفس بالدنى من العيـــش ، غنيا ، يعد فى الفقراء
مؤثر بالذى لديه لعـــافيه على نفسه بغير رياء
ورع طاهر ، ونسك وإخبا ت ، وشكر فى شدة ورخاء
والتقى والعفاف ، والزهد فى الدنيـــا حلاه ، والصبر عند البلاء
لم يزل جاهدا يجاهد فى اللـــه قبيل الضلال والأهواء
بجنان ثبت ، وجأش قوى وفؤاد راس لدى الهيجاء
يزع الخصم بالجواب عن الشك ويدلى بالحجة البيضاء
صابراً نفسه إلى أن قضى الا ه بما قد قضى على الأنبياء
وقد أضمروا له السوء قوم للذى حملوا من البغضاء
حسداً منهم لما خصه الا ه به من ملابس الفضلاء
فاستحلوا منه الذى حرم الا ه لما أضمروا من الشحناء
حرفوا قوله كما حرف القـ وم نصوص القرآن للاغواء

ورموه بكل قول شنيع بين الكذب ظاهر الافتراء
أعجزوا عنه مرة بعد أخرى فاستعانوا عليه بالاغراء
هل يبارى العضب الصقيل كهام صدىء فى ضرابه ومضاء
أم تجارى الحمير فى حلبة السبق جوادا مضمر الأحشاء
لم ينالوا منه الذى أملوه بل رمى الله جمعهم بالفناء
ياتقى الدين الذى صدقت فيه ، وحقت مخايل الآباء
عند تلقيبه كذلك ، قد كنت وسميت أحسن الأسماء
باابن تيمية لقد فزت فى الدنيا بذكر باق ، وحسن ثناء
وكذا أنت يعلم الله فى الأخرى مع الصالحين والشهداء
بوئت روحك الشريفة فى الجنة أعلا منازل السعداء
وسقى قبرك الرضا وأتاك الروح فى كل بكرة وعشاء
وتوالت عليك من نعم الله ورضوانه صنوف العطاء

آخرها وعدتها ثمانية وأر بعون بيتا

***

للشيخ زين الدين ، بن الشيخ حسام الدين ، أقش الشبلى ، يرثى الشيخ تقى الدين بن تيمية . رضي الله عنه

لو كان يقنعنى عليك بكائى لجرت سوابق عبرتى بدماء

وكنت فى يوم انتقالك للبــلى صخراً لزدت على بكى الخنساء (١)
لـكن أصبر عنك نفسى كاتماً للحزن ، خوف شماتة الأعداء
أترى علمت وأنت أفضل عالم ، ماعندنا من لوعـة وبلاء ؟
أسفى على تلك الديانة والتقى والجود آذن قربه بتناء
أسفى عليك نفى الكرى عن ناظرى من فرط أحزانى وفرط عنائى
أسفى عليك ، وما التأسف نافع صبا عليك مقلقل الأحشاء
غاضت بحار العلم بعدك ، والورى فى غفلة ، ياســـيد العلماء
بأبى ، وحيدا مات منفرداعن الا حباب ، كان بقية الصلحاء
بحر العلوم ، حوى الفضائل كلها وسما سمو كواكب الجوزاء
متفرداً فى كل علم دونه لعلو رتبته ذرى العليــاء
بالفضل قد شهدت له أعداؤه وبه سما فضلا على النظراء
شيخ العلوم ، وتابع السلف ، الذى تبعوا الرسول بشدة ورخاء
وإمام أهل الأرض ؛ والمبدى لهم سنن الهدى عن صحة الأنبـاء
ذو الصالحات ، وذو الشجاعة والتقى والجود ، والبركات ، والآلاء
من كان لايثنى لطالب جوده حتى يبلغه لـكل رجاء
يجفو المضاجع راكعا أو ساجدا أو ذاكراً لله فى الظلماء

---

(١) « صخر » اخو الخنساء رثته رثاء لم تسبق إليه ، حتى ضربت الأمثال برثائها

كالصبر فى حنك العدو مذاقه وألذ من شهد إلى الجلساء
المانح ، البحر ، الامام ، العالم الحبر ، الهمام ، وحجة الفقهاء
الواهب المال الجزيل وغامر الضيـــف النزيل بوافر النعماء
المحسن الكافى السؤال وحاسم الـــداء العضال ، وكاشف الغماء
صدر المدارس والمجالس أحمد المحمود فى عود ، وفى إبداء
وإذا المسائل في الفتاوى أفحمت أهل العلوم وحجبت بخفاء
وأتت تقى الدين أظهر ما اختفى منها ، وأبداه لعين الرائى
فترى سهاها فى الخفاء بكشفه كالشمس مشرقة بصحو سماء
ويرى البصير الحق فيما قاله والحق لايخفى على البصراء
سجنوه خشية أن يرى متبذلا صونا ، فنال منازل الشهداء
للمؤمنين له ، وعند عدوهم ذاك الكسير ، وعزة الخلفاء
فى المحدثين أتى بفضل باهر ومناقب أربت على القدماء
أى خاشع أى شاكر أى ذاكر لله فى الاصباح والامساء
أى زاهد ، أى حامد ، أى باذل المسلمين نصائح النصحاء
خير الصفات صفاته ، وثناؤه بالجود بين الناس خير ثناء
ويظل يسأل جوده عن سائل ذى فاقة ليبره بعطاء
وتراه يشرق وجهه متهللا للسائلين له شروق ذكاء[1]

(١) ذكاء : الشمس

بادى التبسم عند بذل نواله ... لطفا إلى الفقراء والضعفاء
أربى على فضل البرامكة الأولى ... وطوت مكارمه حديث الطائى
من جاء يسأله ويشاهد عنده ... بذل الملوك ، وعيشة الفقراء
يربى على سح السحائب جوده ... وكذا تكون مواهب الكرماء
والجود يرفع أهله بين الورى ... أبدا ، ويهوى البخل بالبخلاء
وله إذا اصطدم القتال شجاعة ... قامت بنصر الدين فى الهيجاء
سل عنه غازانا ، وسل أمراءه ... لما أتوا بطلائع الأسراء
والمغل قد ملكوا البلاد وأهلها ... كم فك من عان بغير عناء ؟
وكذا بشحقب ، التتار قد اقبلو ... كالطم فى أمم بغير مراء
والمسلمون على النزول ، قد أجمعوا ... والمغل عنهم نظرة للرأى
من حرض السلطان والأمرا على ... ترك النزول ، سواه عند مساء ؟
قال : اثبتوا ، فلكم دليل النصر قد ... وافى . فكان النصر عند لقاء
وأتى جبال الكسروان . فأذنت ... بدمارها من بعد طول بقاء
وله بكل مدينة ذكر أتى ... كالمسك فهو معطر الأرجاء
سير له نظمتها ، سارت بها الر ... كبان ، دون قصائد الشعراء
وإذا إمام المسلمين وشيخهم ... ولى ، وعز على عزاه عزائى
أدعو إله العرش يجمع بيننا ... فى جنة الفردوس ، فهو رجائى

وعليه من رب السماء تحية   تبقى له أبدا بغير فناء

تمت وهى اثنان وخمسون بيتا .

وله أخرى على قافية القاف نحو خمسة عشر بيتا تقدم ذكرها :

قال الشيخ المؤلف رحمه الله : وقد رثى الشيخ رضى الله عنه بقصائد كثيرة غير هذه . وفيما ذكرنا كفاية

والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم

مرثاة فى شيخ الاسلام العالم الربانى أحمد بن تيمية الحرانى ، للشيخ شمس الدين الحنبلى ، من أهل الصالحية ومولده قريبا من سنة إحدى وسبعمائة بسفح قاسيون :

خطب جسيم هائل جلل   قد عزمته العزا ، وابيضت المقل
والوقت قبض ، فلا صبر ، ولا جلد   أتى وصرف الليالى سابق عجل
والأمر يعظم ، والأفكار حائرة   وقد أحاطت بنا الأهوال والوجل
كأنما الشمس فى جو السما كسفت   وضوؤها بائن عنها ومنفصل
والجو فى مأتم ، كالليل منظره   كأن جنح الدجى فى الليل منسبل
فدمعتى بدمى ، ياسعد ، قد مزجت   كأنما فى فؤادى النار تشتعل
أمسى ، وأصبح والأحزان تكمدنى   وحسرتى بدوام الدهر تتصل
قد زادنى أسفى ، واشتد بى جزعى   أيقنت أن حياتى حتها الأجل

وارحمتا لقلوب قطرت أسفا لقد عراها مصاب حادث جلل
وساءها فقد من كان الأنيس لها وخاب عند رجاها القصد والأمل
ياباكيا بطول الليل منتحبا لا يعتريه على طول البكا ملل
زد فى البكاء بدمع هاطل همل عسى بدمعك حُرُّ الوجه ينغسل
واعلم بأن السما والأرض باكية على ابن تيمية . والسهل والجبل
هذا الامام التقى السيد الألْمَعى البارع ، اللودعى الجامع ، الوجل
حبر ، إمام تقى ، زاهد ، ورع ليث همام ،حصور ، أوحد ، بطل
العلم ، والحلم والآداب : شيمته واللطف والجود والإحسان مكتمل
مادا يقول فصيح فى مناقبه والزهد منهجه ، والعلم والعمل ؟
لقد حبى الله أيام الزمان به علومه أبحر ، والخلق تنتهل
قد كان كالشمس للدنيا إذا طلعت واليوم ، لاعوض عنه ، ولابدل
نال الهداية فى مبدا هدايته وفي نهايته الارشاد والجمل
قد كان معتصما بالله منتصرا ووائقا ، مكتفي بالله ، متكل
لله در أبى العباس من رجل ما إن يرى فى البرايا مثله رجل
تالله لا عاذل بالعذل يعدلنى عنه ، وحاشاى أن يلهينى العذل
ياسيد العصر كم خلفت من كبد حرى عليك ، وعين دمعها هطل؟
ليبكين عليك العلم من أسف ليبكين عليك الفقه والجدل
ليبكينك أقوام إذا وفدوا من البلاد بعلم أمره شكل

لتبكينك دار كنت تسكنها وتشتكى فقدك الاسحار والأصل
فازوا بعلمك أقوام ، وقد سعدوا إذ عن جناب حماك الرحب ماعدلوا
وشاع ذكرك فى الدنيا بأجمعها فأنت فى الناس مضروب بك المثل
دانت لعلمك أهل الأرض قاطبة فأنت مفتى الورى فى كل ماجهلوا
شبهت علمك بالبحر المحيط . كما الا بحر المحيط بكل الأرض مشتمل
وإن تكن فى مجال الدرس كنت به ليثا تصول ، ومن ألفاظك الأسل
تروى الخلاف وتأتى بالأصول وعن أهل الحديث بما قالوا وما نقلوا
وذكر علمك فى الآفاق منتشر على ممر الليالى ، ليس ينفصل
كم قد أتتك فتاوى لا عداد لها أجبت أربابها عن كل ماسألوا ؟
وكم أجبت النصارى عن مسائلهم بمخرقات علوم عنك تنتقل ؟
وكم قمعت ، فدتك النفس ، من بدع وكنت فيها بأمر الله تستطل ؟
وكم تواضعت عن علم و معرفة تقى ، وقدرك بالجوزاء منتعل
لقد رويت من الآثار أوضحها كما روتها الثقات السادة الأول
من ذا يضاهيك فيما قد خصصت به و بحر علمك منه العارض الهطل ؟
قد كنت أعجوبة فى الدهر مدهشة وكان درسك فيه العقل يتذهل
وكان يومك يوما آمنا عجبا والناس للنعش بالهامات قد حملوا
والخلق لايهتدوا من عظم ماازدحموا فكم دموع تراها وهى تنهمل
يا رحمة نزلت فى الأرض وانتشرت على جميع الذى فى تربه نزلوا

سقت ثراك الغوادى صيب وابلها كما ضر يحك من تحت الثرى خضل
كما حبيت بدار الخلد منزلة حلاتها . وعليك الحلى والحلل
وتاجك النور والنعلان من ذهب وهكذا عن فتى شيبان قد نقلوا
قل للذى سره موت الإمام: لقد كفيك جهلك ، يا من غره الأمل
أما علمت بأن الموت ما سلمت منه ملوك بنى الدنيا ولا الرسل
أين الملوك وأبناء الملوك ؟ لقد صالت عليهم صروف الدهر فارتحلوا
وعن قليل ترى الدنيا وقد رحلت فليس يغنى ولايات ولا دول
وليس يغنى الفتى يوم اللقا ندم إذ أثقلت ظهره الأوزار والزلل
وإنما المتقى ترجى النجاة له لأنه خائف من ربه وجل
ولم يزل فى قيام الدين مجتهداً وإن خلا فى الدياجى فهو مبتهل
قل للأولى كتبوا علياه واجتهدوا: إن الذى علموا بعض الذى جهلوا
والله ، لست بمحص مدحه أبدا ولو أتيت بما ضاقت به السبل
عليه منى سلام الله ما صدحت ورق على فنن ، فى نوحها زجل

تمت وهى سبعة وخمسون بيتا

***

[بهامش الأصل : كذا وجدت فى الأصل . لم تعز هذه القصيدة]

يا قوم توبوا إلى الرحمن وابتهلوا فقد قضى رجل ما مثله رجل

يا قوم واستغفروا الرحمن خالقنا قد غار بحر علوم موجه العمل
روى صحاح أحاديث مجمعة وعنه أخبار رسل الله تنتقل (١)
والعلم والحلم والزهد المسكين ومن ما فى مقالاته ريب ولا زلل
كم بدعة قد محاها ثم أبطلها وكم أزاح لنا من منكر عملوا
كم قام فى أمر دين الله مجتهداً ولم يكن عنده فى أمره ملل
كم نار شر طفاها وهو مبتسم [لم يَعْرُ أَيْنٌ] (٢) ولا خوف ولا وجل؟
كم أظهر الحق لما قل ناصره وكم أبان لهم أمرا له جهلوا ؟
كم طوق الناس فى أعناقهم مننا ما ليس يحمله سهل ولا جبل ؟
قد كان ذا مورد عذب لقاصده والناس تصدر منه ثم ترتحل
من قبله جا إلى غازان مبتسما على الجواد وكل الخلق قد نزلوا
حتى إذا جاءه والخلق تنظره قام الجميع ولم يأخذهمو كسل
فقال جهراً له ، والخلق تسمعه : هل أنت محمودُ بالإسلام متصل ؟
وقال له: الشام ، يامحمود دار تقى ومعقل الأنبياء ، عنهافارتحلوا (٣)

(١ و ٢) فى الأصول التى بين أيدينا لهذين البيتين خلل عظيم لا يستقيم معه الوزن ، فأصلحناهما بقدر الامكان ، وزدنا فى ثانيهما ما بين القوسين

(٣) ارتكب فى هذا البيت ضرورة حذف ألف « ها » التى هى ضمير المؤنث وبدون ذلك لا يستقيم وزن البيت .

يكفيكم ما رأيتم من جنازته   ونعشه فوق روس الخلق ينتقل
إن كان فوق رءوس حملوه فقد   أولاهم نعماً ما ليس تنحمل
قد كنت أرجوه لى ذخراً وآمله   وأرتجيه إذا ضاقت بى الحيل
قد كان ذا رحل للناس كلهم   يا أيها الناس كفوا قد قضى الأجل

تمت وهى ثمانية عشر بيتاً .

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

من أصغر العباد ، عبدالله بن حامد : إلى الشيخ الامام العالم العامل قدوة الأفاضل والأماثل ، مجمّل المجالس والمحافل ، المحامى عن دين الله والذاب عن سنة رسول الله ، صلى الله عليه و آله وسلم والمعتصم بحبل الله الشيخ المبجل المكرم ، أبى عبد الله ، أسبغ الله عليه نعمه ، وأيد باصابه الصواب لسانه وقلمه ، وجمع له بين السعادتين ، ورفع درجته فى الدارين ، بمنه ورحمته .

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

(أما بعد) فانى أحمد اليك الله الذى لا إله إلا هو : ثم وافانى كتابك ، وأنا اليك بالأشواق ، ولم أزل مسائلا ومستخبرا ، الصادر والوارد ، عن الأنباء ، طاب مسموعها . وسر مايسر منها .

وما تأخر كتابى عنك هذه المدة ، مللا ولا اخللا بالمودة، ولا تهاونا بحقوق الاخاء ، حاشى لله أن يشوب الاخوة فى الله جفاء.

ولا أزال أتعلل بعد وفاة الشيخ الإمام ، (إمام الدنيا) ، رضى الله عنه بالاسترواح إلى أخبار تلامذته واخوانه ، وأقاربه وعشيرته ، والخصيصين به ، لما فى نفسى من المحبة الضرورية التى لا يدفعها شىء ، على الخصوص ، لما اطلعت على مباحثه واستدلالاته ، التى تزلزل أركان المبطلين ، ولا يثبت فى ميادينها سفسطة المتفلسفين ، ولا يقف فى حلباتها أقدام المبتدعين من المتكلمين .

وكنت قبل وقوفى على مباحث (إمام الدنيا) رحمه الله ، قد طالعت مصنفات المتقدمين ، ووقفت على مقالات المتأخرين من أهل الفلسفة ونظار أهل الاسلام . فرأيت منها الزخارف والأباطيل والشكوكات ، التى يأنف المسلم الضعيف فى الاسلام ، أن يخطرها بباله ، فضلا عن القوى فى الدين . فكان يتعب قلبى ويحزننى ما يصير إليه الأعاظم من المقالات السخيفة . والآراء الضعيفة التى لا يعتقد جوازها آحاد العامة

وكنت أفتش على السنة المحضة فى مصنفات المتكلمين من أصحاب الامام أحمد رحمه الله على الخصوص ، لاشتهارهم بالتمسك بمنصوصات إمامهم فى أصول العقائد ، فلا أجد عندهم ما يكفى[1]

---

(١) نسخة «يشفى» اه من هامش الأصل

وكنت أراهم يتناقضون ، إذ يؤصلون أصولا يلزم فيها ضد ما يعتقدونه ويعتقدون خلاف مقتضى أدلتهم . فاذا جمعت بين أقاويل المعتزلة والأشعرية ،وحنابلة بغداد ، وكرامية خراسان ، أرى أن إجماع هؤلاء المتكلمين في المسألة الواحدة على ما يخالف الدليل العقلي والنقلي ، فيسوئني ذلك ، وأظل أحزن حزنا لا يعلم كنهه إلا الله ، حتى قاسيت من مكابدة هذه الأمور شيئاً عظيما ، لا أستطيع شرح أيسره .

وكنت ألتجيء إلى الله سبحانه وتعالى وأتضرع اليه ، وأهرب إلى ظواهر النصوص ، وألقى المعقولات المتباينة ، والتأويلات المصنوعة لنبو الفطرة عن قبولها .

ثم قد تشبثت فطرتي بالحق الصريح في أمهات المسائل ، غير متجاسرة على التصريح بالمجاهرة قولا وتصميما للعقد عليه ، حيث لا أراه مأثورا عن الأئمة وقدماء السلف . إلى أن قدر الله سبحانه وقوع مصنف الشيخ الامام (امام الدنيا) رحمه الله ، في يدي ، قبيل واقعته الأخيرة ، بقليل فوجدت ما بهرني ، من موافقة فطرتي لما فيه ، وعزو الحق إلى أئمة السنة وسلف الأمة ، مع مطابقة المعقول والمنقول ، فبهت لذلك ، سرورا بالحق وفرحا بوجود الضالة التي ليس لفقدها عوض. فصارت محبة هذا الرجل رحمه الله ، محبة ضرورية ، يقصر عن شرح أقلها العبارة .ولو أطنبت

ولما عزمت على المهاجرة إلى لقيه ، وصلني خبر اعتقاله ، وأصابني لذلك المقيم المقعد .

ولما حججت سنة ثمان وعشرين وسبعمائة صممت العزم على السفر إلى دمشق ، لأتوصل إلى ملاقاته ببذل مهما أمكن من النفس والمال للتفريج عنه . فوافاني خبر وفاته رحمه الله تعالى مع الرجوع إلى العراق قبيل وصول الكوفة ، فوجدت عليه مالا يجده الأخ على شقيقه ، واستغفر الله ، بل ولا الوالد الثاكل على ولده ، وما دخل على قلبي من الحزن لموت أحد من الولد والأقارب والأخوان كما وجدته عليه ، رحمه الله تعالى ، ولا تخيلته قط في نفسي ، ولا تمثلته في قلبي إلا ويتجدد لي حزن ، قديمه كأنه محدثه . ووالله ما كتبتها إلا وأدمعي تتساقط عند ذكره ، أسفا على فراقه ، وعدم ملاقاته ، فانا لله وانا إليه راجعون ، ولاحول ولاقوة إلا بالله العلي العظيم . وما شرحت هذه النبذة من محبة الشيخ رحمة الله تعالى عليه ، إلا ليتحقق بعدي عن الملك الموهوم .

لكن لما سبق الوعد الكريم منكم ، بانفاذ فهرست مصنفات الشيخ رضي الله عنه ، وتأخر ذلك عني ، اعتقدت أن الاضراب عن ذلك نوع تقية ، أو لعذر لا يسعني السؤال عنه ، فسكت عن الطلب ، خشية أن يلحق أحداً ضرر ، والعياذ بالله ، بسببي ، لما كان قد اشتهر

من تلك الأحوال ، فان أنعمتم بشيء من مصنفات الشيخ ، رحمه الله تعالى ، كانت لكم الحسنة عند الله تعالى علينا بذلك . فما أشبه كلام هذا الرجل بالتبر الخالص المصفى ، وقد يقع فى كلام غيره من الغش والشبه المدلس بالتبر ، مالا يخفى على طالب الحق ، لحرص وعدم هوى .

ولا أزال أتعجب من المنتسبين إلى حب الانصاف فى البحث ، المزرين على أهل التقليد المعقولات التى يزعمون أن مستندهم الأعظم الصريح منها ، كيف يباينون ما أوضحه من الحق ، وكشف عن قناعه وقد كان الواجب على الطلبة ، شد الرحال إليه من الآفاق ، ليروا العجب.

وما أشبه حال المباينين له ، من المنتسبين الى العلم ، الطالبين للحق الصريح الذى أعياهم وجدانه ـ بحال قوم ذبحهم العطش والظمأ فى بعض المفازات ، فحين أشرفوا على التلف ، لمع لهم شط كالفرات ، أو دجلة أو كالنيل ، فعند معاينتهم لذلك ، اعتقدوه سرابا ، لا شرابا ، فتولوا عنه مدبرين ، فتقطعت أعناقهم عطشا وظمأ ، فالحكم لله العلى الكبير .

وما أرسلنا الكتب المقابلة من إحدى الطرفين ، ففيه تعسف . وتمهدون العذر فى الاطناب . فهذا الذى ذكرته من حالى مع الشيخ كالقطر من بحر . وإن أنعمتم بالسلام على أصحاب الشيخ وأقاربه ، كبيرهم وصغيرهم ، كان ذلك مضافا إلى سابق إنعامكم .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وأنتم فى أمان الله ورعايته

والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

***

قال الشيخ الامام زين الدين ، أبو حفص ، عمر بن المظفر بن عمر ابن محمد بن أبي الفوارس ، بن على بن الوردى ، الشافعى رضى الله عنه يرثى شيخ الاسلام تقى الدين بن تيمية رضى الله عنه :

عثا فى عرضه قوم سلاط   لهم من نثر جوهره التقاط
تقى الدين أحمد خير حبر   خروق المعضلات به تخاط
توفى وهو مسجون فريد   وليس له إلى الدنيا انبساط
ولو حضروه حين قضى لألفوا   ملائكة النعيم به أحاطوا
قضى نحبا وليس له قرين   ولا لنظيره لفَّ القماط
فتى فى علمه أضحى فريدا   وحل المشكلات به يناط
وكان إلى التقى يدعو البرايا   وينهى فرقة فسقوا ولاطوا
وكان يخاف ابليس سطاه   بوعظ للقلوب هو السياط
فيا لله ما قد ضم لحد   ويالله ما غطى البلاط
همو حسدوه لما لم ينالوا   مناقبه فقد فسقوا وشاطوا
وكانوا عن طرائقه كسالى   ولكن فى أذاه لهم نشاط
وحبس الدر فى الأصداف فخر   وعند الشيخ بالسجن اغتباط

بآل الهاشمى له اقتداء   فقد ذاقوا المنون ولم يواطوا
بنو تيمية كانوا ، فبانوا   نجوم العلم أدركها انهباط
ولكن يا ندامة حابسيه   فشك الشرك كان به يماط
ويا فرح اليهود بما فعلتم   فإن الضد يعجبه الخباط
ألم يك فيكمو رجل رشيد   يرى سجن الامام فيستشاط
إمام لاولاية كان يرجو   ولا وقف عليه ولا رباط
ولا جاراكمو في كسب مال   ولم يعهد له بكم اختلاط
ففيم سجنتموه وغضتموه   أما لجزا أذيته اشتراط ؟
وسجن الشيخ لايرضاه مثلى   ففيه لقدر مثلكم انحطاط
أما والله لولا كتم سرى   وخوف الشر لانحل الرباط
وكنت أقول ماعندى ، ولكن   بأهل العلم ماحسن اشتطاط
فما أحد إلى الانصاف يدعو   وكل فى هواه له انخراط
سيظهر قصدكم ياحابسيه   ونيتكم إذا نصب الصراط
فهاهو مات عنكم ، واسترحتم   فعاطوا ماأردتم أن تعاطوا
وحلوا واعقدوا من غير رد   عليكم وانطوى ذاك البساط

تمت والحمد لله رب العالمين

مرثية فى الشيخ تقى الدين أبى العباس ، أحمد بن تيمية قدس الله روحه

لما نعى الشيخ الامام المتقى   نجل رئيس فاضل حبر تقى
فاضت محاجر مقلتى ، ياحسرتى   لفراقه فرقا ، وزاد تقلقى
زفرات أشواقى أكاد لحرها   تنقض منى مهجتى بتحرقى
وتركت من بعد التقى بلوعة   ومدامعى من بعده لاترتقى
متهتك الأستار ولهان الحشا   أبكى الديار عليه حتى نلتقى
حزنى عليه مدى الزمان تأسفا   يامقلتى سحى دما وترقرق
ياقلب ذب أسفا عليه وحسرة   فقليل مالاقيت شيب مفرقى
يامهجتى ذوبى عليه صبابة   وتقطعى لفراقه وتمزقى
يامقلتى سحى بدمع هاطل   متحدر سح السحاب المطبق
ياليتنى يوم الفراق حضرته   حتى أجدد مامضى من موثقى
وأودع الوجه المليح بنظرة   يحيا بها قلب الكئيب المشفق
ما كان أهنا عيشنا بحياته   ياليت يوم فراقه لم يخلق
لو كان يفدى مابخلت بمهجتى   فى حقه ، ولكنت أول من يقى
ياأهله ، لاتجزعوا لفراقه   ولأجل كأس من حمام قد سقى
فله جنان الخلد يسكنها غداً   وعلى مناصبها العلية يرتقى
هو شيخنا ، ورئيسنا ، وإمامنا   لله در الطاهر الحبر التقى
إن قلت طود العلم فهو حقيقة   فاسمع بهذا القول فيه وحقق
يفتى بجمع مذاهب عن أربع   لكنه فى الفضل آخر من بقى

هو في القراءة أوحد فى عصره ... هو فى الأصول مفيدنا والمنطقى
شيخ الطريقة والحقيقة عارف ... ورث الامامة والعلوم ، فحقق
متصدق ، متفضل ، متطول ... لله ماأجزاه من متصدق
قد كان فيناوابلا نحيا به ... وثناؤه فينا كمسك معبق
قد كان فينا جنة أنهارها ... تجرى لنا من علمه المتدفق
قد كان فينا سيداً من سيد ... فاقطع بهذا القول فيه وصدق
ياقبره يهنيك ماقد حزته ... من زاهد بر زكى متقى
قد صرت روضة جنة بحلوله ... فلك الفخار بسيد وموفق
فالله يرحمه ويجبر كسره ... ويغيثنا من فضله المغدودق
واجبر بعفوك ناظما لقريضها ... حسناً أعنه تفضلا وتصدق
ثم الصلاة على النبى محمد ... خير الأنام ومن لعرشك يرتقى
والحق به الآل الكرام وصحبه ... بكرامة فلأنت أكرم ملحق

تمت والحمد لله رب العالمين

***

مرثية فى شيخ الاسلام تقى الدين أحمد بن تيمية من نظم الشيخ شهاب الدين أحمد بن فضل الله ، رحمهما الله تعالى ورضى عنهما :

أهكذا في الدياجي يحجب القمر ... ويحبس النور حتى يذهب المطر
أهكذا تمنع الشمس المنيرة عن ... منافع الأرض أحياناً فتستتر ؟

أهكذا الدهر ليلا كله أبدا ... فليس يعرف فى أوقاته سحر ؟
أهكذا السيف لاتمضى مضار به ... والسيف فى الفتك مافى عزمه خور ؟
أهكذا القوس ترمى بالعراء ، وما ... تصمى الرمايا ، ومافى باعها قصر ؟
أهكذا يترك البحر الخضم ولا ... يلوى عليه ، وفى أصدافه الدرر ؟
أهكذا بتقى الدين قد عبثت ... أيدى العِدَى ، وتعدى نحوه الضرر ؟
الى ابن تيمية ترمى سهام أذى ... من الأنام ، ويدمى الناب والظفر
بذّ السوابق ممتد العبادة لا ... يناله ملل فيها ولا ضجر
ولم يكن مثله بعد الصحابة فى ... علم عظيم وزهد ماله خطر
طريقه كان يمشى قبل مشيته ... بها أبو بكر الصديق ، أو عمر
فرد المذاهب فى أقوال أربعة ... جاءوا على أثر السباق وابتدروا
لما بنوا قبله عليا مذاهبهم ... بنى وعمر منها مثل ما عمروا
مثل الأئمة قد أحيا زمانهم ... كأنه كان فيهم وهو منتظر
إن يرفعوهم جميعا رفع مبتدأ ... فحقه الرفع أيضا ، إنه خبر
أمثله بينكم يلقى بمضيعة ... حتى يطيح له عمدا دم هدر
يكون ، وهو أمانى لغيركم ... تنو به منكمو الأحداث والغير ؟
والله ، لو أنه فى غير أرضكم ... لكان منكم على أبوابه زمر ؟
مثل ابن تيمية ينسى بمجلسه ... حتى يموت ، ولم يكحل به بصر
مثل ابن تيمية ترضى حواسده ... بحبسه ، أولكم فى حبسه عذر ؟

مثل ابن تيمية في السجن معتقل والسجن كالغمد وهو الصارم الذكر
مثل ابن تيمية يرمى بكل أذى وليس يجلى قذى منه ، ولا نظر
مثل ابن تيمية تذوى خمائله وليس يلقط من أفنانه الزهر
مثل ابن تيمية شمس تغيب سدى وما تروق بها الآصال والبكر
مثل ابن تيمية يمضى ، وما عبقت بمسكه العطر الأردان والطرر
مثل ابن تيمية يمضى وما نهلت له سيوف ولا خطية سمر
ولا تجارى له خيل مسومة وجوه فرسانها الأوضاح والغرر
ولا تحف به الأبطال دائرة كأنهم أنجم في وسطها قمر
ولا تعبس حرب في مواقفه يوما ، و يضحك في أرجائها الظفر
حتى يقوم هذا الدين من ميل و يستقيم على منهاجه البشر
بل هكذا السلف الأبرار ما برحوا يبلى اصطبارهم جهدا ، وهم صبروا
تأس بالأنبياء الطهر ، كم بلغت فيهم مضرة أقوام ، وكم هجروا
في يوسف ، في دخول السجن منقبة لمن يكابد ما يلقى و يصطبر
ما أهملوا أبداً بل أمهلوا لمدى والله يعقب تأييدا و ينتصر
أيذهب المنهل الصافى وما نقعت به الظماة ، وتبقى الحماة الكدر ؟
مضى حميدا ، ولم يعلق به وضر وكلهم وضر فى الناس أو وذر
طود من الحلم لا يرقى له فنن كأنما الطود من أحجاره حجر
بحر من العلم ، قد فاضت بقيته فغاضت الأبحر العظمى ، وما شعروا

ياليت شعرى ، هل فى الحاسدين له نظيره فى جميع القوم إن ذكروا ؟
هل فيهم لحديث المصطفى أحد يميز النقد ، أو يروى له خبر ؟
هل فيهم من يضم البحث فى نظر أو مثله من يضم البحث والنظر ؟
هلا جمعتم له من قومكم ملأ كفعل فرعون مع موسى ليعتذروا ؟
قولوا لهم : قال هذا ، فابحثوا معه قدامنا ، وانظروا الجهال إن قدروا
يلقى الأباطيل أسحار لها دهش فليقف الحق ، ماقالوا ، وماسحروا
فليتهم مثل ذاك الرهط من ملأ حتى يكون لكم فى شأنهم عبر
وليتهم أذعنوا للحق مثلهم فآمنوا كلهم من بعد ما كفروا
يا طالما نفروا عنه مجانبة وليتهم نفعوا فى الضيم أو نفروا
هل فيهمو صادع للحق مقوله أو خائض للوغى ، والحرب تستعر ؟
رمى إلى بحر غازان مواجهة سهامه من دعاء عونه القدر
بتلِّ راهط ، والأعداء قد غلبوا على الشآم ، وطار الشر والشرر
وشق فى المرج والأسياف مصلتة طوائف كلها ، أو بعضها التتر
هذا ، وأعداؤه فى الدور أشجعهم مثل النساء بظل الباب مستتر
و بعدها كسروان ، والجبال ، وقد أقام أطوادها ، والطود منفطر
واستحصد القوم بالأسياف جهدهم فطالما بطلوا طغوا وما بطروا
قالوا : قبرناه . قلنا : إن ذا عجب حقا ، وللكوكب الدرى قد قبروا
وليس يذهب معنى منه متقد وإنما تذهب الأجسام والصور

لم يبكه ندما من لا يصب دما يجرى به وبما يهمي وتنهمر
لهفى عليك ، أباالعباس ، كم كرم لما قضيت قضى من عمره العمر
سقى ثراك من الوسمى صيبه وزار معناك قطر كله قطر
ولا يزال له برق يغازله حلو المراشف فى أجفانه حور
لفقد مثلك ، يامن ماله مثل تأسى المحاريب والآيات والسور
ياوارثا من علوم الأنبياء نهى أورثت قلبى نارا وقدها الفكر
يا واحداً لست أستثنى به أحدا من الأنام ، ولا أبقى ولا أذر
يا عالما بنقول الفقه أجمعها أعنك تحفظ زلات كما ذكروا ؟
يا قامع البدع اللاتى تحببها أهل الزمان وأهل البدو والحضر
ومرشد الفرقة الضلال نهجهم إلى الطريق ، فما حاروا ولاسهروا
ألم تكن للنصارى و اليهود معا مجادلا ، وهم فى البحث قدحضروا ؟
وكم فتى جاهل غر أبنت له رشد المقال فزال الجهل والضرر ؟
ما أنكروامنك إلا أنهم جهلوا عظيم قدرك ، لكن ساعدالقدر
قالوا بأنك قد أخطأت مسألة وقد يكون . فهلا منك تغتفر ؟
غلطت فى الدهر ، أوأخطأت واحدة أما أجدت إصابات فتعتذر ؟
ومن يكون على التحقيق مجتهدا له الثواب على الحالين ، لاالوزر
ألم تكن أحاديث النبى إذا سئلت تعرف ماتأتى وما تذر
حاشاك ما شبه فيها ، وماشبه كلاهما منك لايبقى له أثر

عليك فى البحث أن تبدى غوامضه   وما عليك إذا لم تفهم البقة

قدمت لله ما قدمت من عمل   وما عليك بهم ذموك أو شكروا

هل كان مثلك من يخفى عليه هدى   ومن سمائك تبدو الأنجم الزهر ؟

وكيف تحذر من شىء تزل به   أنت التقى ، فماذا الخوف والحذر ؟

تمت والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

***

وقال الشيخ الصالح العابد محمد أبو طاهر ، البعلى الحنبلى ، يمدح شيخ الاسلام والمسلمين الإمام أحمد بن تيمية رحمه الله ورضى عنه :

يا ابن تيمية ، يا أنصح العلما   يا من لأسرار دين الله قد فهما

يا آية ظهرت فى الكون باهرة   لا زلت فى سلك دين الله منتظما

وكنت واسطة فى عقده أبدا   تزيل منه الأذى والفحش والسقما

جمعت منه الذى قد كان فرقه   قوم رأوه هدى منه ، وكان عمى

وكنت أحرص خلق الله كلهم   على التآلف ، تعطى الفضل والنعما

ولست خباً لئيما ، باخلا شرهاً   لكن تقياً ، نقياً ، سيد الكرما

تعفو عن الجاهل الجانى وترحمه   وتكثر العدل والانصاف للخصما

ما زلت تغضب فى ذات الإله ولم   تكن لنفسك يا ذا الحلم منتقما

فأنت حبر هدى أحيا الاله به   من دينه سنناً أماته الغشما

EULOGIES

في رأس سبع مئين كنت قد وجبت — لك الامامة يا خلاصة العلما
وكل شيء به جل الورى هلكوا — فشيخنا ذي التقى من شره سلما
وكل وصف كمال في نظائره — له خصائصه لا تقتضى العدما
كان المبرز في كل العلوم ، وقد — أضحت له في ذرى أسنامها علما
وكان حاوي صفات الخير أجمعها — قد جل في كل حالات التقى قدما
لما أراد عداه دحضه دحضوا — وزاده الله عزا ، دائماً ، وسما
أضحت عوائده تبدى فوائده — على موائده في حضرة الحكما
فهو التقى ، به أهل التقى ألفوا — وأبعد الله عنه المجرم الزنما
وهو المحك الذي بان العباد به — إما كراما وإما خيبا لُؤُما
فإن أردت تعايير العباد به — عرض بذكراه مدحا ، وانظر السيما
ترى الغوى حزينا ثم منقبضا — وتنظر المتقي قد سر مبتسما
فحبه نعمة فاز السعيد بها — وبغضه نقمة بها الشقى وسما
فالحمد لله ، أهل الحمد ، خالقنا — كم قد أفاض علينا في الورى نعما
عافي القلوب من الأسقام أجمعها — وعم بالجود من وفىَّ ومن ظلما
كم أفرجت كربة عنا بمنته — وكم أعان ، وكم عفى ، وكم رحما ؟
لا ترتجى غيره في رفع نازلة — يبقى الهدى عنك والاحسان منصرما
ولا تكن بسواه عنه مشتغلا — لكي تنال التقى والفوز والكرما

